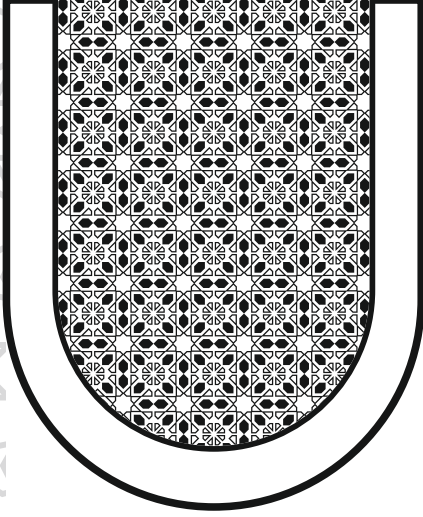




مَابِ الْمَوْضِعِ لِلشَّبَابِ

المنهج الخاص لشباب مؤسسة محمديون للثقافة والنشر

٠٠٠٠,٠٠
م ٠٠٠ مآب المؤمن للشباب
معهد المصطفى

ط ١ ، البصرة، الجنوب، للطباعة، ٢٠٢٦ م
٥٠٠ ص. ٢٤ سم
١. مناهج دراسية، أ. العنوان

م.و.

٢٠٢٦ / ٠٠٠٠ م

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

طبع في

جمهورية العراق • محافظة البصرة

♦ جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فإنه لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

♦ All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

2026



معهد المصطفى
للتنمية والبناء، الفكري

احد اجنحة مؤسسة محمديون للثقافة والنشر

للجنوب للطباعة والنشر والتوزيع

خط العنوان

عرفك

تصميم الغلاف

جوليا المظفر

الاخراج الداخلي والتخضير الطباعي

مركز الجنوب للدراسات والنشر الأكاديمي



jawadonlin@gmail.com



00964 780 103 2308

مؤسسة
محمديون
للثقافة والنشر



قائمة المؤتمرات للشباب

المنهج الخاص لشباب مؤسسة محمد بن سعود للثقافة والنشر

السنة الدراسية ١٤٤٧-١٤٤٨ هـ



2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

05

مُقدِّمَةٌ

09

مُهلِّدٌ

- ◆ مشروع الإمام روح الله الخميني «فَتْحٌ» في الثورة الإسلامية 10
- ◆ مشروع السيد القائد الإمام الشهيد علي الخامني «فَتْحٌ» 15
- ◆ مشروع السيد محمد باقر الصدر «فَتْحٌ» والمدرسة القرآنية 18
- ◆ مشروع السيد حسين بدر الدين الحوثي 21

25

معنى لا إله إلا الله

الفُضَيْلُ الْأَوَّلُ

01

25 مقدمة منهجية

الْفُضَيْلُ الْأَوَّلُ

35 آية الكرسي وأثرها في الثقة بالله

الْفُضَيْلُ الثَّانِي

43 يوم القيامة، الحقيقة المطلقة

الْفُضَيْلُ الثَّالِثُ

53 التذكر الإيماني والوقاية من القسوة

الْفُضَيْلُ الرَّابِعُ

71

معرفة الله تعالى

الفُضَيْلُ الثَّانِي

71 مقدمة منهجية

الْفُضَيْلُ الْخَامِسُ

81 كتاب الله وأثره في النفوس

الْفُضَيْلُ السَّادِسُ

88 تجلي الثقة بالله واثارها في النفوس **الدَّرْسُ السَّابِعُ**

97 القرآن الكريم ورفع الهمم **الدَّرْسُ الثَّامِنُ**

01 | الْفَصْلُ الثَّالِثُ

109 نعم الله **الدَّرْسُ التَّاسِعُ**

117 الفرق بين نعم الله ونعم الانسان **الدَّرْسُ الْعَاشِرُ**

04 | الْفَصْلُ الرَّابِعُ

127 | التذكير بنعم الله

127 **الدَّرْسُ الْحَادِي عَشْرَ**

139 العبر والمواظ من تسخير بعض الحيوانات للإنسان **الدَّرْسُ الثَّانِي عَشْرَ**

149 أهمية تذكير النفس بنعم الله تعالى **الدَّرْسُ الثَّلَاثَ عَشْرَ**

05 | الْفَصْلُ الْخَامِسُ

163 | نعمة الهداية

163 **الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشْرَ**

173 نعمة التربة نعمة الماء ونعمة النار **الدَّرْسُ الْخَامِسَ عَشْرَ**

183 وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ **الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشْرَ**

189 أهمية تذكير النفس بنعم الله تعالى **الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشْرَ**

06 | الْفَصْلُ السَّادِسُ

201 | معرفة الله - الاستواء والملك والتدبير

201 **الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشْرَ**

212 الْبَاطِنُ **الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشْرَ**

221

وَاللّٰهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ

الرَّسُولُ الْعِشْرُونَ

231

معرفة الله من خلال صفاته

الرَّسُولُ الْفَصْلُ السَّابِعُ

07

231

الرَّسُولُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

242

يضاعف الحسنات رحمة بنا

الرَّسُولُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

252

فهم الاسلام

الرَّسُولُ الثَّالِث وَالْعِشْرُونَ

260

الإسلام ومشروع الفكر الإسلامي في القرآن الكريم

الرَّسُولُ الرَّابِع وَالْعِشْرُونَ

271

تنزيه الله وتسيحه

الرَّسُولُ الْفَصْلُ الثَّامِنُ

08

271

الرَّسُولُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

283

الكمال التام لله وحده

الرَّسُولُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

294

تنزيه الله تعالى والثناء عليه

الرَّسُولُ السَّابِع وَالْعِشْرُونَ

307

الايمان بوعد الله ووعيده

الرَّسُولُ الْفَصْلُ الثَّاسِعُ

09

307

الرَّسُولُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

316

توهم الدنيا والاخرة

الرَّسُولُ الثَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

333

دور الايمان في النجاة من عذاب الله

الرَّسُولُ الْفَصْلُ الْعَاشِرُ

10

333

الرَّسُولُ الثَّلَاثُونَ

345

الرَّسُولُ الْحَادِي وَالْثَلَاثُونَ

355

التوبة والرجوع الى الله

الرَّسُولُ الْفَصْلُ الْحَادِي عَشَرَ

11

355

الرَّسُولُ الثَّانِي وَالْثَلَاثُونَ

364 ترابط المنظومة الدينية

التَّالِثُ وَالْثَّلَاثُونَ

374 التقوى لله تعالى

الرَّابِعُ وَالْثَّلَاثُونَ

385

حكمة القرآن الكريم في سورة السجدة

الفصل الثاني عشر

12

385

الخامس والثلاثون

396

الانسان عاجز عن التدبير

السادس والثلاثون

407

الاثار السيئة للخوف من الموت

السابع والثلاثون

414

الأخسرين أعمالا

الثامن والثلاثون

425

قوانين الله في كتابه الكريم

التاسع والثلاثون

437

تأملات عملية من سورة السجدة

الفصل الثالث عشر

13

437

قوانين الله في كتابه الكريم

الأربعون

447

المؤمن يبحث عن رضى الله

الحادي والأربعون

457

عبر ودروس من قوم نبي الله نوح (عليه السلام)

الثاني والأربعون

465

الله تعالى يجازي المنفقين بالأجر الكبير

الثالث والأربعون

479

أثار الأعمال في الدنيا والآخرة

الفصل الرابع عشر

14

479

عبر من قصة نبي الله آدم (عليه السلام)

الرابع والأربعون

492

دور اليهود في نشر الربا

الخامس والأربعون

503

قساوة القلب

السادس والأربعون

523 الخوف من نار جهنم أولى من كل خوف

السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

531 لباس اهل النار

الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

543 عقيدة اليهود في النار

التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

552 استغراب خزنة النار من الناس

الْخَمِيسُونَ

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والصلاة والسلام على من بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، محمد
واله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجين، ومن تبعهم بإحسان من
الشهداء والعلماء والصالحين إلى يوم الدين.

تتشرف مؤسسة محمديون للثقافة والنشر بتقديم الجزء الرابع من
سلسلة كتاب مآب المؤمن، الموسوم بـ

مآب المؤمن للشباب

وهو كتاب منهجي تعليمي يستهدف الفئة العمرية من (١٦ إلى
٢٠ عاماً)، في مرحلة تعتبر من أخطر مفاصل التكوين الفكري
والنفسى والاجتماعي لدى الإنسان. وهي المرحلة التي تتبلور فيها
الهويات، وتُرسَم فيها ملامح القناعات، وتنشأ فيها التساؤلات
الكبرى حول المصير، والغاية، والحق، والدين، والحياة.

لقد جاء هذا الكتاب استجابة لحاجة ملحة عاينّاها في الواقع التعليمي والثقافي لشبابنا المؤمن، وهم يواجهون طوفان الحرب الناعمة الممنهجة، التي تستهدف عقولهم وعقائدهم، وتنفث في وعيهم ضبابية الشك، وتغريهم بشبهات التميع والتغريب والانفصال عن الجذور. لم تعد الحرب اليوم تقليدية الشكل، ولم تعد البنادق ولا القذائف وحدها أدوات العدوان، بل صار الفكر هو السلاح، وصارت القنوات والمنصات والمنظومات الرقمية ساحة الصراع الأخطر.

ومن هذا المنطلق، فإن كتاب مآب المؤمن للشباب لم يكتب ليكون مجرد مادة تعليمية جافة، بل هو نواة تحصين ثقافي متين، ورافعة تربوية تسهم في ترسيخ هوية الشاب المسلم، وتغذي روحه بالمعرفة الراشدة، وتمنحه المفاتيح لفهم واقعه، والقدرة على مقارنة التحديات المعاصرة بعين بصيرة وعقل مستنير.

ينهل هذا الكتاب من فكر علمائنا العظماء المعاصرون الإمام الخميني «رحمته» والإمام القائد السيد علي الخامنئي (دام ظله) والسيد الشهيد محمد باقر الصدر والسيد الشهيد حسين بدر الدين الحوثي قدس سرهم الشريف بما يحملونه من حكمة وتوازن بين الثوابت والمتغيرات، وبين العقل والعاطفة، وبين الروح والعمل وقد تم اعتماد مجموعة من الكتب والمقالات المعتبرة للعلماء المذكورين وأهمها كان كتاب مشروع الفكر الإسلامي في القرآن الكريم، وكذلك من هدي القرآن للسيد الشهيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه)، والمدرسة القرآنية الذي مثلت تلك المصادر نهجاً فريداً في ربط الناس بالقرآن، وفي مواجهة الطغيان، وفي تعزيز الوعي الجمعي للامة.

لقد رُتبت موضوعات هذا الكتاب بطريقة منهجية تسلسلية، تُراعي تدرّج الفهم، وتنقل القارئ من أسس العقيدة إلى مفاهيم الجهاد المعرفي، ومن أسئلة الإيمان الكبرى إلى تحديات العصر الحديث، بأسلوب يجمع بين العمق والبساطة، وبين الإقناع العقلي والاستنهاض الروحي.

إننا في مؤسسة محمديون، إذ نقدّم هذا الجهد المتواضع، فإننا نعي تماماً حجم المسؤولية، ونذكر أن بناء الوعي لا يتم بلحظة، بل هو مشروع ممتد يحتاج إلى تضافر

مؤسسي، وإلى إيمان حقيقي بأهمية الإنسان، وبقداسة رسالته، وبدوره في صناعة الحضارة والكرامة.

إن «مآب المؤمن للشباب» ليس مجرد كتاب مطبوع، بل هو خطوة في درب طويل من التربية الرّسالية، والبناء الجهادي، والتأصيل المعرفي. وهو دعوة صادقة إلى شبابنا لأن يكونوا مؤمنين لا بالاسم فقط، بل بالوعي، والحضور، والموقف، والمبادرة. شبابًا لا يكتفون بالاستهلاك والانفعال، بل يصنعون رأيهم بأنفسهم، ويتخذون مواقفهم من منطلق قرآني، ويقفون في وجه الباطل بثبات المؤمنين الصادقين.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به أبناءنا وبناتنا، وأن يُجري على أيدينا الخير، ويثبتنا وإياهم على الصراط المستقيم، وأن يجعلنا جميعًا من جنود الحق في معركة الوعي التي لا تنام.

والله ولي التوفيق

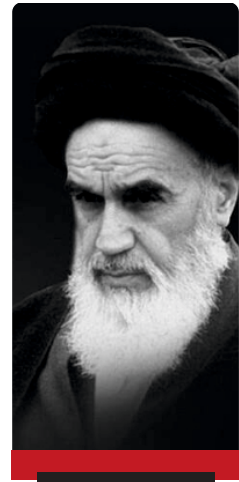
مؤسسة محمديون للثقافة والنشر
البصرة الفيحاء
السابع من محرم الحرام ١٤٤٧

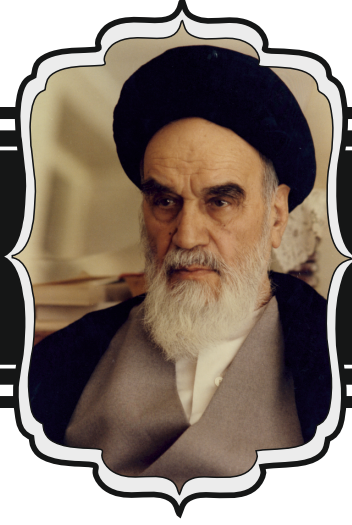


تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يمثل الكتاب قراءة واعية وملهمة لأفكار أهم قادة هذه الأمة خلال هذه المرحلة المعاصرة، أولهم هو السيد الامام روح الله الخميني «قدس» وخليفته الامام الخامنئي دام ظله والشهيد السيد محمد باقر الصدر والسيد حسين بدر الدين الحوثي قدست ارواحهم الطاهرة؛ لذلك ارتأينا قبل الخوض في غمار هذه الدروس تعريف القارئ الكريم وطلبة مؤسسة محمديون على مشاريعهم الفكرية، وكيفية ربطها بالقران الكريم وكيفية ربط الأمة بالله تعالى، لذلك وضعنا هذا المختصر تمهيداً قبل الشروع بالكتاب



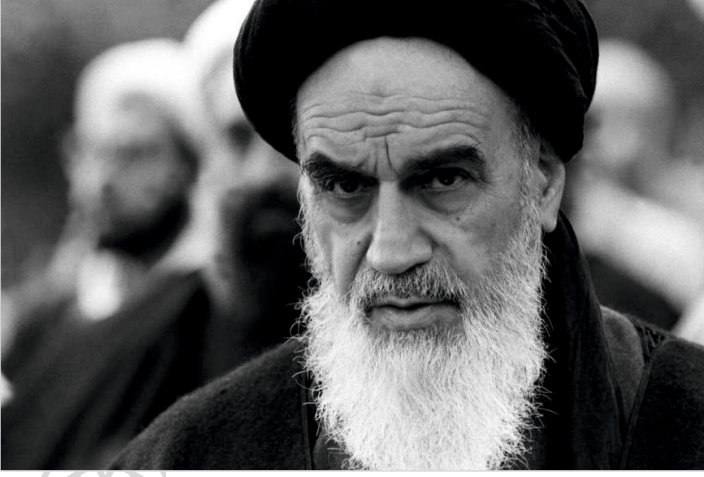


مشروع الإمام روح الله الخميني «قَدْش» في الثورة الإسلامية

ربط الإنسان بالله تعالى والقرآن الكريم

شكّل مشروع الإمام الخميني «قَدْش» في الثورة الإسلامية الإيرانية نموذجاً فريداً في التاريخ المعاصر، إذ لم يكن مجرد حركة سياسية تهدف إلى تغيير نظام الحكم، بل كان مشروعاً إلهياً إنسانياً متكاملًا سعى إلى إعادة ربط الإنسان بالله تعالى، وإحياء دور القرآن الكريم في حياة الفرد والمجتمع، بعد عقود من التغريب والاستبداد السياسي والثقافي.

انطلق الإمام الخميني «قَدْش» من رؤية عقائدية عميقة ترى أن أصل أزمات الإنسان والمجتمع يكمن في الانفصال عن الله سبحانه وتعالى، وفي تهميش القيم القرآنية التي تنظّم علاقة الإنسان بربه وبأنفسه وبالأخرين. ومن هذا المنطلق، اعتبر أن الإصلاح الحقيقي لا يبدأ من تغيير الهياكل السياسية فحسب، بل من بناء الإنسان المؤمن الواعي، المرتبط بالله، والمسؤول عن دوره في إعمار الأرض وتحقيق العدالة.



اعتمد الإمام الخميني «تدثي» في مشروعه على القرآن الكريم بوصفه مصدر الهداية الأول، لا كنص يُتلى فقط، بل كمنهج حياة شامل. وقد أكد في خطابه وكتابه أن القرآن جاء ليقيم العدل، ويحرّر الإنسان من الطغيان، ويواجه الظلم والاستكبار، ويربي أمة واعية لا تخضع إلا لله. ومن هنا، ربط بين الإيمان بالله تعالى ورفض الظلم السياسي والاجتماعي، معتبراً أن الخضوع للطغاة هو شكل من أشكال الشرك العملي.

كما ركّز الإمام الخميني على إحياء البعد الروحي والأخلاقي في العمل الثوري، فكان يرى أن الثورة التي تنفصل عن الأخلاق والإخلاص لله تفقد معناها وقيمتها. ولذلك دعا الناس إلى التمسك بالصلاة، والدعاء، والقرآن، والجهد النفسي، بالتوازي مع الجهد السياسي والاجتماعي. وقد أسهم هذا التوازن بين الروح والعمل في بناء علاقة عميقة بين الجماهير والثورة، حيث شعر الناس أن حركتهم نابعة من إيمانهم، لا مفروضة عليهم من أيديولوجيا جامدة.

ومن أبرز معالم مشروع الإمام الخميني «تدثي» ربطه بين ولاية الفقيه والقرآن الكريم، إذ اعتبر أن قيادة المجتمع في زمن غياب الإمام المعصوم «عليه السلام» يجب أن تكون بيد الفقيه العادل العالم بأحكام الله، القادر على تطبيق القيم القرآنية في الواقع. ولم يكن الهدف من ذلك إقامة سلطة دينية شكلية، بل حماية المجتمع من الانحراف، وصيانة الهوية الإسلامية، وضمان حضور الله في القرار السياسي والاجتماعي.

لقد نجح الإمام الخميني «تدثي» في إعادة الثقة إلى الأمة بقدرتها على التغيير من خلال العودة إلى الله والقرآن، وأثبت أن الدين ليس عائقاً أمام التقدم، بل قوة محرّكة للتحرر والوعي والكرامة. وهكذا، لم تكن الثورة الإسلامية حدثاً سياسياً عابراً، بل نهضة إيمانية أعادت وصل الأرض بالسماء، والإنسان بخالقه، والواقع بروح القرآن.

الإسلام الأصيل في مقابل الإسلام الأمريكي في مشروع الإمام الخميني

شكّل الإمام الخميني «تثنية» واحدًا من أبرز المفكرين والقادة الذين أعادوا طرح الإسلام بوصفه مشروعًا حضاريًا وثوريًا شاملاً، لا يقتصر على الشعائر والعبادات الفردية، بل يمتد ليشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع ومقاومة الظلم. ومن أهم المفاهيم التي ركّز عليها في خطابه الفكري والسياسي مفهوم «الإسلام الأصيل» في مقابل ما سمّاه «الإسلام الأمريكي»، وهو تقسيم يعكس صراعاً عميقاً بين نهجين متناقضين في فهم الدين ودوره في الحياة.

أولاً: مفهوم الإسلام الأصيل

01

الإسلام الأصيل، بحسب الإمام الخميني «تثنية»، هو الإسلام المحمدي الأصيل الذي جاء به النبي محمد ﷺ، والذي يهدف إلى:

- ❁ تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع الظلم عن المستضعفين.
- ❁ مقاومة الاستكبار العالمي والطغيان الداخلي.
- ❁ الجمع بين الروحانية والعمل السياسي دون انفصال.
- ❁ تحميل الأمة مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ❁ اعتبار الجهاد والمقاومة وسائل مشروعة للدفاع عن الكرامة والاستقلال.

هذا الإسلام لا يقف على الحياد أمام الظلم، بل ينحاز صراحةً إلى المظلومين، ويجعل من الدين قوة محرّكة للتغيير والإصلاح.

أما «الإسلام الأمريكي» فهو مصطلح نقدي استخدمه الإمام الخميني «قَدْ شُئ» لوصف نوع من الإسلام:

- ✽ منزوع البعد السياسي والاجتماعي.
- ✽ يركّز على الطقوس الشكلية ويهمل جوهر الدين.
- ✽ يبرّر الظلم أو يصمت عنه.
- ✽ يخدم مصالح القوى الاستكبارية، وعلى رأسها الولايات المتحدة وحلفاؤها.
- ✽ يُستخدم كأداة لتخدير الشعوب وإبعادها عن قضاياها المصيرية.

ويرى الإمام أن هذا النوع من الإسلام يُرَوِّج له عبر أنظمة تابعة أو علماء سلاطين، بهدف تفريغ الدين من مضمونه الثوري والإنساني

أكّد الإمام الخميني «قَدْ شُئ» أن فصل الدين عن السياسة هو من أخطر أدوات الاستعمار، وأن الإسلام الأصيل لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال:

- ✽ إقامة نظام سياسي يستند إلى القيم الإسلامية.
- ✽ رفض التبعية للشرق أو الغرب.
- ✽ دعم قضايا الأمة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.
- ✽ إحياء دور العلماء الحقيقيين في قيادة المجتمع.

ومن هنا جاءت الثورة الإسلامية في إيران كتجسيد عملي لهذا الفهم، حيث سعى الإمام إلى تحويل الإسلام من مجرد خطاب أخلاقي إلى مشروع دولة ومجتمع.

الصراع بين الإسلام الأصيل والإسلام الأمريكي هو صراع فكري وحضاري مستمر، يتمثل في:

- ❁ صراع بين الاستقلال والتبعية.
- ❁ صراع بين العدالة والهيمنة.
- ❁ صراع بين وعي الأمة وتضليلها.

وقد حذر الإمام الخميني «قَدْ» مراراً من خطورة الخلط بين النموذجين، داعياً المسلمين إلى الوعي والتمييز بين الإسلام الذي يخدم الإنسان، والإسلام الذي يُستخدم ضده.

لذلك يمثل مفهوم الإسلام الأصيل مقابل الإسلام الأمريكي أحد الركائز الأساسية في فكر الإمام الخميني «قَدْ»، وهو دعوة مفتوحة لإعادة قراءة الدين قراءة واعية ومسؤولة.

فالإسلام، في نظره، ليس دين استسلام، بل دين كرامة ومقاومة وبناء حضارة قائمة على العدالة والحرية. ومن هنا، تبقى أفكاره مصدر إلهام لكل من يسعى إلى إسلام حيّ وفاعل في مواجهة التحديات المعاصرة.





مشروع الشهدا عسلى الحسنى النسى «فدنى»

المشروع الحضارى الإسلامى ومراحله

يمثل مشروع السيد الشهيد القائد الإمام على الخامنى «فدنى» امتداداً طبيعياً وعميقاً لمسار الثورة الإسلامية التى أسسها الإمام الخمينى «فدنى»، إلا أنه يتميز بتركيزه الواضح على بناء المشروع الحضارى الإسلامى بوصفه هدفاً استراتيجياً بعيد المدى، يتجاوز حدود الدولة والنظام السياسى ليشمل الإنسان والمجتمع والثقافة والعلم والقيم.

ينطلق السيد الخامنى «فدنى» من رؤية قرآنية ترى أن الإسلام ليس مجرد منظومة عبادية أو تشريعات فردية، بل مشروع حضارى شامل قادر على قيادة البشرية نحو العدالة والكرامة والمعنوية، فى مواجهة الحضارة المادية الغربية التى - برأيه - أوقعت الإنسان فى الفراغ الروحى والظلم والاستغلال.

01 أولاً: مفهوم المشروع الحضاري الإسلامي

يعرّف السيد الخامني «قَدْش» المشروع الحضاري الإسلامي بأنه عملية متكاملة تهدف إلى بناء إنسان مؤمن وواع، ومجتمع قائم على القيم الإلهية، ونظام يحقق العدالة، وحضارة تجمع بين التقدم المادي والسمو الروحي. هو يؤكد أن الحضارة الإسلامية لا تقوم على القوة أو الهيمنة، بل على الأخلاق، والعلم، والاستقلال، وربط الإنسان بالله تعالى.

02 ثانياً: مراحل المشروع الحضاري

حدّد السيد القائد مراحل واضحة ومتسلسلة لهذا المشروع، معتبراً أن أي قفز على هذه المراحل يؤدي إلى تشويه الفكرة أو فشلها:

١. مرحلة الثورة الإسلامية

وهي مرحلة الانفجار الشعبي الواعي ضد الظلم والطغيان، وقد تحققت بقيادة الإمام الخميني «قَدْش» عام ١٩٧٩. في هذه المرحلة تم كسر التبعية والاستبداد، وإعادة الإسلام إلى موقع القيادة في الحياة العامة.

٢. مرحلة النظام الإسلامي:

وتعني إقامة هيكل سياسي ودستوري قائم على الإسلام، مثل الدستور، والمؤسسات، وولاية الفقيه. ويرى السيد الخامني «قَدْش» أن هذه المرحلة تحققت إلى حد كبير، لكنها تحتاج دائماً إلى صيانة وحماية من الانحراف.

٣. مرحلة الدولة الإسلامية

وهي من أكثر المراحل حساسية، إذ لا يكفي وجود نظام إسلامي شكلي، بل يجب أن يكون المسؤولون، والإدارة، والسياسات، والسلوك العملي للدولة منسجماً مع القيم الإسلامية كالنزاهة، والعدالة، وخدمة الناس. ويؤكد السيد القائد أن هذه المرحلة لا تزال قيد الإنجاز، وتواجه تحديات داخلية وخارجية.

٤. مرحلة المجتمع الإسلامي

في هذه المرحلة، تنعكس القيم الإسلامية على سلوك المجتمع نفسه، في العلاقات الاجتماعية، والاقتصاد، والثقافة، والأسرة، والأخلاق العامة. ويشدد السيد الخامني على دور التربية، والإعلام، والتعليم، والشباب في تحقيق هذا التحول العميق.

٥. مرحلة الحضارة الإسلامية الحديثة

وهي المرحلة النهائية، حيث يصبح الإسلام نموذجًا حضاريًا عالميًا، قادرًا على إنتاج العلم، والفكر، والثقافة، والنظام الاقتصادي العادل، وتقديم بديل إنساني عن الحضارة المادية المعاصرة. ويؤكد السيد القائد أن هذه الحضارة يجب أن تكون حديثة في أدواتها، إسلامية في قيمها، إنسانية في رسالتها.

ثالثًا: ركائز المشروع الحضاري

02

يرتكز مشروع السيد الخامني على عدة دعائم أساسية، من أبرزها:

- ❖ القرآن الكريم والمعنوية كأساس للوعي والحركة
- ❖ العلم والمعرفة بوصفهما عنصر قوة واستقلال
- ❖ العدالة الاجتماعية ومواجهة الفساد
- ❖ الاستقلال السياسي والثقافي ورفض التبعية
- ❖ دور الشباب باعتبارهم صناع المستقبل الحضاري

إن مشروع السيد القائد الإمام الخامني «فَتْحِي» ليس مشروعًا مرحليًا أو سياسيًا ضيقًا، بل رؤية حضارية طويلة الأمد، تتطلب صبرًا، ووعيًا، وتراكمًا في العمل. وهو يؤكد باستمرار أن الطريق إلى الحضارة الإسلامية يمر عبر إصلاح الإنسان، وبناء القيم، وربط التقدم بالله تعالى، بحيث لا تنفصل القوة عن الأخلاق، ولا العلم عن الإيمان.



مشروع السيد

محمد باقر الصدر «فتش»

والمدرسة القرآنية:

نحو تأسيس وعي إسلامي حضاري

يُعدّ السيد محمد باقر الصدر «فتش» واحداً من أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين، إذ قدّم مشروعاً فكرياً حضارياً متكاملاً، انطلق من القرآن الكريم بوصفه مصدراً للهداية وبناء الوعي، وسعى إلى إعادة صياغة العقل الإسلامي ليكون قادراً على مواجهة التحديات الفكرية، والاقتصادية، والسياسية للعصر الحديث. وقد شكّلت المدرسة القرآنية محوراً أساسياً في مشروعه، باعتبارها الإطار المنهجي لفهم الإسلام وبناء الإنسان والمجتمع.

تميّز مشروع السيد الصدر بالشمول والعمق، إذ لم يقتصر على مجال واحد، بل امتد إلى الفقه، والأصول، والفلسفة، والاقتصاد، والسياسة، والفكر القرآني. وكان هدفه المركزي هو إثبات قدرة الإسلام على قيادة الحياة، ليس فقط على المستوى الروحي، بل على مستوى التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

انطلق السيد الصدر «تفتُّل» من قناعة راسخة بأن أزمة الأمة ليست في نقص النصوص، بل في غياب المنهج القرآني في الفهم والتطبيق. ولذلك عمل على تحرير العقل الإسلامي من الجمود والتقليد الأعمى، وفي الوقت نفسه من الذوبان في المناهج الغربية المادية.

تمثل المدرسة القرآنية عند السيد محمد باقر الصدر منهجاً حضارياً في التعامل مع القرآن الكريم، يقوم على اعتباره كتاب هداية للحياة والتاريخ، لا مجرد مصدر للأحكام الفردية أو القصص الوعظية. وقد دعا إلى قراءة القرآن قراءة واعية، تستخرج منه السنن الإلهية الحاكمة لحركة الإنسان والمجتمع.

ومن أبرز معالم هذه المدرسة:

- ❖ القرآن بوصفه قائداً للفكر لا تابعاً له
- ❖ الربط بين الوحي والواقع لفهم التحديات المعاصرة
- ❖ اكتشاف السنن التاريخية والاجتماعية التي تحكم صعود الأمم وسقوطها
- ❖ بناء الإنسان الرسالي القادر على التغيير والتحمل والمسؤولية

وقد تجلّى هذا المنهج بوضوح في كتاباته التفسيرية والفكرية، ولا سيما في مشروعه حول السنن التاريخية في القرآن، حيث قدّم رؤية قرآنية لحركة التاريخ قائمة على المسؤولية الإنسانية، والاختيار، والصراع بين الحق والباطل.

03 ثالثاً: القرآن وبناء الوعي الحركي

لم يكن السيد الصدر مفكراً نظرياً معزولاً عن الواقع، بل رأى في القرآن الكريم مصدراً لتشكيل الوعي الحركي للأمة. فالقرآن، في نظره، يربي الإنسان على رفض الظلم، ومواجهة الطغيان، وتحمل التضحيات في سبيل الحق. ومن هنا ربط بين الإيمان بالله تعالى والعمل الاجتماعي والسياسي، معتبراً أن الحياد أمام الظلم يتناقض مع جوهر الرسالة القرآنية.

وقد أسهم هذا الفهم في بلورة خطاب إسلامي واع، كان له تأثير كبير في الحركات الإسلامية، ولا سيما في العراق، ومهد فكرياً لنجاح الثورة الإسلامية في إيران، وهو ما اعترف به الإمام الخميني نفسه حين وصف السيد الصدر بأنه «مفكر الإسلام الكبير».

04 رابعاً: البعد الحضاري في مشروع السيد الصدر (قُدَّسُ)

يتقاطع مشروع السيد محمد باقر الصدر (قُدَّسُ) مع مشاريع الإمام الخميني والسيد الخامني في البعد الحضاري، إذ يؤكد أن الإسلام يمتلك القدرة على إنتاج نظام اقتصادي عادل، كما في كتاب اقتصادنا، ونظام سياسي أخلاقي قائم على الشورى والعدالة وولاية الأمة على نفسها في إطار الشريعة.

فالمدرسة القرآنية عنده ليست مدرسة وعظية، بل مشروعاً لبناء حضارة تنطلق من القيم الإلهية، وتستخدم العقل والعلم، وتواجه المذاهب المادية والأنظمة الاستكبارية، دون أن تفقد بعدها الروحي والأخلاقي.

إن مشروع السيد محمد باقر الصدر والمدرسة القرآنية يمثلان حجر أساس في نهضة الفكر الإسلامي المعاصر، حيث أعاد للقرآن دوره القيادي في بناء الإنسان، وتوجيه المجتمع، وصناعة التاريخ. ولم يكن استشهاده نهاية لمشروعه، بل بداية لامتداد فكري وحركي ما زال يلهم الأجيال الساعية إلى إقامة مجتمع قرآني عادل، وحضارة إنسانية قائمة على الإيمان والعقل والمسؤولية.



مشروع

السيد حسين بن عبد الله الحوثي
رضوان الله عليه

استعادة الثقة بالله وبناء الوعي القرآني بقراءة الواقع

يمثل مشروع السيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) أحد أبرز المشاريع القرآنية المعاصرة التي سعت إلى إعادة بناء وعي الأمة الإسلامية، لا من خلال الخطاب الوعظي التقليدي، بل عبر إحياء العلاقة الحقيقية بين الإنسان والقرآن الكريم، وربط الإيمان بالله تعالى بفهم الواقع ومواجهة التحديات. وقد جاء مشروعه في سياق تاريخي اتسم بحالة من الضعف، والهزيمة النفسية، والتبعية الثقافية والسياسية التي أصابت الأمة، خصوصاً في العالم الإسلامي.

01 أولاً: أزمة الأمة وفقدان الثقة بالله

انطلق السيد الحوثي من تشخيص عميق لأزمة الأمة، معتبراً أن أخطر ما أصاب المسلمين ليس التفوق العسكري أو الاقتصادي للأعداء، بل انهيار الثقة بالله تعالى، والشعور بالعجز أمام قوى الاستكبار العالمي. وقد رأى أن هذا الانهيار نتج عن فصل الدين عن الواقع، وتحويل القرآن إلى كتاب تلاوة وبركة، بدل أن يكون كتاب هداية وقيادة وبصيرة.

وأكد السيد الحوثي أن الأمة التي لا تثق بوعد الله، ولا تؤمن بسننه في النصر والتغيير، أمة محكومة بالهزيمة مهما امتلكت من إمكانيات مادية. ومن هنا جعل إعادة الثقة بالله محوراً أساسياً في مشروعه الفكري والتربوي.

02 ثانياً: المشروع القرآني وإعادة الاعتبار للقرآن

يتمحور مشروع السيد حسين الحوثي حول العودة الجادة إلى القرآن الكريم، لا بوصفه نصّاً تاريخياً أو تراثياً، بل كخطاب حيّ يخاطب الواقع، ويكشف موازين الصراع، ويحدد الموقف الصحيح للمؤمن في كل مرحلة. وقد شدّد على أن القرآن نزل ليكون حاضراً في السياسة، والثقافة، والاقتصاد، والموقف من الأعداء، لا محصوراً في الجوانب الفردية والعبادية.

وكان يؤكد أن الابتعاد عن القرآن في قراءة الواقع هو ما سمح للثقافات الوافدة والمفاهيم المضلّة أن تسيطر على عقول المسلمين، ففقدوا البوصلة، واختلطت عليهم مفاهيم العدو والصديق، والحق والباطل.

من أبرز المفاهيم المركزية في مشروع السيد الحوثي مقولته المعروفة «يجب أن يكون للمسلم عين على الواقع، وعين على القرآن»، ويقصد بذلك أن الفهم القرآني الصحيح لا يتحقق بالانفصال عن أحداث العصر، كما أن قراءة الواقع دون الرجوع إلى القرآن تؤدي إلى الضياع والانخداع.

فالعين على الواقع تعني:

- ✽ الوعي بالمشاريع السياسية والثقافية للأعداء
- ✽ فهم طبيعة الصراع العالمي وموازن القوى
- ✽ إدراك أساليب التضليل الإعلامي والفكري

أما العين على القرآن فتعني:

- ✽ الاحتكام إلى القيم الإلهية في تقييم الأحداث
- ✽ استلهاهم المواقف من قصص الأنبياء وسنن الله
- ✽ الثقة بوعده الله بالنصر والتمكين للمستضعفين

وبهذا التوازن، أراد السيد الحوثي أن يصنع إنساناً قرآنياً واعياً، لا منغلماً ولا مفرطاً، قادراً على اتخاذ موقف مسؤول ومبدئي.



لم يكن مشروع السيد الحوثي مشروعاً ثقافياً نظرياً، بل مشروعاً عملياً يهدف إلى صناعة موقف. فالقرآن، في نظره، يحمل المؤمن مسؤولية مواجهة الظلم، ورفض الهيمنة، وعدم الخضوع للطغيان مهما كانت التضحيات. ولذلك دعا إلى استنهاض الأمة من حالة الصمت والحياد، مؤكداً أن السكوت عن الظلم العالمي هو خيانة للرسالة القرآنية.

وقد تجلّى هذا البعد العملي في تركيزه على الهوية الإيمانية، والبراءة من أعداء الله، والاعتماد على الله كقوة حقيقية في مواجهة الاستكبار، لا كقيمة شعورية مجردة.

إن مشروع السيد حسين بدر الدين الحوثي («نَشْرُ») هو مشروع إحياء قرآني - إيماني بامتياز، سعى إلى إعادة الأمة إلى مصدر قوتها الحقيقي: الله تعالى وكتابه الكريم. وقد أعاد الاعتبار للثقة بالله، وربط الإيمان بالوعي، والقرآن بالواقع، والعقيدة بالموقف. ورغم استشهاد، لا يزال مشروعه حاضراً في الوعي الثقافي والحركي، بوصفه دعوة مستمرة إلى أن يكون المسلم واعياً، واثقاً بربه، متسلحاً بالقرآن، وقادراً على مواجهة تحديات العصر بثبات وبصيرة.

الفصل الأول

معنى لا إله إلا الله

الدرس

الأول

مقدمة منهجية

يتناول هذا الدرس بياناً تفصيلياً لمعنى

لا إله إلا الله

من خلال تأصيل قرآني عميق، يكشف عن الجذور الإيمانية لأزمة الثقة بيننا وبين الله، ويطرح ملامح الطريق نحو معرفة الله والثقة المطلقة به بناءً على القرآن الكريم.

أولاً: جذور أزمة الثقة بالله

الحقيقة: إذا تأمل الإنسان في واقع الناس يجد أننا ضحية عقائد باطلة، وثقافة مغلوطة جاءتنا من خارج الثقلين: كتاب الله، وعتره رسوله ﷺ، هذا شيء. الشيء الآخر - وهو الأهم - أننا لم نثق بالله كما ينبغي، المسلمون يعيشون أزمة ثقة بالله.. لماذا؟ أليس في القرآن الكريم ما يمكن أن يعزز ثقتنا بالله سبحانه وتعالى؟ بلى. القرآن الكريم هو الذي قال الله عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

قلة المعرفة بالله، انعدام الثقة بالله، هي التي جعلت المسلمين يتصرفون بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، فلم يهتدوا بهديه، لو وثقنا بالله كما ينبغي لانطلق الناس لا يخشون أحداً إلا الله، لو صدقنا كما ينبغي وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، وعد الله لأوليائه، وعد الله لمن يكونون أنصاراً لدينه، ما وعدهم به من الخير، والفلاح والنجاح والسعادة والعزة والكرامة والقوة في الدنيا، وما وعدهم به في الآخرة من رضوان، من جنات عدن، لو صدقنا بذلك كما ينبغي لما رغبتنا في أحد، ولما رهبتنا من أحد، لكانت كل رغبتنا في الله، وفيما عنده، وفي رضاه، وكل رهبتنا من الله ومن وعيده وغضبه وعقابه.

الخطاب القرآني يتجدد دائماً يقول للناس: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢).

ألم يأن، يعني: الميجن الوقت للناس ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

١. الحشر: ٢١

٢. الحديد: من الآية ١٦

من القرآن الكريم؟

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١)

تخويف من أن يصير الناس إلى ما صار إليه بنوا إسرائيل، الذين طال عليهم الأمد يسمعون مواعظ، ويقرؤون كتباً، ولكن ببرودة لا يتفاعلون معها، وتكرر المواعظ وتكرر النبوات، وهكذا، «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ»؛ حتى فسق أكثرهم، وحتى استبدل الله بهم غيرهم، وحتى جردهم من كل ما كان قد منحهم إياه: النبوة، وراثته الكتاب، الملك، الحكمة.

نحن المسلمون نتعرض لمثل هذه الحالة فكتاب الله يتردد على مسامعنا كثيراً، والمواعظ تتردد على مسامعنا كثيراً، والعلماء بين أظهرنا يتحدثون معنا كثيراً، ولكن نتلقى الكلام، ونتلقى آيات القرآن ببرودة لا تتفاعل معها، أصبح تقريبا مجرد روتين استماع القرآن الكريم، واستماع المواعظ، وحضور المناسبات، لكن دون أن نرجع إلى أنفسنا فنجعلها تتعامل مع كل ما تسمع بجدية، وتتفاعل معه بمصادقية. نتعامل ببرودة مع كل ما نسمع، ولم نطلق بجد وصدق لنطبق كلام الله، لنلتزم بشريعة الله، لنثق به سبحانه وتعالى.

ثانياً: خطر قسوة القلب

ستقسو قلوبنا - ونعوذ بالله من قسوة القلوب - متى ما قست القلوب يصبح هذا القرآن الكريم الذي لو أنزله الله على الجبال من الصخرات الصماء لتصدعت من خشية الله، لكن القلب متى ما قسي يصبح أقسى من الحجارة، فلا يؤثر فيه شيء. قال الله عن بني إسرائيل الذين حكى بأنهم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم قال

١. الحديد: من الآية ١٦

عنهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(١).

من بعد ماذا؟ من بعد المواعظ، من بعد الآيات الباهرات التي لم يتفاعلوا معها، ولم يعتبروا بها، ولم يتذكروا بها فقسّت قلوبهم، هكذا يطبع الله على القلب.

القلب إذا لم يحاول أن يجعله يلين مما يسمع، يلين لذكر الله، يوجل إذا سمع ذكر الله، يزداد إيماناً إذا تليت عليه آيات الله إذا لم تتعامل معه على هذا النحو فبطبيعته هو يقسو، وامتلى ما قسي قلبك سيطرت عليك الغفلة والنسيان لله سبحانه وتعالى، إذا ما نسيت الله نسيت نفسك، فتأتي يوم القيامة فتكون منسياً عما كنت ترجوه من الخير، أو تأمله من الخير والنجاة، والفوز يوم القيامة

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

فقلوبنا إذا لم نحاول أن نتعامل معها من منطلق الخوف أن تصل إلى هذه الحالة السيئة: القسوة، فصبح أقسى من الحجارة، فحيث لا ينفع فيك شيء، لا ينفع فيك كتاب الله، ولا ينفع فيك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا ينفع فيك أي عظة تمر بك في هذه الدنيا.

والمطلوب من القلوب هو أن تخشع لذكر الله، هو أن تلين، هو أن تصدق، أن تثق، أن تمتلئ بالخشية من الله، أن تمتلئ حباً لله، معرفة قوية بالله سبحانه وتعالى.. متى ما صلح القلب صلح الإنسان ب كله، وانطلق ليصلح الحياة بأكملها، وانطلق بإيمان، بثقة، بإخلاص، بصدق، بتوجه حكيم في كل ما يريد الله سبحانه وتعالى منه.

١. البقرة: من الآية ٧٤

٢. التوبة: من الآية ٦٧

٣. الحشر: ١٩

من أين جاءت أزمة الثقة بالله حتى أصبحت وعوده تلك الوعود القاطعة المؤكدة وكأنها وعود من لا يملك شيئاً؟! وكأنها وعود من لا علاقة لنا به، ولا علاقة له بنا. كيف نعمل؟ علينا العودة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: كيف نعرف الله؟

وأهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو القرآن الكريم، القرآن الكريم الذي يعطي معرفة واسعة، معرفة متكاملة، من غير القرآن الكريم لا يمكن أن نحصل على المعرفة بالشكل الذي ينبغي أن نكون عليها، حتى تكون معرفة تدفعنا إلى الثقة بالله أكثر فأكثر.

فالإنسان إذا تأمل القرآن الكريم فعلاً يستحي من الله أنه كيف لا نثق به، ونحن نسمع آياته، ونحن نقرؤها، ونحن نؤمن بأن هذا الكتاب الكريم هو من عنده فلماذا لا نثق؟ لماذا نبحت عن غير الله لنتولاه، ثم لا نتولى الله سبحانه وتعالى اليس هو ولي الأنبياء والاولياء وناصرهم.

رابعاً: القرآن الكريم والتعريف بصفات الله

الآيات التي نحصل من خلالها على معرفة الله بالشكل المطلوب هي آيات كثيرة جداً، ففي القرآن الكريم، تلك الآيات التي تتحدث عن ألوهية الله، وملكه، وعظمته، تلك الآيات التي تتحدث عن عظيم نعمه علينا، تلك الآيات التي تتحدث بأن له ملك السماوات والأرض، التي تتحدث بأنه مالك السماوات والأرض وما بينهما، وهو من يملك اليوم الآخر، ويده مصيرنا، هو من يملك الجنة، من يملك النار، هو من يعلم الغيب والشهادة، هو العزيز، هو الحكيم، هو السميع، هو البصير، هو الرؤوف، هو الرحيم.

تلك الآيات التي تتحدث عنه سبحانه وتعالى بأنه جدير بأن يثق به عباده، وأن يخاف منه عباده، وأن يلتجئ إليه أولياؤه.

فمتى ما كان الله سبحانه وتعالى عظمة في نفوسنا، متى ما عرفنا من خلال هذه الآيات الكريمة ماذا يعني أنه ملكنا، وأنا عبيد له، ماذا يعني أنه ربنا، وأنا مربوبون له، وماذا يعني أنه رحيم، وأنه رحمن، ماذا يعني أنه جبار، أنه منتقم؟ وماذا يعني: أنه من يملك السماوات والأرض وما بينهما؟ وماذا يعني أن له جنود السماوات والأرض؟

فكل ما تم شرحه عن شؤون ملكه وتديره لعباده ومخلوقاته علينا أن نعيها، أن نفهمها؛ لنعرف كيف ينبغي أن يكون التعامل فيما بيننا وبينه سبحانه وتعالى، بحيث لا تبقى الأشياء مجرد أسماء.

خامساً: لا إله إلا هو - توحيد الألوهية والتدبير

نحن نقرأ دائماً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ألسنا نقول: رب العالمين؟ لكن لا نعرف ماذا يعني أنه رب العالمين، ما يترتب على هذا من الأشياء بالنسبة لنا! ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢).

هكذا نصفه بأنه رحمن رحيم، وأنه ملك يوم الدين، لكن مجرد عبارات نقرأها، ونقفز عليها لا نحاول أن نفهم ماذا يعني، أنه إذا كان هو رحمن إذاً فهو عندما ينزل القرآن الكريم، ويهدينا بالقرآن الكريم فهو من منطلق أنه رحيم بنا. إذاً فكل ما في القرآن الكريم من توجيهات وإرشادات وهداية هي كلها رحمة بنا فحربه رحمة كما أن سلمه رحمة وعطاءه رحمة كما أن منعه رحمة. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ إذا كان هو من له الملك وحده في يوم القيامة فهو وحده من يجب أن نلتجئ إليه، ونرغب إليه، ونرغب فيه، ونخاف منه؛ لأنه يوم لا بد أن نحشر فيه إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا لم يكن

١. الفاتحة: ١-٢.

٢. الفاتحة: ٣-٥.

هناك أي مُلك، أي مشاركة لأي أطراف أخرى في ملك ذلك اليوم، وليس الملك إلا لله الواحد القهار، إذاً فهو وحده الذي يجب أن نخاف منه؛ لأن أعظم نعيم هناك في الآخرة بيده، وأشد عذاب أليم هناك في الآخرة بيده، فهو من يملك الجنة، ومن يملك النار، فهو وحده الذي يمكن أن يمنحنا الجنة، وهو وحده الذي يمكن أن يوصلك إلى قعر جهنم. لمن الملك اليوم؟؟ لله الواحد القهار.

﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

نعبده ولا نعرف ماذا يعني أننا عبيد له! ماذا تعني عبوديتنا له! القرآن الكريم كرر هذا بشكل كبير جداً، تقرير عبوديتنا لله سبحانه وتعالى، وتقرير ملكه علينا، وألوهيته علينا بشكل كثير ورد في القرآن الكريم.

الآيات التي هي من أعظم الآيات في القرآن الكريم:

﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

أليس هو هنا يتحدث عن كماله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يجعلنا نلتجئ إليه باعتباره إلهنا، ونلتجئ إليه باعتباره رحمن رحيم، فهو إله ليس إله يتسلط، إله يتجبر، بل هو يرحم عباده، فكل ما شرعه لهم، كل ما هداهم إليه إنما هو من منطلق أنه مسؤول عن أن يعمل هذا العمل بهم باعتباره إلههم؛ لأنه إلههم.

ولأنه رحيم فكل ما يأتي من عنده هو من منطلق الرحمة، فعندما يتحدث، أو عندما يرشدنا، أو يأمرنا بأشياء قد نراها شاقة، قد تبدو أماناً وكأنها شاقة فنعدل عنها فنبدو وكأننا إنما عدلنا عنها لأننا رحماً أنفسنا، ومن منطلق رحمتنا بأنفسنا لا نريد أن يحصل عليها ما يشق عليها، ما يتعبها. وهذا هو ما يفعله الناس، لا ينطلقون فيما وجههم الله إليه، وفيما أمرهم به فالأشياء التي يرونها وكأنها ثقيلة وشاقة؛ لأنهم رحماء بأنفسهم.. لماذا لا تثق بأن الله هو أرحم بك من نفسك، هو أرحم بك من أمك وأبيك، هو أرحم بك من أي قريب لك، هو من يعلم الأشياء التي فيها رحمة

لك إذا ما سرت عليها، الأشياء التي إذا ما تحققت هي رحمة لك، هو وحده الذي يعلم.

﴿وَاهِكُمْ إِلَهَ وَاحِدٌ﴾

ليس هناك آلهة متعددة حتى يمكن أن تقول: [والله هذا الإله شاقة تعليماته يمكن أن نرجع إلى الإله الآخر] مثل ما هنا في الدنيا، ما لا يعجبنا من تعليمات نذهب إلى غيره.

ولكن في العبودية ليس هناك إلا إله واحد، ليس هناك مفر أبداً منه، لا مفر منه إلا إليه، ليس هناك من يمكن أن ينجيك من عذابه وسخطه إذا ما سخط عليك، وحكم عليك بعقوبته، ليس هناك من يمكن أن يسلبك ما قد منحك إياه، أبداً ليس هناك أي طرف يمكن أن يكون قادراً على أن يرد الفضل الذي قد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطيك إياه، والخير الذي أراد أن يمنحك إياه ﴿وَأِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^(١).

ما الذي يحصل في هذه الدنيا في تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى، عندما نسمع آياته تتلى علينا، وفيها تلك الآيات التي تأمرنا بالتوحد، بالأخوة، بالإنفاق في سبيله، بالجهاد في سبيله، بالعمل على إعلاء كلمته، بأن نكون أنصاراً لدينه.

أن الله لا ينسى، ولا يغفل، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

هو الشاهد على كل شيء، شاهد على أعمالنا وعليم بذات الصدور.

يوم القيامة سيتبرأ منك حتى أولئك الذين كنت تؤيدهم في الدنيا وتصفق لهم وهم يسرون في طريق الباطل ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ

١. يونس: من الآية ١٠٧

٢. فصلت: من الآية ٥٣

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ رَبِّنا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ^(١).

لأنه سيرد وهو مشغول بنفسه هو هالك، ومذهول. ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾^(٢)

ترى هكذا يأتي بعد كل آية تتحدث عن النسيان ﴿أَتُنْكِرُ آيَاتِنَا فَتُنْكِرُهَا﴾^(٣).

كنا في الدنيا نقول لك تتبرأ من المجرمين، تتبرأ من الظالمين، تمشي على هدي الله، لا ترتبط بغير هدي الله والهداة إلى دين الله.

حسرات شديدة على الإنسان يوم القيامة، هنا كان يعرض في الدنيا ويبحث عمن يتمسك به فيأتي يوم القيامة يتبرأ منه.

أليست هذه الآيات تعني أنه سيكون حسرة شديدة عندما يقولون: ﴿لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ رَبِّنا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾^(٤).

عبر الله عن أن هذه الكلمة انطلقت من نفوس تقطع حسرات ﴿لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ رَبِّنا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾^(٥)، غيظ شديد، وتألم شديد من أولئك الذين كنا في الدنيا نصفق لهم، وكنا في الدنيا نؤيدهم، وكنا في الدنيا نمشي على توجيهاتهم، وهم كانوا هكذا، توجيهات ليست على وفق كتاب الله سبحانه وتعالى، حسرات عندما قال الله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٦).

١. البقرة: ١٦٦-١٦٧

٢. الزمر: من الآية ٥٩

٣. طه: من الآية ١٢٦

٤. البقرة: من الآية ١٦٧

٥. البقرة: ١٦٩

٦. البقرة: من الآية ١٦٧

﴿وَأِلهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١)، إله واحد، نبي واحد، وكتاب واحد، ومنهج واحد، وطريق واحد لغاية واحدة، هي رضا الله سبحانه وتعالى والجنة.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. البقرة: من الآية ١٦٣.

سادساً: آية الكرسي وأثرها في الثقة بالله

آية الكرسي التي نقرأها وهي من أعظم آيات القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١). تعني ثقوا به تعالى؛ لأنه الله الذي لا إله غيره، أي هو من يملك شئونكم، من بيده شئونكم وأموركم، هو من يدبر أموركم، هو وحده الذي يمكن أن تألّهُوا إليه، وتلتجئوا إليه، هو الحي هو الشاهد على كل شيء، هو القيوم على كل شيء، فهو قائم على كل نفس بما كسبت، هو القيوم، هو الشاهد على هذا العالم من يقوم بتدبير شئونك، هو من يقوم بتحقيق ما وعدك به، بإنجاز ما وعدك به.

هو أيضاً ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ أول النوم، أو نوع من الغفلة، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، الله سبحانه وتعالى لا يغفل، لا ينام، لا يسهو، لا ينسى عندما تثق به فأنت تثق بمن لا يغفل عنك لحظة واحدة، بمن هو عليم بذات الصدور، صدرك أنت، وصدرك عدوك، فثق بمن يستطيع أن يملأ قلبك إيماناً وقوة، ويملاً قلب عدوك رعباً وخوفاً ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾^(٢)

من الذي يمكن أن تتولاه، وله هيمنة على القلوب؟ لا زعيم، لا رئيس، لا ملك، لا أي أحد في هذا العالم له هيمنة على القلوب فقط الله سبحانه وتعالى، ألم يقل رسول

١. البقرة: من الآية ٢٥٥.

٢. الأنفال: من الآية ١٢.

الله (صلوات الله عليه وعلى آله): «نصرت بالرعب من مسيرة شهر»؟ من أين جاء هذا الرعب؟ من قبل الله، هو الله المطلع على القلوب، وبيده القلوب يستطيع أن يملأها رعباً، ويملاً تلك القلوب قوة وإيماناً وثقة، وعزماً وإرادة صلبة؛ لأنه قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

الله سبحانه وتعالى عندما تتولاه هو الشاهد على كل شيء، هو الحاضر على كل شيء ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(١). ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢)، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)

هو إلهك واله أبائك واجدادك، هو ليس إلهاً من تلك الآلهة التي كانوا سابقاً يشترونها من الهند ويضعونها في الساحات أو قرب البيت، يحتاج هذا الرب إلى تنظيف وتبخير مثلما كان يفعل العرب سابقاً وهو لا يملك حتى المكان الذي هو منصوب عليه.

أما هذا الإله العظيم رب العالمين، هو من له ملك السماوات والأرض، وكونه مالك من في السماوات والأرض ملك نافذ لا أحد يستطيع أن يتمرد على إرادته، لا أحد يستطيع أن يغالبه، فإذا ما كان معك فسيجعل الكون بكله معك، وهو من يستطيع أن يهبي ويدبر ويسخر كل شيء لك. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٤).

بعض الناس يتملق لمن هم في مناصب عليا أو لهم جاه معين في هذه الدنيا فحتى

١. المجادلة: من الآية ٧

٢. الحديد: من الآية ٦

٣. البقرة: من الآية ٢٥٥

٤. البقرة: من الآية ٢٥٥

لو ظننت من منطلق آخر بأن ذلك الشخص الكبير في الدنيا يمكن أن يكون كبيراً في الآخرة، فيشفع لك؛ لأنه كان وجيهاً في هذه الدنيا، ولديه ممتلكات كثيرة، وكان له سلطة عظيمة يمكن أن ينفع يوم القيامة، كانت هذه نظرة عند العرب السابقين، عند الجاهليين السابقين، كانوا يعتقدون أن الشخص الوجيه في الدنيا يمكن أن يكون أيضاً وجيهاً في الآخرة، كان يقولون: لو فرضنا أن هناك آخرة سنكون نحن من المقربين، ونكون نحن؛ لأننا هنا في الدنيا عظماء ﴿وَلَكِنَّ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجْدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾^(١). في يوم القيامة لا تكون شفاعاة إلا لمن ارتضى، ولا شفاعاة إلا لمن يأذن، فمن يشفعون هم أولياؤه، هم أنبيأؤه، هم من هم في طريقه الذي رسمه، وليسوا ممن يفرضون أنفسهم عليه، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ أيضاً ﴿إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٢). ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: عندما يقول لك: ليس هناك من يشفع إلا بإذنه أنه يعلم فعلاً أنه لا أحد يشفع إلا بإذنه هو ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ هو يعلم حاضره وماضيهم ومستقبلهم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣). هو الذي أحاط علمه بكل شيء، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٤). يقال: علمه، ويقال: ملكه، معنى كلمة: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وأظهر ما تكون أنها بمعنى علمه بعد أن قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٥)؛ لأنه هو من أحاط علمه بالسماوات والأرض ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾^(٦): لا يثقله، لا يتعبه، لا يشق عليه ﴿حِفْظُهَا﴾

١. الكهف: من الآية ٣٦

٢. الأنبياء: من الآية ٢٨

٣. البقرة: من الآية ٢٥٥

٤. البقرة: من الآية ٢٥٥

٥. البقرة: من الآية ٢٥٥

٦. البقرة: من الآية ٢٥٥

حفظ السماوات والأرض ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١). ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

أنت إذا ما كنت متولياً له فهو العلي، هو القاهر فوق عباده، هو العزيز، وهو العظيم، العظيم في شئونه، العظيم في أفعاله، العظيم في كماله، فهو من هو جدير بأن يتولى، من هو جدير بأن يعبد.

وأنت ترى هذه الآية كثير في القرآن الكريم التي تتحدث من مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣).

يتحدث عن: هو الذي يصورنا، هو الذي ينزل المطر لنا، هو الذي ينبت الزرع لنا، هو الذي.. كثيرة في القرآن هذه، لاحظ كم تتكرر ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أليس يكرر هذه في القرآن الكريم؟

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤). تعبير عن ملكه لنا، ونفاذ أمره فينا؛ لأنه هو الذي يصورنا ونحن ما نزال في أرحام أمهاتنا، كيف يشاء؛ لأنه إلهنا، من يملك التصرف فينا، بتدبيره وتشريعته وهدايته.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥).

لاحظ كم تتكرر عبارة: [لا إله إلا هو] ليتقرر في نفوسنا في أعماق قلوبنا ألوهيته، تتقرر ألوهيته في أعماق قلوبنا، في نفوسنا، وترسخ بشكل صحيح أنه وحده إلهنا،

١. فاطر: من الآية ٤١

٢. البقرة: من الآية ٢٥٥

٣. آل عمران: من الآية ٦

٤. آل عمران: ٦

٥. آل عمران: ١٨

فنرفض ما سواه، نرفض كل من يقدم نفسه كإله لنا، نرفضه.

الله هو وحده إلهنا، فهو الشاهد على وحدانية الله تعالى، والملائكة تشهد، وأولو العلم بأنه القائم بالقسط في عبادته، في خلقه.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هو العزيز الذي لا يمكن لأحد أن يغالبه فيرد ما شاء نفاذه من أموره، وهو حكيم في أفعاله، في تدبيره، في تشريعه. ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، ألم تتكرر هذه المفردات التي تدل على كمال الله سبحانه وتعالى؟ من مثل قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢). ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فأنت عندما تتولاه هو العزيز، أنت توليت من لا يقهر، وهو الحكيم أنت توليت من يكون تدبيره فيك، من يكون عملك له كله قائماً على الحكمة، كله لا حماقة فيه، لا عبث فيه، لا جهالة فيه، لا خطأ فيه، فهو حكيم، فإذا ما دبرك إنما يدبرك إلى ما هو حكمة، إذا ما أرشدك إنما يرشدك إلى ما هو حكمة، فهو عزيز حكيم.

وعادة ما يحصل بالنسبة للإنسان عندما يلمس لنفسه في هذه الدنيا عزة وهيمنة أن تنطلق منه الأعمال العشوائية لأنه أصبح يثق بنفسه ويغتر بها، والتوجيهات العشوائية التي يريد من المقابل تنفيذها تعكس جبروته، أما الله سبحانه وتعالى فهو حكيم ليس هناك عبثية في ساحته المباركة، فليس هناك توجيهات هكذا، أو أوامر عبثية، الله تعالى هو حكيم، كلما دبر لك أمر، كلما وجه إليك أمر هي أوامر حكيمة، توجيهات حكيمة، إرشادات حكيمة تصب في صالحك.

لاحظ عزيزي الطالب نحن تقريباً لا نثق بالله تعالى عندما قال سبحانه للمسلمين وهو يتحدث معهم عن الجهاد، ويرشدتهم إلى الجهاد، وأنه تجارة تنجيهم من عذاب

١. آل عمران: ٦٢.

٢. البقرة: من الآية ٢٥٥.

أليم، عندما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

ما هو هذا الخير الذي تذهب اليه فيرموك بالرصاص!! فكيف تكون هذه حكمة!!؟ أوامر حكيمة، فيها رحمة لك، وفيها خير لك، وفيها شرف لك.

إن الجنة بيده سبحانه وتعالى، لمنه لم يأت ليرسم توجيهاً معينة مثل المسابقات التلفزيونية، أو المسابقات التي تحصل المدارس، من ينجح بهذه المسابقات ستكون جائزته الجنة. والذي لا ينجح سندخله النار. ليس هكذا يتعامل الباري معنا، بل إن المسير على النظام الإلهي هو الاستقامة وليس الفوز لأن الله تعالى حكيم، هو الحكيم في كل شيء، فكل توجيه من توجيهاً، كل إرشاد من إرشاداته، كل أمر من أوامره، كل نهي من نواهيه هو ينطلق بحكمة، ينطلق من الحكيم سبحانه وتعالى. والحكمة ما هي؟ وضع الشيء في موضعه، أن هذا هو وحده الذي فيه الصلاح لك، لا غيره، هو وحده الذي فيه الفلاح لك، لا غيره، هو وحده الذي فيه نجاح وفوز لك لا غيره، وضع الشيء في موضعه، لا يصلح إلا هو.

لم نثق بكثير من أوامره سبحانه وتعالى لأنها تبدو شاقة، لكن حتى عندما يأمرنا لاحظوا؛ لأنه يأمرنا وهو في نفس الوقت الحكيم الرحيم أيضاً، متى ما أمر بشيء وبدلنا شاقاً فهو يضع في تشريعاته، وفي المنهج التربوي لكتابه الكريم يضع الأشياء الكثيرة التي هي سهلة في متناولنا فتجعلنا بالشكل الذي يمكن أن نصل إلى هذا الشيء الذي يعتبر مستبعداً أمامنا، يجعل تشريعه بالشكل الذي يهيئ بعضه لبعض ويخدم بعضه بعضاً، ويسهل بعضه تطبيق بعض.

ومع أن تشريعه حتى لو لم يكن وراءه جنة، كل ما هدانا إليه في كتابه الكريم حتى لو لم يكن وراءه جنة لكان هو وحده المنهج الصحيح الذي لا تستقيم حياة البشر إلا به، ولا تستقيم الدنيا إلا بالسير عليه، حتى ولو فرضنا بأنه ليس هناك

١. التوبة: من الآية ٤١

جنة. أما عندما تكون المسألة بأن ما هدانا إليه هو وحده الذي لا منهج أقوم منه، ولا شيء أفضل للحياة منه ثم يثبنا عليه، ثم يعطينا الجزاء العظيم عليه، هذا هو من أبلغ مظاهر رحمته، من أبلغ دلائل سعة رحمته لعباده، أنك لا تكاد تجد شيئاً مما أرشد إليه في كتابه الكريم إلا وهو يؤكد أن فيه صلاح الحياة، هنا في الدنيا؛ لأنه هو الذي خلق الدنيا، وخلق الإنسان، وهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

إذاً فلماذا - أيضاً - يضيف إلى هذا أجراً كبيراً وفوزاً كبيراً، ويمنحك الجنة في الآخرة، النعيم الأبدي، النعيم العظيم، والدرجات العالية في الجنة، أليس هذا من سعة رحمته تعالى.

ولهذا قال الله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَنُفِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

أنهم في مواقفهم هذه في الدنيا التي تبيض وجوههم هي مواقف لا بد منها في أن لا يظلموا، ولا يقهروا، ولا يذلوا، وأن يعيشوا أحراراً في الدنيا، وأن يعيشوا كرماء وأعزاء وأقوياء، وتسعد حياتهم، فتصبح الجنة زيادة خير بالنسبة لهم، فساها رحمة ﴿فَنُفِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢).

كثير تتكرر كلمة: [لا إله إلا هو] من أجلك لكي تقتنع أنه لا يوجد أي شيء يحيلك بينك وبين الله تعالى، لا مفر ولا ملجأ تلجئ إليه، والا من تلتجئ إلى غيره والكل مفتقر إليه، ﴿لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ومن الذي يستطيع أن يتهرب عن الحضور يوم القيامة.. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمُفْرُكَلَا لَا وَزَرَ﴾^(٣)، لا يوجد مفر..

١. آل عمران: ١٠٧

٢. النساء: ٨٧

٣. القيامة: ١٠-١١

تقوم من قبرك ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١). ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. لا شك فيه.. وهذه حقيقة مهمة الإنسان إذا ذكر نفسها بها ليقرر نفسه بها أنني لا بد أن أموت لا بد أن أبعث لا بد أن أحشر أنا فلان بن فلان، الذي بيتي في محل كذا، بالتأكيد لا بد أن أحشر يوم القيامة.

نسيان يوم القيامة حالة خطيرة على الإنسان؛ ولهذا كررت في القرآن الكريم بشكل كبير، نسيان يوم القيامة غفلة شديدة، تنسيك عن الإعداد لهذا اليوم، تؤمن نفسك في الدنيا فلا تعيش الخوف من القيامة؛ فتحشر يوم القيامة خائفاً. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، لا شك فيه، لا بد منه لكل شخص، لكل شخص لا بد أن يحشر ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾^(٢). سيحشر كل شخص لا ينسى أحد قط ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(٣). فرداً، فرداً كلهم، لا ينسى أحد، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤). كل من في السماوات ومن في الأرض، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، لا شك فيه.

الذكر

الموت لأمرिका
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. يَس: ٥٢

٢. مريم: ٩٣-٩٤

٣. مريم: ٩٥

٤. الزمر: ٦٨

سابعاً: يوم القيامة - الحقيقة المطلقة

يوم القيامة هل هو عبارة عن اجتماع عام، وحفل عام، انه يوم الفصل كما عبر عنه تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾^(١). جماعات، تساقون إلى الحشر، يفصل فيما بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، يفصل فيبين كل القضايا التي كان الناس فيها يفرطون؛ فيتجلى هناك عظم تقصيرهم، يتجلى هناك سوء آثار أعمالهم، آثارها السيئة البالغة السوء، يتجلى لك تفريطك فترى كيف كنت غافلاً، وسببه التقصير، ترى ما جرته جهالتك، حتى تساق إلى جهنم، وأنت ترى بأنك أصبحت مستحقاً للجهنم.

عندما يقول الملائكة عندما تساق إلى جهنم فيقال: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٢). حتى الملائكة يبدو أنها تستغرب جداً والناس مزدحمون على أبواب جهنم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٣). إلا كانوا يأتوننا بالبينات!

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا

١. النبأ: ١٧-١٨

٢. الأنعام: من الآية ٣٠

٣. غافر: من الآية ٥٠

قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

هذه ليست من كلمات الكافرين هي من قبل الله سبحانه وتعالى، بلَى والله كان يأتونا بكل شيء، ويعطونا كل شيء، وأرشدونا إلى كل شيء لكن كنا ننسى، وكنا نتناسى، وكنا نهمل، وكنا لا نبالي، وكنا نقول: قد يكون ذلك تهويل وغير صحيح.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢)، هل هناك أصدق حديث من الله؟ ما هذه واحدة من العبارات التي تخاطب أعماق نفسك؟ لتؤمن فيكون إيمانك صادقاً أنه ليس هناك أصدق من الله حديثاً.

لنأخذ هذه العبارة، لنأخذ هذه الآية فنكتبها في جدار قلبك، فنجد في الآيات الأخرى عندما نجد وعود الله، ووعدته ووعدته، تجد فعلاً أنه ليس هناك أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله حديثاً؟

عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ﴾^(٣). ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤)، ما هذا وعداً إلهي مؤكداً؟

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُولُوكُمْ الْإِدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾^(٥). أليس هذا وعداً؟! فقط يطلب منك إيمان يجعلك أنت تخاطب نفسك بأنه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾. ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

١. الزمر: من الآية ٧١

٢. النساء: من الآية ٨٧

٣. الأنفال: من الآية ٦٠

٤. الحج: من الآية ٤٠

٥. آل عمران: ١١١

أَقْدَامَكُمْ»^(١).

ماذا نقول أمام هذه؟ يجب ان نتق؛ لأننا أعلم أنه ليس هناك أصدق من الله حديثاً.

وهكذا تأتي إلى آيات الوعد والوعيد بالنسبة للآخرة، «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى»^(٢).

أليس هذا قول من قول الله؟ أليس هو حديث من حديث الله سبحانه وتعالى؟ أليس هو وعيداً؟

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى»، «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً».

نحن نريد أن نصل إلى هذه الدرجة، إلى درجة أن ننظر إلى كل وعد من وعود الله، إلى كل وعيد من وعوده، بأنه يأتي من؟ من ليس هناك من هو أصدق منه حديثاً. والأصدق حديثاً أنه من لا يأتي الواقع أبداً متخلفاً عما أخبر به عنه، الذي لا يتخلف إطلاقاً. المصدقية هي بالنسبة للواقع أن يكون متحققاً «لَا رَيْبَ فِيهِ»، لا شك في تحقيقه، فعندما قال: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ما هو يخبر عن واقع سيحصل؟ يوم اسمه يوم القيامة، ويجتمع الناس فيه، أليس هذا إخباراً عن واقع سيحصل؟

إذاً الخبر قد يكون صدقاً، وقد يكون كذباً باعتبار الواقع عندما يأتي الواقع متخلفاً عنه فيكون غير صادق، الصدق هو: أن يكون الواقع وفقاً لما أخبر به عنه،

١. محمد: ٧.

٢. طه: ١٢٤.

٣. النساء: من الآية ٨٧.

فمن أصدق من الله حديثاً؟ لأن هذا كلام لا يتخلف وواقع لا يتخلف، لأن من يقول هذا هو من يعلم الغيب والشهادة، ومن يقول هذا هو من يفعل هذه الأشياء هو، وهو العزيز، وهو الحكيم، وهو الملك، وهو القاهر فوق عباده، ليس إخباراً بأن هناك إله آخر سيعمل يوماً يسمى يوم القيامة ثم يمكن أن هذا الإله الآخر يتكاسل فلا يعمل شيئاً.

الله يخبر عن أفعاله هو ما سيفعل، وما أخبر عنه من أفعاله فلن يتخلف، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١).

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

يوم القيامة لو ترسخ في نفوسنا الخوف منه، يوم شديد الأحوال يوم وراءه جهنم، إذا لم يكن الإنسان هنا في الدنيا متنبهاً متيقظاً متذكراً يحذر، يخاف وهو لا يزال هنا في الدنيا يوم القيامة لا يجد مخرجاً، لا يجد شيئاً يمكن أن يفدي نفسه به، ولا تقبل منه حتى لو ملك ما يمكن أن يفدي نفسه به، لا يقبل منه.

في الدنيا هنا متى ما تأزمت على الإنسان حتى وهو في السجن يمكن ان يعطي مبلغ من المال ويخرجه، أما هناك لا تقبل فدية ولا تقبل رهينة بذلك، هنا في الدنيا يمكن إذا سجن واحد أن يعطي رهينة بدله ويخرج، أو يداول بينه وبين رهينة أخرى، أو يعطي فلوس ويخرج، أو يحصل على وسيط ويخرجه، أما هناك لا يمكن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢). ﴿لَتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾^(٣). تجزى كل نفس بما تسعى.

١. البقرة: من الآية ٢

٢. المدثر: ٣٨

٣. طه: من الآية ١٥

ما الذي ينسينا عن يوم القيامة؟

هي أشياء تتوالى: قلة معرفتنا بالله يؤدي إلى نقص في خوفنا منه، إلى ضعف في خشيتنا منه، فيؤدي هذا إلى غفلة ونسيان، تؤدي الغفلة والنسيان إلى غياب حالة الخوف من يوم القيامة، وامتى ما ذكّر الإنسان أحياناً تذكّر، أو رأى ميتاً تذكّر، أو سمع مرشداً، أو استعرض سورة من سور القرآن الكريم تذكّر، لكن ويحاول أن يعيد إلى ذهنه الحالة السابقة، حالة اللاشعور بشيء من هذه الأشياء.

فمن يعرف الله سبحانه وتعالى معرفة كافية لا بد أن يخشاه، لا بد أن تعظم خشيته منه، وتعظم أيضاً رغبته فيه، فيكون دائماً متذكراً، يحرص على أن يعمل في هذه الدنيا ما يقربه إلى الله، ويحصل يوم القيامة - من خلال عمله هذا وبرحمة الله - على الفوز بالجنة، وعلى أن يحاسب في يوم القيامة حساباً يسيراً، فيكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأنه متذكر للقيامة، تذكّر القيامة له أثره العظيم جداً، جداً في المجالين: في مجال أن تنظر من الأعمال إلى ما فيه نجاتك يوم القيامة فتنتقل لتؤديها، وتبتعد عن الأعمال أو عن التقصير الذي فيه هلاكك يوم القيامة فتبتعد عنها.

يوم القيامة خوّف الله به عباده في القرآن الكريم تخويفاً شديداً؛ لأنه يوم شديد الأهوال في حد ذاته، وفيه حساب عسير جداً للظالمين، حساب عسير جداً للمعرضين عن ذكر الله، حساب عسير جداً لمن لم يكونوا يهتدون بهدي الله.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ﴾^(١).

في [سورة الحاقة] يتحدث عمن أوتي كتابه بيمينه، وعمن أوتي كتابه بشماله،

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهُ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(١).

بالنسبة لمن يؤتى كتابه وراء ظهره ماذا يقول؟

﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾^(٢).

ليت أن تلك الموتة الأولى هي القاضية فلا أبعث ولا أحشر ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾^(٣).

السلطان الذي كنت فيه، أو السلطان الذي كنت ألتجئ إليه في الدنيا هلك عني. ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾^(٤).

مالي لم يغن عني، لم يدفع عني شيئاً، الذي كنت أجمعه في الدنيا، وأحرص على جمعه من حلال ومن حرام، وكنت أبخل أن أصرف منه وأنفق منه في سبيل الله لم يغن عني شيئاً، لم يدفع عني شيئاً. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ خُذُوهُ فَعُغْلُوهُ﴾^(٥).

يقال للملائكة: خذوه فغلوه، وكانت هذه الآية من الآيات التي يصرخ منها الإمام علي (عليه السلام) وهو يتأوه، يتصور خطورة الموقف عندما يقال للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَعُغْلُوهُ﴾. قال: (فيا له من مأخوذ... يا له من مأخوذ!! حالة شديدة جداً، وحالة رهيبة جداً، عندما يقال للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَعُغْلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامٍ

١. الحاقة: ١٩-٢٢.

٢. الحاقة: ٢٥-٢٧.

٣. الحاقة: ٢٩.

٤. الحاقة: ٢٧-٢٨.

٥. الحاقة: ٣٠.

الْمُسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ»^(١). كان في الدنيا لا يؤمن بالله العظيم.

نحن نؤمن بالله، أليس كذلك؟ لكن كيف هذا الإيمان؟ إيمان لا يساوي شيئاً، الإيمان بالله الذي يجعلك تخاف غير الله أكثر مما تخاف من الله ليس إيماناً بالله.

الإنسان المؤمن بالله هو من يكون خوفه من الله أعظم من خوفه من غيره، هو من يكون رجاءه في الله أعظم من رجائه في غيره. المؤمن بالله هو من يعيش دائماً حالة التذكر لله، الحرص على رضا الله، الخوف من بطش الله، الرغبة فيما عند الله. الإيمان بالله هو إيمان عملي يبعث - متى ما كان إيماناً صادقاً - هو يبعثك على العمل، يبعث في نفسك الخوف، يبعث في نفسك الرجاء، يبعث في نفسك الرغبة.

أما إيمان من هذا النوع مجرد تصديق، نحن نقول: كان الكافرون مؤمنين بالله على هذا النحو، ألم يكونوا مؤمنين بالله؟

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢).

كان الجاهليون يؤمنون بالله بمعنى أنهم عارفون بأن هناك إله اسمه: [الله]، هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو الذي يدبر شئون السماوات والأرض، وهو الذي ينزل المطر، وهو الذي يفعل كل شيء، يؤمنون بكل هذه الأشياء، هم كانوا مؤمنين بهذه، فقط كانوا يقولون: لا، ليس وحده، بل هناك آلهة أخرى.

إذا ما أصبح إيماننا في واقعه كإيمان الكافرين، أي: إيمان بمجرد وجود الله، وليس وراء هذا الإيمان أي شيء في نفوسنا، في واقع حياتنا، فعلاً يكون الناس ممن لا يؤمنون بالله العظيم، ﴿وَلَا يَخْضَعْنَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾^(٣). كان في الدنيا بخيلاً، ولا

١. الحاقة: ٣٠-٣٧

٢. الزخرف: من الآية ٨٧

٣. الحاقة: ٣٤

حتى يحث الآخرين على إطعام المسكين؛ لأنه لضعف إيمانه بالله، أو لانعدام إيمانه بالله لا يتذكر مسألة ثواب فيرجو من عمله هذا ما يقربه إلى الله، ويحصل على الأجر عند الله. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾^(١). أي مقرب في القيامة يمكن أن ينفعه، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾^(٢).

ويقال: أن الغسلين هذا هو: عصارة أهل النار من القيع والصديد نعوذ بالله.

يوم القيامة.. يجب أن نتأمل كثيراً في كتاب الله، فنرجع إلى القرآن كم ورد في شرح تفاصيل ذلك الموقف الرهيب، كيف تناول القرآن الكريم الحديث عن جهنم، حتى صورها وقدمها بصورة كاملة، تشخيص كامل لجهنم حتى كأنك تراها، تحدث عن وقودها، تحدث عن لهبها، تحدث عن شررها، تحدث عن أهلها وهم يصطرخون فيها، تحدث عن أبوابها، تحدث عن مغاليقها، تحدث عن دخانها عن طعامها، عن شرابها، تصوير كامل.

لو ان أي شخص منا يحاول أن يجمع ما ذكره القرآن الكريم من الآيات في جهنم، ثمضعها في ورقة تكون أمامك ترى كيف تتصور جهنم، وتراها صورة متكاملة، تبرز لك صورة ذهنية من خلال هذا التشخيص القرآني في آيات متعددة.

ثامناً: جهنم والخلود فيها

إذا ما عرفت أن جهنم هي هذه المهولة الشديدة، وأيقنت بأن هذه جهنم هي التي من دخلها لا يخرج منها أبداً ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾^(٣).

لو أن البقاء في جهنم حتى ألف سنة، خمسة آلاف سنة، وهناك أمل في الخروج

١. الحاقة: ٣٥.

٢. الحاقة: ٣٦-٣٧.

٣. الانفطار: ١١-١٦.

منها لكانت المسألة ما تزال هينة، لكن الخلود - نعوذ بالله من الخلود في قعر جهنم - وهو الشيء الذي تؤكد الآيات الكريمة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(١). ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(٢). ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾^(٣).

الخلود معناه: أن تمر آلاف السنين ﴿لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾^(٤)، أحقاباً متتابعة، آلاف السنين، مليون سنة، مليونين سنة، مليار سنة، الخلود في جهنم - نعوذ بالله - هي الحالة المزعجة.

ولهذا تجد الآخرين من عبيد الدنيا كيف يحاولون أن يتهربوا عن الخلود في جهنم فينطلقون إلى الشفاعة لأهل الكبائر، أو البقاء في جهنم فقط بمقدار ما عمل، أو أشياء من هذه يدل على فهم مغلوط للقرآن الكريم ولمنهجية القرآن الكريم في حديثه عن العقوبات بما فيها النار.

قالوا: أنت لن تقعد في الآخرة، في جهنم إلا بمقدار ما عملت!

ليست المسألة على هذا النحو، أنت عملك هو الذي أوصلك إلى جهنم حقيقة، لكن ماذا؟ هل تظن بأن الأعمال تُسَطَّر ثم ينظر إلى كم يساوي، كم العقوبة اللازمة على هذا العمل الفلاني، ثم يضاف هذا إلى هذا ثم ينظر كم ستبقى؟

إن المسألة من أساسها هو أنك عندما تعرض عن هدي الله - كما قلنا في جلسة سابقة - عندما تعرض عن هدي الله تتحول إلى إنسان خبيث، هل تعلمون أن كل معصية ليس فقط ينظر إليها من خلال أنها مجرد اقتراح لعمل في خارج إطار شخصيتك، كل معصية تترك أثراً على نفسك، كل معصية ترسخ نسبة من الخبث في

١. النساء: من الآية ٥٧

٢. المائدة ١١٩

٣. النساء: من الآية ١٤

٤. النبأ: ٢٣

نفسك، وهكذا واحدة بعد واحدة حتى تحيط بك خطيئاتك، فتصبح خبيثاً، تصبح خبيثاً فعلاً.

الله في يوم القيامة تحدث بأنه سيكون تمييز الناس على أساس خبيث وطيب في الأخير، أهل المحشر يتميزون إلى فريقين فقط: خبيث، وطيب، الخبيث كله يجمعه فيركمه فيجعله في جهنم جميعاً، يجعل الخبيث مقره جهنم.

ولأنه فعلاً المسألة هي مرتبطة بالشخص المذنب فهذه الاعمال الخبيثة تحبث صاحبها، فيصبح إنساناً خبيثاً، ليست المسألة فقط أعمال اقترفها ينظر إليها من خلال أنها أشياء في خارج إطار شخصيته، لا؛ بل لأنها قد تركت أثرها الكبير في نفسه حتى أصبح خبيثاً إلى درجة أن جهنم لو تبقى فيها مليار سنة ثم تخرج لعدت إلى ما نهيت عنه سابقاً، ألم يقل الله عن أهل النار ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١). لماذا؟ لأن نفوسهم قد خبثت.

الذكور

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

تاسعاً: التذكر الإيماني والوقاية من القسوة

ولهذا الله يحذرنا عن قسوة القلوب، قسوة القلب ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١).

إطالة الأمد هي الاعتياد على الشيء، فمثلاً عندما نحضر- مجالس الوعظ او المجالس الحسينية المباركة كل ليلة جمعة او كل يوم جمعة في المساجد او كل مناسبة من وفيات او ولادات المعصومين «عليه السلام»، فنستمع للشيخ او للسيد وللمواعظ التي يلقيها، لكنها لا تؤثر فينا، لماذا لأنها أصبحت أمور روتينية اعتدنا سماعها.

عند ذلك تصبح الكلمات لا أثر لها في نفوسنا، فيقسو القلب؛ لأننا نترك الأشياء الأخرى مجال لأن ترسخ في نفوسنا، لأن نعمل على أن تقسو قلوبنا.

والمواعظ التي نسمعها نملي أنفسنا بأنها نفس المواعظ ليوم أمس وليوم غد ولكن هي ليست كذلك، لهذا قال الله عن المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ﴾^(٢).

وأنت ترى نفسك بأنك لا تزيد إيماناً من كل كلمة تسمعها حتى ولو من طفل، لا تزداد إيماناً من كل كلمة تسمعها فاعرف بأنك متعرض للخطورة التي تعرض لها

١. الحديد: من الآية ١٦

٢. الأنفال: من الآية ٢

بنوا إسرائيل، أنه سيطول عليك الأمد، وهكذا كلمة بعد كلمة وأنت لا تزدد إيماناً فيفسو قلبك، وتخبث نفسك وحينئذ لا ينفع فيك شيء.

يجب - أيها الإخوة - أن نعمل على أن نكون من هؤلاء المؤمنين، الذين نحاول ولنقهر نفوسنا أن نفرض على أنفسنا أن نزداد إيماناً من كل آية نسمعها من آيات الله تتلى علينا، من كل تذكير نسمعه بالله لنا، أن نزداد إيماناً، افرض على نفسك أن تزدد إيماناً، افرض على نفسك أعمالاً تنطلق فيها، رؤى نفسك، وعود نفسك على أن تعمل، وأن ترسخ في نفسك الإيمان، وتزداد إيماناً خوفاً من أن تصبح الأشياء لا تنفع فيك، ثم في الأخير يقسو قلبك ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^(١).

من بعد تلك الآيات.

هذه حالة خطيرة جداً يتعرض لها الإنسان، حتى بعد الآيات القاهرة، مثلما حصل لبني إسرائيل عندما نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، وعندما رأوا آيات من هذا النوع المزعج، رجع الجبل، رجعوا لذلك الخمول الأول، النفس هي النفس، قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

ويمكن أن نفسر هذه الحالة التي نحن عليها أن القرآن الكريم الذي قال الله عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

أن قلوبنا ربما تكون قد أصبحت أقسى من الحجارة.

إذاً فلنعمل على أن تلين

﴿الْمَرِيَّانِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٣).

١. البقرة: من الآية ٧٤

٢. الحشر: من الآية ٢١

٣. الحديد: من الآية ١٦

يحاول كل واحد منا أن يعرض في قائمة واحدة ما ذكره الله عن جهنم، وأعرض في قائمة أخرى ما ذكره الله عن الجنة، أعرض في قائمة ثلاثة أهوال يوم القيامة وسترى الشيء الذي يزعجك، الشيء الذي يخيفك، الشيء الذي يشد رغبتك، عندما ترى الجنة وما ذكر الله عن أوصافها، وما وعد المؤمنين فيها من النعيم العظيم والدرجات العالية.

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١).

فلنحاول أن نستعرض يوم القيامة - من خلال القرآن - على الشكل هذا الذي ذكرناه عسى أن يساعد هذا الأسلوب في أن تخشع قلوبنا لذكر الله، في أن نقاوم القسوة التي في القلوب، في أن نزداد إيماناً من كل ما نسمع، في أن نزداد وعياً من كل ما نسمع فيكون إيماناً صادقاً.

وليس ممن قال الله عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

وهو كان يحلف بالله في كل مقولات، ويحلف بالله على كل سلعة يبيعها، ويحلف بالله بعد كل مجبر يقوله من أجل أن يصدقه هذا أو هذا.

نحن بحاجة إلى إيمان راسخ، إلى إيمان واع ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٣).

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾

أعظم شهادة، هي شهادة الله، شهادة الله على توحيدِهِ، شهادة الله على صدق

١. النساء: من الآية ٨٧

٢. الحاقة: ٣٣

٣. الأنعام: ١٩

وعده وووعيده، شهادة الله على أنه سينجز ما وعد به أوليائه، شهادة الله بأنه رحيم بعباده فكل ما يرشدهم إليه، ويهديهم إليه هو من منطلق رحمته، شهادة الله بأنه القائم بالقسط، ويريد منك أن تكون من القائمين بالقسط لتكون من أوليائه؛ لأن أوليائه هم من ينطلقون في الحياة وفق هدايته.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(١).

ثم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾^(٢).

كونوا قوامين بالقسط كما أن الله هو من هو قائم بالقسط، ودبر شئون هذه الحياة على أساس القسط.

﴿وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٣).

ومن بلغه هذا القرآن، فهو نذير لكل البشر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وفيه ما يكفي من المواعظ، فيه الإنذار الكافي، الإنذار عن عواقب الإهمال في الدنيا، عن عواقب التفريط في الدنيا، عن عواقب المعاصي في الدنيا، عن عواقب نسيان الله حتى هنا في الدنيا، والإنذار عن العاقبة الشديدة في القيامة من شدة الحساب، وعن العذاب الشديد في جهنم

﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٤).

١. آل عمران: من الآية ١٨

٢. النساء: من الآية ١٣٥

٣. الأنعام: من الآية ١٩

٤. الأنعام: ١٠٢

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

﴿فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

كم تتكرر هذه العبارة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
ثم ينطلق ليتحدث عن أي شيء كما قال هنا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

أي: مسلمون أنفسكم له باعتبار أنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
فليس هناك إله آخر يمكن أن تسلموا أنفسكم له، أو يدفعكم اعتصامكم بذلك
الإله الآخر إلى أن لا تسلموا أنفسكم لله، لا إله إلا الله وحده فهو الذي يجب أن
تسلموا له أنفسكم، وتعبدوا له أنفسكم.
﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ﴾^(٥).

وهو القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

١. الأعراف: ١٥٨.

٢. التوبة: ١٢٩.

٣. هود: ١٤.

٤. هود: من الآية ١٤.

٥. الرعد: من الآية ٣٠.

مَتَابِ ﴿١﴾.

هكذا يكون أنبياء الله، وهكذا يكون أولياء الله، يتوكلون على الله من منطلق إيمانهم القوي بالله، وثقتهم القوية بالله. ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ ﴿٢﴾.

القرآن الكريم بلاغ للناس ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣﴾.

لاحظ كيف التركيز على أن يجعل ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ﴿٤﴾.

من أهم المقاصد القرآنية، هو رابع غاية من الغايات الأربع في هذه الآية، وهو الغاية الكبرى داخل هذه الغايات الأربع ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

نعلم في قرارة أنفسنا ما هو مجرد خبر نسمعه يطرق آذاننا فقط، بل نعلم في قرارة أنفسنا أنها هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، هو الله، فلنعبُد أنفسنا له، ولنلتجئ إليه، ونتوكل عليه، ونثق به، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥﴾.

موضوع هذا الدرس هو حول فهم ألوهية الله سبحانه وتعالى، ترسخ في أذهاننا مسألة ألوهية الله، ماذا تعني؟ متى ما آمننا بأنه هو وحده إلهنا - إيماناً واعياً وليس فقط مجرد كلام - سنتقيه، سنسلم أنفسنا له، سنثق به، ستوكل عليه، نلتجئ إليه، نرغب فيه، نخاف منه.

١. الرعد: من الآية ٣٠

٢. إبراهيم: من الآية ٥٢

٣. إبراهيم: من الآية ٥٢

٤. إبراهيم: من الآية ٥٢

٥. النحل: ٢

﴿إِهْكُمْ إِلَهَ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾^(٢).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٤).

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٥).

ولأهمية الإيمان بالوهمية الله على هذا النحو، تصبح كلمة الإقرار، هذه الكلمة في الوجدانية هي بطاقة الدخول في الإسلام، وهي الذكر الذي يجب أن يردده الناس جميعاً، وهي الذكر الذي يجب أن يتردد في الأذان، وهم يؤذنون وينادون للصلاة، كلمة: [لا إله إلا الله] وداخل الصلاة [أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] هي الشهادة التي تدخلك في الإسلام، وهي الشهادة التي تشهد بها وأنت في اللحظات الأخيرة من عمرك، فأنت تشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

الشهادة بوجدانية الله سبحانه وتعالى لأهميتها هي التي تجعلك تكفر بكل من يبرز لك إلهاً في هذه الدنيا غير الله، وإن كان هوئاً نفسك، قد يبرز الهوى إلهالك، ويبرز الخوف إلهالك، ويبرز الطواغيت آلهة لك، وتبرز الدنيا إلهالك، وتبرز المطامع كلها آلهة لك، فعندما تكون مقررّاً في نفسك ألوهية الله وحده، فسوف تقهر كل من

١. النحل: ٢٢.

٢. النحل: ٥١.

٣. الكهف: ١١٠.

٤. طه: ٨.

٥. طه: ٩٨.

يبرز في هذه الدنيا إلهاً آخر غير الله لك.

أمر يقل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾^(١).

أنت أيها الإنسان يمكن أن تتخذ هواك تجعله إلهاً لك، كذلك من تطيعه من دون الله فأنت قد عبدت نفسك له، من تطيعه في معصية الله تصبح قد عبدت نفسك له، فكأنك اتخذته إلهاً. أمر يقل الله لبني آدم: ﴿الْمَرَأَعَهُدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

سمّا طاعتهم للشيطان عبادة؛ لأنهم أطاعوه في معصية الله وكل من يوجب عليك أن تطيعه في معصية الله فقد جعل نفسه إلهاً لك، فإذا أطعته فكأنك عبدته، وكأنك جعلته إلهاً.

وورد عن علمائنا الاعلام الذين أكدوا هذه المسألة بشكل كبير، فيما يتعلق بتفصيل العبادة أنه جعل من ضمنها الطاعة، فمتى ما أطعت غير الله أصبحت مشركاً، جعله شركاً، تطيعه في معصية الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٣).

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٥).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

١. الجاثية: من الآية ٢٣

٢. يس: ٦٠

٣. الأنبياء: ٢٥

٤. الأنبياء: ١٠٨

٥. القصص: ٧٠

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ^(١).

من الذي يرزقكم؟ من الذي صوركم في الأرحام كيف يشاء؟ من الذي سخر هذا العالم لكم؟ هو الله، هو الله، الذي لا إله إلا هو.

أليس هذا يعني: أنه متجه إلى ترسيخ الإنشداد القوي به؟ واتصالك القوي به؟ وثقتك العظيمة به؟

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ﴾

إذاً فعندما ترجع إليه، وتتوكل عليه، وتثق به هو من يملك رزقك، هو من يملك أن يرزقك، هو من يملك السماوات والأرض، التي فيها ومنها رزقك.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

لا إله إلا هو فارجعوا إليه وادعوه مخلصين له دينكم، مخلصين له في الدعاء. الدعاء كما ورد بأنه مخ العبادة، لكن الدعاء إذا ما ترافق معه عمل، الدعاء الذي لم يترافق مع تقصير، وإنما مع عمل.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ألم يقل الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى أهل بيته): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

١. فاطر: ٣.

٢. غافر: ٦٥.

٣. فصلت: ٦-٧.

٤. محمد: من الآية ١٩.

الله ﷻ؟ ألم يكن الرسول (صلوات الله عليه وعلى أهل بيته) عالماً بهذا؟ هو رسوله وقد اصطفاه، هو الذي يبلغ رسالة الإله الذي لا إله إلا هو، فما معنى هذه العبارة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

يتقرر في نفسك دائماً بشكل واع، وهو مجال واسع جداً، ودرجات متفاوتة جداً ترسخ العلم بأنه لا إله إلا الله.

ألسنا جميعاً نقول: [لا إله إلا هو]؟ لكن هل علمنا بأنه لا إله إلا هو كعلم الإمام علي (عليه السلام)؟ لا. هل علمنا بأنه لا إله إلا الله كعلم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى أهل بيته)؟ لو كنا نعلم أنه لا إله إلا هو لانطلقنا في هذه الدنيا صواريخ لا أحد يوقفنا أبداً، ولا أحد يخيفنا أبداً، ولا أحد يخذعنا أبداً، ولا أحد يستطيع أن يضلنا أبداً، ولا أحد يستطيع أن يقهرنا أبداً.

لكننا نلاحظ بأن درجة علمنا بأنه لا إله إلا هو هابطة جداً، كلمة تصرفك عمن هو لا إله إلا هو وعن طريقه، ما هذا يدل على أنك تفقد العلم بكله، أو متدني جداً في علمك به؟

أليس عندما ينقذ في نفسك خوف من غير الله فتراجع يدل على أنك ضعيف في علمك بأنه لا إله إلا هو.

إن معنى لا إله إلا هو يرتبط بها كلما تقدم، وكلما يمكن أن تستعرضه في القرآن الكريم: هو الخالق، هو الرازق، هو الذي سيجمع الناس ليوم القيامة، هو الذي بيده النار، بيده الجنة، هو الذي وعد أوليائه بوعود كثيرة، هو صادق الوعد والوعد، هو الرحمن الرحيم، هو عالم الغيب والشهادة، هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، هو.. هو.. إلى آخره. فعندما تخاف من غير الله فعلاً يدل على

١. محمد: من الآية ١٩

٢. محمد: من الآية ١٩

ضعف، ضعف في علمك بأنه لا إله إلا هو.

فنحن لو سردنا أياماً جلسات طويلة نرسخ في أنفسنا لا إله إلا هو، ولو سنة كاملة يترسخ في نفوسنا بشكل واع لا إله إلا هو، وكلمة: لا إله إلا الله كانت السنة هذه قليل في مقابل ما نحصل عليه من ترسيخ معنى: لا إله إلا هو.

عندما يأتي شخص يعطيك مبلغ من المال، ويجندك ضد أولياء الله، أو يصرفك عن نهج الحق، أو تدخل معه في باطل، أليس هذا يدل على أنك لا تعلم أنه لا إله إلا هو؟ أنه لا إله إلا الله؟ فأنصرفت عن نهج الله الذي وصف نفسه بهذه الأوصاف العظيمة، من له ملك السماوات والأرض، ورغبت في مبلغ زهيد من المال قدم لك من هنا أو من هنا مقابل ولاء معين، أو موقف باطل تدخل فيه، أو عمل باطل تقوم به، أليس هذا يدل على أنك لا تعلم بالله، ولا تؤمن بالله؟

فاعلم.. هكذا يقول الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهو من يعلم، لكنها لها عمقها، لها عمقها البعيد، البعيد، البعيد.

ما الذي يجعلنا ضعفاء، خائفين، متوجسين، غير صادقين مع بعضنا بعض، غير متعاونين على البر والتقوى، لا ننفق في سبيل الله، نفوس ضعيفة، نفوس مهزومة.. ما هو؟ أننا لا نعلم بما يريد الله منا أن نعلم أنه لا إله إلا هو، فهو من نرغب فيه، هو من نخافه، هو من نتوجه بتوجيهاته، هو من نقبل إرشاداته، لأنه لا إله إلا هو.

ولأن كل واحدة، كل واحدة مما أرشدك إليها يمكن أن تقول ورائها: لأنه لا إله إلا هو، أنا لن أخاف إلا هو لماذا؟ لأنه لا إله إلا هو، أنا لن أرغب إلا فيه، لماذا سترفض كل شيء وترغب في الله وحده؟ لأنه لا إله إلا هو، أي ليس هناك من هو جدير بأن أأله إليه فأرجوه، أو أخافه.. إلا من؟ إلا الله. عندما أثق به أعظم من ثقتي بغيره؛ لأنه لا إله إلا هو.

ولهذا كانت هي قاعدة عامة انطلق منها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)،

وَوُجَّهَ إِلَيْهَا ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

هل جاء بعدها بشيء؟

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

متى ما علمت أنه لا إله إلا هو فستجدها أمامك في كل موقف من مواقف الحياة، ستجدها هي من توجهك إلى الله، هي من تجعلك تعتصم بالله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

فلنعمل دائماً على أن نرسخ في أنفسنا: لا إله إلا هو، كم كنا نقرأ آيات، نحن نقرأها جميعاً ونمر عليها مرور الكرام، نأخذ عبرة من هذه إذا كنا في هذه الجلسة يبدو وكأننا نريد أن ننطلق في حديث آخر [هذا شيء معروف لا إله إلا الله، ولا إله إلا هو]! فنخذ عبرة من أن يخاطب الله نبيه محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو من هو في معرفته بالله فيقول له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، لو علمنا ولو علم المسلمون معشار ما علمه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من أنه لا إله إلا هو لحلت المشكلة بكلها التي سببها أزمة الثقة بالله؛ لأن الله بدا لنا وكأنه ليس إلهاً، بل بدت آلهة أخرى نحن نأله إليها ونرفضه.

أصبحنا أسوأ من المشركين، أصبحنا في واقعنا في تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى أسوأ من المشركين! كان المشركون يعبدون آلهة متعددة ويعدون الله واحداً منها، فيرجوه ويرجوا هذا، ويرجوا هذا، وقد يكونون يرجون الله أكثر أما نحن أصبحنا في واقعنا - وهو الذي يدل على عدم ثقتنا بالله - أصبح عندما يقول الله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٢).

لا نثق به كما نثق بواحد منا عندما يقول: يا فلان أعطني مبلغ من المال وأنا أرجعه

١. آل عمران: من الآية ١٠١

٢. سبأ: من الآية ٣٩

لك غد.. أليس كذلك؟ أليس هذا يدل على أننا لم نعد نتعامل مع الله - تقريباً - كإله إلا فقط نذكر مجرد اسمه شهادة على أنفسنا يعتبر حجة علينا يوم القيامة.

يعدنا الوعود الصادقة فلا نشق! لو يأتي رئيس الوزراء مثلاً أو أي رئيس دولة أو رئيس عشيرة كبيرة فيعدك يقول: تحرك وأنا وراءك أأست ستتحرك؟ لو يأتي فيقول لك: انطلق أنت وأنا وراءك ضد أمريكا وإسرائيل أأستم ستنتقلون بسرعة لتصرخوا؟ وتأخذوا بنادقكم وتتحركوا؟ لكن يقول الله، فتقول والله خائفين، خائفين من فلان، خائفين من فلان إذا ما تحركنا ضد اليهود والنصارى، يعني هذا ماذا؟ أن ثقتنا بالله ضعيفة أي أننا لم نعد نتعامل مع الله كما نتعامل مع كبار القوم! أصبح كبار القوم في الواقع هو إله بالنسبة لنا نخافه ونرجوه أكثر مما نخاف ونرجو الله! أليس هذا هو الواقع؟ حتى في مقام الرغبة وما أكثر، وما أكثر ما ينحرف الناس بالترغيب والترهيب وسببه هو أنهم لم يترسخ في أنفسهم أنه لا إله إلا هو.

إذا كان الله قد قال لك أنه يمكن أن يكون هواءك إله، ما الذي سيعمل هواءك أليس رغبات يشدك إلى رغبات معينة، هو نفسه ما يعمل الآخرون من خارج نفسك أنت تجعلهم آلهة عندما تخاف وترغب في مقابل ما خوفك الله منه ورغبتك به، أليس الله هو الذي يملك الجنة، ونحن نؤمن بهذا؟ أليس هذا صحيحاً؟ هو من يملك الجنة ونحن نؤمن بها، لكن متى ما أتت رغبات من آخرين من تجار، أو مسئولين، أو من أشخاص آخرين ننطلق وراءها ونترك الجنة ماذا يدل هذا عليه؟ يدل على أن إيماننا كله إيمان أجوف وسطحيات كلها هكذا، إيمان لا يتجاوز تراقينا لم ينزل إلى أعماق نفوسنا.

النار ألسنا نؤمن بها؟ والقرآن يعرضها دائماً يصورها لنا في تلك الصورة البشعة، يتحدث عن طعام أهلها: شجرة الزقوم، يتحدث عن ثمر هذه الشجرة: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَىٰهَا

لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٧﴾

بعض الناس وجبة واحدة دسمة على أيدي أحد الناس الذي هو في طريق باطل تصده عن الحق وجبة واحدة دسمة يؤثرها ولا يخاف تلك الوجبات المرة الشديدة التي تغلي في البطون كغلي الحميم، يؤثر تلك الوجبة الدسمة على تلك الوجبات العظيمة في الجنة. على ماذا يدل هذا؟ أليس هذا يدل على ضعف إيمان، ضعف إيمان فيمن؟ في الله الذي يملك الجنة والنار، أي: أننا ننطلق مع الآخرين فتتعامل معهم كآلهة، بل وأصبحنا لا نعد الله في تعاملنا معهم كإله. أليس الناس يخافون عندما يقول أحد: يجب أن يكون لنا موقف من إسرائيل من أمريكا، يجب أن نصرخ، يجب أن نحذر من أن يترسخ الرعب منهم في أوساط الناس، يجب أن نخاف من أن تسود كلمة: [إرهاب] فتصبح هي الكلمة التي تسيطر على أذهان الناس، فتصبح مبرراً سيئاً جداً أمام كل ولي من أولياء الله أن يضرب. يقول الناس: عنه إرهابي.

عندما نقول: يجب أن نتحرك ونصرخ في وجه أمريكا وإسرائيل ونلعن اليهود، ونرفع ذلك الشعار في كل مكان. يقولون: [نحن نخاف من الدولة، الدولة ستقوم ضدنا، نحن سنكلف على الناس، الدولة ستضرب الناس] إذا أنت لم تعلم أنه لا إله إلا هو.

خذ هذه قاعدة وهي القاعدة التي أعطها محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) كصمام أمان في كل موقف، متى ما برز الخوف أمامك فإنما يبرز كإله آخر، متى ما برزت المرغبات الأخرى لك لتتخلى فإنما تبرز كآله أخرى فاعلم أنه لا إله إلا هو، وتحرك هنا، اعلم أنه لا إله إلا هو وارك هذا، اعلم أنه لا إله إلا هو وانطلق منها، هذه قاعدة مهمة.

ولنعمل جميعاً على ترسيخ هذه في نفوسنا بشكل كبير من خلال تأملنا لكتاب

الله سبحانه وتعالى، ومن خلال دروس متتابعة لا قيمة لأي حديث إذا لم نحاول بكل جهد أن نتولى الله؛ لأنها هي أول خطوة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

لا يمكن أن نأخذ بعضها ونترك بعضها بل يجب أن نتدرج من الله إلى رسوله إلى المؤمنين لكي نصل إلى عند ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾؛ لتصور هذه، كيف نتولى الله؟ حتى نرى أنفسنا عظمي الثقة بالله، ثم انطلق إلى رسوله، ثم انطلق إلى الذين آمنوا، ثم ستصبح فعلاً أنت وإخوانك حزب الله، وستكونون أنتم غالبون.

بعض الناس، بعض الشباب متى ما تعلم وسمع من يقول: يا جماعة نحن يجب أن نتحرك، يجب أن نعمل، يقول: ماذا نعمل؟ خلونا مدروسين كذا.. لكن قل له: تعال اعرض لي وعيك، اعرض لي فهمك الإيماني، اعرض لي نظرتك إلى الدين ونظرتك إلى الحياة حتى أعرف بأنه قد ترسخ في داخل نفسك، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فمتى ما تعرضت لمصائب لشدائد ستكون هينة عندك؛ لأنها جاءت من آلهة أخرى لا قيمة لها عندك، ولأنها أشياء بسيطة لا أثر لها عليك في مقابل ما تخافه من الله الذي لا إله إلا هو وهي جهنم، ثم المرغبات الأخرى.

أنت بعد لم تمر بمراحل فتجرب نفسك، مرغبات تعرض عليك، ومرهبات تعرض عليك حتى نعرف مدى تمكن لا إله إلا هو في نفسك وتترسخ معنى: لا إله إلا هو في نفسك.

وهكذا القرآن الكريم عندما يحدثنا كيف نكون أنصاراً لدينه هو يؤهلنا في نفس الوقت، بدأ من توليه هو، لأنها ثلاثة أشياء نمشي فيها بشكل واع في تولينا، تولينا لله، تولينا لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تولينا للإمام علي (عليه السلام).

نحن بحاجة إلى الإيمان بالله في هذا العصر أعظم من أي عصر مضى- حتى لا

نكون عرضة للمضلين، وافهم، اجعل هذه عبرة أن يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، أصحاب علم الكلام يعتبرونها من الأدلة على وجوب النظر، هو أن يصل إلى اليقين! وهل كان رسول الله لم يصل إلى درجة اليقين بالله؟ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو عظيم الثقة بالله، يقينه بالله عظيم، لكن المسألة مهمة، المسألة واسعة الأعماق.

حاول أن تشغلها شهراً واحداً وانظر كيف ستصبح، حاول أن تأخذ ورقة في جيبك واكتب فيها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وشغلها شهراً وانظر كيف ستكون أنت.

أمام كل من يرغبك اعرض عليه واعرض على نفسك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وانظر كيف أنه لا أحد يستطيع أن يؤثر فيك أبداً. من يخوفك، من يرغبك، من ينصحك بأشياء أخرى قد تمسك بها لتعلم أنها بمثابة جيش لتشغل مشاعرك في كل مواقفك، في كل ميادين الحياة كلها: في مجال نصر دين الله، وفي مجال مقارعة أعداء الله، وفي مجال تحصين نفسك من أي ضلال.

افعل ذلك شهراً حتى تعرف أثرها، أو أسبوعاً واحداً تذكر نفسك بهذه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، لأنه عادة حتى ربما بعد كل درس نجلس فيه لا يأتي نصف الليل إلا والإنسان قد هبط كثير من روحانيته التي كان عليها وهو هنا أو هنا في هذا المكان أو في تلك القاعة، أنها تحدث أشياء داخلية، يتوجه ذهنك إلى أشياء خارجية تؤدي إلى تأثير في هبوط معنوياتك وتأثيراتك النفسية من خلال ما سمعت، فلتشغل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، تتركك على حالة سليمة مستقيمة.

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾^(١).

١. محمد: من الآية ١٩

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

صدق الله العلي العظيم.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

مراجعة الفصل

أسئلة منهجية شاملة

١. ما هي الأسباب الرئيسة لأزمة الثقة بالله كما وردت في الفصل؟
٢. كيف عالج القرآن الكريم هذه الأزمة؟
٣. ما هي العلاقة بين معرفة الله والثقة به؟
٤. كيف وصف القرآن الكريم قسوة القلوب؟ وما أثرها؟
٥. ما معنى أن الله قيوم؟ وكيف يعزز ذلك الثقة به؟
٦. كيف يقدم القرآن الكريم يوم القيامة؟ وما أثر تذكره على الإيمان؟
٧. ما الفرق بين الإيمان الشكلي والإيمان العملي كما أوضحه الفصل؟
٨. ما هي المفردات القرآنية التي تؤكد على وحدانية الله؟
٩. ما دور آية الكرسي في ترسيخ الثقة بالله؟
١٠. كيف تساعد معرفة صفات الله في بناء النفس المؤمنة القوية؟

الفصل الثاني

معرفة الله تعالى

الدرس

الخامس

مقدمة منهجية

في هذا الدرس نتناول بأسلوب قرآني تحليلي عمق الدلائل العقلية والمادية الدالة على معرفة الله تعالى، من خلال التأمل في آيات الله في الكون، وما انطوى عليه من نظم دقيقة، وتسخير هائل، وتوازن كوني. كما يعالج أسباب غياب هذا التأمل من واقع المسلمين، محذراً من خطورة الانفصال عن ثقافة القرآن الكريم، ويُبيِّن العلاقة بين العلم والمعرفة بالله، مؤسساً لرؤية قرآنية راسخة حول موقع الإنسان في الكون.

صفات أولياء الله

ما يزال الموضوع هو حول الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

وقلنا: من المهم جداً أن نعرف من هم أولياء الله، وأن نعرف كيف نتولى الله، والشيء المؤكد أن معرفة الله سبحانه وتعالى المعرفة الكافية معرفة واسعة لا بد منها في تحقيق أن يكون الإنسان من أولياء الله؛ لأن من أبرز صفات أولياء الله سبحانه وتعالى أنهم عظيمي الثقة بالله، ثقتهم بالله قوية.

والثقة القوية بالله إنها تحصل من خلال معرفته، ولا نقصد بمعرفته سبحانه وتعالى ما هو متصالح عليه في كتب علم الكلام، بل معرفته الواسعة من خلال القرآن الكريم معرفة كماله، معرفة ما أسبغ على عباده من نعم، معرفة مظاهر قدرته ودلائل حكمته، ومظاهر رحمته، أيضاً معرفة شدة بطشه، معرفة ما أعده لأوليائه، وما أعده لأعدائه، معرفة ما يحظى به أولياؤه من الرعاية منه سبحانه وتعالى، معرفة أنه غالب على أمره، هذه المعرفة الواسعة.

ألوهية الله سبحانه وتعالى، أن نعرف ألوهيته سبحانه وتعالى، ماذا تعني بالنسبة لنا، أن نعرف أنه لا إله إلا الله، وكما قال سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ومتى ما تحقق لدينا - بإذن الله وبتوقيه وبتنويره - معرفة كافية بمعنى (لا إله إلا الله)، معرفة كافية بمعنى ألوهيته، أنه إلهنا ونحن عبيده فإن هذه تعتبر من أهم الفوائد وأعظم المكاسب التي لو قطع الإنسان عمره الطويل في ترسيخ معانيها في نفسه لكانت من أعظم النعم التي يحصل عليها طول عمره.

١. المائدة: ٥٦.

٢. محمد: من الآية ١٩.

الله سبحانه وتعالى هو إلهنا ونحن عبيده، ومعنى ذلك أنه وحده الذي له الحق أن يكون له الأمر فينا، والحكم فينا، هو من له الحق أن يشرع لنا، ويهديننا ويرشدنا، هو من له الحق أن يحكم فينا، هو من له الحق أن يدبر شؤوننا؛ لأننا عبيده، هو من له الحق ألا يتدخل غيره في شأن من شؤوننا بما يخالف ما يريده - سبحانه وتعالى - لنا ومنا، هو وحده الذي له الحق أن نطيعه، ونطيع مَنْ طاعته مِنْ طاعته.

هذه القاعدة المهمة، والقاعدة الواسعة هي التي تفصلك عن كل إله في الأرض سواء تمثل في هواءك، أو تمثل في إنسان، أو تمثل في أي شيء من هذا العالم، فمتى ما فصلت نفسك عن كل ما سوى الله أن يكون إلهاً لك تحقق لك معنى (لا إله إلا الله)، ومنحت من عزة مَنْ وحدته، من قوة مَنْ وحدته، من حكمة مَنْ وحدته، من علم مَنْ وحدته، كما قال الله سبحانه وتعالى في نبي الله يوسف، ونبي الله موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

لو تقرأ ما قرأت طول عمرك، ورصّات الكتب بين يديك مجلد بعد مجلد وأنت لا تحظى برعاية من الله سبحانه وتعالى أن يعلمك هو، أن يرشدك هو، أن يهديك، أن يفهمك فإن غاية ما تحصل عليه قليل من العلم وكثير من الجهل.

كم سمعنا عن أشخاص في تاريخ الإسلام، كم تركوا من تراث من الكتب؟ وكيف عرفت حياتهم حتى قيل عن بعضهم: أن كراريس علمه بلغت أكثر من أيام عمره، أكثر من شخص قيل فيه هذا، ولكن لو تستعرض ما تركه تجد أنه كان بحاجة ماسة، إلى أن يهتدي بالقرآن الكريم، وأن يستأنف حياته من جديد مع القرآن الكريم.

إن كل خلل يحصل سببه نقص في معنى (لا إله إلا الله) في نفسك، فترى الركام الذي تركه هذا، والركام الذي تركه ذاك، وتلك العبارات المنمقة عند هذا، والعبارات المنمقة عند ذاك، تراها وكأنها هي الحكمة، وكأنها هي الهدى، وكأنها هي

١. يوسف: ٢٢.

الصواب، وترى وكأن القرآن الكريم الذي عايشته وأنت صغير، وقرأته وأنت ما تزال طفلاً، ما يزال فهمك محدوداً، ما يزال إدراكك للمعاني ضعيفاً، تتعامل معه وكأنه هو ذلك الكتاب الذي عايشته في الصغر فتنتقل بعد هذا، وبعد ذاك، وبعد تلك العبارات المنمقة، وبعد تلك المجلدات الطويلة، وكأن هناك الهدي، وكأن هناك الحكمة، وكأن هناك العلم.

وفي الحقيقة - كما أسلفت - نحن نعرف أشخاصاً كابن تيمية مثلاً من العلماء الذين عُرفوا بغزارة العلم - بالمعنى المتعارف عليه - أي: كثرة المقرئات، والكتابة، والحديث هنا وهنا، في هذه المسألة وتلك المسألة، لكنه كان يفتقد إلى أسس، إلى أسس ينطلق منها، أسس يرشد إليها القرآن الكريم، لينطلق منها هو وغيره من أمثاله ممن يمكن أن تلمس لديهم عقائد باطلة، أقوال غريبة، وجهة نظر شاذة.

سبب ذلك كله هو أنه لم يحصل اعتماد - بالشكل المطلوب - على القرآن الكريم، سببه تأثر بثقافة معينة، وضعف في تحقق معنى (لا إله إلا الله)؛ لأن مما أكد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وهو يؤكد ألوهيته أنه هو من له الحق أن يهدي عباده، وأنه هو من سيتولى هدايتهم، وعندما يتولى الله هدايتك فما أوسع هداية الله، إنه عالم الغيب والشهادة، إنه الذي يعلم السر في السماوات والأرض، إنه العليم بذات الصدور.

فعندما يهديك هو يهديك للمعرفة الصحيحة الواسعة يهديك إلى أبواب من الهدى تفتح أمامك أبواباً، وأبواباً.

مهم جداً أن ترسخ لدينا معاني (لا إله إلا الله) والتي من أبرزها أن نمنح أنفسنا لله فنفتح قلوبنا لهديه، ندعُوه هو الذي يهديننا؛ لأنه هو الذي قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾^(١).

يقول: هذا عليّ، وهذا هو مسئوليتي، وهذا أنا سأتكفل به لمن فتح قلبه لي ﴿إِنَّ

عَلَيْنَا لِلْهُدَى»، ﴿قُلْ إِنْ أَهْدَى اللَّهُ هُدىً﴾^(١).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٢).

فنحن عندما نطلق لتتعرف على إلهنا يجب أن نعتمد على القرآن الكريم، وأن نتوجه إلى الغوص في بحور معرفته الواسعة.

القران الكريم كتاب الهداية

عندما نأتي إلى كتب علم الكلام ونجدها تتحدث عن قضايا محدودة وبأسلوب محدود ومناقشات [طويلة عريضة] حول قضايا أفعال الإنسان هل هي منه أم هي من الله؟ حول قضايا من هذا النوع، سببها أن الجميع ابتعدوا عن القرآن الكريم فلم يكن لله في نفوسهم العظمة، العظمة التي تجعل كل مسلم ينزه الله تلقائياً عن أن يقضي بالباطل، أو يقدر المعاصي، أو يريد الظلم، أو يريد القبائح، أو يخلقها أو يقدرها أو يسير إليها.

القرآن الكريم تكفل بهذا تلقائياً، بينما الغوص في خضم تلك القواعد تخرج منها وفي رأسك من الإشكاليات ما يجعلك تتأوه وتأسف على ما فاتك من فطرتك السليمة، ومعرفتك البديهية التي كان بالإمكان لو بقيت سليمة، وقدمت أمام القرآن الكريم لكان ما يحصل من خلال القرآن الكريم هو ما ينسجم معها، ويخلق الطمأنينة، ويزكي النفس، ويطهر القلب، ويوسع المعرفة، ويخلق الخشية والعظمة والخوف والتقوى والإيمان وغير ذلك من المعارف.

القرآن الكريم يأتي للإنسان من كل الجهات وهو يعرفه بإلهه، وهو يرسخ في قلبه المعرفة، تلك المعرفة التي تخلق في نفسه خشيةً وخوفاً وثقةً عظيمةً بالله، وتوكلاً

١. آل عمران: من الآية ٧٣

٢. النجم: من الآية ٢٣

عليه، وحباً له، ورغبة في الحصول على رضاه.
لم يعرض المتكلمون مسألة النعم الكثيرة التي أسبغها الله على عباده كأسلوب من أساليب معرفته سبحانه وتعالى.

لم يقدموا الحديث عن شدة بطشه، وعن سعة رحمته فيما يعدُّ به أوليائه، لم تقدم كأسلوب من أساليب المعرفة، نوقشت هناك لوحدها وبمفردها عن واقع الإنسان بالنسبة لها. هل هناك شفاة لأهل الكبائر أم ليس هناك شفاة فيما يتعلق بقضايا اليوم الآخر، نوقشت هذه فيما يتعلق بالأبحاث حول اليوم الآخر وكأنها لا علاقة لها بالله إلا من منظار واحد هو: ارتباطها بمجرد عدله، أنه ليس من العدل أن يقدر عليك المعصية أو يخلقها فيك أو يجبرك عليها ثم يعذبك.

لكن أثره الوجداني أثر الحديث عن الوعد والوعيد في وجدان الإنسان وما يتركه من أثر له علاقته الكبيرة بمعرفة الله سبحانه وتعالى، لم يقدم على هذا النحو؛ لهذا رأينا كيف أنهم في الأخير رأوا أن نسبة كبيرة من آيات القرآن الكريم ليست مما يحتاج إليه في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى.

لم تقدم تلك الآيات التي يقرر الله فيها حقيقة أنه غالب على أمره، وعرضت صوراً من واقع الحياة من الأحداث التي ترافقت في مسيرة البشرية، وفي تاريخ النبوات كما حصل في قصة يوسف (عليه السلام)، وكما حصل في قصة إبراهيم (عليه السلام)، وكما حصل في قصة موسى (عليه السلام)، لم تقدم أيضاً كأسلوب من أساليب معرفة الله سبحانه وتعالى. ليست مثيرة للعقول، إذاً فهي هناك فقط تتلى لمجرد التعبد بتلاوتها، وتعطى مقابل كل حرف عشر حسنات، هي هناك لإنتاج الحسنات فقط!

لهذا كان يأتي الواحد منهم ممن قضى معظم عمره في هذه الأبحاث من هذا القبيل داخل علم الكلام وتراه في نفس الوقت يدين بالطاعة لحاكم ظالم!
هل هذا عرف الله؟

تراه في نفس الوقت يعتقد عقائد تتنافى مع عظمة الله، مع حكمته، مع جلاله، مع عدله، مع رحمته، مع حكمته في أفعاله.

هل هذا عرف الله؟ وهو من قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

هم من يخشونه.

لكن لما أصبح لدينا مسمى العلم، أو المقاييس التي من خلالها نطلق على هذا عالم أو هذا نسميه عالماً، أصبحت هي تقاس بمقدار ما يقرأ من كتب كيفما كانت سميناه عالماً وهو ليس في قلبه خشية من الله.

إذاً فإما أن تكون الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ والتي قدمت كحقيقة إما أن تكون هي غير واقعية، أو يكون قلب ذلك الرجل هو غير الحقيقي فيما داخله مما سميناه علماً ليس علماً، هو علم باعتباره اطلاع على قواعد، العلم يطلق على العلم النفسي، ويطلق أيضاً على مجرد القواعد.

يقال: علم الفقه، علم الكلام، علم كذا.

لا بأس هو عالم بهذا المسمى، لكن من كان عالماً على هذا النحو، وليس بالشكل الذي سمته به الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فإنه ما يزال جاهلاً، لأنه في نفس الوقت لم يأخذ العلم من مصدره، لم يأخذ الحكمة ممن يؤتيها، الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(٢).

﴿رب زدني علماً﴾، لم يقل له تعلم، انظر الآخرين ما لديهم وتعلم لا.

رب أنت، أنت زدني علماً، اهديني أنت، ارزقني من علمك، من علمك الواسع، اتني من حكمتك الواسعة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣).

وعالم يكون على هذا النحو، عالم أي قرأ كتباً، قرأ فنوناً، يسمى هذا الفن علم

١. فاطر: من الآية ٢٨

٢. طه: من الآية ١١٤

٣. البقرة: من الآية ٢٦٩

كذا، ويسمى هذا الفن علم كذا، أو يسمى هذا الفن علم كذا، هو عالم على هذا المصطلح هو عالم، لكن إذا لم يعلم - في نفس الوقت - ذلك العلم الذي يجعله يخشى الله سيصبح علمه يشكل خطراً بالغاً على الإسلام والمسلمين، يشكل خطراً بالغاً على البشرية، يرسخ جهالات متراكمة، وإن صدر كتابه بعبارات كريمة مثل [بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه] إلى آخره.

ثم يذكر لك ما الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، ثم عن الأبواب التي تناولها، ثم تقسيمه إلى كذا فصول إلى آخره، ثم يقول: [مبتغياً بذلك وجه الله، وأن يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية وأن يتناول ما رأى بأن الآخرين بحاجة إلى معرفته ليقدم خدمة للإسلام والمسلمين، راجياً من الله بذلك أن يتقبله وأن يكتبه ويجعله في رصيد حسناته يوم يلقاه]

هكذا تأتي الأشياء بحسن نية.

القرآن الكريم علّمنا بأن حسن النية لا تكفي، أنه حتى الإخلاص لا يكفي إذا لم تعتمد على القرآن الكريم لتعرف من خلاله ما هو العلم، ثم تمشي من خلال ما يرشدك إليه في آفاق الحياة، وآفاق المعارف الأخرى فتزداد معارف حقيقية.

كل شيء في الأخير يعطيك معرفة، يرسخ لديك معاني كمال الله سبحانه وتعالى، كل هذا العالم ليس فيه شيء لا يشهد بكمال الله سبحانه وتعالى.

العلم الحقيقي من كتاب الله

يقال في [علم الكلام] بأنه أشرف العلوم؛ لأن موضوعه هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة الله هي أعلى شيء، فالفن الذي يتناوله هو أشرف العلوم؛ لذلك يبادرون به وبكليات صغيرة إلى الأطفال من سن البلوغ يكون قد بدأ بمعرفة الله؛ لأنها أهم شيء.

لكن هكذا ننظر للأشياء وننطلق فيها بحسن نية وبإخلاص وكأن القضية متروكة إلينا نحن، أن نرسم الأشياء على ما نرى، وعلى ما نلمس بأن فيه رضا الله، وفق رؤية انطلقت من داخلنا دون اعتماد كبير على القرآن الكريم بأنه كتاب شامل يعطي مناهج للمعرفة أيضاً، ومناهج للتربية ومناهج للعمل في مختلف شؤون الحياة. **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**

هذه وحدها تكفي لمن يتأمل؛ لأننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى هو العالم هو العليم **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾**^(١). **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**^(٢). **﴿يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**^(٣). إذاً هو العالم

أليس كذلك؟ هو العالم واسع العلم، هو من أحاط بكل شيء علماً، فهو من يجب أن نلتفت نحوه ليعلمنا، وليس فقط أن ندعوه أن يرزقنا العلم وننطلق من مصادر أخرى نبحث عن العلم.

١. الأنعام: من الآية ٧٣

٢. البقرة: من الآية ٢٥٥

٣. الفرقان: من الآية ٦

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي﴾، زدني أنت ﴿عِلْماً﴾، حتى العلوم الأخرى هذه الاختراعات، وعلوم الصناعة، يقال: إن كثيراً من المخترعين - وهم أثناء تجاربهم - يلمسون وكأن هناك شبه توفيق إلهي أو تدخل إلهي في المسألة، فيرشدهم إلى شيء معين فيبتكر شيئاً من خلال تجاربه المتعددة.

يلمس البعض منهم يداً غيبية تتدخل في القضية، يطلب الشيء فيبرز إلى الوجود من الاختراعات العظيمة غير ذلك الشيء الذي كان متجهاً نحوه وهو يجري تجارب يريد شيئاً آخر.

واسع العلم، من وسع كرسيه السماوات والأرض، من أحاط بكل شيء علماً. أليس هو الذي ينبغي أن نعرفه من خلال ما يهدينا إليه هو، من خلال كتابه الكريم؛ لأنه هو من خلقنا، هو من يريد أن نعرفه تلك المعرفة التي تترك أثراً في نفوسنا، وليست معرفة بمجرد المعرفة، أو علماً بمجرد العلم.

عالم لمجرد العلم، وعقائد لمجرد العقائد، علم محدود عقائد أتعامل معها بشكل أحكام أصدرها، وليس هناك أثر لها في النفس.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

كتاب الله وأثره في النفوس

القرآن الكريم كتاب عملي، معرفة تترك أثراً في النفوس، لتترك هذه النفوس أثراً في الحياة، معرفة تزكو بها النفوس، فينعكس أثر هذه النفوس صلاحاً في هذه الحياة، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان وهو يعلم ما هي المداخل ليتعرف إليه، المعرفة العملية، ألسنا نرى في القرآن الكريم كيف كان يهدد الكافرين بجهنم، هذا على طريقة المعتزلة ونحوهم غير منطقي؛ لأنه تهدد الكافرين بجهنم، وهو بعد لم يؤمن بمحمد ولا بالقرآن، لم يؤمن بعد بهما حتى تهدد بجهنم، وجهنم إنما جاء الخبر عنها من قبل القرآن الكريم ومن قبل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، إذاً فهذا غير منطقي، سيكون كثير من القرآن غير منطقي.

لكن من يدري أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أن هذا الإنسان - وإن كان ما يزال جاحداً - أن أسلوب القرآن وأسلوب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ذلك الأسلوب الذي ينفذ إلى أعماقهم رغماً عنهم، ينفذ إلى أعماق نفوسهم رغماً عنهم.

فيسمع التهديد والإنذار بأنه إذا ما كذبوا قد يحيق بهم ما حاق بالأمم السابقة، قوم صالح وقوم هود وقوم نوح.

ألم يظهر في القرآن الكريم تهديد للكافرين، كيف تهددهم وهم بعد لم يؤمنوا بالقرآن الكريم ولم يؤمنوا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لكن محمداً، شخصية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، كماله والمعجزات التي تظهر على يديه

هنا وهناك هي مما يترك أثره في النفس، حتى وإن كان صاحب هذه النفس ما يزال معلناً لكفره وجاحداً، عندما يسمع التهديد لا بد أن يترك أثره في النفس، ولو في لحظة من لحظات يومه أو ليلته، ولو قبيل نومه وهو فوق فراشه مسجى بلحاف، وهي اللحظة التي يفكر الإنسان فيها كثيراً.

هذه المعرفة معرفة عملية تدفعك لتغوص إلى أعماق نفسك، ثم تدفعك عملياً إما أن تكون ممن ينطلق على وفق الهدى والإيمان، أو تتجلى هناك، تتجلى هناك خبيثاً منافقاً أو كافراً.

ما الذي حصل في تاريخنا نحن؟ عالم بعد عالم لم يظهر لك مؤمن بشكل صحيح أو منافق بشكل واضح أو كافر بشكل واضح، صفوف علماء من هذه الطائفة، و صفوف داخل هذه الطائفة، و صفوف هنا و صفوف هناك، لم تتجل الأشياء؛ لأن ما قدم، لأن ما في داخلهم ليس من النوع الذي يجلي بشكل كامل.

مع أن الجميع يصبغون ما يقدمونه بصبغة إيمانية، فهو لا يرى نفسه بالتأكيد أنه مصيب، أو أنه مخطئ، أنه مؤمن أو أنه منافق، أنه محق أو أنه مبطل، أنه مهتد، أو أنه ضال؛ ولهذا وجدنا في الساحة أشياء كثيرة من الضلال وأصحابها يقدمونها على أنها من دين الله، ويتعبدون الله بأنهم يقدمونها لعباده.

لكن القرآن الكريم هو وحده - إذا ما حاولت أن تهتدي به - ستعرف نفسك من خلاله، كتاب عملي، تعرف نفسك من خلاله، وتعرف الآخرين أيضاً من خلاله، وتعرف الفنون الأخرى من خلاله، وتعرف الحياة كلها من خلاله، وتعرف إلهك بالشكل الذي يليق بك كعبد له أن تعرفه به، تتجلى لك الأمور، تتجلى لك المواقف.

فنحن عندما نتحدث عن معرفة الله سبحانه وتعالى نتناول أشياء كثيرة من خلال القرآن الكريم مما قد يرى البعض بأنها تدل على جهل أن نتناولها ونحن في إطار الحديث عن معرفة الله، من أجل أن نعرف كيف نتولاه فنكون من أوليائه بتوفيقه.

الحديث عن نعم الله سبحانه وتعالى مهم جداً، في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت كرم الله سبحانه وتعالى وإحسانه العظيم إلى عباده فيما أسبغ عليهم من النعم

الظاهرة والباطنة.

وتأتي لأكثر من هدف أو لأكثر من غاية، فدلّائل على قدرته سبحانه وتعالى، على حكمته، على رعايته، على حسن تدبيره، على عظم إحسانه إلى عباده ليحبوه ليعظموه ليجلّوه، ليخلق في نفوسهم ذلك الأثر الذي تجدد في نفسك أمام أي نعمة تسدي إليك من الآخرين.

هذه المشاعر مهمة جداً، عندما نستشعر عظم إحسان الله إلينا، عظم إنعامه علينا بنعم كثيرة جداً

نعمة الهداية، نعم مادية كثيرة، نعمة كبيرة فيما أعطانا من هذه الكيفية التي قال بأنها أحسن تقويم

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

تلك المشاعر التي تتركها هذه التأملات، نظرتك إليها، نظرتك إلى من أسداها إليك، تلك المشاعر مهمة جداً في ربطك بالله، في ثقتك بالله، في انطلاقك في طاعته، في ابتعادك عن معصيته، في خوفك منه، في إجلالك له، في حيائك منه، في حرصك على رضاه. فتصبح في حالة لست بحاجة إلى من يأتي يحل لك المسألة.

معرفته الواسعة التي تسيطر على كل مشاعرك، هي التي تدفعك، هي التي تجعلك تقر بعبوديتك لله سبحانه وتعالى، فلا تحتاج إلى من يأتي ليشعرك بأنه واجب عليك، وبأنك ملزم بكذا وكذا، أنت ترى أن المسألة فوق مجرد واجب وفوق مجرد الزام. أنت أصبحت تسير تلقائياً نحو الله سبحانه وتعالى، قلبك مليء بحبه، نفسك كلها سلمتها له.

معرفة العبودية لله من خلال نعمه

إذاً لا بد أن نعود إلى القرآن الكريم؛ لنعرف من خلاله أنفسنا كعبيد لله سبحانه وتعالى، لنعرف من خلاله المعرفة الواسعة لكمال الله سبحانه وتعالى، إلهنا، ربنا، سيدنا، مالكنا والمنعم علينا.

وحينئذٍ ستبدو، وسيبدو الحديث عن النعم في القرآن الكريم له أهمية كبيرة فيما يتعلق بنفسيتك، وفي تعاملك مع الله، وفي نظرتك نحو الله سبحانه وتعالى.

ما يدللك على أهمية هذا، أنه يقرن الحديث عن نعمه بإرشاد عباده إلى عبادته والأمر لهم بعبادته فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ألر يتحدث هنا عن كيف يرعانا؟ الأرض بالنسبة لنا فراش، السماء بالنسبة لنا سقف، فكان مجموع الأرض مع السماء بالنسبة لنا بناء نقيم فيه ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وهذا الماء ينزل بسهولة لا يكلفنا شيء لا نحتاج إلى مضخات، ولا نحتاج إلى شيء ينزل المطر، وفي دقائق معدودة ترى الأرض مملوءة بالماء في دقائق معدودة، هذا الماء هو الذي يرتبط به كل حاجات الإنسان.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وأنتم تعلمون بهذا أنه الذي خلق الأرض وخلق السماء، وأنه هو الذي ينزل الماء من السماء، وأن هذه الثمرات هو الذي أخرجها بما أنزل من الماء أليس للحديث عن نعم الله هنا علاقة بتوحيده؟

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في الدفع نحو عبادته؟ هو يقول: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في ترسيخ حالة التقوى في النفس؟
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

يبدو الحديث وكأنه حديث عاطفي، وفعلاً تلمس في القرآن الكريم هذا الجانب، هذا الشيء، أو هذا الأسلوب يأخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم، الحديث الذي يبدو حديثاً عاطفياً، استعطاف ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أليس هنا يذكرنا بما عمل لنا؟ أم أنه يقول: اعبدوا ربكم وإلا فسوف نحرقكم، هل قال تعالى هكذا؟ ممكن أن يقول هكذا؟ وهي حقيقة – إن لم تعبد ربك سيعذبك بعد أن يكون قد أرسل من يبلغك، من ينذكرك، من يعرفك بعبادتك له كيف تعبد له لكن لا هذا وإن كان شيئاً حقيقياً، وقد يبدو في بعض الآيات، لكن يأتي في مقام التهديد بعد أن يكون الإنسان قد عرف الكثير، وطرق مسامعه الكثير من الآيات التي تأتي على هذا الأسلوب الاستعطاف.

لذلك القرآن الكريم وكما ذكر بعض العلماء أنه استعطاف أي يخاطب وجدانك، يخاطبك أنت كإنسان ترعى الجميل، وتقدر الإحسان، وتشكر النعمة، وتعرف بالفضل لمن أسدى إليك النعمة ليشدك نحوه.

قد تعاتب ابنك لأنه لم يستمع لأوامرك فتقول له المرأبيك المرأدخلك الجامعة المرأزوجك المرأشترى لك سيارة، هذا لابنك بعبارات من هذا القبيل، استعطاف تذكره بما أسديت إليه، قد تقول أنت لشخص آخر في مقابلة شخص آخر أصبح له موقف غير طبيعي منه وأنت تعرف أياديه العظيمة عليه يا رجال تذكر، هو الذي أدى لك كذا وتعاون معك في كذا، ما ينبغي أن تتصرف معه هكذا، ما يليق بك أن تعامله بهذا الأسلوب وهو الذي كذا، وهو كذا إلى آخره.

أليس هذا استعطاف؟ أنت تخاطب وجدانه، وخطاب الوجدان، خطاب المشاعر

في أعماق النفس تترك أثرها الكبير؛ ولهذا وجه الله عباده إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١).

الكلمة الحسنة التي تبدر منك ترد بها إساءته، أنت هنا مخاطب وجدانه، هي تنفذ إلى أعماق وجدانه رغماً عنه، وتتجاوز مظاهر الغضب وحواجز الغضب والانفعال، فتقتحم هذه الحواجز وتغوص إلى أعماق وجدانه فتنعكس لتماماً كيانه كله عاطفة نحوك فيتحول إلى ولي حميم، بكلمة إحسان، بكلمة لينة.

كيفية لا تلين قلوبنا لمن يحسن إلينا هذا الإحسان الكثير والإحسان الكبير، إحسان بالكلمة وهو يهدينا، إحسان بالنعمة وهو يسبغها علينا لدرجة أن قال لنا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٢).

ليس هناك نعمة أنتم فيها، تتقبلون فيها في أجسادكم، وفي معيشتكم إلا وهي من الله يبدو هنا الأثر المهم لخطاب الوجدان واستعطاف المشاعر الداخلية، ما تترك من أثر من أجل ما تترك من أثر في كيان الإنسان وفي تصرفاته وفي توجهه، وفي نظره. فنحن بحاجة إلى أن نعرف الله سبحانه وتعالى في توحيدنا له كإله، أن نتعرف على كماله، نتعرف عليه سبحانه وتعالى، المعرفة العملية بالتركيز، كما نركز على توحيده نركز على التعرف على ما أسدى إلينا من نعم، وعلى تقييمها وتقديرها، أن تنشدد أنفسنا نحوه، أن تمتلئ قلوبنا بحبه، أن تمتلئ قلوبنا خشية منه.

وهكذا يأتينا القرآن الكريم وهو يتحدث: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾^(٣).

١. فصلت: ٣٤.

٢. النحل: من الآية ٥٣.

٣. إبراهيم: ٣٢-٣٣.

دائبن، باستمرار، ما تحتاج من قبلكم إلى أي وقود، ولا إلى أي شيء، ولا تتوقف ولا تنطفئ ﴿سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١).

هذا المنطق أيضاً حديث عن نعم الله تعالى، أليس كذلك؟ هو أيضاً من هذا القبيل: استعطف لعباده، واستعطافه لعباده هو تكريم في غاية التكريم للإنسان، مظهر من أعظم مظاهر رحمته لعباده، دليل من أعظم الأدلة على صحة الثقة به؛ لأن من ينعم عليك هذه النعم لا يمكن أن يورطك، لا يمكن أن يغشك، لا يمكن أن يكذب عليك، لا يمكن أن يتركك ويهملك وأنت تسير في طريقه، هي من أعظم الوسائل لتعزيز الثقة به.

ونحن نرى في الدنيا مع بعضنا بعض شخصاً تراه يهتم بك، يراك في حاجة يحاول يقدم لك مساعدته، يراك في موقف يبادر معك، يعيش همك، يشاركك في كل شئون حياتك.

أأنت أنت من تتجه إليه لينصحك؟ ألا يبدو لديك من أعظم الأشخاص وأعزهم؟ تبدو معه واثقاً به أعظم ثقة من أي شخص آخر؟ تكون عظيم الثقة، أأنت هنا يمتلئ قلبك حباً له وثقة به والثقة بالله مهمة جداً.

التكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

تجلي الثقة بالله واثارها في النفوس

تأتي المواقف الأخرى التي تعكس مدى ثقتك بالله، أو ضعف ثقتك به، المواقف الصعبة التي تبدو وكأنها صعبة عليك تطلب منك بذل مال، تطلب منك بذل جهد، تطلب منك بذل تعاون معين في مواقف قد تكون صعبة عليك نوعاً ما. فهو يرشدك إليها متى ما كنت عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى ستنتقل فيها. تقول: ما يمكن أن يورطني الله سبحانه أبداً، ولا يمكن أن يتخلى عني أبداً.

بل إننا نشق في الدنيا بأشخاص هم كثيري الإحسان إلينا بمجرد أن ينصحني نصيحة، وهو لا يعلم السر في السماوات والأرض، وهو أيضاً قد لا يكون معي فيصحبني وأنا أتحرك وفق نصيحته، بل قد لا يستطيع أن يعمل لي شيئاً في الأخير وأنا أتحرك حتى على نصيحته، ومن منطلق ثقتي به أنطلق على ما وجهني إليه.

أليس هذا ما يحصل في الدنيا؟ فكيف لا تكون عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى وهو من نعمه عظيمة عليك، وهو من يرشدك، ويقول: وأنا معك، وعندما يقول: [وأنا معك] هو من هو العزيز القهار، هو من هو صادق في وعده، هو من هو قادر على أن ينجز ما وعدك به. أليس هذا من يجب أن تكون ثقتك به أعظم من ثقتك بأي شيء في الدنيا حتى أعظم من ثقتك بنفسك.

خلق الثقة في النفس

أشياء كثيرة في القرآن الكريم، منها التوكل على الله تعالى قال الله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، ويقول أنبياء الله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾^(٢). لو تأمل الانسان بهذه الآيات العظيمة سيصبح الإنسان المؤمن بالله عظيم الثقة بالله؛ لأنه عرف الله على هذا النحو، عرف الله من خلال ما هداه إليه من معرفته في كتبه، وعلى السنة أنبيائه.

وليس من يقرؤون تلك الكتب التي تخلق جفاء فيما بينك وبين الله حتى تكون متسائلاً من أين وجب علينا أن نطيعه؟ ولماذا علينا ان نطيعه بهذه الكيفية ولماذا. هذه السائلات تجعل بيننا وبين الله تعالى فجوة كبيرة وتبعدنا عن الله تعالى. يتحدث الله تعالى عن تسخير العالم ب كله للإنسان، لنا نحن كأفراد، أفراد الإنسان، ولماذا سخر، هل سبحانه وتعالى مجبر على ذلك؛ ام انه يخافنا؟ أو من منطلق الرغبة في أن يكثر في ملكه؟ ليعتز بنا أو ليتتصر بنا على إله آخر؟! بالطبع لا انه سخر كل شي لنا رحمة بنا وعطفاً علينا.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(٣).

ونحن نرى كيف تكون حالتنا متى ما قلّت الأمطار، تجف النفوس، تغلظ الطباع حتى داخل الأسرة الواحدة، الجيوب نفسها والخزائن تتعطل وتجف، لدرجة أن تصبح أحدى لا يتحمل الآخر بمجرد كلمة.

تكثر الهموم، تدبل حتى الأبدان تهزل؛ لأنه لا يوجد تغذية، الكماليات، الأشياء

١. آل عمران: من الآية ١٢٢

٢. هود: من الآية ٥٦

٣. البقرة: من الآية ٢٢

الكثيرة من كماليات الحياة التي تبدو في مراحل معينة متى ما كان عند الناس الوفرة المالية الكافية، تبدو وكأنها ضرورية، ما عدا ذلك الشيء الضروري ويصبح هو نفسه ما زال يشكل عبئاً كبيراً عليك، متى ما حصل مرض تعتبر مصيبة تحتاج إلى أن تبحث عن يقرضك ثمن العلاج، وثمرن أشياء من هذه القبيل.

تقسو القلوب، بل أحياناً يصل الحال إلى أن يحصل جفاء فيما بين الناس مع بعضهم بعض فلا أحد يعطف على أحد وكل واحد همه أن يقبض ما تبقى لديه لحاجاته الضرورية ولا همَّ له بالآخرين.

أما عندما تأتي تكلمه في ظروف كهذه عن واجبات أخرى جهاد في سبيل الله، إنفاق في سبيل الله، وتعظه قد لا يلتفت إليك، ذهنه مشغول بحاجاته الخاصة، فترى كيف يؤثر الجفاف ونقص الأمطار يؤثر عليك في كل شيء حتى فيما يتعلق بأخلاقك ودينك، قد يؤثر حتى فيما يتعلق بكرامتك، قد ينطلق كثير من الأسر يتسولون. أليس كذلك؟ قد يصل بك الحال إلى أن تعطي سند بيع على مكان هو من أعز الأماكن لديك ومن أحسن ممتلكاتك التي ما تزال بحوزتك ألم يحصل كهذا؟

ثم انظر عندما يأتي المطر، وكم يبقى المطر؟ أحياناً عشرين دقيقة، خمسة عشر دقيقة، ثلاثين دقيقة، ساعة على الأكثر وترى خلال بضع الساعة هذه على منطقة واسعة كم يترك من الأثر، الناس يتطلعون من السطوح ومن نوافذ المنازل يفرحون بالعودة، وكما قال الله في آية أخرى قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَافاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١).

تتغير الأحوال وتتلطف المشاعر وتحسن الاخلاق، كلها من مطر في اقل من ساعة تساقط على الارض أليست هذه نعمة كبيرة؟ علينا التعرف على الله تعالى من خلالها.

لاحظ كرم الله ورحمة الله ينزل من السماء ماء فتستبشر وترى ان الزراعة في بلدك اعتدلت والخير أصبح وفيراً والاحوال تغيرت، ثم عنما يقول الله تعالى لك: أنفق في سبيله وما ستنفقه هو سيخلفه عليك، ولكن لم نعد نثق بالله، ومن أين هذا الذي في يدك إلا منه، ثم ما ستنفقه في سبيله هو سيعود على مصلحتك أنت، وعلى مصلحة العباد الذين مصلحتك جزء من مصلحتهم، ثم على الرغم من هذا يضاعف لك الأجر العظيم

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾^(١).

رحمة واسعة يعطينا شيئاً بسهولة ويطلب منا أقل القليل ويعدنا بأنه سيخلف علينا أكثر مما سنعطي ويعدنا بأنه سيعطينا الأجر العظيم عليه ويعدنا بأن ما أنفقناه في سبيله هو أيضاً في مصلحتنا نحن، أليست هذه من مظاهر رحمته الواسعة؟ إنه في الواقع حتى ولو لم يعط حسنة واحدة لكان الإنسان يحكم من باب المروءة والمعروف بأنه يجب عليه أن يعطي أكثر مما سأل الله في مجال طلب منه أن ينفق فيه، لو لم يعط بعدها ولا حسنة واحدة وحتى ولو لم يخلف بشيء، أما هو فقد وعد بأنه سيخلف عليك أكثر مما أعطيته. ثم من رحمته تعالى يكتب لك أجراً مضاعفاً على ما أعطيت.

أليس هذا تفضلاً؟ أليس هذا كرمًا؟ عندما نتأمل فعلاً الإنسان يخجل أمام الله لو تتأمل هذه الآيات بصدق، وتعرف من خلال حياتك الأزمات التي تمر بها عندما تقل الأمطار ثم تعرف من خلال هذه الآيات عظم نعمة الله عليك وعلى كثير من أمثالك من الناس كيف ستندفع إلى الخشية منه والحياء منه والتعظيم له والإجلال له والحب له، ولكن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٢).

ظلوم لا يقابل الإحسان بالإحسان، كفار لا يشكر نعمة ولا يقدر نعمة تأتيه من

١. البقرة: من الآية ٢٦١

٢. إبراهيم: من الآية ٣٤

إلهه.

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ، أَيْ وَلَقَدْ كَانُوا﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لُمْلِسِينَ﴿^(٣).

كانوا من قبل اجمين قلقين تصل الحال أحياناً إلى أن يعتقد الناس أنه ربما لن ينزل مطر فقد يبست حتى عروق النباتات.

فأحياناً في نفس اليوم وفي ساعة من آخر ساعات ذلك اليوم يأتي مطر غزير في لحظة واحدة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لُمْلِسِينَ﴾. متحسرين ما زالوا متحسرين متضررين ويائسين.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وهكذا يأتي الحديث عن نعمه، هداية للإنسان في أكثر من مجال بما فيها إظهار أن من يقدر على أن يحيي الأرض بعد موتها بقطرات الماء هو نفسه من يقدر على إحياء الإنسان بعد موته فتأتي هذه من الدلائل على إمكان البعث والحياة بعد الموت.

يقول تعالى أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٣).

ألم تعلموا؟ فما بالكم هكذا؟ كل واحد منكم ظلوم كفار؟ ما بالكم ليس في قلوبكم ذرة من خشية الله؟ ليس في نفوسكم ولا في ضمائركم تقدير لنعم الله وشكر هذه النعم؟ وتقدير له سبحانه وتعالى على ما وهبكم إياه؟

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾

تأتي عبارة ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ كثير في القرآن بمعنى (ألم تعلموا) وغالباً ما تكون في

١. الروم: ٤٨ - ٤٩

٢. الروم: ٥٠

٣. لقمان: من الآية ٢٠

الأشياء التي الكثير منها من المشاهدات ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾، يعني: أَلَمْ تَعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَرُونَ ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

أسبغ: أنعم نعماً كاملة، شاملة، وليس فقط يعطي القليل أو لا يعطي الحاجة إلا بتعب كبير ومحاولات كثيرة وتردد عليه حتى يعطيك هذا الشيء البسيط ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾، ما أنتم تلمسونها، وتعرفونها ونعم باطنة كثيرة.

قيمة التفكير في معرفة الله تعالى

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾^(١).

لاحظ كيف تأتي هذه العبارات في هذه الآيات مصدرة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾^(٣).

جميعاً، جميع ما في السموات وما في الأرض سخرها لكم

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

آيات لقوم يتفكرون فيعلمون من خلال تفكرهم عظم نعم الله سبحانه وتعالى عليهم فتلين قلوبهم له، تخشع قلوبهم له، يحبونه، يستحيون من أن يسيروا في

١. الجاثية: من الآية ١٢

٢. إبراهيم: من الآية ٣٢

٣. الجاثية: من الآية ١٢ - ١٣

٤. الجاثية: من الآية ١٣

معصيته، يتفكرون أيضاً فيما سخر لهم داخل هذا العالم؛ لتتوسع معرفتهم بالله سبحانه وتعالى؛ وليصلوا من خلال تفكيرهم ودراستهم لكل ظواهر هذه الحياة، وكل ما أودع في هذا العالم يتوصلون إلى معارف كثيرة في مجال العلوم فيبدعون ويخترعون ويصنعوا ويكتشفوا الأشياء الكثيرة.

وهذا فعلاً من الآيات التي ترشد المسلمين لو ساروا عليها وفهموا ماذا تعني في قوله تعالى: ﴿لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
ألم يتحدث بعد قوله:
﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾؟

الأوروبيون والأمريكيون واليابانيون وغيرهم الذين هم من يبدعون ويخترعون ويصنعون من أين جاءت هذه الأشياء؟ أليست من خلال التفكير في ظواهر هذا الكون ودراستها؟ دراسة وتجارب وتفكر داخلها حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، لكننا نحن ضُربنا من قبل الآخرين الذين حولوا كل عبارات التفكير هنا إلى المجال العقائدي فقط، الذي هو فقط يتلخص في الأخير إلى إصدار أحكام.

والذين حولوا هذه العبارات ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ إلى أن معناها ينظرون فأخذوا منها إضفاء الشرعية على النظر وأنه هو الواجب في ميدان التشريع وتركوا ميدان الحياة. فما الذي حصل؟ لا نفوس صلحت، ولا الأمة بقيت متوحدة، كل ينظر في أصول الدين وفي فروعه فتطلع العقائد المتعددة، وتطلع الأفكار الشاذة، وتطلع العبارات القليلة الحياء مع الله سبحانه وتعالى، وفي ميدان التشريع، في مجال الأحكام الشرعية تطلع الأحكام المتعددة، والمذاهب المتعددة والأقوال المتعددة، فنرى أنفسنا أمة متفرقة ممزقة، ونرى ما بين أيدينا من ركام الأقوال لا يقدم ولا يؤخر، نرى أنفسنا في مثل هذا العصر منحطين في أسفل درك في عالم الصناعة، في عالم الاختراع، في عالم الإبداع، فنصبح نحن المسلمون جاهلين حتى باستخدام الآليات التي ينتجها الآخرون فنرى أنفسنا في الأخير كيف خضعنا لهم بل كيف انبهرنا بهم، بل كيف تنكرنا لديننا وحملناه مسؤولية تخلفنا.

والواقع نحن الذين ظلمنا ديننا من البداية، نحن لم ننطلق على هداه فظلمناه في البداية، وظلمنا أنفسنا حتى عندما رأينا الآثار السيئة للمسيرة المغلوطة التي سرنا عليها نأتي من جديد لنحمّل ديننا المسؤولية، نأتي من جديد لنقبل ما يقول الآخرون في ديننا: [دين متخلف] [أفيون الشعوب] لازم أن تلحقوا بركاب الحضارة الغربية، ونلحق بركاب الآخرين، فنستشف بثقافتهم، القرآن لم يعطنا شيئاً، الدين لم يعطنا شيئاً، فلننطلق وراء الآخرين.

فأصبحنا فعلاً، هيئاًنا أنفسنا، وهيئاًنا أولئك الذين صرفوا الآيات هذه إلى المجال الذي ليس من مسؤوليتهم، إلى المجال الذي قد تكفل الله به ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(١).
قد تكفل به ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢).

تكفل هو بأن يعرفنا بنفسه أن يعرفنا بكماله من خلال كتبه وأنبيائه، تكفل هو بأن يشرع لنا من خلال كتبه وأنبيائه وورثة كتبه.

إذاً هذا الميدان مضمون، انطلق أنت في ميادين الحياة على وفق ما يرشدك إليه هذا الدين، عندما تنكرنا لديننا أصبحنا فعلاً بيئة صالحة لتقبل الدعايات ضد الدين، بل أصبح الواحد منا يرى نفسه متحضراً بمقدار ما يتحلل من قيم دينه، بمقدار ما يتنكر لدينه وإلهه، فالقرآن لا شيء؛ ولهذا أصبح في المجتمع الإسلامي علمانيون كثير، علمانيون يتنكرون للدين، ويسخرون حتى من المرأة عندما تلبس الحجاب الإسلامي ويرون فيه مظهراً للتخلف. نقول لهم: لا تحمّلوا الدين المسؤولية، حملوا أولئك الذين نقلوا لكم الدين بشكل مغلوط، ارجعوا إلى القرآن أنتم.

والآخرون الذين أنتم منبهرون بهم هم من شهدوا لهذا القرآن، هم من تجلّى على أيديهم من خلال ما أبدعوا إعجاز هذا القرآن. ارجعوا أنتم إلى أولئك الذين قدموا لكم الدين بشكل مغلوط، وشغلوا تفكيرهم في المجال الذي قد ضمن لهم،

١. الليل: ١٢

٢. الأنعام: من الآية ٥٧

وصرفوه عن المجال الذي أريد أن يتحركوا فيه، أريد لهم من خلال دينهم هو أن يتحركوا فيه، ارجعوا إليهم فتذكروا لما قدموه لكم، وعودوا إلى القرآن من جديد لتعرفوا كيف أن القرآن كان باستطاعتنا لو مشينا على هديه، وعلى إرشاده أن نكون نحن الأمة السبّاقة حتى في مجال التصنيع، والاختراع، والإبداع في مختلف الفنون.

﴿لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ﴾، يعني ينظرون! ينظر في ماذا؟ ينظر في مجال معرفة الله، هذا مُحَدَّث وَلَكُلِّ مُحَدَّث مُحَدَّث، إذاً فله مُحَدَّث؟!، كلمة مفروغ منها، تعرفها حتى الحيوانات، والنتيجة ما هي؟ النتيجة فقط إصدار حكم، فأصدرنا حكماً بأن الفاعل لهذا الفعل المحكم يسمى حكيماً، فقلنا: حكيم، أليس هذا إصدار حكم؟ حتى لم نحصل على أثر وجداني للمعرفة، وتحصل معرفة بسيطة جداً، ونحو هذه المعرفة المحدودة في واقعها، وعديمة الأثر فيما تتركه في النفوس، يسخر كل آيات التفكير والنظر نحوها، بينما كان ستحصل المعرفة الواسعة من خلال القرآن وهو يرشدنا في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى أن كل شيء في هذا العالم يتحرك بالشهادة على كمال الله، وهو يرشدنا إلى كيف نتفكر فيما سخره لنا.

الأكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

القرآن الكريم ورفع الهمم

أن القرآن الكريم عمل على أن يدفع بالمسلمين نحو أن يسبقوا الأمم الأخرى في مجال الإبداع والاختراع والتصنيع من منطلق عقائدي، ودافع عقائدي قبل دافع الحاجة التي انطلق على أساسها الغربيون، الحاجة والفضول هذا شيء، لكن القرآن أراد أن ننطلق فيما نفهم، أن ننطلق باعتبار هذا عبادة، بدافع عبادي (تفكروا) (يتفكرون). والتفكر ما هو؟ دراسة الأشياء، فهمها، متى ما فهمنا هذه العناصر في هذه الأرض فبطابع الفضول الموجود لدى الإنسان سنحاول أن نجرب كيف سيكون إذا أضفنا هذا إلى هذا، بعد أن عرفنا طبيعة هذا العنصر وغيره، وكيف إذا أضفنا هذا العنصر بتركيبه كيميائية معينة تحصل لنا نتائج متغايرة كل ما غيرنا بالنسب.

بل سعة حياة الإنسان وسعة حاجاته أيضاً ستعمل الحاجة ستضيف أيضاً أثرها في الموضوع فيتجلى الكثير من الأشياء التي تفيد في المجالين: تفيد في معرفتنا بالله سبحانه وتعالى معرفة متجددة واسعة، فنحن في كل فترة وفي كل لحظة يتجلى على أيدينا شواهد كثيرة جداً جداً تعمق في أنفسنا المعرفة الواسعة بحكمة الله وعلمه وألوهيته وتدبيره ووحدانيته وكماله فنزداد خشية ونزداد معرفة فيما ننتج في واقع الحياة.

وبهذا الفهم ستعمر الحياة حينئذٍ على أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان، وفي المجال الذي يخدم الإنسان حقيقة، تعمر بأصلاح النفوس وهي تزداد خشية من الله، وهي تعمق فيها معرفته من خلال ما تكتشفه حيناً بعد حين وهي تنطلق بعد

قوله: ﴿لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ﴾، برجال يتفكرون، عبارة (قوم) هنا تعطي معنى لمن هم جديرون، لمن هم رجال يتفكرون، وليس للناس الذين ينصرفون ببساطة عن هذه الأشياء فيرون هذه الآيات لا قيمة لها، فتعمر النفوس بالصلاح والتقوى ثم تعمّر الحياة؛ لأن نفس الإنسان هي الأساس في أن يتجه عمله في واقع الحياة بالشكل الذي يكون صلاحاً، بالشكل الذي يكون عمارة للحياة، بما يصلح الحياة هذه على أسس صلاح.

حتى في مجال البيئة ربما كان باستطاعة المسلمين أن يتوصلوا إلى أكثر مما توصل إليه الغربيون فينتجوا الأشياء الكثيرة التي هي نفسها لا تؤثر على البيئة، أو لو كان فيها ما يؤثر على البيئة لدفعهم تقواهم وصلاحهم وخشيتهم من الله إلى أن يحترموا هذا الإنسان فيحاولوا أن يعدلوا إلى المواد الأخرى التي هي أكبر حفاظاً على سلامة البيئة وإن كانت التي تلوث البيئة أقل تكلفة؛ لأنه هنا سيقال إنني في مقام مسئولية لا أريد أن أضرب بعباد الله.

ولكن ما الذي حصل على أيدي الغربيين؟ أليسوا هم من لوثوا البيئة؟ أليسوا هم من يحدثنا بأن البيئة قد تلوثت بشكل رهيب على أيدي من؟ على أيديهم هم؛ لأنهم انطلقوا عندما هم اخترعوا فسبقونا فأصبحوا هم القوم الذين يتفكرون، لكن نفوسهم لم تكن صالحة، فما الذي حصل؟ لوثوا البيئة، ولم يراعوا حرمة الإنسان، ولم يحافظوا على سلامة الإنسان، المهم هو أن ينتج بأقل تكلفة فتأتي النفايات النووية وتأتي نفايات أخرى كثيرة جداً فيتحدثون عنها وهي تهدد العالم.

لكن ماذا كان سيحصل لو أن من بأيديهم هذه الأشياء هذه الآليات ومن هم سادة الإنتاج لو كانوا مؤمنين لكانوا يراعون سلامة الإنسان والحفاظ على البيئة فيعدلون إلى الأشياء التي فيها سلامة البيئة وإن كانت أكثر تكلفة.

التقوى تقود للحفاظ على البيئة

تجد الله سبحانه وتعالى كيف أنه فيما خلقه وفيما صنعه كيف كانت سنن هذه الحياة كلها قائمة على الحفاظ على البيئة، ترى مثلاً مخلفات الحيوانات أليست هي مما يساعد على تخصيب التربة؟ تتلاشى تلقائياً ثم تتحول من جديد إلى فوائد للتربة، لكن حاول أن تغير زيت سيارة عند مزرعة ما الذي سيحصل؟ تسكب هناك الزيوت أليست نفايات السيارات ستترك أثرها فتحرق المزرعة وتتلفها؟ لأن المؤمنين حينها سينطلقون ليتخلقوا بأخلاق الله سبحانه وتعالى فيكونون حريصين على أن يحافظوا على البيئة فهم من كان سيعمر الحياة ويعمر النفوس ويتجلى على أيديهم المعرفة الواسعة لله تعالى، فما الذي حصل؟

عندما أصبح الإنتاج بأيدي الآخرين وكان الآخرون هم المبدعون وهم المخترعون وهم من طوروا علوم الصناعات وطوروا الصناعات وغيرها، ما الذي حصل؟ جاء اليهود ليستخدموا الثورة الصناعية فاستغلوها في الجانب الثقافي أن يقدموا للمسلمين بأن عليكم أن تتخلوا عن دينكم حتى تكونوا كمثلنا فتلحقوا بركابنا، استغلوها أيضاً في الجانب الاقتصادي فملأوا الدنيا ربا، استغلوا الاقتصاد السياسي في الهيمنة على الشعوب واستنزاف ثرواتها.

أليس اليهود هم الذين استفادوا من الثورة الصناعية؟ أليسوا هم من مسخ وجه العالم؟ لو كان المؤمنون هم من سبقوا لقدم العالم بشكل آخر، لكن مشكلتهم أنهم تخلّوا عن أول رجل بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يقول: «إن هاهنا لعلماً جماً لو أجد له حملة» من كان يقول: «علمني رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألف باب من العلم كل باب يفتح ألف باب» من كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني» وتولوا آخرون؛ لأن ذلك يتركع ألف سجدة، أو لأنه يقرأ القرآن في سجدة، أو أنه اشترى للنبي جملاً وهو يهاجر، أو عبارات من هذه.

وهل هذا هو ما كان يهم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هو مراعاة للجَمَل الذي شرّاه أبو بكر أن يقلده قيادة الأمة هذه؟ وهي هذه الأمة التي أراد القرآن أن تكون على هذا النحو، ما هو العلم الذي يحمله حتى يمكن أن يكون جديراً بقيادة الأمة؟

الأمة ضاعت من أول يوم بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهكذا تعززت عوامل الضياع، تعززت على طريق ما قدمه الآخرون لنا من ثقافات مغلوطة تحول الآيات القرآنية إلى غير المجال أو تحول توجهنا نحن من خلال تأويل الآيات القرآنية إلى غير ما يراد منا في واقع الحياة.

لو كانت المسألة هي فقط أن نعرف الخلاصة التي قالوا من أجلها عرفنا من خلال المحدثات أن هناك محدثاً وأن هناك صانعاً، لو انطلقنا هذا المنطلق لكان يكفي الناس واحد من ألف أو أقل من هذه النسبة مما في هذا العالم من أصناف؛ لأن شجرة واحدة ممكن أن تقوم بهذه المهمة، شجرة واحدة محدثة أليس لها محدث؟ طيب هذه الشجرة نراها ورقها وسيقانها وزهورها وثمرها محكمة، أليست تدل على أن هناك قادراً وحكيماً؟ تقضي على أن فاعلها عالم، وتدل على أنه حي؟ شجرة واحدة أمكن أن تقوم بالمهمة التي انشغل حولها [المعتزلة] والأصناف الهائلة هذه هل كلها من أجل تحصيل العقائد الصحيحة كما يقولون على النحو الذي قدموه لنا، الذي كان يكفي لها شجرة واحدة أو نعجة واحدة أو حيوان واحد من أي صنف كان.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾^(١).

من هم سادة البحار الآن؟ اليهود والنصارى!!!

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، تجارة، من هم سادة التجارة الآن؟ أليسوا هم الغربيون؟

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

١. الجاثية: من الآية ١٢

٢. البقرة: من الآية ١٨٥

فعلاً لو كان المؤمنون هم من انطلقوا فأصبحوا سادة هذه الأشياء، هم بإيمانهم سيزدادون خشية، ثم يكونون أكثر شكراً لله، فتكون هي من بواعث الشكر، إذاً فنعرف الزهد الذي يعني ترك هذه في البر والبحر، الزهد الذي يعطل هذه الأشياء التي تعتبر مهمة في خلق مشاعر داخلية في نفس الإنسان، هي شكر الله سبحانه وتعالى، وإجلال وتعظيم لله، هل يمكن أن يكون هذا الزهد الذي يقدم هو من دين الله؟ وهو هنا يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

غاية من غاياتها أنها يمكن أن تشكل عاملاً مهماً جداً في مجال خلق مشاعر شكر وإجلال وتعظيم من قبلنا نحو الله سبحانه وتعالى.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

إذا تأمل الإنسان سيرى ما أكثر الأصناف، أصناف النباتات، أصناف الحيوانات، أصناف التربة، أصناف الصخور، أصناف متعددة من كل جنس متعدد، أصناف المعادن سخرها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

فهي تهديه إلى كيف ينتج، وكيف يصنع، وهي تهديه إلى كيف يزداد خشية من الله، ومعرفة تزيده خشية من الله فينطلق إنساناً صالحاً شاكراً يعمر الحياة على أرقى ما يمكن أن تصل إليه بالصلاح، وعلى أساس التقوى والشكر والعبادة لله سبحانه وتعالى.

ثم لاحظ القوم الذين تفكروا ألم يكتشفوا أن في أعماق الأرض وعلى بعد مئات الأمتار ما حرك العالم كله، ما حرك ظاهر العالم كله وهو البترول؟ الله قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

١. الجاثية: من الآية ١٣

وما في الأرض، فما كان هناك حتى في أعماق الأرض هو مسخر للإنسان. ولاحظ إذا اكتشفنا فعلاً بأن هناك في أعماق الأرض وعلى بعد مئات الأمتار ما أكد القرآن بأنه مسخر لنا، هل معنى مسخر لنا على النحو الذي يقول الآخرون؟ لنعرف من خلاله عندما نشاهده عقيدة صحيحة، نعرف الله سبحانه وتعالى؟ أليس في باطن الأرض مئات السنين آلاف السنين وهو ما يزال في باطن الأرض؟ فما معنى تسخير الإنسان؟ وما معنى أن يسخر له؟ إلا ليتفكر؛ ليتفكر فيصل إليه وعندما يصل إليه ترى كيف سيصنع الحياة فيحرك ظاهر العالم، ما الذي حرك ظاهر العالم؟ ما الذي حرك المصانع وحرك الآليات؟ أليس هو البترول؟ البترول أليس في أعماق الأرض؟

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾

نحن نفهم قيمة التسخير أنه فعلاً بنظرة واحدة الشمس سخرها لنا من أجل أن نتدفأ فيها، من أجل ألا يكون هناك برد، هذه واحدة مما تعطيه الشمس، الماء نشربه، ونقول: لك الحمد يا الله، ثم نفهم أن كل شيء هو على هذا النحو، نعرف من خلاله ما يفيدنا تلقائياً، فكأنه هذا كل ما يعطيه، هو ما يمكن أن نستفيد منه استفادة أولية.

لكن لماذا لا نفهم من قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أليست [في] تعني ما كان في ظاهرها وفي باطنها؟ أن التفكير هو يرشد إلى أن الإنسان المؤمن مطلوب منه اعتقادياً ودينياً أن ينطلق في أعماق هذا الكون، وهو يتفكر وسيصل إلى أعماق الكون وبعد مئات الأمتار وسيرى أن هناك شيئاً مسخر له.

فنحن عندما لم نتفكر جهلنا كل شيء، ثم رأينا من تفكروا كيف غاصوا إلى أعماق الكون، وكيف حركوا ظاهره، كيف حركوا المصانع، وحركوا المركبات، وأصبحنا نحن من تنزل القرآن علينا وبلغتنا متعلقين معهم فقط، ركاب في البر والبحر وفي الجو. ألسنا في جهالة؟

لنعرف من خلال هذا كيف يمكن أن يكون الأثر السيئ للأخطاء الثقافية، وقد

تضرب أمة بأكملها وتجعلها تحت الأقدام وهي أمة كان يراد لها أن تكون فوق هامات العالم، ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).

الثقافة المغلوطة تؤدي الى التخلف

والمعتزلة هم من كانوا يرون أنفسهم علماء أجلاء إلى درجة أنهم - كما يحكي الشرفي في شرح الأساس - أنهم كان البعض منهم يسخرون بأئمة أهل البيت (عليه السلام) فينظرون إليهم نظرة بأنهم بسطاء وتفكيرهم بسيط ومتخلفين ثقافياً، يرون أنفسهم هناك مثقفين ثقافة رفيعة، هذه آثار ثقافتهم، آثار ثقافتهم المغلوطة.

المعتزلة، الأشعرية، العقائد الباطلة من هنا وهناك، وعندما ساد الناس أيضاً حكام جاهلون، هم أن يبحث عن العالم الذي يدجن المجتمع له دينياً، فيتوارث خليفة بعد خليفة، وملك بعد ملك، ورئيس بعد رئيس، على أكتاف هذه الأمة وهي تعيش في ظلام الجهل والتخلف.

ثم المأساة تأتي في الأخير أن نأتي نحن ننتكر لديننا فنعتقد أنه هو المسؤول، ثم نكون ضحية لتضليل اليهود نقبل قولهم: أن الدين هو الذي ضربنا، ألم تكن كثير من البلدان الإسلامية دخلت إليها الاشتراكية تكفر بالله؟ وقيل لها بأن الدين هو تخلف، وأن الدين هو [أفيون الشعوب]، ألم يصبح كثير في أوساط المسلمين علمانيين؟ كثير من المسلمين علمانيين ينتكر للدين ب كله ولا شأن للدين بالحياة.

نظرة صحيحة عندما ننظر إلى الدين على أساس ما قدمه إليه الآخرون من العلماء، العلماء الذين اعتبرهم علماء المسلمين قدموا الإسلام على هذا النحو فعلاً

١. آل عمران: من الآية ١١٠

هذا التقديم يخلق هذه النظرة أن هذا الدين لا يصلح لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا ثقافياً، وأنه يحول بين الأمة وبين أن تنهض فعلاً على قدميها، وبين أن تصبح أمة قادرة على أن تبدع، وتخترع وتنتج، لكن ظلمنا الدين نفسه؛ ولهذا كان الإمام الحسيني عليه السلام يقول: إن الثقلين ظلما، قال: الأمة ظلمت الثقلين: يعني القرآن والعتره.

ظلموهم من أول الزمان، من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وعلى طول التاريخ، وظلموهم في هذا الزمن أن تنكروا لهم وأصبح الحديث عن العودة إليهم تخلفاً.

أولئك الحكام الذين حكموا الأمة على طول تاريخهم هم المتخلفون، هم الذين أوروها التخلف، أولئك العلماء الجهلة الكثير منهم من حرفوا ثقافة الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون هم من ضرب الأمة، هم من ظلم الأمة، هم من جهّل الأمة، وليس فقط الثقلين: القرآن والعتره.

بل نحن من نتمسك بأهل البيت عليهم السلام هم أنفسهم عانوا من هذا، من قبل المعتزلة، من قبل الطوائف الأخرى، عانينا من تأثروا في داخلنا بهم فعلاً، فأصبحنا نحن شركاء في ظلم الثقلين: الكتاب والعتره، فأصبحنا كلنا قوم لا نتفكر إلا حيث لا يطلب منا أن نتفكر على النحو الذي نفهم معنى التفكير والنظر، سلطنا التفكير والنظر في مجال معرفة الله على النحو القاصر - كما كررت - وفي مجال التشريع، أو في مجال الهداية الكاملة وهي التي قد تكفل الله بها ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). فيقول لك: هذه الآية تدل على وجوب النظر. فأصبح النظر واجباً عقلاً وشرعاً على النحو الذي يقدمونه هم.

فلذلك عندما نظرنا إلى الحياة، إلى الدنيا عن طريق أصحاب كتب الترغيب

١. الجاثية: من الآية ١٣

والترهيب ومعظمهم أيضاً من الكتب السنية، نظرنا إلى الدنيا هذه بأكملها، هذه الدنيا التي يتحدث الله عنها، ويذكر بأنها نعمة عظيمة علينا بأنها لا تساوي جناح بعوضة، وأنها ليست بشيء، وعلى الإنسان أن ينصرف عنها، وإذا كان سيطلبها فليطلب فقط القوت الضروري منها، والكفاية فقط منها وينطلق، فيتركها الناس، ويرفضها الناس، فهذا هو التدين.

عزز الفكرة مرشدون داخل مساجدنا يسرون في هذا الاتجاه، وكتاب وهم يكتبون في أشرف علومنا يسرون في هذا الاتجاه، ومفسرون أيضاً يسرون في هذا الاتجاه، وهكذا تراكمت الأشياء فأصبحنا نحن أبناء هذا العصر الضحية، وليس فقط هذا الجيل بل أجيال نحو ما لا يقل عن أربعمئة سنة، اعتبرها أربعمئة سنة على أقل تقدير هي الحالة التي ظهرت فيها النتائج السيئة لكل الأشياء التي سبقت.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾^(١).

الله الذي يستلطفنا بما يحدثنا به من نعمه، والتي يذكرنا بقيمة نعمه. كيف يتمنن علينا بما لا قيمة له عنده؟! إذا كانت الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة إذاً فلا قيمة لما يتمنن به علينا، إذا كان يعطي ما لا قيمة له عنده، ما لا قيمة له لديه، ولا نعني بالقيمة أنها مسألة حاجة وفعلاً هو ليس محتاجاً لكن الحكيم ينظر إلى الأشياء المهمة ذات قيمة فيما تعطيه، فإذا كانت هذه الأشياء كلها لا قيمة لها لديه فلا حاجة لشكرها، ولا حاجة للتمنين بها علينا، لماذا يتمنن علينا بما لا قيمة لها عنده؟

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٢).

وهذه الآية تتحدث عن أهمية ما أعطى، عن أن نتذكر فضل وعظم ما أعطى، وما

١. غافر: من الآية ٦١

٢. الفرقان: من الآية ٢

أَسْبَغَ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١).

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

لاحظ كيف يربط بين الحديث عن نعمه وبين وحدانيته، وبين توحيده وعبادته

﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

الْكَبِيرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. غافر: ٦١.

٢. غافر: ٦٢.

٣. غافر: ٦٣ - ٦٥.

أسئلة منهجية شاملة

١. ما هي الدلائل التي يقدمها القرآن الكريم على وجود الله؟
٢. كيف تؤثر نظرة الإنسان إلى الكون في تعزيز معرفته بالله؟
٣. ما العلاقة بين التفكير في خلق الله وبين الإيمان الحقيقي؟
٤. كيف تناول الفصل خطر الانفصال عن ثقافة القرآن؟
٥. ما أسباب ضياع البصيرة الإيمانية في المجتمعات الإسلامية كما ورد في النص؟
٦. كيف يعالج القرآن العلاقة بين الإنسان والبيئة المحيطة به؟
٧. ما دور العلم في الوصول إلى معرفة الله؟
٨. كيف يكون تسخير الكون دليلاً على رحمة الله؟
٩. لماذا اعتبر المؤلف أن النعم الدنيوية وسيلة للاختبار؟
١٠. ما هو أثر الشكر الحقيقي على استمرار النعمة؟



الفصل الثالث

نعم الله

الدرس

التاسع

مقدمة

الكلام حول موضوع نعم الله العظيمة على الإنسان قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

هناك عدة آيات من كتاب الله الكريم تتحدث عن نعم الله الواسعة، التي تشمل كل شيء يتقلب فيه الإنسان في هذه الدنيا، تشمل كل ما يشاهده في هذه الدنيا؛ لأن الله سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض، فتسخيره سبحانه وتعالى للإنسان ما في السماوات وما في الأرض هو من نعمه العظيمة أيضاً.

عرفنا علاقة التذكير بالنعم بمعرفة الله وتأثيرها الكبير في خلق معرفة واسعة لدى الإنسان بربه، وتأثيرها العظيم في وجدانه، بحيث ينشد إلى إلهه فيحبه ويعظمه، ويشعر بعظيم إحسانه عليه فيشكره. ونلاحظ أن من العجيب أن الله سبحانه وتعالى

١. غافر: ٦٥.

- وهو أكرم الأكرمين - هو من ذكّر الإنسان في القرآن الكريم بنعمه الواسعة عليه، وتمنن عليه بما أسبغ عليه من نعمه، وطلب منه أن يذكرها ويتذكرها كنعم منه تعالى عليه.

ذكر نعم الله تجلي القلوب

في الوقت الذي نجد أن ذكر نعم الإنسان على غيره غير مسموح بها ومكروه فعلها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١).

الإنسان الذي يعطي إنساناً آخر لا يجوز له أن يمنّ عليه بما أعطى فيظل دائماً يذكره بأنني فعلت لك كذا، وأنا أعطيتك كذا، وأنا عملت لك كذا، هذا يبطل أجر الصدقة، بل يتحول الموضوع إلى معصية. فلماذا؟ ما هو الفارق؟

الله يتمن علينا بنعمه، ويعددها علينا، ويذكرنا بها، ويطلب منا أن نتذكر ما أنعم علينا به، وفيما بيننا إذا ما أعطى أحداً واحداً لا يجوز له أن يمنّ عليه بما أعطى، ولا أن يعدد نعمه عليه، ولا أنا فعلت لك كذا، وكذا.. إلى آخره؟ الفارق كبير جداً.

النعم التي يسديها الله سبحانه وتعالى للإنسان لها علاقة كبيرة بمجالات متعددة: فهي من جهة من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، وهي من جهة أخرى من مظاهر حكمة الله تعالى، وهي من جهة أخرى من مظاهر رحمته تعالى، وهي أيضاً من دلائل رعايته تعالى للإنسان، وهي في نفس الوقت من مفردات هذا العالم الذي يتقلب فيه الإنسان، هذا العالم الذي استخلف الله الإنسان فيه فجعله خليفة له في هذه الأرض.

نعمه تعالى هي نفسها الآليات التي بها تطيع، والتي بها - أيضاً - تعصي، فهي ذات

١. البقرة: من الآية ٢٦٤

علاقة كبيرة جداً بدور الإنسان في هذه الدنيا كخليفة لله في أرضه؛ باعتبارها مفردات هذا العالم.

فهنا تبدو قضية مهمة جداً بالغة الأهمية، أن يتذكر الإنسان أن ما هو فيه هو نعمة من ربه، أن يتذكر بأنها من نعمة الله عليه، أن يتذكر الناس بأن ما هم يتقبلون فيه هو نعمة من الله عليهم، هذه لها أثرها المهم، ومتى ما غاب هذا الشعور، تظهر سلبيات خطيرة جداً عليهم.

فمثلاً حينما نتذكر بأن الله هو الذي أعطاك سمعك، أعطاك بصرك، أعطاك حواسك كلها، منحك صحتك، وأنت تعرف أن هذه هي الآليات التي بها تطيع الله، وقد تتصرف بها تصرفاً خاطئاً فتعصي بها الله الذي منحك إياها وكرمك بها، وتفضل عليك بها.

تذكر أن بصرك هو نعمة من الله كبيرة؛ ولهذا من منا مستعد أن يبيع إحدى عينيه بمليون دولار؟ هل أحد يرضى؟ لا أحد يرضى حتى ولو لم يكن يملك عشاء ليلة واحدة. فهذه الأعين وسيلة الإبصار المهمة بها تشاهد مظاهر قدرة الله، مظاهر حكمة الله، مظاهر رعاية الله، تشاهد بها الأشياء الكثيرة التي تعمق إيمانك، وتوسع معرفتك، تشاهد الأشياء الكثيرة المرتبطة بشئون حياتك، بها تستطيع أن تتقلب في حياتك في مختلف الأعمال لتوفر لنفسك كل متطلبات الحياة.

البصر مهم جداً جداً، إذا فقد الإنسان بصره عاش مسجوناً في هذه الدنيا كأنه سجين. تذكر دائماً بأن بصرك نعمة عظيمة من الله عليك، إذا فاستح من الله، استح من الله أن تعصي ربك بالنعمة نفسها التي تفضل عليك بها، وأنت تعلم أنك في أمس الحاجة إليها، استح منه أن تقلبها فيما حرم الله عليك من النظر المريب إلى النساء، من النظر إلى كل ما حرم الله النظر إليه، ثم هكذا بالنسبة لسمعك، ثم هكذا بالنسبة لحواسك، ثم هكذا بالنسبة لمالك.

إذا فالمال من الذي منحك إياه؟ من الذي تفضل عليك به؟ من الذي خلق التربة

وجعل فيها هذه الخواص القابلة للإنبات؟ من الذي خلق هذه الأشجار التي نجني من ورائها مبالغ كبيرة من الأموال؟ نوفر بها كثيراً من متطلبات حياتنا، من الذي منحها؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟

فعلينا ان نستحي من الله في صرف دينار واحداً في معصية من معاصيه، هذا كفر بنعمة الله، نعمته العظيمة التي أنعم بها عليك فجعلك منشرح الصدر بها، قرير العين بها، مطمئن النفس بها، هذه النعمة العظيمة هي التي أضفت على روحك هذا الاطمئنان والشعور بالسكينة، فاستح من الله أن تصرف أي شيء في الباطل، استح من الله أن تصرف أي شيء في موقف تتحرك فيه من مواقف الباطل، استح من إلهك الذي منحك هذه المبالغ الكبيرة، وهي كلها نعمة لا تستطيع أنت أن تقول: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١).

لذلك فأن الانفاق في سبيله هو جزء من شكر لهذه النعم العظيمة.

الكفر بالنعمة

لو نتأمل موقفنا من الله مع عظيم إنعامه علينا لوجدنا كيف نحن جديرين بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٢). بهذه الصيغة: كَفَّارٌ

يكفر بالنعمة، ما يرعى الجميل، ولا يقدر الإحسان، ولا يشكر النعمة، يعطيه مليون ويقول له: أخرج منها خمسة آلاف دينار في سبيل الله. يقول: الله كريم، ليس معي شيء حالياً، لا أريد أن أصرف أموالي في هذه الامور، اوفي طباعة كتب، ومدرسين وطلاب!! وعبارات من هذه القايل.

لسانك الذي وهبك الله وأنت تستطيع أن تعبر عما في نفسك، تتكلم وتنطق، انظر إلى الآخرين الذين لا يستطيعون أن يتحدثوا كيف تلمس بأنك في نعمة عظيمة، أنك تتمكن من أن تنطق، هذه النعمة العظيمة استح من الله سبحانه وتعالى

١. النحل: من الآية ٥٣.

٢. إبراهيم: من الآية ٣٤.

أن تستخدمها في القول بالباطل.

من علمك البيان بواسطة النطق أن تعرب عما في نفسك، وأن تتحدث كما تريد مع الآخرين، هذه نعمة عظيمة، أليست نعمة عظيمة؟ بلى، لا شك فيها، إذاً تذكر بأنها نعمة عظيمة عليك من الله سبحانه وتعالى فاستح من الله أن تكذب.

المسألة هي تفرض علينا أكثر من مجرد أن نخاف من الله، أن نمتنع لمجرد الخوف، هذا هو عند من لا يعقل، المفروض أنه من البداية من باب الحياء من الله، وشكر نعمته، أستحي منه تقديرًا للنعمة التي وهبني، وشعورًا بعظيم إحسانه علي بهذه النعمة، لا أستخدمها فيما يغضبه، لا أستخدمها في الباطل، فلا تكذب، لا تغتاب، لا تسخر من الآخرين، لا تكن هُمَازًا لِمَازًا، لا تكن ممن يشهد زورًا، لا تحلف بالله أيمانًا فاجرة، لا تؤيد باطلاً، لاحظوا ما أكثر ما يمكن أن يستخدم الإنسان نعم الله في مجال معصيته؛ لأنه ظلوم كفار.

أنت عندما تحلف يمينًا فاجرة تلك اليمين البالغة الخطورة التي هي من أوقح ما يصدر من الإنسان مع ربه، لأنك تقسم بالله أن القضية الفلانية كذا وكذا، وأنت تعلم أنك كاذب، فبالله العظيم، بربك العظيم، تضفي على الباطل صبغة الحق. من تقول، من الافتراء على الله سبحانه وتعالى؛ لأنك عندما تقول: أقسم بالله، أو تقول: والله إنها كذا، وكذا، ماذا يعني هذا؟ أنت لا تعير بال لهذه المسألة وتحاول أن تقرر بأنها صحيحة بماذا؟ باستخدام عظمة الله في الموضوع، فكأنك تجعل الله شهيداً، تجعل الله كفيلاً، تجعل الله وكيلًا على أن هذه القضية هي هكذا، وأنت تعلم أنك كاذب، والله يعلم أنك كاذب. فباسمه تأخذ حقوق الآخرين، وباسمه تظلم الآخرين. قال تعالى:

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١).

الله سبحانه وتعالى الذي يريد منا أن يكون اسمه في نفوسنا، مترسخاً في مشاعرنا هو الذي يدفعنا، هو الذي يردعنا عن أن نتجاوز على الآخرين، أن نتذكر الله كما قال في صفات المتقين:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(١).

إن الله يريد منك أن يكون ذكره وأنت تذكره وتذكر اسمه لتزجر عن ظلم الآخرين، عن المعاصي، فكيف تأتي وتستخدم اسمه في إنزاله على الباطل، ولتتال به باطل، أو تقرر به باطلاً، أليس هذا من السخرية بالله سبحانه وتعالى؟ أو التسخير لعظمة الله في إضفاء شرعية على الباطل.

ولهذا جاء في الحديث: «أن اليمين الغموس ليس لها جزاء إلا جهنم»، تندهور أحوالهم، والموت يفتك بهم فتصبح بيوتهم خالية، لماذا؟ لأنك باسم الله أضفيت على الباطل صبغة الحق، والله يريد أن تكون باسمه ترتدع عن الباطل.

هذه واحدة من الإساءات البالغة التي قد تحصل منك باستخدام النعمة العظيمة التي وهبك الله إياها وأسبغ عليك بها، نعمة النطق، البيان، الإعراب بالكلمات، بالأحرف بواسطة لسانك وشفتيك.

أن تأتي لشهد شهادة زور، شهادة الزور هي نفس الشيء تشبه اليمين الفاجرة؛ لأنك تقول: أشهد لله أن هذه القضية كذا وكذا، وهي ما أسوأها وما أقبحها، شهادة الزور.. وهكذا كم سترى أن كثيراً من المعاصي يمكن أن تستخدم بواسطة النطق فتكون ممن سخر نعمة الله عليك في معصيته، في ظلم الآخرين، في أخذ حقوق الآخرين، في الخط من مكانتهم، في هتك أعراضهم، في تأييد الباطل. إذا فاستح من الله، وتذكر بأن هذه نعمة عظيمة أنعم بها عليك.

من هنا نعرف أهمية أن يذكرنا الله وأن يطلب منا أن نتذكر نعمه العظيمة علينا؛

لأن لها علاقة كبيرة بنا، باعتبار أنها هي الآليات التي بها نطيع وبها نعصي، فمتى ما تذكّرنا أنها نعمة منه فإن هذا سيوجد في أنفسنا حياة من الله، أن نتوقف عما طلب منا فيها، أو أن ننطلق لاستخدامها في معاصيه.

من الأشياء التي يظهر بتذكر أن ما بين أيدينا هو من نعمة الله علينا كونها من مفردات هذا العالم الذي نحن خلفاء الله فيه، لاحظ كم سيظهر من أثر كبير لتذكر نعمة الله، أنت عندما تتقلب داخل مفردات وأجزاء هذا العالم فتصنع وتنتج وتبدع وتعمّر، وأشياء كثيرة، إذا ما كنت متذكراً بأنها من نعمة الله، إذا ما كان الناس متذكرين بأن هذه الأشياء هي من نعمة الله عليهم فإنهم سيخشون من الله وسيستحيون من الله أن تستخدم في معاصيه، أو أن تستخدم في الإضرار بالآخرين من عباده.

عندما انطلق الغربيون في التصنيع، وباستخدام المنتجات المتعددة في مختلف المجالات، ألسنا نرى ما أكثر ما تستغل في الإفساد في الأرض، وفي إفساد عباد الله وفي ظلم الناس؟ لو كانوا هم ممن يتذكر بأن ما بين أيديهم من طاقة، ما بين أيديهم من آليات، ما بين أيديهم من إمكانيات هي نعمة من الله عليهم، يتذكرون أنها نعمة من الله عليهم لاستحووا من الله أن تستخدم فيها هو إفساد لعباده وإبعاد لعباده عن طاعته وعبادته، فيصبح حينئذٍ تذكر أنها نعمة من الله يشكل ضمانته في تسيير كل هذه المسخرات في المجال الذي يريد الله سبحانه وتعالى، في عمارة الأرض بالصلاح.

أهمية تذكير النفس بالنعم الإلهية

أن تتذكر بأن هذه نعم من الله سبحانه وتعالى عليك، لا أن تراها وكأنها هي أشياء طبيعية ثابتة هنا، وكأنها هنا من زمان وهي على ما هي عليه، لا تتذكر بأنها من الله هو الذي منحها، كم سيفوتك من أشياء كثيرة مما يمكن أن تعطيه هي من معرفة، وترسيخ معرفة لله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بحكمته وقدرته ورعايته ولطفه ورحمته، لا تستفيد منها هذه المعاني المهمة.

متى ما تذكرت أن كل ما أرى، كل ما أستمتع به في مختلف شؤون حياتي هو نعمة

من الله سبحانه وتعالى، وأرى من خلال آياته الكريمة أنه يريد مني أن أقدرها، أن تكون ذات قيمة لدي، ألّمينها عن التبذير؟ ألّمينها عن الإسراف؟ هو تنبيه على أنه ينبغي أن يكون لهذه الأشياء قيمة لديكم، هي ذات قيمة، فإذا ما نظرت إليها كذات قيمة مصاحب هذا الشعور للشعور والتذكر بأنها نعمة من الله سبحانه وتعالى عليك، نعمة على الناس جميعاً، فإن هذا هو ما يساعد على أن تتأمل فيما تعطيه هي من معارف، في كونها من مظاهر قدرة الله، في كونها من مظاهر رحمة الله، في كونها من مظاهر رعاية الله فيتسخن ويزداد إيمانك كثيراً بالله سبحانه وتعالى، وتعظم ثقتك به.

والموضوع من أساسه هو الحديث عن كيف نثق بالله، أليس هذا هو الموضوع؟ هو كيف نثق بالله سبحانه وتعالى؟ تدلنا هذه على أن من فعلها هو عظيم الرعاية لنا، عظيم الإحسان إلينا، حكيم في تدبيره، فما وجهنا إليه، وما أرشدنا إليه، لا يمكن أن يكون فيه مجازفة، ولا خطأ، ولا ورطة لنا، ولا تصرف أحمق، هو حكيم فيساعدك تذكر أن ما بين يديك من نعمة الله يساعدك على تكرير التأمل فيها لكونها ذات قيمة لديك، قيمة في واقع الحياة باعتبارها مما تمس الحاجة إليه في مختلف شؤون الحياة بالنسبة للناس جميعاً، مما لا تستقيم الحياة إلا بها فتزداد ثقتك بالله سبحانه وتعالى وتعظم ثقتك به، ومتى ما عظمت ثقتك بالله انطلقت في كل ما وجهك إليه؛ لأنك واثق بأنه رحيم، أنه يرحمني، أنه حكيم، أنه قدير، فكيف لا أثق به تعالى.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الفرق بين نعم الله ونعم الانسان

التذكير بنعم الله فيما بيننا وبين الله من أول الاولويات، لكن لماذا مُنع الإنسان من أن يستخدم نفس الأسلوب فيما يعطي مع الآخرين؟ لماذا منع؟ أليس المن هو من المعاصي؟ أن تمنّ بما تعطي يعني هذا أن تحبط كل ما كان يمكن أن تحصل عليه من الأجر مما أعطيت، إبطال له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾^(١).

أملس، كصخرة كان عليها قليل تراب جاء وابل المطر فتركها ملساء. هذا الإبطال والمن ينهي العمل بالمرة.

ولما كان المال، أو النعم بصورة عامة، سواء كانت نعم معنوية، أو نعم مادية، لها أثر عاطفي في نفس الإنسان يشده إلى الطرف الذي منحه هذه النعمة، إلى من أسدى إليه هذا المعروف، يشده نحوه، كانت النعم فيما يتعلق بعلاقتنا بالله سبحانه وتعالى ذات تأثير كبير فيما إذا تذكرنا أنها نعمة منه تعالى، هي مربوطة بالتذكر ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢)، أما إذا كنا ناسين للنعم هذه فلا تعطينا أي معنى من المعاني، لذلك بتذكرها فهي تشدنا عاطفياً نحو الله سبحانه وتعالى.

١. البقرة: من الآية ٢٦٤

٢. الضحى: ١١

لكن إذا كان للمال أثره العاطفي، إذا كان للنعم أثرها العاطفي، والقاسم المشترك - ما بين تعامل الله مع الإنسان على هذا النحو وفيما يتعامل الناس مع بعضهم بعض - هو الجانب العاطفي، فهو بالنسبة لله مضمون، وبالنسبة لله سبحانه وتعالى إيجابي متكامل، متى انشد الانسان إليه تعالى، كان ذلك في صالحه وتكريم له وتعظيم له، هو تكامل فيه، وسمو لروحه، وطهارة لنفسه.

لكن بالنسبة للإنسان ماذا سيحدث؟ بالطبع لو بقي المجال مفتوحاً فيما بين الناس أنه على كل واحد أن يتذكر ما أعطى إليه الآخر فيقابلة بنفس الشعور، ويقف منه نفس الموقف الذي يقفه ويشعر به مع الله سبحانه وتعالى فيما أعطاه عليه من نعم، لو كان المجال مفتوحاً على هذا النحو لكان في المسألة خطورة بالغة: هو أن كثيراً من أصحاب الأموال، كثيراً من أهل الباطل أليسوا يسيرون بالباطل بأعمال من هذا النوع إحسان، وبذل مال، وتسهيلات معينة، وبذل معروف؟ نعم - إن صح التعبير - أليس هذا هو ما يستخدمونه؟

فمن اللازم للتأثير السلبي لهذه القضية فيما إذا كانت مفتوحة أن يبعد الجانب الفكري الثقافي الديني بالنسبة للإنسان عن أن يخضع للتأثيرات المادية، فيبعد الجانب الديني والثقافي، الفكري، التوجهات، المواقف، تبعد عن الجانب المادي وعن تأثيرات ما قد تتركه المادة من عواطف ومشاعر في النفس تشد نحو من يسديها؛ لأن المادة - سواء كانت أموالاً نقدية، أو كيفما كانت - هي سلاح ذو حدين، لها أثر كبير في الجانب الإيجابي، ولها أثر كبير في الجانب السلبي، حتى المؤمنين نهوا عن هذا، إقفاً للموضوع من أساسه، نهوا عن المن.

والمن الذي يعني التذكير بما أسديت للآخر، تريد من وراء ذلك إخضاع مشاعره وعواطفه ومواقفه بالشكل الذي يستجيب لما أردت من وراء إعطائك ذلك المال، أو وقوفك معه ذلك الموقف الذي تعتبره نعمة منك عليه، هذا يتنافى مع كرامة الإنسان.

أن يشدني الله سبحانه إليه من خلال تذكيري بما أنعم علي من النعم العظيمة، هو

شدي إلى الكامل المطلق إلى الكمال، إلى من يعتبر ارتباطي به وقربي منه تكريماً لي. لكن لاحظ كيف يكون بالعكس فيما يتعلق بالناس فيما بينهم، كيف يشعر الإنسان بالضعفة، يشعر بثقل، بوطأة معروف معين أسدي إليه على نفسه، وصاحبه يكرر ذلك الامر.

ولذا تلاحظوا أنه حتى المؤمنين نهو عن المنّ، وجعل المنّ مما يبطل أثر الصدقة، وحكم القضية بالنسبة للمعطي - إذا كان يريد أن يكون لعطائه أثر - هو أن يتغني به وجه الله ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١)،

بحيث لا يشعر الطرف الآخر بأنه يراد مني من وراء ما أعطى استغلال عواطفي نحوه، فهذا أشبه شيء بمن يعطي رياء مثلما قال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾^(٢). ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾^(٣).

أو أقل شيء إذا لم يكن الإنسان متذكراً لهذه الأشياء مثلما يحصل ربما للكثير الكثير من البشر فأن يكون من منطلق إنساني بحث، أو منطلق المكافئة المتبادلة فيما بين الناس، من باب ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤).

١. الإنسان: من الآية ٩

٢. البقرة: من الآية ٢٦٤

٣. الليل: ١٩-٢٠

٤. الرحمن: ٦٠

التأثير السلبي على المجتمع من المن

علينا ان لا نرسخ في المجتمع إخضاع العواطف للتأثيرات المادية هذه سيظهر لها سلبيتها الكبيرة حتى وإن كنا مؤمنين، نحن قد لا نستخدم العواطف التي قد يتركها ما نعطي في هذا الشخص، قد لا نستخدمها في جانب الباطل، لكن المن الذي يعني التذكير واستغلال العواطف وإشعار الآخر بأن عليه أن يسير كما أريد، ترسيخه يصبح مما يعرض المجتمع لخطورة بالغة بالنسبة لأهل الباطل، فيأتوا ليدفعوا أموالاً أكثر منك، ويستخدموا نفس الأسلوب في التذكير بما أعطوا، ويعرضوا للآخرين منجزاتهم فيما أنجزوه في مجال كذا وكذا، فيصبح تفكيرنا معرضة لأن تدفع بالإنسان إلى أن يقف المواقف الباطلة، ويؤيد الباطل، ويدخل في الباطل.

والحقيقة أنه لا يمكن أن تستخدم المادة، أو أن يضحي بالقيم، بالدين في مقابل المادة، بل العكس هو المطلوب من الإنسان ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾^(١).

في حالة المقارنة بين الماديات والقيم والمبادئ الدينية يضحي بالماديات حتى وإن كانت أعلى الماديات لديك التي هي روحك وجسمك بكله تضحي به من أجل الدين، ولا أن تبيع الدين في مقابل المادة، لا في مقابل ما تحصل عليه من مصلحة لنفسك أنت، ولا من باب مراعاة مصالح الآخرين، إذا كان هناك مثلاً شخصيات لها مصالح من جهة معينة وعمل معين يقولون: يا جماعة أنتم ستؤثرون على مصالحنا، نحن معنا كذا وكذا وليس لكم حق أن تأثروا على مصالحنا بما يؤدي إلى قطع معاشاتنا أو مساعدات معينة. قل له: نحن شخصياً ألزمتنا بأن نضحي بأموالنا من أجل دين الله، فكيف نراعي مصالحك أنت ونؤاثرها على دين الله، وأنت ممن يلزمه أن يضحي بمصالحه من أجل دين الله؟

١. التوبة: من الآية ١١١

لهذا نلاحظ كيف أنه لا يجوز إطلاقاً أن يتحدث بعضنا مع بعض من باب المن بما أعطى؛ لأنك تربي المجتمع على أن تُسخرَ عواطفه للباطل، فيظهر هذا ويقول: صاحب المنجزات العظيمة، وأنا قد رببتك من قبل، وأنا أتحدث معك: [يا أخي أنت تعلم أنني قد أعطيتك كذا وكذا وأنت تعلم أننا فعلنا كذا. فتقول: والله صحيح ولا يهملك ابشر].

هذا التصرف سيقوده الآخرون بهذه العواطف، فنهى حتى المؤمنين؛ لأن هذا سيرسخ في المجتمع تربية لأن ينقاد وراء العواطف التي تخلقها التأثيرات المادية، وهذا من أخطر ما يضرب الأمة، تصبح المقاييس مادية كلها، بدل أن تكون كما قال الإمام الحميني (تتأ): معايير إلهية، هو قال: (يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية) أي المقاييس التي من خلالها نتعامل مع الآخرين، أو نقف مع الآخرين إلهية وليست مادية.

المعايير الإلهية والمعايير الفرعونية

الباطل يستخدم المال ويعتبره هو وسيلة مهمة فيستخدمه في الحق ويستخدمه في الباطل، فأنت ملزم بأن تنفق مالك في سبيل الله لأنك تواجه الباطل؛ ولأن الحق لا بد من بذل المال في سبيله، وأهل الباطل يعلمون ويتأكدون بأن الباطل لا يسير إلا بواسطة المال. إذا فالمال هو سلاح ذو حدين؛ فلهذا يجب على الإنسان أن ينظر إلى الأشياء معتمداً على مقاييس إلهية وليس من خلال الماديات.

فرعون الذي ذكر الله سبحانه وتعالى قصته في القرآن هو أول من استخدم هذا الأسلوب: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَمْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أَلْقَيْ عَلَيْهِ أَسُورَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ

مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ^(١).

المقاييس لديهم مادية، أساور من ذهب رأوها في يد فرعون، وموسى رجل لا يملك هذه، وهكذا أنهار هنا ولا يعرفون أنهار الحق هناك، وأنهار العزة والشرف، أنهار القيم المثلث. استخف فرعون قومه في مقابلة موسى (عليه السلام)، نبي من أنبياء الله يملك عشرات الآيات البينات رأوها هم وعاشوها هم، لتعرف كم هي الخطورة شديدة جداً إذا ما انطلق الناس لينظروا نحو الأشياء وفق مقاييس مادية.

إن نبي الله موسى (عليه السلام) كان يمتلك آيات بينات وعاشوها هم الفراعنة وأهل مصر، الدم والضفادع والقمل والجراد، هذا مما كانوا يعانون منها حتى طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يدعو الله أن يرفعها عنهم وأنهم سيؤمنون به وسيطلقون معه بني إسرائيل، ليست المسألة أنهم لم يعرفوا شيئاً، لكن نسوا مسألة أن لا ينظروا إلى الأشياء فتكون لها قيمة من خلال الماديات. استطاع فرعون أن يخدعهم؛ لأنهم كانوا قوماً فاسقين، يهتمهم مصالح أنفسهم، يهتمهم مادياتهم ومشاريع وخدمات فليكن فرعون في مقابل موسى لا توجد مشكلة.

لذلك التذكير للإنسان بنعمة الله عليه، في أن ينظر أن كل ما بين يديه هو نعمة من الله وأنها ذات قيمة، هي نفسها مما تساعد على التفكير فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

بعدما قال تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

فينطلق الناس وهم يرون أن كل ما بين أيديهم له قيمته المرتبطة بمسؤوليتهم

١. الزخرف: ٥١-٥٤

٢. الرعد: من الآية ٣

٣. النحل: من الآية ١٤

٤. الجاثية: ١٣

كخلفاء لله في الأرض، ومتذكرين أنها نعمة من نعم الله. فهذا هو نفسه من إحدى الدوافع بالإنسان إلى أن يغوص في أعماق مفردات هذا العالم فيبدع، وينتج، ويصنع، ويكتشف الأسرار التي أودعها الله في هذا العالم.

من هنا نعرف كم هو الفارق بين ما تعطيه هذه الآيات وبين من ينطلقون فيتحدثون مع الناس ويعظونهم بالزهد في الدنيا، وأن النظر إلى الدنيا يجب أن يكون نظر من يرفضها ولا قيمة لها وأنها غرارة خداعة مكارة، واتركها، ويسمح لك فقط من أطرافها، ولا تأخذ إلا الكفاية منها فقط، أن هذا نفسه من إحدى العوامل التي ضربت المسلمين فجعلتهم بعيدين عن أن يستخدموا ما سخر الله لهم في السماوات وفي الأرض، وأن يتفكروا فيها؛ لأنها أصبحت ليست ذات قيمة لديهم، ليست ذات قيمة، هي كلها لا تساوي جناح بعوضة! بينما التذكير يوحى: أن الله يذكرنا أن ننظر إليها كذات قيمة مهمة.

وعرف الآخرون كيف أن لها قيمة، الرجال عرفوا كيف أن لها قيمة، بل حتى الأشياء التي نكمم أنوفنا عندما نمر من عندها يعرفون أنها أيضاً لها قيمة، كيف هم يستخدمون المجاري بمحطات تصفية فيستخرجون منها الأسمدة، ويستخرجون أيضاً الماء من جديد نقياً فيعاد لسقي الأرض من الحدائق والبساتين والمزارع، وأسمدة تباع بملايين الدولارات.

ونحن نقول عنها كلها: غرارة، خداعة مكارة من أولها إلى آخرها، حتى أصبحنا لا نملك شيئاً ولا نعرف شيئاً، ثم أصبحنا عبيداً لأولئك الذين تفكروا، قَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ، نحن قوم نجهل، وأولئك قوم تفكروا فأبدعوا.

نعرف في نفس الوقت من خلال ما عرفنا من أن المسألة ليست سوياً فيما يسديه الله سبحانه وتعالى من نعم إلى الإنسان، وفيما يحصل فيما بين الناس مع بعضهم البعض، وقد ظهر أن المسألة ليست سوياً.

بينما نجد أن أول خطوة خطاها [المعتزلة] في مجال معرفة الله: أنهم اعتمدوا على قاعدة باطلة من أساسها، هو أنهم نظروا أولاً فيما يحصل بيننا نحن الناس، أن هذا

عندما يعطي هذا يجب عليه أن يشكره، إذاً فهناك نعم ننطلق منها لشكر الذي أسداها.

ألم يسوغوا للمسألة؟ ما الذي حصل؟ نحن قلنا: القاسم المشترك هو الجانب العاطفي، لكن أن ننظر إلى المسألة كأنها سوياً فتأتي لتقيس - على ما قالوا - الغائب على الشاهد! الشاهد هو الإنسان وهذه الصورة الكاملة للتعامل فيما بيننا التي تعطي حكماً عقلياً - كما يقولون - بأنه يجب شكر المنعم، إذاً فننطلق منها لتقيس عليها تعاملنا مع من أسدى إلينا نعمةً من جانب هذه النعم التي لم ندر بعد من أين هي، فنبحث عمن أسداها، فكانت هذه هي أول خطوة التي بنوا عليها وجوب النظر في معرفة من أسدى إلينا هذه النعم لنشكره.

ما الخلل في هذه؟ هو ترسيخ حالة التسوية، مع أن القرآن بيّن أن المسألة ليست سوياً، ليس هناك مجال للمقايضة إلا فيما يتعلق بالجانب العاطفي في أن سنن الله سبحانه وتعالى في الهداية استغلت الجانب العاطفي في المسألة في خلق الشد للإنسان نحو الله، ولا اعتبارات متعددة هي هذه التي ذكرناها سابقاً فيما يتعلق بنظرته إلى ما بين يديه كنعم منه تعالى، فيأتي الشكر واحدة من الغيات، واحدة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

فهم رسخوا هذه المسألة: أن ننطلق منا نحن الناس فنعتبر القضايا العقلية من خلال التعامل فيما بيننا مع بعضنا بعضاً هي الأساس الذي نقيس عليه تعاملنا مع الله، فحصل أخطاء كثيرة؛ لأننا نجد أن الفارق كبير، أنه ليس صحيحاً أنني أرى أن الله سبحانه وتعالى يذكّر من أعطاهم بنعمه؛ فأنطلق أنا لأذكّر الآخرين الذين أعطيتهم بنعمي، فأقول أخلق بأخلاق الله، وأسير على منهج الله، وأعمل مثله، لذلك هذا القياس باطل.

بينما قد يكون أساس المسألة هو أن الناس في تعاملهم الطبيعي خاصة من لم يربوا

١ . النحل: من الآية ١٤

تربية إلهية في الابتعاد عن المنّ على بعضهم بعض، ألر يكن هذا هو السلوك الطبيعي لدئ الناس؟ إذاً الانطلاقة نحو الله على أساس هذا السلوك الذي هو قائم بين الناس اتضح بأنه فقط لاستخدام الجانب العاطفي، وأن ما نحن عليه هو خطأ.

يجب أن يلغى المنّ بما أعطيت تماماً، ويجب عليك فيما إذا أُعْطِيتَ من جانب ألا سِيرْك عطاؤه إياك فيسير عواطفك كيفما يريد.

بل ورد في الأدعية أنه مطلوب أن الإنسان يدعو الله سبحانه وتعالى ألا يجعل لكافر ولا لفاسق عليه نعمة، ففي دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام): «ولا تجعل لفاسق ولا لكافر علي نعمة ترزقه من قلبي بها مودة» لماذا؟ لأن الإحسان يعمل عمله.

الحاكم أو الذي يلي أمراً من أمور الناس نُهي أيضاً عن أن يجيب حتى دعوة ضيافة؛ لأن الإحسان يؤثر فيؤدي إلى تسخير عواطفه مع من أسدى إليه إحساناً، نهى الناس عن هذا، وأذكر فيما روي أن الإمام علياً (عليه السلام) دعا وهو عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن الله لا يحوجه إلى أحد من خلقه، فقال - في معنى الحديث - لا تقل هكذا فليس أحد من الناس إلا وهو محتاج إلى غيره أو إلى خلقه ولكن قل: «اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك» أن أحتاج إلى شرار خلق الله فيعطيني هو أو أقبل عطيته فيؤثر على عواطفني فيشكل ضغطاً عليّ في موافقي الدينية. فحاول أن تتبعد عن أن يكون لفاجر تأثير على عواطفك.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما العلاقة بين تذكر نعم الله ومعرفة الله؟
٢. كيف يؤثر تذكر النعمة على حياء الإنسان من الله؟
٣. ما الفرق بين تذكر الله لعباده بنعمه، وتمنن الإنسان على غيره؟
٤. ما أثر البصر والسمع واللسان في مسؤولية الإنسان تجاه النعمة؟
٥. كيف تتجلى عظمة الله في تسخير ما في السماوات والأرض؟
٦. لماذا يُعدّ صرف المال في الباطل كفرًا بالنعمة؟
٧. ما خطورة أن تُستخدم نعم الله في المعصية؟
٨. كيف يؤدي المنّ إلى إبطال أثر الصدقة؟
٩. ما المقياس الذي يجب أن يحدّد علاقتنا بالناس وفق رؤية الفصل؟
١٠. كيف يمكن استثمار نعم الله في عمارة الأرض وطاعة الله؟

الفصل الرابع

التذكير بنعم الله

الدرس

الحادي عشر

مقدمة منهجية

يتناول هذا الدرس من سلسلة معرفة الله أهمية التذكير بنعم الله في ترسيخ صلة الإنسان بربه، وبيان كيف يشكل وعي النعمة حصانة إيمانية تحفظ المجتمع من الغفلة والتنكر للفضل الإلهي.

إن أهم الوسائل لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو التذكر بنعمه الكثيرة، نعمة الهداية بكتابه الكريم وبالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين) وهي أعظم النعم، والنعم الأخرى، النعم المادية، وهي كثيرة جداً كما قال الله سبحانه وتعالى عن نعمه بصورة عامة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١).

ذكرنا سابقاً ما يتعلق بالنعم المادية، وقد أخذت مساحة واسعة في القرآن الكريم، وهي كثيرة جداً، هي كل ما يتقلب فيه الناس في حياتهم ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٢).

١. النحل: من الآية ١٨

٢. النحل: من الآية ٥٣

ونعمة الهداية التي هي أعظم النعم، الهداية إلى الإيمان، هذا الدين العظيم دين الإسلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

فهذا هو الفضل العظيم من الله، هو ذكر فيه بأنه قد أتم النعمة، نعمة تامة ليس فيها نقص، لا تحتاج إلى من يكملها ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، هذه النعمة ما أوجب شكر الله سبحانه وتعالى علينا في مقابلتها.

نعمة الرسول الاعظم محمد وال البيت (عليه السلام) والقران الكريم

ويقول سبحانه وتعالى بالنسبة لنبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

أليست هذه نعمة كبيرة؟

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

ولقد كانوا فعلاً قبل هذه النعمة العظيمة، نعمة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يقوم بهذه المهمة في إبلاغ دين الله فيتلو على الأمة آيات الله، ويزكي أنفسهم، ويعلمهم كتابه، ويعلمهم الحكمة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣). كما قال في آيات أخرى.

١. المائدة: من الآية ٣

٢. آل عمران: ١٦٤

٣. المائدة: من الآية ١٦

ويقول سبحانه وتعالى عن نعمة القرآن الكريم: ﴿الرَّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١).

أليست هذه نعمة كبيرة؟

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

ويقول أيضاً في كتابه الكريم عن القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢).

فسمى كتابه الكريم بأنه أحسن الحديث، متشابهاً في حكمته، في فوائده، في عظمة آياته، في تفصيل آياته، فيما تشتمل عليه من فوائد كثيرة، في عظمة معانيها، في تفصيلها، في إحكامها.

مثاني: تتكرر فيه المواعظ، يتكرر فيه الحديث عن المبادئ المهمة والقيم المهمة، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لشدة وقعه على أنفسهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. هذا هو بالتحديد ما يصنعه القرآن الكريم فيمن يفهمون القرآن الكريم، وفيمن يعرفون عظمته وأهميته، ويعرفون أنه أعظم نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده؛ ولهذا قال بعد: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، ويقولون بأن ﴿ذَلِكَ﴾، تستخدم أيضاً للتعظيم، كما أن اسم الإشارة للبعيد يشار بها أيضاً إلى الرفيع الدرجة، البعد المعنوي في درجات العظمة.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

من ضل بعد هذا الهدى، بعد هدى الله، هذا الهدى الذي هو القرآن الكريم،

١. إبراهيم: ١.

٢. الزمر: ٢٣.

والنبي العظيم (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) فما له من هاد، لن يكون هناك من يهديه إطلاقاً.

هذا فيما يتعلق بنعمة الهداية، ولكن لما كانت نعمة قد يكون كثير من الناس لا يلمس قيمتها، لا يدرك قيمتها، وإلا فهي من أعظم النعم؛ لأن الله قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ﴾^(١).

هو الذي له المنة علينا أن هدانا للإيمان، والنعم الأخرى وهي تشمل جميع مجالات الحياة، ونعم أخرى تبرز في مواقف الناس المتعددة في ميادين العمل، من التأيد بالنصر، من الدفاع عن المؤمنين. إذا تأمل الإنسان القرآن الكريم وهو يعدد النعم الكثيرة على الناس ليست فقط هذه المادية التي نحن نتقلب فيها مما بين أيدينا من النعم المختلفة، بل هي نعمة أيضاً يجدها المؤمنون وهم في ميادين العمل، في ميادين نصر دين الله، والعمل لإعلاء كلمة الله.

الله سبحانه وتعالى أكد في كتابه الكريم لعباده أن عليهم أن يذكروا نعمه، أن يتذكروا نعمه، أن يشكروا نعمته في آيات كثيرة، والقرآن الكريم متى ما كرر شيئاً، متى ما أكد على شيء فإنه فعلاً ليس كلام لمجرد الكلام، أو لتستقيم السجعة كما يعمل الناس، أو ليستقيم وزن البيت الشعري كما يعمل الشعراء، وإنما يكرر الشيء لأهميته، وكل شيء هام باعتبار أنه تمس الحاجة إليه بالنسبة لنا، وفي مجال علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بحياتنا، فيما يتعلق بالتعامل مع بعضنا البعض، فيما يتعلق بأعمال المؤمنين في مجال نشر دين الله وإعلاء كلمته، وفي ميادين المواجهة مع أعداء الإسلام.

نعمة التوفيق لقول كلمة الحق

عندما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

يقول لنبيه موسى **«الطَّلِيلُ»** وهو ذلك الرجل العظيم الذي قطع على نفسه عهداً ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

من أجمل ما قاله الأنبياء جميعاً، هذه الكلمة التي قالها موسى (صلوات الله عليه)، من أجمل وأعمق الكلمات التي قالها الأنبياء **«عليه»** فيما تدل عليه من مشاعر الارتباط القوي بالله سبحانه وتعالى، وإدراك عظم النعمة التي أنعم الله بها عليه، وقد كان ذلك قبل النبوة، فما هي هذه النعمة؟ قد يكون أكثر ما نلمسه في هذا الجانب هو أنه توفيق إلى أن يقف موقف حق، وأن يعلن كلمة حق، وأن يقارع الظالمين.

الآية هذه جاءت بعد قصة قتل القبطي الذي من قوم فرعون ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾، لن أكون مساعداً، لن أكون معيناً للمجرمين طيلة حياتي، وفعلاً صدق، يقول الله له وهو من هو في إدراكه لنعم الله، وفي وقعها العظيم على نفسه يقول الله عندما أخبره بأنه قد اصطفاه برسالته وبكلامه وأنزل إليه التوراة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

كن من الشاكرين لهذه النعمة، كما قال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد

١. الأعراف: من الآية ١٤٤

٢. القصص: من الآية ١٧

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

وقال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وهو سيد الأنبياء والمرسلين: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

كن من الشاكرين، وهل تظنون بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتوفر له من الطعام والشراب كما يتوفر لأحدنا يأكل كل يوم خبز البر، ويأكل اللحم، ويأكل مختلف أنواع الأطعمة.

نعمة الهداية التي هي تلخص في كلمة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بكل ما تعنيه الظلمة في الجانب الأخلاقي، في الجانب المادي، في الجانب المعنوي، وبما تعنيه كلمة النور، النور في النفس، النور في القلب، النور في الحياة، النور في القيم، لكننا نحن البسطاء قد يكون الكثير منا لا يدرك أهمية وعظمة هذه النعمة، نعمة الهداية، لا نكاد نعترف بأن النعمة الحقيقية إلا هذه النعم التي نلمسها: أموال، ماديات الحياة هي هذه، ولكن حتى هذه التي نحن نتقلب فيها طيلة أعمارنا، كل ما تتحرك فيه خلال الأربع والعشرين ساعة من النعم العظيمة هي من الله، ولكن حتى هذا على الرغم من أننا نلمسها وندرك حاجتنا الماسة إليها لا نكاد نتذكرها بأنها نعمة من الله، ولا نكاد نتذكر أنه يجب علينا أن نشكره عليها، وأن نستشعر عظم إحسانه إلينا بها، فنحبه ونتولاه، ونشكره ونعبد أنفسنا له، إن الإنسان لظلوم كفار.

لهذا تجد الحديث في القرآن الكريم عن النعم المادية واسع جداً، والحديث عن النعم المعنوية، نعمة الهداية، نعمة إنزال الكتاب، نعمة الرسول، تجدها قليلاً، لكنها تتوجه إلى أصحابها كما يقول لأنبيائه هنا: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾،

١. النساء: من الآية ١١٣

٢. الزمر: ٦٦

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

يقول لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقول لموسى (عليه السلام)؛ لأننا نحن البسطاء لا نزال نحتاج إلى نقلة، أن نستشعر أن ما بين أيدينا هو من الله، ونعترف بأنه نعمة، ثم يتوفر لنا ما يعطيه هذا التذكر من المعاني العظيمة، ولو بعض منها فيكون من حصل منا على هذا الشيء يعتبر أنه قد حصل على مكسب كبير، أنه قد تذكر نعم الله عليه أو جانباً منها وعرف بعضاً من الفوائد المعنوية التي تتركها في نفسه.

فمتى يصل الإنسان؟ وبأي وسيلة يمكن أن يصل إلى أن يفهم القيمة العظيمة لنعمة الهداية؟

فلا يمكننا ان نلوم الناس، عوام الناس المساكين؛ لأن الدين لم يقدم لنا ديناً متكاملاً على أيدي الكثير من المتحدثين باسمه، يعرفوننا جوانب معينة ويتركون الكثير مما نحن بحاجة إلى معرفته؛ لأن ثقافتهم تركزت على ما يتعلق بأحكام شرعية. إذاً فالعامي هذا قد نعرفه ما يتعلق بكيف يتوضأ، ويغتسل، ويصلي، ويزكي، ونوع من العبادات والمعاملات ونخبره ان هذا هو الدين.

لم نعرف كم أعطى الدين من اهتمام كبير بنا في كل مجالات حياتنا، لم نعرف عظم هذا الدين باعتبار ما فيه، ما يتمثل فيه من رعاية إلهية عظيمة بنا، فنراه هنا الجانب من شؤون الحياة، والتي هي أكثر ما يشغلنا وتشغل أكثر مساحة من ذهنينا هناك في جانب آخر.

لهذا تجد الناس عندما تذكرهم بأن الإسلام نعمة عظيمة يجب علينا أن نشكرها، سيجامل، يقول: [الحمد لله فعلاً نعمة عظيمة، نعمة عظيمة، الإسلام نعمة عظيمة]، ولكن عندما نطلب من التعاون في سبيل الإسلام، لا يتعاون في شيء وإن كان لديه أموال كثيرة، الإسلام هذا هو بحاجتك أن تتحرك في سبيله فتدافع عنه

١. الأعراف: من الآية ١٤٤

وأن تعمل على إعلاء كلمته، لا يتفاعل كثيراً، لماذا؟ لأننا لم نعرف بعد عظمة الإسلام.

أولئك البدو الذين جاءوا إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأسلموا وظنوا بأنهم قد قدموا خدمة كبيرة لرسول الله صلوات الله عليه أنهم أسلموا!، فقال الله عنهم: ﴿يَمُتُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١)، ظنوا أنهم قد قدموا شيء كبير لرسول الله صلى الله عليه وآله يعني نعمة عظيمة من جانبهم قدموها لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب عليه أن يشكرهم كلما يلقاهاهم، ﴿قُلْ لَا تَمُتُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾^(٢).

افهموا، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ﴾^(٣)، فكم هي نعمته العظيمة عليكم بأنه هداكم للإيمان.

هذا فيما أعتقد هو عامل من عوامل قلة تفاعلنا مع الإسلام، مع القرآن الكريم، مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، حتى أصبحت القضية بلغت درجة أنه قد لا يكون إلا في النادر، في النادر من يغضب فينا الله إذا عصي، من يحب في الله، من يبغض في الله، من يوالي في الله، من يعادي في الله، وهكذا لاحظ كلمة بعيدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾^(٤).

من منا الذي سيبيع نفسه وماله؟، نحن نراها بعيدة هناك، من هو هذا المجنون الذي سيبيع نفسه وماله!

لكن لا، من يعرف الله سبحانه وتعالى، من يعرف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، من يعرف القرآن الكريم، من يعرف هذا الدين، عظمة هذا الدين،

١. الحجرات: من الآية ١٧

٢. الحجرات: من الآية ١٧

٣. الحجرات: من الآية ١٧

٤. التوبة: من الآية ١١١

سيرى بأنه قليل أن يقدم في سبيله أن يبذل نفسه وماله، ومن لا يعرف إلا مجرد عناوين، لا يقدم حتى ولا القليل من ماله، ولا الجهد البسيط من أعماله، لا يبذل شيئاً من هذا.

وستظل القضية هكذا في ما أتصور جيل بعد جيل، إذا لم نحاول أن نتعرف على هذه النعمة العظيمة التي نحن فيها، نعمة الهداية، أننا مؤمنون بالله، أننا مؤمنون برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أننا مؤمنون بكتابه الكريم، أننا مؤمنون بهذا الدين العظيم، دين الإسلام، يضاف إلى ذلك بالنسبة لنا نحن شيعة أهل البيت أننا متمسكون، أو نؤمن بالتمسك بالثقلين: كتاب الله، وعتره نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأنا نؤمن أن عقائدنا التي نؤمن بها صحيحة، هذه نعمة أعتقد نعمة عظيمة علينا نحن الشيعة أكثر من غيرنا، من يعرف ما يتخبط فيه الآخرون من الضلال سيجد أنه في نعمة عظيمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، كلما يتذكر يشكر الله عليها باستمرار ﴿بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾؛ فإذا ما وجدنا أنفسنا فعلاً، من هدانا الله للإيمان، ما نحن مؤمنون به هو حق، ما نحن نعتقد به هو حق، إذاً فنعمة الله علينا أعظم، والمسؤولية التي ستبعتها علينا أكبر، والحق علينا أوجب.

إذا كان الله سبحانه وتعالى يذكر عباده بأن عليهم أن يذكروا نعمه فنحن شيعة أهل البيت من يجب علينا أن نتذكر أكثر فأكثر هذه النعم، ندع ذلك التذكر يترك آثاره المهمة العظيمة في نفوسنا، ننطلق - من واقع حبنا لله وإيماننا الواعي به، واستشعار وجوب الشكر له على نعمه - ننطلق بكل ما نستطيع في مجال الحصول على رضاه؛ لأن من أعظم ما تتركه النعم من آثار في النفوس هو أنها تدفعك إلى تولى الله سبحانه وتعالى وإلى حبه، كيف لا أحب من أراه يرعاني؟ من أرى كل ما بين يدي مما أملك، ومما لا أملك من نعمته العظيمة الواسعة، من أرى أن هذا الدين الحق الذي أنا عليه هو الذي هداني إليه؛ فأتولاه، وأحبه وأعظمه وأجله، وأسبحه، وأقدس، وأخشاه، وهذه المعاني عظيمة الأثر في النفوس فيما تمثله من دوافع نحو

العمل في ميادين العمل.

أليس الموضوع من بدايته هو حول أن نعرف كيف نتولى الله سبحانه وتعالى؟ كيف نتولاه؟ إذا عرفت وتذكرت عظيم نعمته عليك ستري بأنه هو وحده من يجدر بك أن تتولاه، وألا تتولى غيره، فكل أولياء تبحث عنهم دون الله سبحانه وتعالى من أولئك البعيدين عن هدايته وصراطه، الله قد ضرب لهم مثلاً ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾^(١).

كلهم وهميون، فما يدفعك نحو توليهم؟ أنك تبحث عن العزة، أو تبحث عن القوة، أو تبحث عن الرزق، أو تبحث عن أي شيء من المطامع؟ فاعلم بأنك كمثّل العنكبوت التي اتخذت بيتاً، تعمل في البيت وتمد الخيط من هنا إلى هنا وتعمل النسيج الذي هو أوهى الأنسجة، بيت لا يدفع عدواً، ولا يدفع برداً، ولا يدفع حراً، ولا يعمل شيئاً، أحياناً ترجع فقط تستغله في الأخير ليكون شبكة صيد.. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾، لكن الله عندما تتولاه تتولى القوي العزيز، تتولى من أنت تحظى برعايته، من هو على كل شيء قدير.

لن تترسخ في أنفسنا معرفة الله سبحانه وتعالى، ولن نصل إلى درجة أن نكون من أوليائه حقاً إلا إذا كنا ممن يتذكر نعمه علينا، نعمة الهداية، والنعم الأخرى التي نملكها والتي لا نملكها مما نحن جميعاً نتقلب فيها؛ لهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِّي تُؤفَكُونَ﴾^(٢).

إلى أين تتجهون؟ وإلى أين ستصرفون؟ تبحثون عن؟ تبحثون عن أمريكا،

١. العنكبوت: من الآية ٤١

٢. فاطر: ٣.

تبحثون عن بريطانيا، تبحثون عن هذا الرئيس، عن هذا الملك، عن هذا الزعيم، عن هذا التاجر، هل هناك أحد يملك لكم رزقاً؟ يملك لكم ضراً؟ يملك لكم نفعاً؟ ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

إلى أين أنتم ذاهبون؟ تنصرفون عن إلهكم الذي أنعم عليكم الذي يرزقكم من السماء والأرض والذي هو وحده الإله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

كل هذه المعاني الهامة التي تخلق في نفسك متى ما أدركتها دافعاً قوياً نحو تولى الله سبحانه وتعالى هي تبدأ بتذكر نعمه ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، متى ما ذكرت نعمته عليك عرفت بأنه هو وحده الخالق، هو من يرزق من السماء والأرض، هو الذي لا إله إلا هو، إذاً فلن أنصرف إلى هذا ولا إلى هذا، سأتولاه هو.

يقول أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(١).

السفن والأنعام من الإبل والخيول والبغال والحمير ما تركبون ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

لأهمية تذكر النعم يريد منك أن تتذكر نعمته عليك حتى عندما تستوي على ظهر حمارك لتركبه، وافهم أنك أنت الحيوان الوحيد الذي يسخر حيواناً آخر ليركبه فينقله إلى مسافات بعيدة. هل هناك حيوانات أخرى يسخر لها حيوانات أخرى تركبها؟ كل واحد يمشي على رجليه، لكن الإنسان هو وحده يسخر الله له مخلوقات هي أقوى منه، بل هي أذكى وأعظم من كثير من أفراد الذين قال عنهم: ﴿إِنَّ هُمْ

١. الزخرف: ١٢.

٢. الزخرف: ١٣-١٤.

إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ^(١).

حيوان يقوده الطفل، يركب عليه طفلك وهو فيما لو توحش لأزعج سوقاً
بأكمله، الجمال، الخيل، البغال، الحمير، البقر، كم سخر للإنسان من حيوانات
أخرى!

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. الفرقان: من الآية ٤٤

العبر والمواعظ من تسخير بعض الحيوانات للإنسان دون غيرها

ذكرن ان هناك حيوانات مسخرة من الله تعالى لك، وهناك حيوان آخر ليس مسخراً لك تحاول تركبه، مثل [النمر] أليس أصغر من الحمار؟ حاول تركب النمر هو يحاول يأكلك، لكن الجمل، الثور، أليست هذه الحيوانات هي أكبر منا وأثقل وزناً وأقوى في أبدانها؟ أليست أقوى منا بكثير؟ من الذي سخرها؟ هو الله تكريماً لك، رحمة بك، رعاية لك، لكي تحمل أثقالك عليها، ولكي تحمل نفسك عليها فتنتقل من هنا، إلى هناك، إلى هناك لمسافات بعيدة فتذكر نعمة الله عليك.

ثم عندما يقول: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾، يقصد أن تركب بارتياح، جلسة مريحة، لا يخلق لنا حيوانات يكون التنقل عليها متعباً.

﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ - تذكروا نعمة ربكم - ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

عندما تتذكر بأن الله هياً ظهور الخيل، وظهور الإبل، وظهور الحمير، بالشكل الذي يتلاءم معك لتستوي وأنت راكب عليه، في وضعية طبيعية، لو أنه سخر حيواناً آخر لا يمكن أن ينقلك من منطقة إلى منطقة إلا وأنت متعلق في رقبة الجمل لكان من المستحيل اكمال المسير بهذا الحال.

﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾، ويحس بك أنك فوق ظهره فلا يتزعج، بل ربما قد تكون بعض الحيوانات تألف صاحبها حتى ترتاح عندما تحس بأنه فوق ظهرها، فتنتقل

وتشعر بالطمأنينة، وهو مستقر فوق ظهرها. إذاً فاذكروا نعمة ربكم حتى عندما تستووا على ظهورها، وقولوا:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ﴾^(١).

ما كان باستطاعتنا أن نسخره لأنفسنا، وأن نتغلب على وحشيته فنقهره ونطوعه لحاجتنا.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣).

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤).

هذه هي من النعم، إنزال الكتاب بها فيه من حكمة، بها فيه من مواعظ، هي نعمة عظيمة.

كذلك يقول: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾.

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى أمراً لعباده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ

١. الزخرف: من الآية ١٣

٢. البقرة: من الآية ٢٣١

٣. آل عمران: من الآية ١٠٣

٤. آل عمران: من الآية ١٠٣

عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا»^(١).

كنتم قد أشرفتم على السقوط في جهنم فأنقذكم منها، بهدأته، بالرسول العظيم الذي بعثه إليكم، بالكتاب الكريم الذي أنزله إليكم، برعايته، بلطفه، برحمته، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

فاذكروا نعمته لتهتدوا في الأخير إلى ما يريد الله سبحانه وتعالى أن تهتدوا إليه.

في هذه الآية.. لاحظوا كيف يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتذكر كيف كانت وضعيتنا السابقة، هكذا يقول لأولئك الذين نزلت الآية تحكي واقعاً كانوا عليه، ثم تحول بإذن الله وبأمره وبنعمته إلى واقع آخر، يوم كانوا أعداء يخرجون بين الحين والآخر ليقبضوا خارج المدينة، عداوة كانت بين الأوس والخزرج شديدة، عندما هاجر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم، وعندما استقر وضعه هناك بين أظهرهم وهياهم ليكونوا هم أنصار دينه ليكونوا هم جند الله.. جاءت الألفاظ الإلهية جاء التدخل الإلهي فألف بين تلك القلوب التي كانت ممتلئة بالعداء بالعداوة والبغضاء لبعضها بعض، كما حكى في آية أخرى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

هذه فيها عبرة عظيمة لنا، وعبرة عظيمة لكل من ينطلق في إرشاد الناس ويتوجه نحو الأخلاقيات: [يجب علينا أن نحب بعضنا بعض، وأن نتأخى، وأن نكظم الغيظ، وأن نعفو، وأن.. وأن..] إلى آخره.

افهم، ولنفهم جميعاً أن كل شيء سيكون مجرد كلام إذا لم نحقق المفتاح، إذا لم نحمل الهم الكبير في أن نكون من أنصار دين الله سبحانه وتعالى، فهو هو الذي سيوفقنا، ويؤلف بين قلوبنا، ويملاها حباً لبعضها بعض.

١. آل عمران: ١٠٣.

٢. الأنفال: من الآية ٦٣.

كم أرشدنا، كم وعظنا نحن وغيرنا وتكلمنا كثيراً عن المحبة، وكم قرأ الناس الحديث عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) كم دعي الناس إلى حسن التعامل فيما بينهم، وإلى الإنصاف من أنفسهم، وإلى المبادرة إلى حل مشاكلهم سريعاً قبل أن تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم، ولكن لما كان الناس غير مستشعرين للمسؤولية العظيمة عليهم فيما يتعلق بدينهم أن يكونوا أنصاراً له، أن يحملوا روحية القرآن بين جنوبهم - تقريباً - لم يوفقوا، لم نوفق، متى خرج الناس من المسجد وقلوبهم ممتلئة حباً لبعضهم بعض بعد خطبة يسمعها مني أو من هذا أو من ذاك.

البعض يقول: لماذا لا تركزون على جانب الأخلاق، وتأمرون الناس بأن يكونوا فيما بينهم متأكفين، متحابين وينصفون بعضهم من بعض، ويحلون مشاكلهم سريعاً قبل أن تتحول إلى مشاكل تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم.

من وجهة نظرنا - فيما نعتقد - لن يتحقق لنا هذا ما لم نحملهماً كبيراً هو: أن نجند أنفسنا لله، وأن نستشعر المسؤولية الكبيرة أمام الله بأن نكون من المجاهدين في سبيله، ومن يعمل على إعلاء كلمته، متى ما حصل هذا وأصبح همّاً لدينا، وأصبح كل شخص يستشعر المسؤولية في هذا فهو - وبتوفيق الله وألطافه - سينطلق بحرص على أن تكون علاقته مع أخيه، مع صاحبه، مع جاره علاقة حسنة، يعزز كل العوامل التي تخلق المحبة في أنفسهم لبعضهم بعض، يحرص على أن لا تنطلق من فمه كلمة تجرح مشاعر أخيه، ومتى ما بدرت منه زلة أسرع إلى الاعتذار، ومتى ما أحد أخطأ عليه كظم غيظه، أو عفى عنه، ومتى ما اعتذر أخوه قبل عذره، يتعامل الناس مع بعضهم بعض بأخلاق حسنة، وبنصح، وبمودعة، وبإخلاص.

الله سيتدخل كما صنع لأولئك الذين كانوا يخرجون يتقاتلون خارج المدينة، فألف بين قلوبهم، عندما استجابوا للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) استجابة أولية، أنهم مستعدون أن ينطلقوا تحت رايته، فيقول أحد كبارهم: امض يا رسول

الله، والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه، ولن نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١).

بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. أَلِف الله بين قلوبهم، وأنقذهم.

نحن نلمس أنها يذكر الناس به من الأخلاق الكريمة في خطب الجمعة وغيرها من المواعظ كلها مجرد تذكير لا يقدم ولا يؤخر ولا يخلق في أنفسنا شيئاً.

يجب أن نذكر بهذه الأخلاق الكريمة، أنها مهمة، وهي في حد ذاتها تعتبر طاعة من طاعات الله العظيمة. ولكن يجب أن نفهم أيضاً أن من أبرز غاياتها هي أنها تخدم عملية وحدة المؤمنين فيما بينهم، تلك القضية التي لا بد منها في تحقيق المسؤولية الكبيرة عليهم لدين الله سبحانه وتعالى، أن يكونوا من يعمل على نصر دينه، من يعمل على إعلاء كلمته، من يدافع عن دينه، نفهمها على هذا النحو، أما أن نتوقع أنها ستحقق لنا، فنحن قد جربنا أنفسنا، وأعتقد كل الناس قد جربوا أنفسهم، من هو الذي لم يسمع كلاماً كثيراً من هذا النوع في خطب الجمعة وغيرها، عن الأخوة والمحبة والألفة والتعامل الحسن وكظم الغيظ... و. إلى آخره، نتحدث عنها كطاعات مفردات من الطاعات، لا نتحدث عن غايتها المهمة التي تكشف عن أهمية ذلك المبدأ الذي كل هذه التشريعات تتجه نحو تهيئة الأمة لتكون بمستوى أن تنهض به.

فما لم نحمل هذا الهم - فيما أعتقد وفيما أرى - لن يتحقق لنا شيء في واقع أنفسنا، ومتى ما حملنا هذا الهم الكبير، ومتى ما شعرنا بالمسؤولية الكبيرة، فإن من المتوقع فعلاً أن يتدخل الله، فهو هو الذي يقدر على أن يؤلف بين قلوبنا، على أن يملأ قلوبنا حباً لبعضنا البعض، على أن يؤتينا الحكمة في تصرفنا مع بعضنا بعض، هكذا قال عن أولئك: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾.

نحن لسنا أعداء فيما بيننا أليس كذلك؟ لكن نفوس متباينة، وكل واحد يشعر بأنه لا رابط له بالآخر إلا مجرد الالتقاء اليومي في السوق، أو في المسجد، لا غير، لقد تدخل الله سبحانه تعالى فمنَّ على أولئك بنعمة كبيرة الذين كانوا أعداء ﴿أَعْدَاءٌ فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾.

هل تعرفوا ماذا تعني كلمة الألفة؟ ألفت، أصبحت متأكفة، وليس فقط انتزع منها العداء فأصبحت طبيعية كما نحن عليه، أصبحت قلوباً متأكفة، ومتى ما تألفت القلوب عظمت الثقة فيما بين الناس لبعضهم بعض، أصبحوا كياناً واحداً، أصبحوا كتلة واحدة، أصبح كل شخص منهم ينصح للآخر، ويخلص له، ويخدم ضميره، ويتألم له، يشترك هو معه في موقف من المواقف فلا يتخلى عنه، يحبه يوده، قلبه يألف قلبه، أصبحت القلوب متأكفة، أي لا يألف قلبي أن يظل منفرداً لوحده، يريد أن يبقى مع تلك القلوب التي ألفها.

القلوب تتآلف فتحب أن تجتمع متى ما ألف الله بينها، كما تحب أن تجتمع بصديق لك يومياً، تجلس معه، تجلس [تتسامر] معه يومياً، ﴿فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

من خلال ما هداكم إليه، فجعل له فاعلية في أنفسكم، وبدخله وإمداده الإلهي الغيبي.

هذه القضية إذا لم نهتم بها فلو - فيما أعتقد - نجلس في هذا المجلس يومياً يومياً سنين طويلة سننسى كل شيء.. ننسى في هذا اليوم ما سمعناه مثل اليوم وهكذا، ونبقى نحن أولئك الأشخاص الذين ننظر إلى بعضنا بعض نظرات عادية.

لا نحن متوحدون ولا متفرقون، ولا مختلفون ولا متفقون، كل واحد لوحده، تجمعنا الشمس عندما تطلع فتتحرك ونتلاقى في الطريق، السلام عليكم، وعليكم السلام، وفي السوق نشترى حاجات بعضنا بعض، وكل واحد يرح بيته، نخرج نصلي في المسجد جميعاً، أو نصلي فرادى، وكل واحد يرجع بيته، لا نلمس بأن هناك

شيئاً يجمع بيننا، ويهمننا جميعاً، لاهتمامنا المشترك به أصبحت قلوبنا متآلفة في ظله ف يرتاح الواحد منا عندما يلقي أخاه في المسجد، أو في السوق، أو في الطريق فيصبح حتى للحياة مذاق آخر.

أعتقد أن بعض الناس في القرى يعيشون في واقع حياتهم غرباء، عندما يكونون غير متآلفين فيما بينهم، بل يعيشون أسر يحتاجون إلى [اتفاقيات مكتوبة] لكف الأذى عن بعضهم بعض.

وفي كل أسبوع، أو في كل يوم تقريباً تظهر مشكلة من هنا ومشكلة من هنا، وكل واحد يرى بأنه فقط قدره أن يكون في هذا البيت داخل هذه القرية.

تصبح الحياة تعيسة.. ترى الآخرين في المسجد لا يمثلون لديك شيئاً، إذا لم تستأ من رؤيتهم ومن لقائهم فقد لا يمثلون لديك أي شيء، منظر طبيعي، لكن متى ما تألفت النفوس تعيش في حياة سعيدة ترى أصدقاء، ترى إخواناً، تدخل المسجد فترتاح برؤية إخوانك، تخرج إلى ساحات القرية فترتاح برؤية إخوانك، تمشي معهم في السيارة فترتاح بالمشي معهم، في السوق تلتقاهم فترتاح بلياقهم، تعيش حالة من الحياة لها طعم لها مذاق.

نحن بعد لم نعرف، لكن من خلال ما نتصوره قياساً على أمثلة في واقع حياتنا عندما يكون لك صديق معين تحبه أأست تترتاح عندما تراه؟ وقد لا تكون صداقتكم مع بعضهم بعض تبلغ درجة الأخوة الإيمانية، لكنك تترتاح عندما تلتقاه.

هذا أثره فيما يتعلق بالحياة جميل، فيما يتعلق بالنفوس، يجعل الحياة سعيدة بين الناس، وهم في قراهم، في مساجدهم، في تجمعاتهم، في أسواقهم، في طرقاتهم، وضعية تغيب فيها المشاكل، وضعية تختفي فيها الكثير من الإشكاليات التي سببها ومنشؤها التباين فيما بين النفوس، والوحشة فيما بين القلوب.

فكلمة من هذا تغرق هذا، سوء ظن، أو فهم خاطئ لعبارة منه تشكل مشكلة في

القرية أو مشكلة بين أَسْرَتَيْن.

لذا يجب علينا - أيها الإخوة - أن نعرف من أين نأتي لأنفسنا، من أين نأتي لقلوبنا حتى تتألف وتتوحد، أما إذا كنا لا يهمننا هذا ونجتمع لمجرد الاجتماعات، وحديث لمجرد الحديث، وكلام لمجرد الكلام فقد نقضي فترات طويلة لا نستفيد شيئاً.

ويقول سبحانه وتعالى وهو يعدد نعمه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وهو يأمر عباده ويرشد عباده إلى تذكر نعمه عليهم، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٢).

أليس هذا تدخلاً إلهياً؟

﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، فيضربونكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

فهذه نعمة، نعمة أنتم ربما لا تشعرون بها، قد تعتبرون القضية أنه فقط مجرد قرار آخر، كانوا قرروا أن يعملوا بنا كذا لكن ترجح لهم أن يتخذوا قراراً آخر، أو ظهر لهم أن القضية لا تستلزم أن يتخذوا منا ذلك القرار السابق فغيروا رأيهم، يأتي تدخلات إلهية، فهنا يذكر عباده ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، تلك النعمة التي هي أنه ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

١. المائدة: ٧.

٢. المائدة: من الآية ١١.

٣. المائدة: من الآية ١١.

هذا مجال جديد من مجالات النعم أليس كذلك؟ مجال الدفع عن المؤمنين، وكف أيدي أعدائهم عنهم، أليست هذه نعمة غير النعم الأخرى النعم المادية هذه التي نراها؟

ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١).

أليست هذه نعمة أيضاً من هذا القبيل، نعمة الدفع عن المؤمنين؟

ماذا يراد من خلال هذه؟ أن تعرف أنك متى ما توليته توليت من هو على كل شيء قدير، توليت من لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل عنك، توليت من سيرعاك ويدفع عنك ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾.

وهذا كان يوم الأحزاب عندما تجمع المشركون فبلغ عددهم ما يقارب عشرة آلاف شخص فحاصروا المدينة وحصل ما حصل من الرعب في نفوسهم الذي حكاه الله في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْبَصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُّونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(٢).

في ذلك اليوم الذي برز فيه عمرو بن عبد ود، وتحدى المسلمين وهم نحو ثلاثة آلاف، وبينهم وبين المشركين الخندق الذي كان قد عمله النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) مع المسلمين فبقي في داخل الخندق هو ونحو ثلاث آلاف من المسلمين وهم في حالة من الرعب شديدة، برز عمرو وهو يتحدى، فبرز له الإمام علي (عليه السلام)، وهو ما يزال شاباً، قد لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين سنة فبرز إليه وقتله، فهناك تحطمت معنويات الكافرين.

وظلوا على حصارهم للمدينة، فأرسل الله عليهم فيما بعد الريح وكما قال هنا في

١. الأحزاب: ٩.

٢. الأحزاب: ١١.

هذه الآية: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.

كانت تأتي الريح فتطفئ النار، وأدوات الطبخ لا تستقر تنكفي الأواني بما فيها إلى الأرض، في الأخير قرروا العودة عندما رأوا هذه الوضعية المزعجة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾، ويذكر الله في كتابه الكريم أنه هكذا مع كل الأمم، يأمرهم بأن يتذكروا النعم التي أنعم بها عليهم، فيقول في القرآن الكريم الذي هو أنزل إلى هذه الأمة يحكي أنه كان يخاطب بني إسرائيل في الماضي وخاطبهم أيضاً في هذا القرآن، خاطب من يسمع منهم في أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وفيما بعد: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(١).

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

لاحظوا.. لما لم يتذكر بنو إسرائيل النعمة التي أنعم الله بها عليهم، هكذا بلغ بهم الحال إلى أن يستبدل الله بهم غيرهم، وإلى أن يلعن الكثير منهم، وإلى أن يصبح أكثرهم فاسقين.

الْكَبِيرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. البقرة: ٤٠

٢. البقرة: ٤٧

أنبياء الله يذكرون أمهم أن يذكروا نعمة الله عليهم فيقول عن نبيه موسى وهو يتحدث مع قومه فيذكرهم نعمة الله عليهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٢).

يذكرهم بعدما قد نجاهم الله مما كان يعمل بهم آل فرعون من التعذيب والتنكيل، وبعد أن أصبحوا أمة مستقلة لها قائدها تتحرك هي في ظل راية الرسالة التي بعث الله بها موسى، لكنه كان يقول لهم: إنما أنتم فيه لا تستشعرون أنها وضعية تحافظون عليها وتحرسون عليها إلا إذا ما تذكركم ما كنتم فيه أيام كنتم في مصر تحت عبودية آل فرعون، فرعون وجنوده وقومه أولئك الذين كانوا يقتلون أبناءكم، يستحيون النساء ويذبحون البنين ويسومونكم سوء العذاب فيستعبدونكم في المهنة المذلة وفي الأعمال الشاقة.

وهذه الآية هي مهمة جداً، الناس عادة متى ما كانوا في وضع سيء ثم تبدل بهم

١. المائدة: ٢٠.

٢. إبراهيم: ٦.

الحال فأصبحوا في وضعية أخرى، كانوا أذلاء فأصبحوا أقوياء، كانوا مستذلين فأصبحوا أعزاء، أصبح لهم قوة، أصبحوا متمكنين، قد ينسون ويظنون بأنه هكذا انتهت تلك الوضعية السابقة فلم يبق إلا هذه الوضعية الجيدة وهكذا ستبقى، يتصور الناس بأن تلك الوضعية ستبقى هكذا على ما هي عليه إلى الأبد.

الإمام الخميني قدس سره كان يقول للإيرانيين بعد الثورة الإسلامية: إن الحفاظ على الثورة أهم من الثورة نفسها، أنتم قد ثرتم ونجحتم وحققتم انتصاراً عظيماً لكن هنا بدأ العمل الحقيقي وهو: الحفاظ على الثورة هكذا كان يقول لهم.

كما هنا قال موسى (عليه السلام) لقومه: حافظوا على هذه الوضعية التي أنتم فيها، لا تتنكروا لله، لا تبدلوا نعمة الله، تذكروا دائماً ما كنتم فيه سابقاً، ثم اذكروا نعمة الله عليكم إذ نجاكم منه، وفعلاً هذه لهذا أثرها العظيم فيما يتعلق بالحفاظ على منجزات الأمة، إذا الأمة تقارن بين ماضيها وما بلغت فيه وترى الفارق الكبير بين ذلك الوضع السابق السيئ وهذا الوضع الجيد الحسن فستحرص فعلاً على أن ترعى، على أن تحمي، على أن تدفع عن كل ما حقق لهم ذلك المكسب العظيم. اذكروا نعمة الله عليكم أن نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم إلى آخره، ثم انظروا كيف أصبحتم الآن، إذا لم تتذكروا تلك الأعمال السيئة السابقة فإنكم لن ترعوا هذه النعمة وهذه الوضعية الحسنة التي أصبحتم فيها.

الله سبحانه وتعالى يعلمنا أيضاً أن أوليائه يدعونه أن يوفقهم لشكر نعمه فيقول عن نبيه سليمان: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

لاحظوا نبي من أنبياء الله آتاه الله من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده، حكم الجن والإنس والطيور، وسخرت له الريح وسخر معه الجبال، وألأن الله له القطر، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾^(٢)، هذا الذي كان دائم التذكر لنعمة الله فكان يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٣).

فعندما سمع كلام النملة، وعندما رأى ذلك الحشد الهائل من الجن والإنس والطيور تبسم ضاحكاً، ولكن هل كانت ضحكته كضحكة قارون أو ضحكة الكثير من الأغنياء الذين يطغيهم المال، أو ابتسامة أولئك الزعماء الذين يرون أنفسهم جبارين فوق عباد الله؟ هذا نبي عظيم ينظر إلى ما بين يديه أنه نعمة من الله فيدعو الله أن يدفعه دائماً إلى أن يتذكر نعمه؛ لأن يشكرها ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾، فنملة تذكره؛ ولأن يسمع كلام نملة فيعرفها ويعرف لغة هذه المخلوقات الكثيرة يرى وقع هذه النعمة، وعظم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، فيطلب من الله أن يدفعه لأن يظل دائماً يتذكر هذه النعم، لأن يشكرها، وليس فقط النعمة التي أنعم بها عليه بل أيضاً تلك النعم التي أنعم بها على والديه، أنا سأشكرك على هذه النعمة التي أنعمت بها علي، وأيضاً على تلك النعمة التي أنعمت بها على والدي، فيدعو الله وهو المطلب المهم بالنسبة لعباد الله وأوليائه، فلا يرى ذلك الملك كله هو ما يحقق ما يريد له، إنه يريد من الله أن يدخله في عباده الصالحين، ذلك هو المقام الرفيع وذلك هو الملك العظيم.

١. النمل: ١٧-١٩

٢. سبأ: من الآية ١٠

٣. النمل: من الآية ٤٠

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

الناس الذين أكثرهم متى ما امتلك شيئاً بسيطاً من الدنيا أخلد إلى الدنيا، ونسي أن عليه أن يبحث، أن عليه أن يسعى، أن عليه أن يدعو الله باستمرار أن يدخله في عباده الصالحين، أن يكون من ضمن الصالحين، من ضمن أولياء الله.

أولئك الذين يطغيهم المال فينسوا أنهم في حاجة ماسة إلى مقام أرفع مما يرونه ربيعاً في حياتهم، هو أن يكونوا من عباد الله الصالحين الذين ذكروا في القرآن الكريم.

لا يصح أن ننطلق نحذر الناس من الدنيا؛ لأنها خداعة مكاراة! هي نعمة عظيمة، إذاً تعال حذر من الألسن وقل اقطعوا الألسن أيها الناس، فإن الألسن تكذب، وتشهد الزور، وتحلف الأيمان الفاجرة، وتؤيد الباطل، وتنطق بالباطل، وتعيب هذا، وتسخر من أولياء الله، الألسن اقطعوها، هل هذا منطق؟

هكذا حديث أولئك عن الدنيا نفس الحديث، إذا كنت تريد أن تعزل الناس عن الدنيا وأن يتركوها ويبقوا صعاليك فلا يستطيعون أن يعملوا شيئاً لدينهم، ولا يستطيعون أن يعملوا شيئاً يعززون به أنفسهم ويستغنون به عن أعدائهم؛ لكون الدنيا هي مكاراة وخداعة، إذاً قل للناس أن يقطعوا ألسنتهم؛ فألسنتهم تكذب. الله الذي خلق المال هو الذي خلق الألسن، الذي خلق المال هو الذي خلق الأعين والألسن، إذاً أخرجوا أعينكم فإنها تنظر إلى المحرمات، اقطعوا ألسنتكم فإنها تكذب وتشهد الزور وتحلف الأيمان الفاجرة.

ولهذا جاء القرآن بهدائته الواسعة متجهاً نحو النفوس ولم يصب جام غضبه على الدنيا، بل هو من يذكرنا بهذه النعم العظيمة في الدنيا، لم يأت ليقول للناس كما يقول كثير من أولئك الذين يرشدون الناس من أطرف كتاب يرونه، بل قال الله للناس: لا تغرنكم الحياة الدنيا فقط، لا تلهيكم، لا تنخدعوا بها، لا تؤثرها على الآخرة.. هذه عناوين حديث القرآن عن الدنيا.

لكن انطلقوا فيها ابتغوا من فضل الله فيها، تحركوا فيها، ولكن اهتدوا فيها وأنتم تتحركون فيها بهدي الله زكوا أنفسكم بهدي الله تعالى، حينئذ فليملك أحدكم كما يملك سليمان لا تغره الدنيا ولا تخدعه الدنيا، سليمان الذي قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾، وإشارة هذا إلى الملك العظيم الذي أوتيهِ ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

هكذا يأمر الله سبحانه وتعالى أوليائه، أو يذكر أن أوليائه هم دائماً يدعون الله أن يرزقهم تذكروا وشكروا نعمه، وهم أولئك الذين إذا ما ملكوا نعمه الكثيرة كيفما بلغت لا تملكهم، لا تخدعهم، لا تغرهم، لا يؤثرونها على الآخرة، لا تلهيهم عن ذكر الله.

فهل تتذكر وأنت تملك شيئاً من الدنيا قد يكون ما تملك يساوي [قدراً] أو اثنين من قدور سليمان التي كان يعملها الشياطين له ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾^(١).

أليس هكذا في الآية؟

وتريد أن تطغى، تريد أن تتكبر، تنسى أن تطلب من الله أن يدخلك في عباده الصالحين، انظر إلى سليمان عليه السلام الذي ملك الدنيا، ملك الجبال، ملك الطير، ملك الجن، ملك الإنس، ملك البر والبحر، ملك الرياح، تعال إلى كلماته الرقيقة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾.

نبي الله سليمان عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾، هذا الملك كله أنا أريد أن أسخره في الأعمال الصالحة، تلك الأعمال التي ترضيك..

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

أليست هذه كلمات رقيقة؟ ما أبعد الناس، أولئك الذين لا يملكون مثل قدور

١. سبأ: من الآية ١٣

سليمان عن هذا المنطق، أصبح الناس كما قال الله: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبَّاسٍ يُطْغَىٰ أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَىٰ﴾^(١).

إذا فالمعالجة أن نأتي نحن لنعالج الإشكالية في النفوس، وهو توجه القرآن الكريم، هو توجه إلى النفوس، لنعلم الناس كيف يزكون أنفسهم. لا أن نأت لنصب جام غضبنا على الدنيا نفسها التي هي نعمة عظيمة من نعم الله، والتي للإنسان دور مهم فيها، في تحقيق عبادته لله سبحانه وتعالى، وشهادته بكمال إلهه، نتجه إلى النفوس ونذكر الناس كيف يتعاملون مع الدنيا، كيف يملكون الدنيا ولا تملكهم، كيف يكون همهم أن يعملوا أعمالاً صالحة من خلال ما يملكون، وعلى الرغم مما يملكون، وأن ينشدوا ذلك المقام الرفيع وهو أن يكونوا ضمن عباد الله الصالحين في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أيضاً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَِّّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

ويصف أوليائه سبحانه وتعالى بأنهم يشكرون نعمته فيقول عن نبي الله إبراهيم (صلوات الله عليه): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

وموسى (صلوات الله عليه) يتمثل شكره لتلك النعمة في قطع عهد على نفسه فيقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٤).

١. العلق: ٦-٧

٢. الأحقاف: من الآية ١٥

٣. النحل: ١٢١

٤. القصص: من الآية ١٧

من منا يقول هذا؟ من منا عندما يرى أمواله التي تدر عليه مبالغ كبيرة، من منا يقول هذا عندما يرى نفسه أنه أصبح في موقف حق وفي عمل حق؟ وأنه وفق لأن يكون ممن ينطقون بالحق، ويعملون بالحق ممن يهدون بالحق وبه يعدلون فيقطع على نفسه عهداً أمام الله ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

هل تتصورون بأن موسى (عليه السلام) دخل من طرف مزرعته وفيها ما لا يقل قيمته عن نحو مليونين دولار من ثمار وممتلكات وآليات داخلها فقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾.

بل رأى نفسه أنه أصبح إنساناً استطاع أن يقول الحق، وأن يقف موقف الحق، وأن يقف في وجه الظالمين، فكانت هذه هي النعمة الكبرى.

هذه هي من أهم الأشياء التي تخلق لديك حصانة عن أن تنخدع بالآخرين الذين ينطلقون يشبطون الناس؛ لأنه من هو ذلك الذي يمكن أن يؤثر فيك وأنت ترى ما أنت عليه نعمة عظيمة، ستسخر منه أنت؛ لأنك ترى ما أنت فيه نعمة عظيمة؛ ولأنك تحس بأنك وفقت إلى نعمة عظيمة من خلال مقارنتك أنت للآخرين الذين يبذلون أموالهم وأيديهم وألستهم وأنفسهم في طريق الباطل وفي خدمة الباطل، وأنت تعرف أين سيكون مصيرهم، سترى أنت أنك في نعمة عظيمة فتصبح ممن يكون من المستحيل أن يؤثر عليه الآخرون بدعاية أو تضليل أو خداع أو ترغيب أو تهيب، يصرفونه عما هو فيه؛ لأنه يرى ما هو فيه نعمة، نعمة دفعته إلى أن يقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

ويذكر الله عن نبيه نوح أيضاً فيقول: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١).

هكذا تجد شكر النعم الإلهية في مجال نعمة الهداية والنعم المادية المتعددة شكرها وتذكرها من أهم صفات أولياء الله؛ لما لها من أثر كبير في ربطهم بوليهم، بالله

١. الإسراء: من الآية ٣

سبحانه وتعالى.

نجد كذلك كيف يأمر الله عباده بشكر نعمته بصورة عامة فيقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(١).

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٣).

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

ومتى ستشكر الله؟ إذا كنت دائم التذكر لنعمه العظيمة عليك.

يأتي في المقابل خطورة الإساءة التي تحول النعم فتبدل النعم، تلك الإساءة العظيمة إلى الله ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥).

ما هي هذه النعمة هنا؟ أليست هي نعمة الهداية؟ من أبرز ما تعنيه هذه الآية - فيما نفهم - هو التركيز على نعمة الهداية إلى الإيمان، هداية الآيات البينات، فيما تركه من أثر في النفوس فسماها نعمًا.

﴿كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾، هي نعم عظيمة عليهم ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

١. النحل: ١١٤.

٢. البقرة: ١٥٢.

٣. البقرة: ١٧٢.

٤. العنكبوت: من الآية ١٧.

٥. البقرة: ٢١١.

فتذكر هنا أنك عندما ترى نفسك تسير على هدي الله، تهتدي بآيات الله، تلزم نفسك على أن تعمل وفق آيات الله التي تهديك إلى أن تعمل الأعمال الكثيرة التي فيها رضاه فأنت في نعمة عظيمة فإذا ما استبدلت بها غيرها خطوطاً أخرى، مواقف أخرى، أشياء أخرى هي مخالفة لهدي الله سبحانه وتعالى تسير بك على غير صراطه فاعلم بأنك قد عرضت نفسك لعقوبة عظيمة من الله، وأنت قد بدلت نعمة الله ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^(١).

جهنم هي مصير الذين يتنكرون للنعم.

تأمل كيف أن الله يذكرنا بأننا متى ما وفقنا إلى عمل هو اهتداء بآياته، يذكرنا أن ننظر إلى ما نحن فيه أنها نعمة عظيمة، لا تعتبرها إشكالية، وتعتبرها حملاً ثقيلاً، انظر إلى ما وعد الله به من يعمل كعملك، انظر إلى ما وعد الله به أوليائه، انظر إلى ما وعد الله به المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة كيف تراه وكيف ستقتنع فعلاً، وترى بأنك في نعمة عظيمة فترعاها، لا تبدلها ولا تتبدل عنها، ولا تحاول أن يكون موقفك موقف من يستبدل الله به غيره فتكون قد عرضت نفسك إلى أن يكون مقرك هو جهنم ونعوذ بالله من جهنم التي قال فيها: ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾، بئس المستقر.

ويقول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).

لماذا كفرت بأنعم الله؟ هم كانوا يتقبلون داخل مدينتهم في نعم كثيرة حاجاتهم متوفرة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

١. إبراهيم: ٢٨-٢٩

٢. النحل: ١١٢

أي واحد منهم يمكن أن يعمل له أي عمل فيدر عليه دخلاً كبيراً، يبحث عن حاجاته فيراها كلها بين يديه تتوفر، والحياة في المدينة فعلاً تكون على هذا النحو لكنها تكون خطيرة. حياة المدينة هي خطيرة جداً فمظهر كفر النعم الجماعي يأتي من داخل المدن فتكون العاقبة هكذا ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾؛ لأنهم نسوا أن يتذكروا تلك النعم العظيمة التي هم فيها من سهولة المعيشة، سهولة الحصول على الرزق، توفر الحاجات، تأتي المدينة من القرى، من الأرياف، من البلدان الأخرى.

وربما - والله أعلم - أن اليهود يعرفون هذه القضية؛ فلهذا يعملون على أن تظل الأرياف في مختلف الشعوب الإسلامية أريافاً تفتقر إلى الكثير من خدمات الحياة، قد تكون الحياة فيها صعبة؛ ليهاجر الناس نحو المدن، فيتجمعون هناك بأعداد كبيرة لا ضابط لها، ليس هناك من يوجهها ويرشدها، ليس هناك من يرهاها، بل العكس ترى هناك مظاهر الفساد، ترى هناك وسائل الإضلال فتؤدي بتلك المجاميع التي كانت تشكر الله هنا وهي في قراها، عندما كانت تحصل على رزقها مما بين أيديهم، يكون لديهم الحيوانات، أبقار وأغنام وغيرها من الحيوانات ولديهم مزارع، ويشتغلون فيها، ويحيون حياة تجعلهم يحافظون على دينهم، وعلى قيمهم، لكن يرون مظاهر الحياة الأخرى تتطور، وتهملهم الدولة فلا كهرباء، ولا مياه، ولا مراكز صحية، ولا مدارس، ولا تلفون، ولا خطوط، ولا أشياء كثيرة يفقدونها فينطلقون نحو المدن بأعداد كبيرة.

وهناك يتجمعون أعداداً تنسى الله، أعداداً تكفر بنعمه، فأعداد كهذه هي ذابت فعلاً ذابت في حياتها الإيمانية، ذاب في نفوسها الإيمان، وتضاءلت القيم، حتى تلك القيم التي كانت عربية تتمتع بها في قراها، تضاءلت وأصبحت منسية، أمة كهذه هل يمكن أن تحظى برعاية من الله؟

مجاميع كهذه من المسلمين إنما تجمعت في شبكات للصيد تصبح فريسة في أيدي

اليهود، تصبح فعلاً فريسة في أيدي اليهود؛ لأن كل فساد هو في خدمة اليهود، والمدن هي من أسرع المناطق في الشعوب إلى الفساد والإفساد، حتى الأرياف نفسها لا تفسد إلا بعد أن يصل إليها الفساد من المدن.

تذكرت عندما قال لنا - ونحن نذهب في رحلة في شمال إيران - أحد الإخوة الإيرانيين: إنهم يهتمون جداً بالأرياف؛ لأن الغربيين يريدون أن يبقى الناس في الأرياف لا تتوفر لهم الخدمات، لا تتوفر لهم وسائل الحياة التي يتمتع بها أهل المدن، فيهاجرون إلى المدن، فيشكلون أو يصبح بواسطتهم مشاكل كثيرة تحصل: اقتصادية، وبيئية، وأخلاقية، وتصبح المدن مظاهرها فاسدة. فاهتموا فعلاً هناك أن يوفرُوا للقرى الكثير من الخدمات، لكننا نجد في الكثير من دولنا الإسلامية الأخرى الأرياف ليس لديها إلا البسيط، البسيط من الخدمات. فبيد من يصنع هذا؟ بيد من ترسم هذه الخطط؟

هم اليهود الذين يمتلكون - كما قلنا أكثر من مرة - خبرة بالسنن الإلهية، وبالسنن الإنسانية.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

ونجد بعد هذا وعد الله الحسن للشاكرين حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢). ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٣). ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤).

١. النحل: ١١٢.

٢. آل عمران: من الآية ١٤٤.

٣. آل عمران: من الآية ١٤٥.

٤. إبراهيم: ٧.

ويقول عن قوم لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نُّعَمَّةٍ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾^(١).

فننجي الشاكرين، ننجي الشاكرين من كثير من المهالك، وبهذا عرفنا - أيها الإخوة - كيف أنه يجب علينا أن نكون دائمي التذكر لنعم الله علينا، لما لها من علاقة قوية، علاقة قوية بالله سبحانه وتعالى، بمعرفة الله تجعلنا نتولى الله، ونعظمه، ونحبه، فننطلق في كل عمل يؤدي بنا إلى رضاه، يؤدي بنا إلى أن نفوز برضاه وجنته.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه، من الذاكرين لنعمه والشاكرين له عليها، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.

خاتمة:

إن تذكير الناس بنعم الله هو منهج إلهي أصيل، به تستقيم النفوس وتزكو القلوب، ويتحصن الإنسان من الكفر بالنعم ومن سوء استخدامها. فلا نجاة ولا فلاح إلا بشكر دائم، واستحضار مستمر للمنة الإلهية في كل صغيرة وكبيرة.

اللَّهُ أَكْبَرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. كيف يُعدّ كف أيدي الأعداء عن المؤمنين من أعظم النعم؟
٢. ما الرابط بين التذكير بالنعم وتثبيت الإيمان؟
٣. كيف عبّر الأنبياء عن شكرهم لله على نعمه؟
٤. ما أثر تذكر الماضي المؤلم في تعزيز التقدير للوضع الحاضر؟
٥. كيف قد يؤدي تجاهل النعم إلى زوالها؟
٦. ما خطورة استبدال نعمة الهداية بخيارات منحرفة؟
٧. ما العلاقة بين نعم الدنيا ومقام العبودية الصالحة؟
٨. كيف يحذر الله من كفر النعمة في قصص الأمم السابقة؟
٩. ما دور الأرياف والمدن في الحفاظ على القيم أو ضياعها حسب النص؟
١٠. ما هو الجزاء الموعود للشاكرين في القرآن الكريم؟



الفصل الخامس

نعمة الهداية

الدرس

البركة عشرين

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتناول هذا الدرس محوراً مركزياً من نعم الله على عباده، وهي نعمة الهداية، التي تشكل الأساس في تمييز الصراط المستقيم عن السبل الجائرة. تسلط هذه الدروس الضوء على العلاقة بين الهداية والنعم الأخرى، ومقام التشريع الإلهي، ومسؤولية الإنسان في الانقياد لما شرعه الله.

ذكر الله سبحانه وتعالى بأسلوب آخر أولئك الذين يرون أن كل ما في أيديهم، ينظرون إليه كنظرة قارون عندما قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(١).

عندما قال له بعض قومه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

١. القصص: من الآية ٧٨

٢. القصص: من الآية ٧٧

كان جوابه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(١).

أنا ذكي وشاطر، وعندي خبرة في البيع والشراء، وعندي خبرة في الزراعة، وعندي خبرة في كذا، فهذا هو نتاج شطارتي، ونتاج حنكتي وذكائي.

ففي [سورة الواقعة] بأسلوب آخر يقول لأولئك الذين ينظرون هذه النظرة إلى ما بين أيديهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٢).

هذه الأموال التي تحرثونها، هذه الأموال التي تجنون منها مختلف الثمار، فتحصلون من ورائها على أموال كثيرة، هذه الأرض التي تحرثونها، وهذا الزرع الذي ينبت بعد حرثكم ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.

ما هذا سؤال؟ نقول لك: تذكر النعم العظيمة عليك، تذكر، إذا أنت لم تذكر فسندرك نحن، فيأتي على هذا النحو من الاستفهام ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.

كيف سيكون جواب كل واحد منا؟ الله هو الزارع.. إذا هذه واحدة.

الزراعة تشمل مختلف الأصناف التي بين أيدي الناس سواء زراعة الزرع، زراعة النخيل، زراعة البن، زراعة الفواكه، زراعة الحبوب، تسمى كلها زراعة، بعد أن تعترف أنت بأن الله هو الزارع، الله هو الذي خلق هذه الأرض التي تحرثها، هو الذي خلق لك هذه الآلة التي تحرث عليها، أو هذا الحيوان الذي تحرث عليه، هو الذي خلق لك تلك الأيدي التي تقبض بها المحراث، أو تقبض بها عجلة القيادة في الحرّثة.

١. الواقعة: ٦٣.

٢. الواقعة: ٦٤.

والأعين التي تبصر بها أليست من الله؟ هل يستطيع الأعمى أن يحرث؟ لا يستطيع، لو تعطيه أرضاً واسعة جداً وتقول له: هذه لك وتحراثها أنت لاتستطيع حراثتها، أرضية كبيرة تعطيه، أرضية صالحة للزراعة وتقول له: لكن نريد أنت الذي تكون تحراثها أنت بيدك، حتى لو كان صحيح الجسم لكن فاقد البصر هل يستطيع؟

ثم هذه التربة التي تحرث فيها، هل هي سواء هي والرماد، أو الدقيق أو أي شيء آخر؟ من الذي أودع فيها هذه الخاصية، فجعلها قابلة للإنبات؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى.

لاحظ مساحة الأسئلة كثيرة داخل هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(١).

داخلها أسئلة كثيرة جداً، بدءاً من الأرض وانتهاء بالثمرة التي تجنيها، داخلها أسئلة كثيرة.

فإذا كنت معترفاً بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي زرع، هو الذي أنبت ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾.

أنت فقط تلقي الحبَّ في باطن التربة، من الذي يفلق الحب والنوى؟ هو الله ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، إذاً فهو الزارع، أليس كذلك؟

فإذا كنت معترفاً بأن هذه الأرض منه والقوة التي أنا عليها أتمكن بها من الزراعة، من الحراثة هي منه، وهذا الزرع هو الذي فلق حبه ونواه، هو الذي أنبت هذه الأشجار التي نجني منها الأموال الكثيرة.

فما هو الموقف الصحيح بالنسبة لي منه تعالى أمام ما أعطاني، ما هو الموقف

١. الأنعام: من الآية ٩٥

الصحيح؟ هل أرضى لنفسي أن أكون ممن قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١).

أخرج من طرف السوق بعد ما بعث من أي محصول زراعي بكمية كبيرة من المال، الان أنا محمّل بما جنيته من تلك الأشجار التي زرعها الله سبحانه وتعالى، وأنا مدبر عن الله، ظلوم كفار، هل هذه من الناحية الإنسانية تليق بالإنسان؟ هل يليق بك أن تولي بوجهك عن الله، وتصم آذانك عن الله، وتعرض عن الله، فتكون ظلوماً كفاراً، هل ترضى؟ هل هذا هو ما يمليه عليك ضميرك؟

أليس هذا من الجفاء؟ أليس هذا من السوء؟ أليس هذا من الحماقة؟ أليس هذا من الكفر؟ أم أن الذي ينبغي لك بعد أن تكون قد أجبت الإجابة الصحيحة على قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.

فقلت: بل أنت يا الله أنت الزارع، فانطلقت أنت لتقدّر نعمته العظيمة عليك، وتعترف بإحسانه الكبير إليك، فيخشع قلبك، ويمتلاً قلبك حباً له سبحانه وتعالى، وتشعر كم أنت مدين له بإحسانه العظيم إليك، فتكون نفسك منكسرة أمامه سبحانه وتعالى، منشدة نحوه انشداد عاطفي، وانشداد من يشعر بعظم وقع الإحسان عليه؟

أيّ الموقفين هو الأليق بالإنسان من هذين؟ أليس هو الموقف الثاني؟ لأننا إذا وقفنا الموقف الأول، موقف الظلوم الكفار، بعد أن كنا قد شهدنا على أنفسنا وأقرّينا في إجابتنا على هذا التساؤل الإلهي، فقلنا: بل أنت يا الله، أنت الزارع، أليست هذه جريمة كبيرة؟ أعترف وأشهد وأقر بأنك أنت الزارع، ثم أتعامل معك معاملة الظلوم الكفار؟ أليست هذه جريمة كبيرة؟ جريمة كبيرة فعلاً.

١. إبراهيم: من الآية ٣٤

﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ﴾^(١).

حتى تتأكدوا بأنه نحن الزارعون، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾، ضربة تأتي له أو عاصف أو تنعدم الأمطار، فتسقط الأوراق، وتذبل الغصون، وتجف السيقان فيتحول إلى حطام.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(٢).

تتعجبون من سوء حاله، كيف أصبحت مزرعتي بعد أن كانت خضراء ومنظرها جميلاً، أصبحت هكذا منظرًا موحشاً، أصبحت حطاماً!

هل كل واحد منا يعترف بأن الله يستطيع فعل هذا؟ إذاً هذا إقرار آخر، إذاً فهو الذي رعى هذه الشجرة حتى استطعت أن تحصل منها على هذا المحصول الكبير، هو الذي رعى هذه الأشجار حتى جنيت أنت ثمارها. أم تظن أنه الغاز والبودرة وهذه الكيماويات هي نفسها التي أعطته الرعاية؟ هي أيضاً مما خلقه الله سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت تذكّر أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾.

ولاحظ عندما يكون الوقت مجدياً لا يوجد أمطار، والماء قليل حتى وصل الناس إلى درجة أن كل واحد احتفظ بما لديه من ماء لبيته وحاجته، أي أنواع الأشجار التي لها أهمية كبيرة في حياة الناس قد أصبحت ظامئة، أصبحت جافة، هل هو وقت البودرة والغاز؟ هل سينفع؟ لا تعد تنفع. إذاً ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾.

لكن من أين ترسخ في أنفسنا - ونحن نتقلب في أموالنا - أن هذه هي لنا ونحن من نقوم بالعمل فيها، نحن من غرسنا أشجارها، ونحن من نجني ثمارها، ونحن.. ونحن.. إلى آخره.. مع نسياننا لله سبحانه وتعالى. من أين ترسخ هذا المفهوم لأننا لم نروض أنفسنا على أن نتذكر دائماً نعم الله العظيمة علينا، وأن نتذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا

١. الواقعة: من الآية ٦٥

٢. الواقعة: من الآية ٦٥

بِكُمْ مِنْ نِعْمَةِ فَمِنْ اللَّهِ^(١). ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢).

ترسخت هذه الحالة أو المفاهيم المغلوطة السيئة فتتج عنه حالات سيئة لدينا في أنفسنا جعلت كل واحد منا يتحول إلى أن يصبح ظلوماً كفاراً، فما الذي يبعدك عن أن تكون من الظالمين الكافرين بنعم الله سبحانه وتعالى؟ هو أن تتذكر.

إذا كنت أنت لا تتذكر تلقائياً فأجب على هذه الأسئلة التي ذكرك الله فيها؟

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

والذي أنت بالطبع لا تستطيع أن تقول: نحن. من الذي يستطيع أن يقول: نحن؟ لا يستطيع أحد، ما من أحد - ربما - يستطيع أن يقول نحن إلا وهو يتوقع عقوبة من الله لأشجاره، لزراعته، لو يقول: نحن. فكل واحد مقرر في نفسه أن الله هو الزارع.

إذا فتذكر سواء بالأسلوب الأول، أسلوب تعداد النعم، أو عن طريق الإجابة على هذه الأسئلة التي وجهت إليك وإلى أمثالك من بني آدم.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(٣).

ثم في الأخير ماذا تملك أن تعمل لا شيء. تصبح كصاحب الجنة الذي ذكر الله قصته في [سورة الكهف]: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَفْنَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾^(٤).

هل تملك في الأخير شيئاً، بعد أن يجعلها الله حطاماً تعطش حتى تجف سيقانها

١. النحل: من الآية ٥٣

٢. النحل: من الآية ١٨

٣. الواقعة: ٦٥

٤. الكهف: من الآية ٤٢

وتتحطم، ماذا يمكن أن تعمل، ربما آخر فكرة هو أنك تقتلع الزرع وتجعل نباتك ونساءك يجمعونه ليكون في الأخير [كوماً من الحطب] أليس كذلك؟ ﴿إِنَّا لَمُعْرِضُونَ﴾^(١). غرام، خسارة لا تملك شيئاً، لا تملك أن تضع بدائل لنفسك.

ترك الزراعة اشد فتكاً بنا من ترك السلاح

لنعد إلى أنفسنا فنصلحها، نصلح أوضاعنا، ليعيد الله سبحانه وتعالى بركات السماء والأرض إلينا من جديد؛ لأنه في الواقع بالنسبة لترك الزراعة والتوجه للتجارة، فيجتمع لديك مبلغاً من المال، وتريد العودة للزراعة ألسنت ستشتري حبوباً، وتشتري مواداً غذائية، تشتري فول من الصين وفاصوليا من الصين وعدس من تركيا، وتشتري بقوليات من خارج، وحب من خارج، تشتري ملابس من خارج، تشتري بهذا كله من خارج، أليس بالإمكان أن يعمل الناس ليتوفر ما يحتاجون إليه داخل بلدهم؟ لكن متى؟ متى ما حاولنا أن نصحح وضعيتنا فنخرج من حالة التيه، حتى لا نعد محتاجين إلى طائر السلوى، كما احتاج بنو إسرائيل.

هل كان طائر السلوى ممكن أن يكون بديلاً عن الأغنام والأبقار والإبل؟ مؤقتاً، نعمة مؤقتة، فالقات مثلاً في اليمن او قصب السكر في مصر او الحنة في العراق هو نعمة مؤقتة، ولكن في نفس الوقت يجب أن نشكر الله عليها. في نفس الوقت يجب ألا يترسخ لدينا بأنها هي الشجرة التي يجب أن تبقى. فأزرعها أنا ويزرعها أولادي من بعدي، ثم أولادهم وهكذا.

ما دمنا مفتقرين إلى تأمين غذائنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً، ولو كانت كل الصحاري قات او قصب السكر او حناء، ولو كانت كل الجبال هكذا، لا نستطيع

أن نقف موقفاً واحداً ضد أعداء الله، أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح، هل تفهمون هذا؟ حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجتنا إلى السلاح في ميدان وقفنا ضد أعداء الله.

الغذاء، القوت الضروري لا تستطيع أن تقف على قدميك وتصرخ في وجه أعدائك وأنت لا تملك قوتك، وإنما قوتك كله من عندهم.

ولكن نحن نقول إن اتخاذ المواقف هو في نفس الوقت من مقدمات العودة إلى الله سبحانه وتعالى، أو بداية العودة إلى الله لنعد إلى أنفسنا، فنراه سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا بأن نكون أنصاراً لدينه، وأن نعتصم جميعاً بحبله، وأن نكون أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تدعو إلى الخير، تقوم بهذه المهمة في الناس جميعاً.

فأملنا كبير في الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا بركات السماء والأرض، فيستطيع الناس أن يعودوا إلى زراعة الحبوب، وزراعة مختلف الأصناف من الثمار التي هم بحاجة ماسة إليها.

فلا مجال إلا العودة إلى الله سبحانه وتعالى، فنشكر الله على هذه النعمة، نبتعد عن الأيمان الفاجرة، عن الكذب، عن الغش، عن الخيانة، لا يلهينا العمل في التجارة في هذه الشجرة عن ذكر الله تعالى، عن أن تؤدي بنا إلى التقصير في طاعة الله تعالى، هذه نعمة سنحوها إلى كفر.

نشكر الله سبحانه وتعالى عليها وفي نفس الوقت نحاول أن نهيب أنفسنا بالشكل الذي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا بركات السماء وبركات الأرض..

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

هذا وعد من الله سبحانه وتعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلُ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا^(١).

أليس هذا من وعود الله سبحانه وتعالى؟

﴿وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا^(٢)﴾.

والحياة مرتبطة بالماء، الأرزاق مرتبطة بالماء، بل حريتنا مرتبطة بالماء، بل نصر ديننا مرتبط بالماء، والماء بيد من؟ خزائنه بيد الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى متى ما رجعنا إليه فهو رحيم بنا، هو من يرحمنا حتى ونحن في حالة الإعراض عنه فيسعفنا بجرعات اقتصادية، ليست كالجرعات الاقتصادية التي تأتي من قبل الحكومة كرفع أسعار ونحوها، بل يعطينا أشياء يهيئ لنا المعيشة بأشياء في حالة مؤقتة حتى نصحح وضعيتنا، وحتى يمكننا أن نعود إلى وضعنا الطبيعي، وضعنا الطبيعي الذي يمكننا من أن نعتمد على أنفسنا، فيما يتعلق بغذائنا، فيما يتعلق بحاجاتنا - ولو على الأقل - الضرورية.

حتى البيضة تأتي من خارج، الدجاجة تأتي من خارج، كل ما بين أيدينا كل ما في مطابخنا، كل ما في أسواقنا كله من خارج، من عند أعدائنا، أليست هذه وضعية سيئة، وضعية خطيرة جداً.

ثم إذا كنا مصريين على ألا نزرع جيلاً بعد جيل، هذا أيضاً من الإصرار على أننا لسنا مستعدين على أن نقف موقفاً يرضي الله سبحانه وتعالى، في مجال نصر دينه، وإعلاء كلمته، وأن نقف في وجه المفسدين في الأرض: اليهود والنصارى وأوليائهم.

إذا كنت مصراً على أن لا تزرع باستمرار وأن تورث هذه الزراعة للأجيال من

١. نوح: ١٢.

٢. الجن: ١٦.

بعدك فأنت مصر على قعودك عن نصر دين الله؛ لأن الله عندما يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^(١).

يأمرنا بأمر يوجب علينا أن نهى وضعيتنا بالشكل الذي نستطيع أن نكون فيه ممن يحقق نصر الله، ومنه الجانب الاقتصادي، تأمين غذائنا.

فليحاول الناس أن يحرثوا أي أماكن لا تزال غير مزروعة، يحرثونها، يحاول الناس أن يزرعوا الحبوب، ولو بنسبة بسيطة، ونرجع قليلاً إلى وضعنا الطبيعي في رجوعنا إلى الله سبحانه وتعالى من خلال رجوعنا إلى الله قليلاً حتى نعود بالشكل الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن نكون عليه.

الْكَبِيرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

نعمة التربة نعمة الماء ونعمة النار

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾^(١).

أنتم ترون هذا الماء؟ نعم نحن نراه، ونحن نعرف أننا لسنا نحن الذين نخلقه ونتنتجه، هل الماء تنتجه المصانع؟
﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾^(٢).

سؤال، كيف سيكون الجواب: أنت يا الله الذي تنزله من المزن، من السحاب
﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾^(٣).

مالحاً فلا يصلح للشرب ولا يصلح لسقي الأرض، هل بإمكانك أن تسقي نباتات من البحر.

أليس ماء البحر كثير جداً؟ لكن لا يصلح لا للشرب ولا لزراعة الأشجار، ولا لسقي المزارع بل ولا يصلح أحياناً استخدامه مع بعض أدوات التنظيف، أحياناً لا يصلح استخدامه مع بعض أنواع الصابون.

ألسنا مؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يجعله أجاجاً: مالحاً شديد الملوحة؟ يستطيع حتى ولو أبقاه كثيراً في متناولنا، لكن يستطيع أن يحوله إلى مالح،

١. الواقعة: ٦٨.

٢. الواقعة: ٦٩.

٣. الواقعة: من الآية ٧٠.

أو يغوره في أعماق الأرض ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(١).

من الذي يعطيكم بديلاً، هل أمريكا يمكن أن تعطينا ماء؟ أو اليابان أو الصين يمكن أن يعطونا ماء؟ مصانع تنتج ماء؟ لا.. هل تستطيع الدولة نفسها أن تعطينا ماء؟ هي تصيح على الناس المزارعين بأنه حاولوا أن تقللوا من استخدام المياه العشوائي، مخزون الماء معرض للانتهاك. ليس المخزون، إنما هو نحن، مخزون العودة إلى الله قد انتهى، مخزون العودة إلى الله في أنفسنا هو الذي انتهى. نحن لو عدنا إلى الله لما خشنا؛ لأنه قال: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾^(٢). فليكن من السماء وليكن من باطن الأرض.

الحفاظ على الماء في استهلاكه قضية مهمة، والتبذير بالماء هو من التبذير الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم، وشبه المبذرين بأنهم إخوان الشياطين ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣).

هذه الآية من الشواهد المهمة على أهمية الجانب الاقتصادي في حياة الناس، على أهمية الجانب الاقتصادي فيما يتعلق بقيامهم بواجباتهم ومسئولياتهم أمام الله سبحانه وتعالى؛ لأن حياتنا مرتبطة بالماء، غذائنا مرتبط بالماء، رزقنا مرتبط بالماء، بل سماه رزقاً في آيات أخرى سمى الماء رزقاً، هكذا مباشرة.

فمن يبذر بالماء كأنه شيطان، أي كأنه يعمل على أن يضرب الأمة من أساسها، حتى لا تستطيع أن تقف على قدميها في النهوض بواجباتها الدينية ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

هو لا يقدر نعمة الله سبحانه وتعالى، هو لا يعترف بالأهمية الكبرى للماء في أنه

١. الملك: ٣٠.

٢. الجن: ١٦.

٣. الاسراء: من الآية ٢٧.

هو أساس الحياة، هو عمود الحياة: حياة الأرض، وحياة الأنفس، بل حياة الإيمان، حياة الدين، بل حياة الأمة، عزتها كرامتها.

إسرائيل تحاول أن تهدد سوريا والعراق بضرب الأنهار التي تأتي من داخل تركيا ، لاحظوا كيف اليهود داخل إسرائيل يحاولون بأي طريقة على أن يحصلوا على كميات كبيرة تؤمن لهم حاجتهم من الماء، أذكاء، بأي طريقة يحاولون أن يحصلوا على ما يؤمن لهم الماء من أجل أن يستطيعوا أن يقفوا على أقدامهم أكثر مما قد حصل في مواجهتنا.

والعرب يتعرضون في شعوب كثيرة إلى أزمة مياه، بل هي قد تكون الأزمة الحارقة داخل هذه الأمة؛ لأن معظم الشعوب العربية لا تمتلك أنهاراً، أو لديها أنهار تأتي منابعها تأتي من بلدان هي لا تزال تحمل عداءً سواء للإسلام أو للعرب. بعض البلدان وإن كانت إسلامية مستعدة أن تدخل في اتفاقيات تضر بالبلاد الإسلامية العربية، لعداء للعربي لديهم، في الوقت الذي تعمل إسرائيل على أن تحصل على كميات كبيرة من الماء.

لماذا إسرائيل تفكر أن تحصل على الماء وتؤمن لنفسها، وأنتم لا تفكرون؟ إذا نحن مسلمون أقل من تلك التكاليف التي تصرف على محطات تحلية للماء على البحر نعود إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع لنا حلاً ﴿وَأَلِّوْا سُبُلَكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١).

أليس هذا وعداً إلهياً؟ لماذا لا تعمل الحكومات على أن تستقيم على الطريقة وأن تعود بشعوبها إلى الاستقامة على الطريقة، والتي منها أن تستقيم وتقف على الاستقامة في مواجهتها لأعداء الله سبحانه وتعالى؟ لا تتمثل استقامة الطريقة في صلاة الاستسقاء، ولا في الدعاء إلى الله، ونحن لا نعمل لدينه شيئاً، لا نعمل في مجال إصلاح عباده ومحاربة المفسدين في أرضه أي عمل.

وفروا على شعوبنا القروض، قروض كثيرة تثقل كاهل أي شعب، تؤدي إلى أزمات اقتصادية خانقة، وفروا علينا القروض وحاولوا أن نعود نحن وأنتم إلى الله سبحانه وتعالى، حتى نؤمن لأنفسنا غذاءنا، ونؤمن لأنفسنا مصدر حياتنا وأساس الحياة، وعمود الحياة وهو الماء.

وحتى في حالة افتراض أن هناك ماءً متوفراً لا بد أن نتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى بهذا الماء، فإذا كنت ممن لا يتذكر نعمة الله فهو هنا يقول لك: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾^(١).

كيف ستكون الإجابة؟ أليس أنت يا الله؟ إذاً تذكر نعمة الله، فإذا كنت تجيب بأنه من الله وبالتالي ترى أن كل شؤون حياتك، مصادر غذائك، مصادر حاجاتك كلها متوقفة على الماء، إذاً فهو نعمة وأساس لنعم كثيرة، فاشكر الله على هذه النعمة الكبيرة التي هي أساس النعم، واشكر الله على كل نعمة هي متفرعة من تلك النعم الأساسية.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾^(٢).

تقدحون تلك النار فتشتعل، النار هي أيضاً من الأشياء الضرورية في الحياة، كم من الصناعات تحتاج إلى النار؟ كم من أنواع الغذاء - بالنسبة لنا - يحتاج إلى النار، نحتاج إلى النار في بيوتنا، نحتاج إلى النار في كثير من مصانعنا، سواء النار بشكل كهرباء أو النار المعروفة، نحتاج إليها للإضاءة، وللوقود وإلى أغراض كثيرة.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾^(٣).

يوم كان العرب يقدحون زناداً في زناد بشجرتين فتقدح النار فيشتعل العود، يقول لهم: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾.

١. الواقعة: ٦٩.

٢. الواقعة: ٧١.

٣. الواقعة: ٧٢.

هذه الشجرة التي هي آية من آيات الله، عود ثقاب وإن كان أخضر ينقذ
فيشتعل ناراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشُونَ﴾.
أنت المنشئ يا الله.

إذاً فالنار هي نعمة، النار هنا في الدنيا - طبعاً - هي نعمة كبيرة من نعم الله على
الإنسان، ومصدرها هو بيد الله، هو الذي ينشئها، هو الذي أنشأها، فهي نعمة من
النعم الكثيرة.

لاحظوا هنا الآيات تتحدث عن ثلاث نعم أساسية كبرى: نعمة التربة، ونعمة
الماء، ونعمة النار، وهي نعم كبرى، وهي أساس تقريباً لكل النعم الأخرى في الحياة
فاشكر الله على هذه النار، واشكر الله سبحانه وتعالى على كل نعمة متفرعة من هذه
النعمة الكبرى، تذكر نعمة الله عليك.
﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾^(١).

هذه النار تذكر بالنار الكبرى بالآخرة بنار جهنم ﴿وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾^(٢).
كما يقول المفسرون: للمسافرين.

فهنا في هذه الآيات رأينا كيف أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ذكرنا بنعمه بهذا
الأسلوب الذي هو أسلوب الإشهاد والإقرار، يجعلنا نشهد ونقر لنكون من يحكم
على أنفسنا في الأخير، إما أن نكون من الشاكرين أو من الكافرين، ولنصر فيما بعد،
بعد أن نكون قد أقرنا وشهدنا على أنفسنا بأنه أنت يا الله من تزرع أنت يا الله من
تنزل الماء من المزن، أنت يا الله من خلقت مصادر هذه النار، نشهد على أنفسنا إما
بأن نكون كافرين وإما بأن نكون شاكرين، فترى ما هو الذي يليق بنا أمام هذه النعم
التي أقرنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي منحنا إياها وذكرنا بها على هذا النحو
المثير.

١. الواقعة: ٧٣.

٢. الواقعة: ٧٣.

ولنعد أيضاً إلى آيات أخرى فيها كثير مما عرضه الله سبحانه وتعالى من نعمه على الناس. وكما قلنا سابقاً: بأن الحديث عن نعم الله هو يعطي أكثر من معنى، فهي في نفس الوقت من مظاهر تدبير الله سبحانه وتعالى لشؤون خلقه، من مظاهر رحمته بعباده، من مظاهر رعايته لعباده، من مظاهر حكمته، من مظاهر قدرته العجيبة، من مظاهر علمه الواسع، من مظاهر مُلكه أنه هو من يملك السماوات والأرض وما بينهما، وهو رب هذا العرش العظيم، لا يكاد ينتهي الكلام حول هذه الآيات التي سرد الله فيها كثيراً من النعم التي على الإنسان؛ لأنها مهمة في كل مجال.

فمتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر رحمة الله، فما أوسع الحديث عنها. ومتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر حكمة الله فما أوسع الحديث عنها. وباعتبارها من مظاهر قدرة الله وعلمه بكل شيء ورعايته ولطفه فما أوسع الحديث عنها، وفي كل الأحوال ما أهم تذكر الإنسان لها، وما أعظم أهمية أن يتذكرها الإنسان لما تعطيه من دروس في كل هذه المجالات التي ترشد إليها، وتنبيئ عنها فيما يتعلق بكمال الله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(١).

هذا أول شيء، وأهم النعم الهداية بالنبوة بإرسال الأنبياء بإنزال الكتب، بالنسبة لنا نحن المسلمين إنزال القرآن والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

خلقها ليس لمجرد هواية أن يخلق، ممارسة هواية، هو خلقها بالحق، هناك غاية

١. النحل: ٢.

٢. النحل: ٣.

مهمة مرتبطة بها ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(١).
خلقه من نطفة ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾^(٢).

كما قال عنها في آية أخرى، فإذا هو عندما يكبر ويشتد ساعده، ويتمتع بكامل قوته يصبح خصيماً لله، معانداً متمرداً ﴿مُبِينٌ﴾، بين الخصومة والعناد والتمرد. أليس الإنسان ظلوم كفار؟ وعادة ينطلق الإنسان في أن يكون خصماً لله تعالى، وهو في أوسع حالات التمتع بنعم الله تعالى، ما يتمتع به من قوة في بدنه، وما يتمتع به من نعم الله بين يديه، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٣).
فمتى ما توفرت له النعم، متى ما رأى نفسه يمتلك كامل قواه وبصحة جيدة ينطلق خصماً لله، ينطلق معانداً لله، وجاحداً لله وكافراً بالله، ورافضاً لدينه، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٤).
﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٥).

أحياناً يكون أولئك الفقراء أقل طغياناً، أقل ظلماً، أقل تكبراً، لا تزال لديهم كثير من مشاعر الحاجة إلى الله، والعودة إلى الله والطلب إلى الله سبحانه وتعالى، وبعضهم متى ما استغنى ورأى نفسه وهو ذلك الذي كان كثير الدعاء لله، وكثير الالتجاء إلى الله يوم كان ضعيفاً، يوم كان مريضاً، يوم كان مفتقراً، ومتى ما استغنى، ومتى ما تمتع بكامل قوته انطلق خصماً لله.
أليست حالة أن تكون متمتعاً بكامل قوتك البدنية، متمتعاً بنعم واسعة عليك هي الحال التي يجب أن تكون فيها أكثر عودة إلى الله وخشوعاً لله، وحياء من الله، وعبادة لله، أليس هذا هو الوضع الطبيعي لك.

١. النحل: ٤.

٢. السجدة: من الآية ٨.

٣. العلق: ٦-٧.

٤. إبراهيم: من الآية ٣٤.

٥. عبس: ١٧.

كما كان نبي الله سليمان (عليه السلام) صاحب الدنيا الواسعة والملك العظيم، ذلك الذي يقول: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

هذا هو الوضع الصحيح لمن يمتلكون نعماً مادية ومعنوية.
«وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ»^(٢).

الأنعام هو اسم يطلق على الإبل والبقر والغنم بأصنافها «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ»^(٣).

أيضاً مظهر من المظاهر التي تسر الناس في حياتهم، منظر جميل يتمتعون به، هل أحد منكم شاهد هذا المنظر، يوم كانت القرى بعد أن تشرق الشمس على الناس فيفتحون أبواب البيوت والأبواب التي يسمونها [الأحواش] التي للغنم فتخرج قطعان الغنم، منظر جميل.

منظر رائع وجميل وقطعان الغنم من الضأن والمعز تتقدمها البقر وهي تسرح إلى المرعى، حركة القرية وأجواء القرية تكون جميلة جداً، ربما كثير منكم لم يشاهد هذه المناظر.

«وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ»

وأنتم تذهبون بها إلى المراعي ثم عندما تعودون بها من المرعى.
«وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ»^(٤).

رءوف بكم رحيم بكم، يهيئ لكم هذه الحيوانات المختلفة والمتعددة الفوائد والأغراض، وأنتم لا تملكون أن تسخروها لأنفسكم فسخرها لكم؛ لأنه رؤوف

١. النمل: من الآية ١٩.

٢. النحل: من الآية ٥.

٣. النحل: ٥- ٦.

٤. النحل: ٧.

بكم، رحيم بكم.

﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

في الوقت الذي يجعل الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات مما يحقق لنا أغراضاً كثيرة عملية، يلحظ أيضاً بأن يكون شكلها، أن يكون مظهرها جميلاً، أن يكون جميلاً حتى جانب الزينة أن تكون مناظر جميلة، وحركات جميلة، حركات الأغنام، قطعان الأغنام ومنظرها وهي تسرح وهي تعود، الخيول البغال الحمير، حتى الجانب الفني أو جانب الجمال، جانب الجمال هو أيضاً مما هو ملحوظ داخل هذه النعم الإلهية. فتمتع أعيننا، وأنفسنا ترتاح إلى هذه المناظر.

وتلاحظ هذه السُنَّة الإلهية من الله سبحانه وتعالى في مختلف النعم التي للإنسان بحاجة إليها كيف يكون ملحوظ فيها جانب الجمال، الجانب الفني، الفواكه التي نأكلها، أليست أشكلها جميلة، وروائحها جميلة.

لكن - لاحظ - بالنسبة لأهل النار كيف قال عن تلك الشجرة التي يأكلونها، شجرة الزقوم ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا - ثَمَارُهَا - كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢).

قبيحة جداً، فمنظرها بشع ومذاقها مر شديد المرارة، وساخن جداً ﴿كَأَمْلِهِ لِيَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾^(٣).

لكن لاحظوا هنا في الدنيا الفواكه، الأشجار التي ثمارها من الأقوات الضرورية لنا، أليست جميلة عندما تتطلع إلى مزارع الذرة أو مزارع البر والشعير أليس منظرها جميلاً، مزارع النخيل مزارع الرز، مزارع العنب وغيرها من الأشجار كلها مناظر جميلة.

١. النحل: ٨.

٢. الصافات: ٦٤-٦٥.

٣. الدخان: ٤٥.

ثم تجد كل شيء مما هو نعمة علينا أيضاً مرتبط أو مترافق معه جانب الجمال،
أليست هذه رحمة من الله سبحانه وتعالى بنا. ولأنها نعمة أخرى أيضاً في حد ذاتها،
نعمة أخرى من النعم الكبيرة. لو أنك إنسان هكذا تحتاج إلى الأكل إلى الشراب
تحتاج إلى حيوانات أخرى تسخر لك ثم تجد كل شيء بشعاً أمامك أنت محتاج إلى أن
تشبع بطنك فقوتك شكله بشع ومذاقه مر، لكن رغماً عنك ستأكل من أجل أن
تشبع بطنك، من أجل أن تستطيع أن تواصل حركتك في الحياة، أليس من
الضروري أن يأكل الإنسان حتى وإن كان مذاقه مرّاً؟ وإن كان غير سائغ. الله
سبحانه وتعالى يجعل شرابنا سائغاً ويجعل مذاقه جيداً، وطعامنا كذلك سائغاً
ومذاقه جيداً، وشكله جميلاً وفواكه جميلة وأذواقها سائغة ومناظرها جميلة.

الْحَمْدُ
لِلَّهِ

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

مما أنتم بحاجة إليه، يخلق ما لا تعلمون مما هو مسخر لكم، يخلق ما لا تعلمون لأنه على كل شيء قدير، وكم من المخلوقات الكثيرة التي لا تعلمونها خلقها الله سبحانه وتعالى.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

تأمل في هذه الآية عدد لنا جملة نعم، بدءاً من خلق السموات والأرض، ومن خلقنا نحن، ومن خلق الأنعام، بعد أن ذكر النعمة الكبرى، نعمة الهداية ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٣).

وكأنه يقول لنا: أنا الذي أهدي، وأنا الذي يهمني أمركم، وأنا المتكفل برسم الخط الذي تسرون عليه، خط الهداية فتهدتون به في حياتكم، وتهتدون به إلى ما فيه جنة ربكم كأنه يقول لنا هذا.. وهو هو من له الحق في أن يهدي، وهو هو من لا يمكن أن يفرط في هدايته لعباده إذا كان هو الذي يرعاهم هذه الرعاية في شئون حياتهم.

١. النحل: من الآية ٨

٢. النحل: ٩

٣. النحل: ٢

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

عندما يخلق هذه الأنعام التي سخرها لكم أليس هذا يدل على أنه رؤوف رحيم بكم. فكيف يمكن أن يفرط في هدايتكم، في أن يرسم لكم خط الهداية الذي تسيرون عليه المتمثل بالكتب، والمتمثل بالرسل، المتمثل بالقرآن الكريم وبالرسول العظيم (صلوات الله عليه وعلى اله) هي أول نعمة منه، وهي النعمة التي تكفل بها، فإذا كنتم ترون في هذه النعم التي تشاهدونها من الأنعام وغيرها ما يدل على أن الله رؤوف ورحيم بكم، فتذكروا، وتأكدوا بأنه لا يمكن أن يفرط في مجال هدايتكم، وهو الذي نزل هذا القرآن ب كله من أجل هدايتكم.

هو يقول لنا: أن نقطع على أنفسنا من منطلق الثقة به أن من راعانا هذه الرعاية في حياتنا بهذه النعم الواسعة التي لم ينس أن يلحظ فيها جانب الجمال لا يمكن أن يفرط في الهداية، لا يمكن أن يتركنا حائرين في هذه الدنيا، لا يمكن أن يضيعنا، إنه رؤوف رحيم، إنه رؤوف رحيم؛ ولهذا قال هنا في متوسط الآيات التي تحدث فيها عن النعم المادية يقول: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(٢).

عليه هو ليس إليكم هذا المجال.

هذه نعم مادية تتقلبون فيها على النحو الذي يطور الحياة، على النحو الذي هي مسخرة من أجله أو عليه، لكن فيما يتعلق بجانب الهداية لا تفهموا أنني عندما خلقت لكم هذه الأنعام وأنزلتها - كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٣).

ذكر أنه أنزلها: من الأنعام ثمانية أزواج - أنه فيما يتعلق بجانب التشريع، بجانب

١. النحل: من الآية ٧

٢. النحل: من الآية ٩

٣. الزمر: من الآية ٦

الهداية أنها أيضاً يقول: خذوا تفضلوا أنتم تحركوا كما تريدون فيه. لا. لا تنظروا إلى جانب الهداية كنظر تكم إلى جانب النعم؛ لأنه خلق لكم، أنزل لكم، منحكم، فأنتم تتحركون فيها فهذا يربي غناً، وهذا يربي بقرراً، وهذا يربي إبلاً، وهذا يربي كذا وكذا. فيرى الناس أنفسهم أنهم يتصرفون فيها بحرية وكيفما يشاءون فينظرون إلى جانب الهداية على هذا النحو، لا الله يقول: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾. وحده ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾. أن يرسم الصراط المستقيم الذي تسيرون إليه، الصراط القاصد الذي يؤدي إلى الغاية المرجوة من وراء الهداية في هذه الدنيا، وفي الآخرة. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾^(١).

ومن السبل في هذه الحياة ما هو جائر، فإذا كانت السبل متعددة في الحياة ويأتي المجرمون والظالمون فيرسمون سبلاً من الضلال، يدعون الناس إلى السير عليها، فهو يقول: أنا لا أنساكم، وأنا الذي سأتكفل بهدايتكم، ورسم السبل القاصد، الصراط المستقيم الذي هو هداية حقيقية لكم في هذه الحياة. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

بأن يوحى إلى كل شخص، أو كما يقول المفسرون: عن طريق القسر- واللجوء إليه، يهديك رغماً عنك.

شاء الهداية وهدى على هذا النحو من إنزال الكتب، إنزال القرآن، وبعث الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن يجعل في هذه الأمة ورثة لكتابه هم أهل بيت نبيه (عليه السلام). الهداية تكفل بها، الهداية قد رسم طريقها، وهو يقول لنا: هذه النعم المادية شيء عظيم، وأنتم في الحياة في حالة تعدد السبل الجائرة أيضاً أنا أتكفل

١. النحل: من الآية ٩

٢. النحل: من الآية ٩

بهدايتكم، سأرسم لكم الطريق القاصد الصراط المستقيم.

وجاء هنا بهذه العبارة لكي يفهم الناس، ويفهم من يقولون: بأن كل إنسان فلينطلق ليجتهد، لينطلق ليشرع يقول له هنا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾^(١). وحده ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

يقول لأولئك الذين يعملون مجالس تشريعية في مختلف المناطق في البلاد الإسلامية ليشرعوا، ليقننوا: إن كنتم تقننون فقط على وفق أحكام الله، وتشريع الله، وهدي الله سبحانه وتعالى عندما تنصون على المجالات المتعددة المتجددة في الحياة بربطها، فإن كان من منطلق أن الإنسان يملك حق التشريع لنفسه فهذا لا يبعد أن يكون من الشرك بالله سبحانه وتعالى، وإن كان فقط مجرد إخراج، مجرد تفصيل للهداية الواضحة التي قد رسمها الله سبحانه وتعالى فلماذا تسمون تلك المجالس مجالس تشريعية. لا يصح أن تسمى مجالس تشريعية بأي حال من الأحوال.

كما ونحن في حالات التقنين والتشريع - كما يقولون - يجب أن نعتد على القرآن الكريم، وعلى أهل البيت (عليه السلام)، على ورثة الكتاب، وليس فقط أن ندرس قوانين، ثم نقول: نحن مقننون، ثم ننطلق لنضع قوانين، ونصدر قوانين، ونحاول أن نستفيد من القانون المصري الذي هو مستفيد من القانون الفرنسي والبريطاني، وهكذا، وتنتهي المسألة، وإذا بنا نوصل إلى داخل أوطاننا ما قننه أعداؤنا، الذين انطلقوا ليقننوا لأنفسهم؛ لأنهم كافرون بكتاب الله، كافرون برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكأنه ليس فيما بين أيدينا من الهدى ما يمكن أن يتناول شؤون الحياة، ومستجدات الحياة، والله هو الذي يقول لنا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

١. النحل: من الآية ٩.

٢. النحل: من الآية ٩.

ألمست ترى هذه الأنعام ما تزال موجودة وقائمة؟ أليس هناك خيل، وبغال، وحمير، وبقر، وغنم، وإبل ما تزال موجودة، هو في الوقت الذي يذكرك بأنها نعم في نفس الوقت عليه قصد السبيل إذا كنت ملتجئاً إليه، إذا كانت الأمة ملتجئة إليه، وملتجئة إلى الثقلين، للتمسك بالثقلين بكتاب الله، وعرة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) فما زالت الحياة، وما دامت الحياة مستمرة فستظل الطريق القاصدة، والصراط المستقيم قائمة الله تكفل بهذا، تكفل به كما ذكر الأنعام، فكيف نرى الأنعام ما تزال قائمة، وباقية، ثم ما يتعلق بقصد السبيل، والهداية نقول: انتهت ذاك اليوم، وكل واحد يقوم يبحث هو عن الهداية لنفسه! هل هذا صحيح؟

ربما لو قلنا: نحن رأينا الأبقار، والأغنام والإبل، والخيل، والبغال والحمير هذه انتهت من الدنيا، يمكن إذاً فكل ما تناولته هذه الآيات ربما قد رفع، وانتهى. لكن العجيب هو أننا نرى في الوقت الذي نجد هذه الآية، الآية التي تدل على الهداية، وأن الله هو الذي يتكفل بالتشريع لعباده، وهداية عباده، تتوسط الحديث عن نعمه، ونحن ما نزال نرى نعمه قائمة، ثم نقول: أما قصد السبيل فيبدو بأنه قد غاب، كيف يرفع الله ما نحن في أمس الحاجة إليه: هدايته، ويترك لنا البقر والحمير، والإبل، والغنم، وهذه المواشي؟ أليست هداية الله لنا في هذه الحياة هي أهم؟ هل تبقى الحمير، ولا تبقى هداية الله؟ بحيث تبقى الحمير في هذه الدنيا كنعمة يحافظ الله عليها أن تبقى، ولا يحافظ على أن تبقى نعمة هدايته قائمة! لا يصح هذا.

أم أننا رأينا أن الإنسان هو أحوج إلى الحمار أكثر من حاجته إلى هداية الله؟! نحن نرى أنفسنا مستغنين عن بعض هذه الحيوانات أليس كذلك؟ قد نستغني عنها، وقد تتطور الحياة فيستغني الناس عن كثير من هذه الحيوانات، لكن لا يمكن أن يستغنوا عن هدايته؛ لأنه هنا قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾.

أنتم لو فكرتم بأن بإمكانكم أن تستغنوا عن الإبل، والخيل والبغال، والحمير كوسائل نقل، قد يحصل بدائل، لكن هذا، ما يتعلق برسم الطريق القاصد في الحياة

هو على الله وحده، ليس بإمكانكم أن تضعوا بديلاً عنه، ولو حاولتم أن تضعوا بديلاً عنه فإنها هو الضلال بدلاً عن الحق، إنما هو الظلام بدلاً عن النور، إنما هو الشقاء بدلاً عن السعادة.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾^(١).

هذا الماء النازل لترعون فيه مواشيكم، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

يفهمون ما وراء هذه فَهَمَ من يعقل، فيحفظ، ويقف، ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾^(٣).
﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾.

ما نشر من الأشياء الكثيرة من مختلف الأصناف نباتات، وحيوانات، وتربة وأحجار مختلفة الأصناف، متعددة الأغراض ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٤).

أليس هذا أيضاً عودة إلى جانب الجمال. ﴿حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ

١. النحل: ١٠.

٢. النحل: ١١- ١٢.

٣. النحل: ١٣.

٤. النحل: من الآية ١٤.

مَوَاحِرَ فِيهِ»^(١).

السفن وهي تشق الماء بمقدمتها، وبيطنها، وهذه من الآيات العجيبة، سفن ثقيلة هل هي تمشي على سطح صلب فتستمسك، لا، إنه سطح هي تحرقه، وتشقه، فمن الذي يمسكها.

إنه الله سبحانه وتعالى الذي جعل في هذا الماء، وفي هذه المعادن، أو هذه الآليات، أو تلك المادة التي تجعل من الممكن أن تسير هذه السفن الثقيلة لا على أرض صلبة بل على سطح قابل للإنمخار، فتمخره بمقدماتها، فيتجه يميناً وشمالاً وهي تشقه وهو عن يمين السفينة وشمالها، ترى كيف يطلع بكميات كبيرة، كالجدار الكبير. هذه الآية عجيبة من آيات الله؛ لأن الشيء الطبيعي هو أن الأشياء الثقيلة لا تستمسك إلا على سطح صلب، فالماء ليس صلباً سطحه، بل هو ينشق فتمخره السفن، مع ذلك تستمسك فوقه، وتجري فوقه.

الحركة التجارية وكأنه مطلوب من الإنسان أن يتحرك في هذه الدنيا عندما يقول: «وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ»^(٢). تتحرك متجهة كذا، ومتجهة بالاتجاه الآخر «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(٣).

تطلبون من فضل الله بالتجارة، بالصيد، باستخراج الحلي من أعماق البحر. «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»، ومتى ستشكرون؟ عندما تتذكرون بأن هذه من النعم العظيمة.

فلاحظ كيف يأتي بالتأكيد على تذكر النعم، وأن يظل الإنسان شاكراً وهو بيني حضارة، لا بد حتى تكون هذه الحضارة إنسانية حقيقية، وتكون في مصلحة

١. النحل: من الآية ١٤

٢. النحل: من الآية ١٤

٣. النحل: من الآية ١٤

البشرية، أن يكون من يقوم عليها، وينهض بها، من هم دائمو التذكر بنعم الله سبحانه وتعالى، وينطلقون في شكره ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

متى ما ضاع هذا الشعور لدى الإنسان أصبحت تجارتها بالشكل الذي يضر بالبشر، يتجر في الأشياء الضارة، يمارس في عملية البيع والشراء كثيراً من المحرمات، يدخل في الربا، أليس العالم الآن غارقاً في الربا، العالم غارق في الربا، والعالم في حرب مع الله ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

وتجد من مظاهر هذه الحرب فساداً تجارياً، غلاء أسعار بشكل رهيب، هبوطاً حتى في مواصفات التصنيع من أجل مواكبة القدرة الشرائية لدى المستهلكين، المنتجات الجيدة ألر تغب عن الأسواق؟ منتجات جيدة من الإلكترونيات وغيرها من الصناعات، والأقمشة، وكثير من الآليات، ألر تغب عن الأسواق. ألر تهبط الصناعات، وتهبط المواصفات، تهبط وكل عام ترى الصناعات تهبط قليلاً قليلاً في مواصفاتها، في جودتها، لماذا؟ نزولاً عند رغبة المشتري، أو تبعاً لقدرته الشرائية.

الربا هو ضرب الناس حتى ضرب الصناعات فأصبحنا بدل أن كنا نتمتع بكثير من الصناعات الجيدة، ذات المواصفات الجيدة، في مختلف المجالات، ها نحن تغلب على أسواقنا منتجات مواصفاتها رديئة، ومتى ما رأينا قطعة جيدة [أصلية] من أي منتج، ورأينا سعرها مرتفعاً ألسنا نخرج، ونقول: هذا سعره مرتفع، الحقيقة أنها أصلي لكنها سعرها مرتفع، والآخر قال: جيدة لكنها غالي، والرجال صاحب المحل في الأخير لا يستورد منها، صاحب المصنع في الأخير لا يعد ينتجها، يحاول أن ينتج إنتاجاً آخر يتمشى مع حالة الناس.

فنحن في حرب مع الله، والله في حرب معنا بسبب المرايين، بسبب التجارة التي تقوم على الربا؛ لأن أولئك المرايين ليسوا ممن يتذكرون نعمة الله، وليسوا ممن

١. البقرة: من الآية ٢٧٩

ينطلقون في شكره؛ لأن من يتذكر بأن ما يتقلب فيه من أموال التجارة هو نعمة من الله عليه، سيحاول أن يبتعد عن المحرمات في التعامل، سيبتعد عن الربا.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾^(١).

الرواسي هي الجبال لما كانت الأرض اليابسة هي في واقعها مفروشة على الماء، والماء يشكل نسبة كبيرة قد يكون أكثر من ٧٠٪ من حجم الكرة الأرضية بأكملها، كانت - بالطبع - الأرض تعتبر قطعة صغيرة فوق سطح الماء، قابلة لأن تبقى تهتز وتتحرك، فألقى الله فيها الجبال تثبتها ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾.

لترسوا، فترسوا الأرض على الماء، ولا تكون مهتزة، فيمكن الاستقرار عليها. أيضاً جعل في الأرض أنهاراً، أنهار المياه، جعل فيها سبلاً ﴿وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

تهتدون وأنتم تتجهون في هذه الأرض، وأنتم تتقبلون في السفر إلى مناطق متعددة في هذه الأرض، جعل فيها سبلاً منافذاً.

أنت عندما تكون في الطائرة فترى منظر الأرض، تراها فعلاً لا ترى فيها منطقة مقفلة، حتى فيما يتعلق بتصميم الأودية، تجد كيف الجبال الشاهقة شعاب صغيرة فيها إلى أودية صغيرة، وأودية صغيرة تتجمع إلى أودية كبيرة، وتتجه هكذا باتجاه الصحراء، أو باتجاه البحر.

الجبال نفسها لعدة أغراض، ولعدة فوائد، فهي نفسها تساعد على أن تبقى الأرض فلا تميد فوق البحر، وهي نفسها غير مقفلة، قابلة لتحرك الإنسان عليها، هي نفسها قابلة للاستقرار عليها، بل أحياناً تطلع مساحة البلدان التي فيها جبال كثيرة تطلع مساحة كبيرة عندما تحسب وجه الجبل من هنا، ووجهه من هناك، ترى

كيف أنه وبتصميم الله سبحانه وتعالى الذي هو حكيم لا يضيع حتى المساحة التي سيشغلها الجبل. أليس الجبل ضروريا بالنسبة للأرض؟ سيجعل الجبل نفسه بشكل يكون أوسع مساحة من المساحة التي يشغلها في موقعه، فعندما تمسح مساحة الجبل من هنا كم سيطلع. ستراه أكثر من المساحة التي يشغلها الجبل.

لأن الله حكيم، هو لا يبذر، هو لا يضيع، يقول: الجبل ضروري، سنضع الجبل وإن كان كذا، أهم شيء أن ترسو الأرض، فنرى الجبل هذا، وسلسلة من الجبال تشغل مساحات واسعة من الأرض، ثم هي نراها لا تصلح للسكن عليها، ولا تصلح للتحرك فيها، عبارة عن سدود شاهقة، ليس لها أكثر من مهمة واحدة، هي أن تمسك الأرض أن تميد وهي مفترشة فوق الماء، لعدة أغراض في الوقت الذي تقوم بهذه المهمة تصلح للمهام الأخرى، فتصلح حتى أن تكون أعلاماً.

وفي هذا إرشاد، لاحظوا في كل خلق الله سبحانه وتعالى إرشاد للناس في مجال التصميمات، في مجال الصناعات. عندما تصمم لك منزلاً تحاول أن يكون تصميمك للمنزل بالشكل الذي لا يضيع المساحة، بعض الناس يأتي فيصمم له منزلاً، فيأخذ مساحة في موقع جميل، ويخسر فيه مبالغ كبيرة، لكن صممه تصميماً عشوائياً، فترى البيت هذا بشكله الكبير، وتراه من داخله لا يفي بحاجات صاحب البيت من الغرف، ومن الصالات، وغيرها، ضيع أرضية، وضيع أموالاً كثيرة، وسبب ذلك كله ضعف التصميم، والخطأ في التصميم.

الله الذي صمم هذه الأرض، لاحظ كيف يعمل، لا يضيع شبراً واحداً من الأرض بدون فائدة، فالمساحات التي تشغلها الجبال في الأرض يعوضها، فتطلع مساحة الجبل أكثر من المساحة التي يشغلها، وهكذا يجعل الجبل صالحاً للزراعة، يجعل الجبل صالحاً للاستقرار، صالحاً لأن تعيش فيه حيوانات أخرى، صالحاً لأن يكون فيه مراعي، والمهمة الرئيسية له هي أن تكون رواسي تمسك الأرض، أليس هو سبحانه وتعالى من يعلمنا هنا كيف نصنع؟ وكيف نعمل؟ وهو هو من كان

يستطيع ويستطيع فعلاً، أن يعوض المساحة التي يشغلها الجبل بقطعة أرض يزيد بها من طرف الأرض أليس هذا ممكن؟ لكن لا، لا يضيع شيئاً.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

فتأمل في هذه النعم، تأمل فيها كنعم، تأمل فيها كمخلوقات مهمة، مدبرة، تدل على حكيم دبرها، على قدير صنعها، أليست هذه تدل كلها بالنسبة لنا؟ تجعلنا نقطع بأن الله هو الملك، هو الإله، هو القدير، هو الحكيم، هو الرؤوف، هو الرحيم. إذاً فهو وحده الذي له الحق أن يدبر شؤون عباده، هو وحده الذي له الحق ويملك الحق في التشريع لعباده، وأن يهدي عباده، ويرسم لهم طريق الهداية، هو له وحده الحق في أن يكون هو الملك الذي يحكم هذه الأرض، وهذا الإنسان، التي هي من خلقه، وهو من خلقه.

وارجع إلينا لترى كيف تعاملنا نحن البشر مع الله سبحانه وتعالى، أليس الله هو الملك؟ في أكثر من آية ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾^(٢).

هكذا يقول في آيات أخرى سنصل إليها إن شاء الله ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾

جاءوا لينتزعوا فيما يتعلق بالسلطة، فيما يتعلق بالحكم على عباده، فيما يتعلق بولاية شأن عباده.. ألم ينتزعها الآخرون من يده سبحانه وتعالى؟ لا أنهم مغالبون له، ولكن نحن من منحناهم أن يبعدونا عن حاكمية الله، وعن سلطان الله، نحن البشر الذين منحناهم أن يبعدونا عن حاكمية الله، وعن سلطان الله، وأن يتسلطوا هم على رقابنا.. كيف يمكن من يدبر شؤون العالم على هذا النحو، ومن يكون هو الملك، ثم لا يكون له أي وسيلة لتدبير شؤون عباده، ولنفاذ ملكه، وسلطانه على

١. النحل: ١٧-١٨

٢. فاطر: من الآية ١٣

عباده؟! أبداً ليس هذا مما يمكن أن يكون غائباً، وأن يكون غير واقع.

ثم نأتي نحن البشر كل واحد يحكم الآخرين رغماً عنهم، إما بالغلبة، أو نأتي نحن لنختار فلاناً، أو فلاناً، هكذا اختياراً عشوائياً لا يقوم على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى، ولا على أساس مقاييس إلهية، ومقاييس دينية يرسمها الله سبحانه وتعالى لعباده.. ألسنا هنا من أضعنا سلطان الله، وأضعنا حاكمية الله علينا؟ هذا هو من الكفر بالنعم، هذا هو نفسه من الشرك بالله؛ لأن الله الذي خلقك، وخلق هذا العالم، وهو الذي دبر شؤون هذا العالم على هذا النحو المفصل العجيب، هو وحده الذي له الحق أن يلي شؤونك، أن يكون هو وليك ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١).

فهو وليهم في هذه الحياة، كما هو وليهم في الآخرة.

فعندما نعطي حاكمية الله لمن لا يكون على أساس من هدى الله، فنحن كمن يتجه بعبادته إلى غير الله، وفعلاً أذكر عند بعض العلماء من يعتقد هذه شركاً فعلاً، يعتبرها شركاً، أن تؤمن بحاكمية غير الله، أو حاكمية سلطان ليس على أساس من هدى الله، لا يمتلك شرعية تقوم على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى، فإنك قد أشركت بإلهك، قد أشركت بالله.

فهو الذي يشرع لعباده؛ لأنه ليس باستطاعة أحد غيره، لا ملك من ملائكته المقربين، ولا نبي من أنبيائه المرسلين، ولا أحد من أوليائه، ولا أحد مهما بلغ ذكاًؤه، أو فطنته يستطيع أن يشرع للناس، وأن يرسم الهداية للناس في هذه الحياة بعيداً عن الله، المسألة عميقة جداً.. الله هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق هذا العالم، هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، يعلم أعماق النفس البشرية، لا يستطيع غيره أبداً أن يشرع على النحو الذي يمكن أن تسير الحياة عليه نحو السعادة، ونحو

١. البقرة: من الآية ٢٥٧

الاستقامة أبداً مهما كان.

ولهذا ترى بأنه حتى أنبياء الله (صلوات الله عليهم) إنما كانوا مبلغين لهدي الله، ولم يكونوا عبارة عن مشرعين هم، على الرغم من أنه قد أكملهم، واصطفاهم، فلم يأت ليكمل نبيه، ويصطفيه، ثم يقول له: أنت قد بلغت المرحلة فيما يتعلق بحرصك على الأمة، في كمالك الإنساني، فانطلق أنت وشرع للناس ما تراه مناسباً، وأنت موثوق بك عليهم؛ لأنك رحيم بهم، وحريص عليهم.. ليس باستطاعته - حتى وإن كان حريصاً، وإن كان رحيماً، نبي من أنبيائه، أو ملك من ملائكته، أو أحد من أوليائه، أو أحد، أو أحد من الناس جميعاً يستطيع، لا يستطيع مهما كانت نيته حسنة، مهما كان حريصاً أن يشرع هو للناس التشريع المستقيم.

بل نحن الآن ألسنا نشكو بأننا - ونحن نقدم هدي الله لعباده لدقة المسألة، لخطورتها - ألسنا نشكو من أخطاء كثيرة وقعت على أيدي علماء من هنا وهناك؟ والكل أو أكثرهم فعلاً ينطلقون بحسن نية، ويرون بأنهم يبلغون عن الله، ويبلغون هدي الله، وحتى أولئك الذين يقولون: كل إنسان ينطلق ويبحث عن خالقه، ثم يبحث عن الأحكام التي يتعبد الله بها إنما انطلقوا من شعور بأنه يجب على الإنسان أن يعبد الله، لكن قدمت القضية على هذا النحو المغلوط الذي أدى إلى إبعاد الناس، إبعاد المسلمين عن هدي الله، أو أكثرهم أبعادوا عن هدي الله، ثم نشأت سبل متعددة جائرة على أيدي من هم يريدون أن يصلوا بالناس إلى تعبد الله سبحانه وتعالى فيما شرع لهم.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

يتذكرون بأنه وحده من يخلق، هو من يملك، ويقدر، ويعلم كيف سيكون هذا التشريع مناسباً مع الحياة، ومع الإنسان، وحتى لا يقال بأنه سننطلق من الحفاظ

على مصالحنا، المصالح مترابطة، الإنسان مرتبط بهذا العالم، العالم مرتبط بهذا الإنسان، القضية هي عبارة عن شبكة مترابطة، ولهذا جاء التشريع نفسه شبكة مترابطة من الأحكام، ومن الإرشادات، ومن التوجيهات، شبكة مترابطة، ليس هناك أحكام شرعية تقول هكذا جاء ليتعبد الناس به، هكذا لمجرد التعبد به، أبداً، كلها شبكة مرتبطة مع بعضها بعض والإنسان بما هو عليه شبكة مرتبطة مع العالم على ما هو عليه، والكل ليسوا بعيدين عن الله سبحانه وتعالى، الحياة بكلها تتجه لغاية رسمها الله سبحانه وتعالى للإنسان عندما استخلفه عليها.

فنحن بحاجة إلى أن نقطع ونحن نثق بالله سبحانه وتعالى أنه وحده هو من يملك حق التشريع لنا، وحق ولاية أمرنا؛ لنحقق أيضاً ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

اللهم وفقنا لأن نكون من أوليائك، ولأن نكون ممن يثق بك، وبصرنا اللهم هدايتك التي هديت عبادك إليها، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واهدنا الصراط المستقيم، وأبعدنا عن السبل الجائرة في هذه الحياة، وصلى الله على محمد وعلى آله.

خاتمة:

من خلال إدراك نعمة الهداية، يفهم الإنسان أن الله لم يتركه سدى، بل رسم له الطريق القاصد في الحياة، وضمن له سبل النجاة والسعادة في الدارين. فالشكر الحقيقي لله يكون بالثبات على هداه.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية

١. ما العلاقة بين نعم الله المادية ونعمة الهداية؟
٢. لماذا تعتبر الهداية هي النعمة الأعلى والأعظم؟
٣. كيف يبرهن القرآن على أن الهداية مسؤولية إلهية؟
٤. ما الفرق بين السبل القاصدة والسبل الجائرة؟
٥. كيف ترتبط مسؤولية التشريع بالهداية الإلهية؟
٦. ما موقف الإسلام من المجالس التي تشرع بمعزل عن كتاب الله؟
٧. ما دور أهل البيت في حفظ الهداية بعد النبي (ص)؟
٨. كيف يؤدي الربا إلى محق البركة والفساد في الأرض؟
٩. ما الأثر التربوي لتأمل النعم المادية في بناء الثقة بالله؟
١٠. كيف نستدل من الجبال والبحار على حكمة الخالق في الهداية والتدبير؟



الفصل السادس

معرفة الله - الاستواء والملك والتدبير

الدرس

الثامن، عشرين

مُتَكَمِّمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يتناول هذا الفصل تأملًا عميقًا في معاني الاستواء على العرش، ومقام ملك الله وتديره الشامل لشؤون السماوات والأرض، ومكانة الإنسان في ظل هذه الحقيقة. ويعالج المفاهيم المغلوطة حول صفات الله مستندًا إلى النصوص القرآنية في سورة الحديد وغيرها، ومؤكدًا أن التشريع والتدبير من خصائص الملك الإلهي المطلق.

الكلام من بدايته يتجه نحو محاولة في أنفسنا كيف نشق بالله سبحانه وتعالى وكيف تعظم ثقتنا بالله كيف تكون ثقتنا بالله قوية.

كيف ننزه الله تعالى

الحديث عن نعم الله سبحانه وتعالى يتسع الحديث عنها في مجالاتٍ أخرى،

وبشكلٍ آخر، من حيث: كونها مظاهر من مظاهر حكمته، وقدرته، وعلمه، وتديره، ورعايته، وملكوته، وألوهيته، وربوبيته إلى غير ذلك.

وشيء آخر مما يساعد على أن نعرف الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي نحصل من ورائه على تعزيز لثقتنا به سبحانه وتعالى هو: حديثه في القرآن الكريم عن ذاته سبحانه وتعالى في الثناء على ذاته، وعما ذكره من مخلوقاته الكثيرة باعتبارها مظاهر من مظاهر ملكوته، وأنه هو من له الملك، هو رب العالمين، هو من له الملك، ونفاذ الأمر في العالمين.

منها: ما ذكره سبحانه وتعالى في أول [سورة الحديد]: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

سبح لله: نزّهه، وشهد بنزاهته وقديسيته، نزاهته عن كل ما لا يليق به، نزاهته عن كل عيب ونقص، نزاهته عما لا يليق بكماله، فكل ما في السماوات والأرض يشهد بنزاهة الله، سواء من كان ينطق بذلك، أو من كان في نفسه شاهداً على ذلك.

هو العزيز: المنيع الذي لا يُقهر، لا يُغلب ولا يُغالب، هو غالب على أمره، هو العزيز الذي يَمْنَحُ مِنْ عِزِّهِ مَنْ اعْتَزَّ بِهِ، يَمْنَحُ مِنْ عِزِّهِ أَوْلِيَاءَهُ، فيصبحون كما قال عنهم: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

الحكيم فيما يصدر منه، الحكيم في تدبيره، الحكيم في هدايته، الحكيم في تشريعه، الحكيم في تدبيره لشؤون خلقه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

١. الحديد: ١.

٢. المائدة: من الآية ٥٤.

٣. الحديد: ٢.

هو مَلِكُ السماوات والأرض، مَلِكُهَا وَمَالِكُهَا. قد يكون الإنسان في هذه الدنيا ملكاً فيحدث انقلاب فيصبح مطروداً منفيّاً فيملك غيره، أمّا الله سبحانه وتعالى فهو الملك، هو المالك، هو الملك ذو الملك الدائم في سلطانه ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، كل شيء يريدُه هو قادرٌ عليه، ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ليس هناك أشمل من هذه العبارة، ولا أوضح منها في: أنه لا أحد يستطيع أن يحول بينه وبين ما يريد أن ينفذه، فهو قادر وهو قاهر في نفس الوقت.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

هذا ثناءً على الله، وبيان لكماله المطلق سبحانه وتعالى.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾

عبارة: ﴿الْأَوَّلُ﴾ تعني: لا شيء قبله، لا أولَ لأوْلِيَّتِهِ، ليس هناك شيء سبقه أبداً في الوجود، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، وهذه العبارة ليست مشابهة الى عبارة القديم لدى المتكلمين أي أنه لم يسبقه عدم، لم يكن محدثاً ثم وجد.

الله هو الأول فلا شيء قبله، وأن كل من سواه هو مخلوق له سبحانه وتعالى.

﴿وَ﴾ هو ﴿الْآخِرُ﴾، بعد فناء الأشياء، ﴿وَ﴾ هو ﴿الظَّاهِرُ﴾، الظاهر لعباده، الظاهر لمخلوقاته.

فالله هو يصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه: ﴿الظَّاهِرُ﴾، هو أظهر من مخلوقاته، هو من غَرَزَ في نفوس عباده معرفته، لم يرغب اسمه عن ذهنية البشرية.

والقرآن الكريم أكد هذه، وهو يذكر لنا كيف كان الأنبياء يدعون أمهم إلى الله، وكيف كانت تلك الأمم إنما تنازع في ما يتعلق بالوحدانية، أنها غير مستعدة أن تتخلى

١. الحديد: من الآية ٢

٢. الحديد: ٣

عن الآلهة الأخرى، لينفرد الله هو وحده بعبادتهم له، وينازعوا الأنبياء في أنه بعد لم يثبت لديهم أو أنهم يريدون أن يثبت لديهم بأنهم رسل من الله، ليس هناك إشكالية حول وجود الله، حتى ولا عند الكافرين ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢).

ولئن سألت مَنْ؟ سألت الكافرين.

وكل ما تشاهده في واقعك تشهد بسبق خالقه، بسبق صانعه في فطرتك قبل أن تنطلق لترتب مقدمات كلامية منطقية: [هذا مُحَدَّث فلا بد له من مُحَدِّث، فثبت أن له مُحَدِّث]. من أين قلت: [مُحَدِّث]؟ أليس بعد أن شهدت بأن فيه علامات التدبير والخلق، إذاً أنت تشهد أولاً، أنت تشهد أولاً في فطرتك بوجود الخالق، وتشهد بسبق الخالق، وإلا لما عرفت أن هذا فعل، ولما انطلقت لترتب هذه المقدمة.

الله سبحانه وتعالى هو أظهر من كل مخلوقاته؛ ولهذا لا تجد في القرآن الكريم آية واحدة - على الرغم مما ذكره الله سبحانه وتعالى من مظاهر قدرته ونعمته وحكمته - إلى آخره - أن ذكر شيئاً منها بعبارة: [أليس ذلك يدل على أنني كذا]، لا تجد هذه في القرآن الكريم، ليس هناك آية تقول: [أليس ذلك دليل على أنني قادر، أليس ذلك دليل على أنني حي، أليس ذلك دليل على أنني حكيم، أليس ذلك يدل على أن لها خالق، يدل..]، لم ترد هذه إطلاقاً؛ لأنه هو «الظَّاهِرُ»، هو «الظَّاهِرُ»، هو الذي فطر النفوس على معرفته، بل لم يأت أحد ليسمي صنماً باسمه، أو يسمي بشراً باسمه، أو يسمي شيئاً باسمه، الذي هو اسم لذاته سبحانه وتعالى المقدسة: [الله]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

١. الزخرف: ٩.

٢. الزخرف: من الآية ٨٧.

كان المشركون يسمون الآلهة [هُبَل، اللَّات، العُزَّى، وُد، سُواع، يَغُوث، يَعُوق].
الله معروف لدى البشر أنه [الله]، هو الإله، هو الذي خلق السماوات والأرض،
هو الذي خلقهم، هم يعرفون هذه، لم يأتوا ليسموا صنماً آخر باسمه أبداً، هو إله، بل
هو إله مقدس لدى البشر، إله مقدس لدى البشر في كل مراحل تاريخ البشرية.
بل يقول أحد الكتاب أيضاً: بأنه في هذا العصر - في استبيان - ظهر بعد أن
اُكتشفت مناطق بدائية، قُبُل بدائية، وعرف بأن الله معروف لديها، قُبُل بدائية في
مجاهل أفريقيا وفي مناطق أخرى في هذا العالم، وما يزال بعضهم شبه عُراة، والله
معروف لديهم.

﴿هو﴾ ﴿الظَّاهِرُ﴾؛ لهذا كان هناك تأثير سلبي وسيئ جداً لترتيبات المتكلمين
المنطقية، لمقدماتهم المنطقية حيث جعلونا نحتاج نحن - حتى نعرفه - أن نستدل
عليه بأي شيء من هذا لنعرف وجوده من حيث المبدأ: أن هناك إله، أن هناك [الله].
كيف وهو الذي قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا﴾^(٢).

كيف يلهمها فجورها وتقواها ولا يلهمها معرفته، ولا يفطرها على معرفته،
وهي من أهم ما يمكن أن تسير بالنفس نحو الهدى، وتصرفها عن الفجور -
معرفته سبحانه وتعالى - هل مجرد أن تهدي إلى ما هو تقوى وإلى ما هو فجور أهم
من معرفته سبحانه وتعالى. هو قال: أَلْهَمَهَا ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

فكيف لا يلهمها ما هو أساس في أن تنطلق في التقوى وتبتعد عن الفجور، وهو
معرفته سبحانه وتعالى.

١. مريم: من الآية ٦٥

٢. الشمس: ٧-٨

فالمعرفة لدى البشر قائمة، ومترسخة في ذهنيّتهم، بما فطرهم الله، بما فطر نفوسهم عليه، وبواسطة رسله المتعاقبين جيلاً بعد جيل، وكتبه التي أنزلها إليهم، فلم يغب ذكره عن ذهن البشرية، ولا عن مسامعها، فهو ﴿الظَّاهِرُ﴾

وأول ما يرسخون في نفسيتك: أنك تقوم تبحث عن من هو الذي أسدى إليّ هذه النعمة، تُدوّر هنا وهنا نجد أن هذه النعم لها محدث، فمن هو. بقي الإشكال من هو. لم يستطيعوا أن يجيبوا عليه من هو. لأن غاية ما يمكن أن تحصل عليه من خلال تلك المقدمات هو ماذا، أن لها صانع. لا بأس لها صانع، لكن من هو. وأي دليل نظري ترتبه على هذا النحو يمكن أن يوصلك إلى الله.

هو الله، لكن ليس على هذا الاستدلال الذي ذكرته كتب المعتزلة، هذا الاستدلال يجعل الله بحاجة إلى أبسط مخلوقاته في أن تدل عليه، ونحن — كما قلنا سابقاً — لم نجد في القرآن الكريم آية واحدة بعد أن يذكر الله كثيراً من مظاهر خلقه، ومفردات هذا الكون فيقول: [أليس ذلك دليل على أي حي، أو على أي قادر]. أبداً يقول لك: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾^(١).

أي أليس من صنع هذا بقادر على أن يصنع هذا.

لاحظوا حتى في [سورة الحج] لم يفرّق بين الموضوع إلا حرف واحد هو حرف [الباء]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

بعد أن ذكر في بيان الأدلة التي تقمع كل ذلك الريب الذي لدى المشركين فيما يتعلق بالبعث ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، لم يقل: ذلك أن الله هو الحق؛ فتوهم العبارة: أنه استدلل على أنه حق بهذه الأشياء، فهي دلت على أنه حق. ذلك بسبب أنه هو الحق، بسبب أنه هو الحق كانت على هذا النحو.

١. القيامة: ٤٠

٢. الحج: ٦

﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي ولأنه يحيي الموتى، ولأنه على كل شيء قدير.

في آخر سورة [القيامة] قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَمْ يُرَىٰ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عُلْقَةً فَخُلِقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾^(١).

هل تستطيع أن تقول: أن ذلك هو إشارة إلى الله. أليس هذا دليل على أن من قدر عليه هو قادر على أن يحيي الموتى، فيوجه الاستدلال إلى الفعل وليس إلى الدلالة عليه هو، من قدر على هذا قادرٌ على هذا، من صنع هذا قادر على صنع هذا، وهكذا تأتي.

تجد أيضاً في [سورة هل أتاك حديث الغاشية] بنفس الأسلوب؛ بحيث لو لم تحمله على نفس الطريقة ستقول الاستدلال هذا غير منطقي. عندما قال – وهو يبين قدرته سبحانه وتعالى على البعث –: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٢).

القيامة.. إلى أن قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٣).

في مقام ماذا؟ في الاستدلال على أن هناك بعث، لا بد من بعث.

ما العلاقة بين الجمل والجبل والسماء منطقياً – كترتيب مقدمات منطقية – وبين البعث؟ ما العلاقة بين قامة الجمل وارتفاعه وطول قوائمه وبين البعث، هل هناك علاقة، إلا من هذا القبيل: أن من قدر على هذا، وظهر في هذا حكمته وقدرته على كل شيء، هو قادر على هذا الشيء الآخر؛ فلهذا كان الجمل دليلاً على البعث، من

١. القيامة: ٣٦-٤٠

٢. الغاشية: ١

٣. الغاشية: ١٧-١٩

حيث أن من قدر على صنع هذا الجمل، وعلى خلق هذا الجبل، وعلى رفع هذه السماء بما فيها من وضوح على أنه هناك قدرة لا حد لها، لا يعجزها شيء. إذًا فالبعث ممكن، فهو قادر على أن يحيي الموتى، قادر على أن يبعث الناس من جديد.

ترسخ هذا الأسلوب حتى لا نستطيع أن نخلص أنفسنا منه، ونحن نتحدث، ونحن نَعْظُ، ونحن نرشد، نقول: [فدل على أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، دل على أن الله كذا، ودل على أن الله]، ونحن نستخدم هذه؟ ترسخت فينا بشكل رهيب، لكن هي خلاف أسلوب القرآن الكريم الذي يوجه نظرك إلى المقارنة بين الأفعال: ما في هذا من مظاهر يدل على أن من قدر عليه قادر على كذا، لا يأتي على هذا النحو: فدل على أنه قادر، فدل على أنه حكيم.

فعلاً بأسلوبنا القاصر ممكن أن نستخدمها، ممكن أن نستخدمها، ولكن لأن الله هو الظاهر الذي حكم بأنه ظاهر، لا يحتاج إلى شيء يُستدل به عليه، هو أظهر من كل شيء، هو أظهر من كل شيء، فلم يأت هو سبحانه وتعالى ليستخدم هذا الأسلوب الذي نستخدمه نحن: [فدل على أني على كل شيء قدير، دل على أني حكيم، فدل على..]، تأملوا هذه، هل تجدوها في القرآن؟ لا أعتقد.

وهي قضية مهمة، قضية مهمة جداً: تذكّر حضور الله، وتذكّر شهادته هي الغاية المهمة من وراء كثير من الأذكار التي شرعت: التسبيح، التهليل، التكبير، التحميد، تذكّر النعم، ألا تنساه، أشياء كثيرة جداً كلها تصب في هذه الغاية هو: استشعار حضور الله سبحانه وتعالى وشهادته.

فكيف نأتي في الكتب التي موضوعها هو: معرفة الله فنقدمه غائباً، ما الذي حصل.

بعد أن فهمناه غائباً وترسخ في مشاعرنا غائباً، انطلقنا نحن لنحكم أنه في الواقع غابت أعلام الهدى، فكل واحد منا فليقم ينظر هو من جديد يبحث عن خالقه، كل واحد يقوم ينظر ويبحث عن ما هي الأحكام التي يدين الله بها؛ لأنه قُدِّم في

الصورة: أن الله غاب من يوم مات نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) وانقطع الوحي فغاب.

بينما هو يذكرنا بأنه لم يرغب، في قصة عجيبة في القرآن الكريم قصة الغنم التي رعت الزرع في أيام سليمان حينما قال: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١).

لا حظوا العبارة هذه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٢).

فيأتي الآن مجتهدون وعلى طول تاريخ الإسلام ويتعاملون مع القضايا وكأن الله غائب، وكأنه ارتفع عن هذا العالم، وانقطع بانقطاع الوحي الاتصال به.

هو يذكر أن قضية بسيطة: قضية غنم رعت قليل زرع، داود وسليمان، داود نبي وسليمان ابنه قبل أن يكون نبي ﴿عليه السلام﴾، لكنهم من المصطفين الأخيار، وهم يجول في أذهانهم أو يترادون الكلام كيف يحكمون فيها، الله قال: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، بالطبع بعد أن ترفع القضية إلى داود وسليمان ﴿عليه السلام﴾ بالطبع أن الذي يجول في خاطره هو: ما هو الحكم فيها، حتى وإن كان في قرارة نفسه مُربى على أن ينتظر الوحي، هذا بالطبع يجول في نفسه، يتساءل كيف يكون الحكم فيها. هو نبي عن طريق الوحي يوحى إليه، وابنه سليمان من ورثة الكتاب هو من اصطفي ليكون من ورثة الكتاب ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾

ألم يقل الله: أنه تدخل هنا؛ بأنه شاهد، تدخل في الحكم في قضية زرع، رعته أغنام شخص آخر على شخص، فهم الحكم في هذه القضية سليمان ﴿عليه السلام﴾، هو يوحى إلى داود ﴿عليه السلام﴾ وهو أيضاً يفهم سليمان، فهو يوحى إلى أنبيائه وهو يفهم

١. الأنبياء: ٧٨.

٢. الأنبياء: من الآية ٧٩.

أعلام دينه.

ولكن للأسف وفق الثقافة التي قُدمت في مجال معرفة الله قُدم غائباً، وارتفع عن هذا العالم، فحتى الإنسان يقوم هو يبحث حتى عن الله، كل واحد ينظر يدور اين الله، كيف الله.

هل يمكن في قضية زرع بسيطة أن يقول الله بأنه كان شاهداً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، هو لا يغيب، وأن يتدخل فيها ففهمها سليمان وهناك أبوه داود نبي، ولم تُترك المسألة للاجتهاد من قبل هذا أو هذا، على الرغم من أنه ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، لكن لا، هو من يتدخل، ثم يهمل هذه الأمة وهي ستواجه قضايا كبرى ومستجدات كثيرة جداً وأحداث رهيبة، وأحداث كبيرة، يتركها وهي آخر الأمم، ويبعث إليها نبياً واحداً ثم يقول: هذا خاتم الأنبياء، وكتاباً واحداً ثم يقول: هذا آخر الكتب، ثم يقفل الملف، وينطلق الناس كل واحد يبحث عن إلهه وعن ما يتعبد به، يهمل الأمة وهو لم يهمل واحد فلسطيني أو ماذا أصله. رعت أغنام صاحبه عليه قليل، فتدخل هو في القضية، وقال: أنه هو شاهد على حكمهم، وأنه فهم سليمان كيف يكون الحكم؛ لأنه شاهد، وهذه قضية فرعية طبعاً. وإلا يقول واحد فيها أطرف واحد يقول له: [أعط له قليل حب بدل الحب الذي أكل منها]، أو بعبارات من هذه.

فهو الشاهد، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

الله في القرآن الكريم يؤكد لنا بأنه شاهد على كل شيء، وحاضر على كل شيء، ولو أنه ترسخ في ذهنتنا ما رسخه القرآن الكريم لتفادينا كثيراً من الإشكالات، وكثيراً من هذا الانحطاط الذي وصلنا فيه؛ لأنه بسبب أننا لم نثق بالله؛ لأن الله لم يعد له حضور في نفوسنا، لم يترسخ في أنفسنا شهادته، شهادته وحضوره، وهو يقول في

١. فصلت: من الآية ٥٣

آيات كثيرة يرسخ أنه على كل شيء شهيد: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

سبحانه وتعالى فيما يتعلق بذاته فلا تدركه الحواس، ولا يمكن أن تقف الأذهان منه على كيفية، ولا يمكن أن يُرى، ولا يمكن أن يُحس، ولا يُجس، ولا يُمس.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، هو باطن لكن لا يعني ذلك بأنه غائب عن الأشياء، لاحظ كيف تكرر هو ظاهر ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

هو باطن فيما يتعلق بذاته سبحانه وتعالى. لا يمكن أن نتخيل له كيفية، ولا أن نقول بأن بإمكاننا أن نراه أو نلمسه أبداً، أن نراه بأبصارنا ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

هو بكل شيء عليم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

خلق السماوات والأرض، هذا العالم الكبير المترامي الأطراف - داخل هذا العالم - كما يقولون في هذا العصر وهم يقدرّون المسافات ما بين الكواكب بملايين الأميال، ملايين الأميال المسافات ما بين الكواكب داخل هذا العالم الواسع، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، فيما يقدر بستة أيام من أيامنا، وإلا فليس هناك زمن، الزمن بالنسبة لنا في الأرض هو حركة الأرض التي يتألف معها الليل والنهار، حركة الليل والنهار،

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. الحديد: من الآية ٤.

وحركة الأرض هذا هو الزمن.

فهو قادر على كل شيء، من خلق السماوات والأرض في ستة أيام هو قادر على كل شيء، أفلا يكون قادراً على أن ينجز لأوليائه ما وعدهم به في الدنيا؟! لكن من الذي يثق من يعش حضور الله في ذهنيته وشهادته على كل شيء، من يكرر تدبره في القرآن الكريم وتأمله في القرآن الكريم، ويلغي عبارات الآخرين القاصرة في مجال معرفته، اللهم إلا من كان أسلوبه يدور حول أسلوب القرآن الكريم كائمه أهل البيت (عليه السلام) الذين كانت آرائهم مغايرة للمعتزلة ولا بغيرهم، نجد في [نهج البلاغة] من فقرات جميلة جداً في الحديث في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى، هؤلاء هم من يدوروا حول القرآن.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الآيات من أولها هي تتحدث عن عظمة الله سبحانه وتعالى، عن مظاهر قدرته العجيبة، هو خلق السماوات والأرض تحدث عن خلقها عن تكوينها، أليست هذه آية عظيمة على قدرته، على حكمته، وأنه وحده الذي له ملك السماوات والأرض.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

نأتي إلى الحديث عن كلمة: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

بالمعنى الذي يقول الآخرون، أي: هناك عرش استوى عليه استواء يليق بجلاله! انظر كيف ستهبط الآية إلى أحط مستوى؟ ما قيمة أن يقول الله لنا الله سبحانه وتعالى بأن هناك عرشاً هو يستوي عليه. ما قيمته بالنسبة لنا في مقام الدلالة على قدرته سبحانه وتعالى، على تدبيره، على حكمته، على عظمته وجلاله. هل يمكن لأي شخص منا أن يتحدث بأن له سرير نوم [يرقد] عليه في بيته ما قيمة هذا، أن أقول: فلان عظيم وهو من أولياء الله وهو كذا وهو كذا ومعه أيضاً سرير في غرفته ينام عليه. هل لهذا الكلام قيمة. أو له كرسي في صالته يستوي عليه.

القرآن الكريم كل مفردة داخله لها أهميتها ﴿كَتَابٌ أُوحِيَتْ آيَاتُهُ﴾^(١).

يتحدث عن خلق السماوات والأرض ويقول: وله أيضاً عرش يجلس عليه، ما قيمة هذه في مجال حكمته، في مجال قدرته.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

عندما يقولون: هناك عرش، يعني: سرير أو كرسي، فالله استوى عليه. ولكن قالوا: كيف استوى عليه؟ هل جلس كذا أو كذا؟ قالوا: استواء يليق به، لكن ما الذي قد ثبت في الصورة. هو أن هناك عرش، والله جاء فوقه.

أليس هذا الذي يحصل في الذهنية، هناك عرش وهناك جلس فوقه، على حد عبارة من يقولون استواء يليق به.

كلمة: استوى على العرش تبين لك أن الله من حيث المبدأ خلق السماوات والأرض، كونها، لكن السماوات والأرض شؤونها واسعة، مملكة عظيمة، مملكة واسعة، شؤونها كثيرة جداً ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢).

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣).

شؤون مملكته في اليوم الواحد ينجز فيها ما لا ينجز إلا في ألف سنة مما نعد، فهذا الكون الذي خلقه لم يخلقه ثم يرمي به هناك، خلقه ثم اتجه إلى تدبيره، إلى تدبير شئونه، تدبير شؤون هذا العالم الفسيح، وهذا هو ما يعبر عنه [بالعرش] الذي يعني: السلطان والمملكة.

الاستواء على العرش معناه: ثم اتجه نحو تدبير شئونه، هو خلقه ثم دبّره، وجاء

١. هود: من الآية ١

٢. الرحمن: من الآية ٢٩

٣. السجدة: من الآية ٥

صريحاً هذا في أول [سورة يونس]، ومعظم ما تأتي عبارة: [استوى على العرش] تأتي في مقام عرض لمظاهر قدرته سبحانه وتعالى ففي أول [سورة يونس] يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(١).

يدبر الأمر. وهم يقولون: [استواء يليق به]

فهم مغلوط للقرآن، حط لعظمة القرآن وحكمته. أي: أنه خلق وعندما خلق هذا الكون الفسيح ذو الشؤون، ذو الشؤون الكثيرة لم يتخل عنه، هو وليه، هو ملكه، هو من يدبر أمره، هو حكيم، هو حكيم لا يخلق شيئاً هناك ثم يرم به، ثم ما عاد له حاجة منه.

اتجه إلى تدبير شؤونه، وهذا ما يعني في اللغة العربية، العرب يسمّون الملك والسلطان ولاية الأمر يسموها العرش، عرش المملكة، هو أساساً مأخوذ - في لغة العرب، وفيما هو معروف - من الأشياء عند الملوك هو أن يكون للملك عرش يجلس عليه، لا يجلس عليه إلا الملك، حتى ولي العهد يكون له مقام آخر، هذا العرش الذي هو أصله كرسي، كرسي مزخرف كبير مفخم، يضافي على الملك هيبة أيضاً. عرش، عرش تكرر في الذهنية استخدام [عرش] ثم أصبحت العبارة تعني: المملكة والملك.

والقرآن الكريم هو قرآن عربي، هو قرآن عربي، بلسان العرب، وبأساليب العرب يتحدث، فقال: هو خلق هذا العالم السماوات والأرض، ثم اتجه نحو تدبير شؤونها؛ لأنه ملكها، عبر عن المسألة بالعبارة المعروفة لدى العرب [الاستواء على العرش].

أذكر أنه في الأردن قبل فترة طبع دينار أردني مكتوب فيه: [بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً من الاستواء على العرش] أو بعبارة تشبه هذه، في الدينار الأردني

١. يونس: من الآية ٣

طبعوه، معروف إلى الآن.

ألسنا نقول: أن المسؤول همه الكرسي، ماذا تعني هذه، عبارة [كرسي]؟
المنصب، المقام، الرتبة التي هو فيها، لا تزال الكلمة معروفة لدينا إلى الآن تستعمل،
التعبير عن الملك، عن المنصب، عن المقام بما هو عادة يكون متوفراً لدى الملوك
ولدى المسؤولين، فنقول: الرئيس ما همه إلا الكرسي، رئيس الوزراء همه
الكرسي، وزير الخارجية همه الكرسي، ألسنا نحن نقول هكذا؟.

الذي يسمعك تقول ما همه إلا الكرسي، هل ممكن أن يقول لك: [يا أخي نحن
سنبحث له عن كرسي ونوصله إلى بيته من غير أن يزعجنا]، هل أحد سيقول كذا.
لا أحد يقول لك هذا، هو فاهم أنه يعني: همه المنصب، همه الملك، همه الزعامة.
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

مثل عبارة سورة الحديد

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

تذكرك نفس الآيات في [سورة الحديد]. بما هو بمعنى: يدبر الأمر الذي جاء في
[سورة يونس] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

أليس هذا هو تصرف الملك، تصرف الملك. هذا معنى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

١. يونس ٣

٢. الحديد ٤

٣. الحديد: من الآية ٤

هو معنا، عندما يحاول المتكلمون دائماً أن يعملوا التعريفات لكل شيء فلا يدعوا الموضوع للمعرفة الفطرية تحدث إشكالات، أقل ما يحدث فيها هو تضيق المفهوم الذي فيما لو تركت المفردة تتجه نحو الوجدان سيكون بالشكل الذي أيضاً لا يكون فيه ما يتنافى مع توحيد الله سبحانه وتعالى، ما لا يكون فيه ما هو تشبيه الله.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

لا يغيب عنكم، رقيب عليكم، عليم بكم، يحصي عليكم كل شيء، قادر على أن يرعاكم، يعلم كل الحالات والظروف التي تمرّون بها، عليم بذات الصدور.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، هو يعلمها ويعلم ملابساتها، ويعلم دوافعها، ويعلم غاياتها.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١).

هذه الآيات هي تختلف عن الآيات التي يعدد فيها النعم، ليس كذلك في نفس الأسلوب.

يتحدث عن ذاته سبحانه وتعالى باعتباره هو ذو الكمال المطلق، وهو الملك لهذا العالم، وهو رب العالمين، وهو ملكهم ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

له وحده ملكها، ليس هذا هو الدليل الكافي على أنه لا يجوز لأحد أن ينطلق نحو التحكم في شؤون عباد الله دون أن يكون له شرعية من عند الله. إذا كانوا يقولون: لا يجوز هذا، إذاً فيجوز لأي شخص أن ينطلق إلى مركز المحافظة فيتحكم فيها، إلى مركز المديرية فيأخذ المبنى ويتحكم فيه دون إذن من رئيس، ودون إذن من

ملك، ودون إذن من رئيس وزراء ولا غيره، هل هذا مقبول في عالمنا. ليس مقبول. لماذا نقبله بالنسبة لله سبحانه وتعالى.

نحن في أعمالنا نشهد على أنفسنا بأننا نجوز على الله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بشأنه، وفيما هو من اختصاصه ما لا نجوزه ولا نسوّغه فيما يتعلق بعالمنا، وفي أنفسنا. هو له ملك السماوات والأرض، ما معنى ملكها؟ من فيها، هو الذي له الحق في أن يلي أمرهم، أن يدبر شأنهم، أن يشرع لهم، أن يرسم هدايتهم، أن يوجههم هو.

عندما يقول: بأن له ملك السماوات والأرض، ليس ملك كأي ملك من الملوك الآخرين هو ملك رحمن رحيم رؤوف رحيم. يعرض القرآن الكريم في آيات أخرى كيف تدبر الله لشؤون خلقه، ما هو الأساس الذي يقوم عليه تشريعه لعباده ورعايته لشؤونهم، وهدايته لهم، من منطلق رحمته بهم، هو رحمن رحيم.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، إذاً فلا شرعية لأي شخص يتحكم على رقاب الناس، أوليس الناس هم ممن داخل السماوات والأرض، أو أنهم هم العنصر الأساس داخل السماوات والأرض، هم من استخلفوا على هذه الأرض فسخرت لهم السماوات والأرض وما فيها، حتى كثير من الملائكة أعمالهم مرتبطة فيما يتعلق بالناس، فيما يتعلق بالأرض ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

كثير من شؤون الأرض مرتبطة بهم، تأتي من جهتهم ممن اصطفاه الله من داخلهم يقوم بإبلاغ وحيه بإنزال كتبه، ومع عباده حفظة، ومع عباده كُتّاب، الكل حول الإنسان.

ثم إذا انتزعنا ملك الله من هذا الإنسان، وقلنا لا حاجة إلى أخذ شرعية من جهة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالحكم لهذا الإنسان، والهيمنة عليه، والتحكم في شؤونه، فماذا بقي لله؟ تركنا الله الأشياء الباقية، تركنا له الأشياء الباقية، ثم نأتي إلى

١. الشورى: من الآية ٥

المخلوق الرئيسي الذي هو خليفة الله في هذه الأرض، وسخر له الأرض والسموات وما فيهما، فنتزع سلطان الله منه، ونأتي نحن ولا نربط أنفسنا بالله، بل نأتي لنقول: السلطة ملك للشعب يمنحها من يشاء، هكذا في دساتيرنا العربية عبارات كهذه بالتصريح أو ما يفهم معناها وهو الذي يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١).

السلطة ملك للشعب، هكذا نقول هذه العبارة ليست سهلة، هذه العبارة خطيرة جداً على الأمة، أن تدين بها دولة، وأن يدين بها شعب عبارة خطيرة.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

إذاً فهو هو من له الحق أن يدبر شأنهم ولا شرعية لمن لا يعتبر في حكمه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى، الذي هو ملك السموات والأرض، ولا يجوز أن ندين بشرعية أي شخص تحت أي مسمى كان حتى ولو كان تحت اسم [إمام] لا يكون حكمه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

هو ملكها، ما أكثر الملوك في هذه الدنيا والرؤساء، لكن أليست الأمور تخرج عن أيديهم في كثير من أحوالهم، وفي كثير من أحوال شعوبهم؟ تخرج الأمور عن أيديهم، ملك قاصر، ملك الناقصين، ملك من لا يعلموا سر السموات والأرض، ملك من لا يعلم بعضهم بكثير مما يخص شعبه، فكثير من الأمور تجري على خلاف ما يريدون، والزعماء العرب الآن هل الأمور تمشي على ما يريدون.

هكذا تمشي الأمور ويتغير الزمن من حيث لا يشعرون، فهو لا يدري إلا وقد أصبح ينادي بالديمقراطية، وهو من كان لا يريد لها، أصبح ينادي مثلاً بضرورة أن

١. آل عمران: من الآية ٢٦

يكون هناك مجلس شورى وهو من كان لا يريد أن يكون هناك أي شخص آخر يحتاج إلى أن يشاوره في أموره، تُفرض الأمور من هنا إلى هنا.

أما الله سبحانه وتعالى فهو وحده الذي إليه ترجع الأمور، وهو الذي يستطيع أن يخلق ويهيئ المتغيرات. وفي الدنيا - عندما تتأمل - أحداثٌ تحصل، متغيرات عجيبة، متغيرات عجيبة، تحولات بنسبة مائة في المائة في بعض الأمور، الله هو سبحانه وتعالى من هو غالب على أمره، من هو قادر على كل شيء.

فكل عبارة من هذه تأتي في القرآن الكريم: ﴿وَالِإِلَهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾، ﴿وَالِإِلَهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾^(١).

هو يقول لعباده يقول للمؤمنين: ثقوا بي، انطلقوا في عبادتي، انطلقوا في نصرتي، وفي العمل لإعلاء كلمتي، وأنا من إليّ ترجع الأمور فلا أدع المجال يقفل أمامكم. هو من سيهيئ، من سيخلق المتغيرات، من سيهيئ الظروف.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. هود: من الآية ١٢٣

﴿وَالِلَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾،

الكون مُلْكُ الله تعالى

يظن الناس هنا في الدنيا انهم يتصرفون بعيدين عن الله سبحانه وتعالى، فهذا يتزعم على هذا الشعب، وهذا يتملك على ذلك الشعب، وهذا يقفز على هذا الشعب وهكذا.

هم ما زالوا في داخل محيط قدرته تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(١).

بل كثير من الأمور تفرض عليهم بتهيئة من الله، من حيث لا يشعرون.

ولو تأملنا لوجدنا أنه حتى أعداء الإسلام أنفسهم الذين يحاولون أن يقفلوا كل شيء بالنسبة للمسلمين ينطلقون في مجال ولا يدرون بأنهم يهيئوا أجواء عظيمة جداً للمؤمنين من خلال ما تحركوا فيه؛ لأن الله غالبٌ على أمره.

جاءوا بالديمقراطية لتكون بديلاً عن نُظُم الإسلام، وعن نظام الإسلام، ولنكون نحن المسلمين يمسح من اذهاننا أن هناك في الإسلام نظام، هناك ولاية أمر، هناك دولة، فيأتون بالديمقراطية، يُفرض داخلها حرية رأي، حرية التعبير، حرية الكلمة، حرية التحزب، حرية التجمع، حرية القول.

هل نقول إنهم جاءوا بالديمقراطية رحمةً بنا؛ من أجل ألا يكون هناك كَبَتْ ولا قهر! لا فهم لديهم أهداف أخرى وغايات أخرى، لكن الله يهيئ حتى من خلال ما

يفرضونه هم، وهم يتجهون نحو طمس معالم الإسلام حتى يغيب عن الذهنية اتصاله بأي شأن من شؤون الحياة بما فيها شأن ولاية الأمر، فلا يدرون بأنهم يمنحون من حيث يشعرون أو لا يشعرون أن الله يهيئ من خلال ما أرادوا أن يفرضوه أن يكون هناك متنفساً لأوليائه، وما أكثر - لو تأمل الإنسان - ما أكثر الانفراجات التي تأتي، ما أكثر الانفراجات التي تحصل، لكن من لا يهيئ نفسه لأي عمل في سبيل الله تمر الأشياء ولا قيمة لها عنده، ولا يبالي.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١).

هو من يدبر كل شيء، الليل والنهار هو الذي يدبره فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يتعاقبان ويتداخلان فينقص هذا حيناً ويطول هذا حيناً آخر، في حركة مستمرة منظمة ومدبرة بأمر الله سبحانه وتعالى، هذا مظهر من مظاهر ملكه، أن له ملك السموات والأرض هو خلقها ثم تحدث عن استوائه على العرش ليدبر شؤونها، ثم ها هو يتحدث كيف يدبر شؤونها، وكيف علاقته بها كملك للسموات والأرض وما بينهن وما فيهن.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

هذا الليل الذي يُجَنُّ هذا العالم، أو قطعة من هذه الأرض بظلامه، فيبدو أمام الأنظار وكأنه أصبح يمكن أن يخفي أشياء كثيرة عن الله، يقول: إنه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، تلك الصدور التي هي ظلمة في داخلها، تجويف الصدر في داخله مظلم، وداخله ماذا؟ داخله هواجس من النفس، أشياء داخل النفس، الله يعلم بذات الصدور نفسها، فلا يمكن لليل أن يخفي شيئاً مما يحصل من عباده، ولا يخفي أي شيء من أشياء هذا العالم عنه.

من هذه الآية قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

مما نفهم منه بأن الليل والنهار موجودان مع بعض، ثم يحصل بينهما تداخل، فنشهد بأن الحركة حركة مستمرة الليل والنهار وبشكل دائري، كما اكتشف أخيراً وأصبحت الأشياء واضحة فعلاً، قد تتصل بشخص إلى منطقة أخرى في العالم فيكون الوقت عندك نهراً وعنده ليل أو العكس. اتصل بالهند تجد الوقت هناك نهار ما يزال نهراً وأنت في الليل.

فأولئك الذين كانوا يقولون إن الأرض هكذا تكوير لها تكوير معين، وأنها فوق قرن ثور وأشياء من هذه، هي خرافات، بينما في القرآن ما يرشد فعلاً أو ما يشير إلى أن الأرض بهذا الشكل الذي اكتشفت أخيراً وصورت من بُعد، وأنها كروية الشكل أو بيضاوية الشكل، وأنها تتحرك بصورة مستمرة، ولها حركة حول نفسها، وحركة حول الشمس. فالليل والنهار في هذا العالم متعاقب على هذا النحو.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

بعدما تحدث، أو بعدما قررت الآيات الأولى فيما يتعلق بكمال الله سبحانه وتعالى ثم خلقه للسموات والأرض ثم ملكه للسموات والأرض، وما فيها.. إذا آمنوا به، من هو ذلك الذي يمكن أن يكون له هذا الكمال، أن يكون له هذا الملك فترى أنفسكم ملزمين بأن تؤمنوا به، أو تروا أن عليكم حقاً أن تؤمنوا به من هو هذا غير الله سبحانه وتعالى.

ثم من هو الذي يمكن أن تخافوه من ملوك الأرض، من رؤساء الأرض، من هم بالنسبة لملك الله سبحانه وتعالى، من هم بالنسبة لكمال الله سبحانه وتعالى. من منهم يستطيع أن يغالب الله سبحانه وتعالى، من منهم يستطيع أن يخرج عن دائرة قدرته وجبروته وقهره لعباده. فكيف تخافونهم أكثر مما تخافوا الله.

كل حديث أو كل آية من هذه الآيات كلها تتجه نحو نفسية الإنسان، لتعزز

داخلها الإيمان والثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى.

﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(١).

لاحظ، تحدثت بداية الآيات عن تدبيره لشؤون مخلوقاته فيما يتعلق بحركة الكون ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

هو يعلمه. الليل والنهار في حركتهما المتعاقبة، هو نفسه الذي يحرك الليل والنهار فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. أليس هذا جانب من شؤون مخلوقاته. ثم يتجه إلى الجانب الآخر، وهو الجانب التشريعي جانب الهداية بالنسبة للإنسان ليقول لنا: بأنه من اختصاصه هو، هذا كله من اختصاصه هو سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الملك.

فهو من له الحق أن يشرع لعباده، من له الحق أن يأمرهم حتى فيما يتعلق بأغلى الأشياء لديهم وهو المال: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، هو من له الحق أن يصطفي من عباده رسولا لعباده فيبلغ شريعته وهديه إليهم ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

بعد أن قرر لكم بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وأن له ملك السماوات والأرض، إذا فما أنتم إلا عبارة عن مستخلفين فيما بين أيديكم من أموال، هو المالك الحقيقي، هو الخالق لها، وهو المالك الحقيقي لها.

من يحاولون أن يفصلوا سلطان الله عن عباده فيما يتعلق بالتشريع والهداية، وتدبير شؤونهم، وولاية أمرهم يسيئون إساءة كبيرة إلى الله سبحانه وتعالى، فكأنهم إنما يحولون الله – وسبحان الله أن يقول الإنسان عبارة كهذه مهما كانت لكن الحاجة

إليها - أصبح الله شغال لديهم، يولج الليل في النهار، ويدبر هذا الشيء وينزل مطر، وهم من يتحكمون في شؤون عباده كما يشاءون، فهم الملوك وهو عامل لديهم، هذه إساءة عظيمة إساءة بالغه الله تعالى.

فعلاً كما يقول بعض العلماء: هذا شرك، وكيف لا يكون شركاً وهو يقول للمؤمنين في ما يتعلق بالميتة عندما كانوا يجادلوهم الكفار حولها، كانوا يأكلون الميتة فجاء الإسلام يقول: لا يجوز أكل الميتة، فكانوا يجادلونهم ويقولون: كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(١).

أن تطيعوهم في شأن مخلوق واحد من مخلوقاته إنكم إذاً لمشركون؛ لأنكم قبلتم حينئذٍ ما قرروه هم فيما يتعلق بالميتة من أنه لا مانع من أكلها بناءً على أنه [كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله].

أليسوا قرروا شيء فيها لكن لا. من هو الذي له الحق أن يقرر في شؤون عباده، ويحكم فيهم بما يريد، هو الله سبحانه وتعالى، إذاً أطعتموهم في شأن ميتة، نعمة ميتة أو أي حيوان من الأنعام تطيعوهم فتقبلوا حكمهم، ولا تقبلوا حكم الله تكونوا أنتم إذاً مشركون، جعلتم ما هو من اختصاص الله وما هو حق الله جعلتموه للآخرين فأصبحتم مشركين به، مشركين به في ملكه، جعلتم هؤلاء هم الملوك، فهم الذين يقرروا ما يروا في شأن هذه الميتة، والحق فيها إلى الله.

هذا مثال واحد في شأن ميتة، فشأن أمة تقرر أنت، وتقبل أنت بأن لطرفٍ آخر الحق أن يقرر ما يريد، وتفرض على نفسك أن تطيعه وتؤمن بما قرره في شؤون أمة! أليس هذا أعظم من شأن ميتة؟ فإذا كانوا مشركين - أولئك السابقون الذين نقول عنهم: صحابة، وصحابه - هم سيطلعون مشركين فيما إذا قبلوا قرار الكافرين في

١. الأنعام: من الآية ١٢١

حكم هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى.

فما أسوأ الإنسان أن يكون في واقعه ممن يقدم إلهه عبارة عن عامل لدى الآخرين، ويكون الملوك هم الآخرون الذين لا نفترض أن يكون لملكهم شرعية من قبل الله سبحانه وتعالى، بل هم لا يفرضون أن لأنفسهم شرعية من قبل الله سبحانه وتعالى، وإنما شرعية نظامية وفق قانون الديمقراطية، أو وفق قانون الوراثة في التعاقب على السلطة في البلد هذا أو ذاك، فيصبح هو من له الحق أن يحكم، ولتصبح أنت من عليك الحق أن تسمع وتطيع، الخطورة عليهم أشد، والإساءة من جانبهم أكثر عندما يحكموا رقاب الناس دون أن يستندوا على شرعية إلهية.

بل قُدِّمَ هذا المنطق بأنه منطق مرفوض، هو ما يسمى بالحكم [الثيوقراطي] ما يقابل [الديمقراطية] [الثيوقراطية] أي الحكم الإلهي، الله لا دخل له في العالم، ومن ينادون بأن يكون الله هو من يحكم عباده، وألا نقبل إلا من له شرعية من الله أن يحكم في أرضه، قالوا: رُبُّهُ الحكم بالله، رُبُّهُ السلطة بالله، هذا هو نظام [ثيوقراطي] هو نظام مرفوض! بديل عنه النظام الديمقراطي الذي يجعل السلطة ملكاً للشعب، هذا هو النظام التقدمي والنظام الأفضل، هكذا يقولون.

مع أن النظام الديمقراطي أو هذه العناوين هي من قبل الإسلام بفترة طويلة عند اليونانيين، وعند الإغريق، عند فلاسفتهم هم من تفلسفوا وحلّلوا ما يتعلق بالأنظمة فقدموا عناوين وقسموها إلى تقسيمات معينة، لكن الإسلام أصبح تخلفاً، والديمقراطية هي ماذا؟ هي تقدم، وهي من عمرها قد يكون ربما نحو ألفين سنة أو أكثر من أيام الإغريق، ثم يأتي الإسلام دين للعالمين، ورسوله رحمة للعالمين ثم لا يكون لديه أي نظام، لا يكون لديه أي نظام، يكون امتداداً لسلطان الله في أرضه، إذا كان تدبيره في ما يتعلق بالإنزال للهداية إلى خلقه لا بد أن يرتبط بشخص ﴿الله﴾

يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ^(١).

فولاية شأن عباده في هذا الجانب لا بد أيضاً أن تكون مرتبطة بأحد من عباده، وهو هو من له الحق أن يصطفي ويختار ويعين ويحدد هو سبحانه وتعالى.

فنحن عملنا نحن المسلمين عملنا ثورة على الله - إن صح التعبير - ونزعنا سلطاننا من يده، وجئنا لنقول: الأمر لنا، والملك لنا، والزعامة لنا، فنحن من نتحكم فيها ونمنحها من نشاء!، بينما هو في هذه الآيات يتحدث معنا بأنه هو من - بعد أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

فهو يدبر شؤون مخلوقاته، سواء ما كان حركة هذا العالم بكله، بما فيها حتى إمساك السماوات والأرض أن تزولا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٢).

ثم يقول لنا بعد مما يدل على أنه فيما يتعلق بالهداية والتدبير والتوجيه والأوامر والنواهي هو من يختص بها سبحانه وتعالى، وهي أيضاً مظهر من مظاهر ملكه، وحق من الحقوق له التي يجب أن نؤمن بها، أنها حق يختص بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه الملك، وهو الإله، وهو الذي خلق، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

هذا - كما أسلفت سابقاً - له علاقة بما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى.

إذاً ليس معرفته كما يقال فقط [أن تعرفه إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً] فتحفظ هذه الكلمات كعناوين. أن تعرفه إلهاً، هو إلهك هو ملكك، ثم ماذا يعني أنؤمن بأنه إلهي وإله العالمين، بأنه الملك عليّ وملك العالمين، بأنه ربي ورب العالمين، هو هذا: أن تكون مؤمناً بأنه هو وحده الذي له الحق أن يتصرف في شؤون عباده كلها.

١. الحج: من الآية ٧٥

٢. فاطر: من الآية ٤١

أوليس القرآن الكريم هو كله يدور حول جانب الهداية لعباده، أنزله من عنده، حتى لم يكتفِ أن يصطفي أحداً من رسله ثم يقول له انطلق أنت فشرع للناس كما ترى، بل هو الذي يتولى التشريع لهم ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾^(١).

هو الذي له الحق أن يشرع، وهكذا كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في كل قضية ينتظر، كيف سيكون الحكم فيها من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو من قد اصطفاه الله وأكمّله.

فالذي نريد من خلال معرفة الله هو أن نفهم معرفة واسعة، كلمة [مَلِك]، أنه ملكنا، ترددت في القرآن الكريم كثيراً، ونحن نؤمن بها، نؤمن بأنه ملك الناس في هذه الدنيا، وأنه ملك يوم الدين، أليس كذلك؟ لكن نجهل ماذا يعني هذا، وهو الذي نريد أن نفهمه؛ لأنك قد تدخل في الواقع في اعتقادات، في رؤى، في وجهات نظر هي متنافية مع ما تؤمن به من أن الله هو ملك الناس، وأنه ملك العالمين في الدنيا والآخرة، ملك الدنيا والآخرة، فتكون في واقعك أسوأ من أولئك الذين قال الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

وحينما نعرف - معرفة واعية - أنه سبحانه وتعالى هو ملكنا إذاً فلنتق به؛ لأنه هو العليم بذات الصدور، هو الذي يحرك هذا العالم ب كله، حركة الليل والنهار، هو يعلم كل ما يدور في هذا العالم، فلماذا لا تثق به فتتولاه ثم تنطلق في توجيهاته من منطلق الثقة به سبحانه وتعالى.

١ . البقرة: من الآية ٢١٣

خاتمة:

تتجلى في هذا الدرس معاني الملك المطلق لله سبحانه وتعالى، وارتباط الإنسان بهذه الحقيقة الإيمانية عبر معرفة الله والثقة بتدبيره، والامتثال لتشريعته وحده دون سواه. إن التوحيد ليس مجرد نفي الشريك، بل هو إذعان للربوبية والملك والتدبير من لدن الله وحده سبحانه وتعالى.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما المعنى الصحيح لعبارة (استوى على العرش) بحسب القرآن؟
٢. كيف ترد على من يفسر الاستواء تفسيرًا تجسيمي؟
٣. ما العلاقة بين الملك الإلهي والتشريع؟
٤. كيف يرتبط مفهوم العرش بتدبير شؤون السماوات والأرض؟
٥. ما دلالة (وهو معكم أينما كنتم) في تعزيز الثقة بالله؟
٦. كيف بين الفصل أن الديمقراطية قد تُستخدم لطمس معالم الإسلام؟
٧. ما المقصود بأن الإنسان مستخلف في المال؟
٨. كيف يصحح الفصل مفهوم السلطة والشرعية؟
٩. ما أثر معرفة الله في الثبات على طريق الهداية؟
١٠. كيف يظهر الله قدرته في تدبير الليل والنهار ومجريات العالم؟

الفصل السابع

معرفة الله من خلال صفاته

الدرس

الحجاري والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

يقدم هذا الدرس عرضاً عميقاً لصفات الله وأسمائه الحسنى الواردة في سورة الحشر، ويبين كيف أن التمجيد والتعظيم لله يمثل وسيلة كبرى لتعزيز الإيمان والثقة بالله، والانعقاد من التبعية والضعف أمام أعداء الأمة.

١. الحشر: ٢٢-٢٤

تعظيم الله تعالى

في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى، وفي سبيل ترسيخ معاني معرفته في أنفسنا لتعزيز الثقة به سبحانه وتعالى هناك وسيلة أخرى هي من أهم الوسائل، تلك الوسيلة هي: التمجيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى، ومن خلال عرض الشاء عليه بكماله. والقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الآيات الكريمة التي كانت على هذا الأسلوب، قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٤).

١. الحشر: ٢٢-٢٤

٢. البقرة: ٢٥٥

٣. غافر: ٦٥

٤. الأنعام: ١٨

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).
 ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ
 وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).
 ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
 ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣).

وكثير من السور في القرآن الكريم تصدّرت بالثناء على الله مثل قوله تعالى:
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
 الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
 الرَّحِيمُ الْغَفُورُ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا
 أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤).

وسور أخرى تصدّرت بقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ﴾، أو ﴿يُسَبِّحْ﴾؛ مثل ما في أول هذه
 السورة سورة [التغابن]: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
 الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦).

١. القصص: ٧٠.

٢. الأنعام: ٧٣.

٣. الأنعام: ١٠١-١٠٣.

٤. سبأ: من الآية ١-٣.

٥. التغابن: ١.

٦. الحشر: ١.

وكقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٢).

وما أكثر ما ورد في القرآن الكريم من أمثال هذه الآيات.

وليس فقط في القرآن الكريم بل ورد على هذا النحو أذكار كثيرة شرعها الله لعباده أن يرددوها في صلاتهم، وفي غير صلاتهم:

سبـحـان الله
والـحـمـد لله
ولا إله إلا الله
والله أكبر

هذه من أذكار الصلاة.. (سبحان الله العظيم وبحمده)، (سبحان الله الأعلى وبحمده)، ونحن في الصلاة، ندخل في الصلاة بالتكبير لله (الله أكبر) وداخلها نكرر التكبير لله عند الركوع، وعند السجود، وعند القيام، وعند القعود.

والتسبيحة: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) هي من الأذكار التي وردت أحاديث بفضلها.

كل هذا هو في الواقع خطاب ثناء على الله، ينطلق من وجدان الإنسان ثم يعود إليه بشكل معانٍ تترك أثراً في النفس.

١. يس: ٨٣

٢. الروم: ١٧-١٩

إذا تأملنا في الآيات الأولى قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

يتبادر إلى ذهنك كل ما عرضه في القرآن الكريم من أنه الملك، وأنه الإله، وأنه الرب، وأنه المدبر لشؤون السماوات والأرض، وأنه مالك لأمر عباده، هو الذي يحكم فيهم، هو الذي يتولى هدايتهم، هو الذي يُشرع لهم.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

كلمة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، التي نردها ونرفعها في أذاننا كل يوم للصلاة، كلمة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، التي تتردد في القرآن الكريم كثيراً، سواء بالعبرة كاملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، أو بعبرة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، تكريرها جيلاً بعد جيل، سرّاً وجهرّاً هي في حد ذاتها دليل على أنه فعلاً ليس هناك إله إلا الله.

من هو ذلك الإله الذي جاء يعترض علينا فيقول: لا، عندما نوّذن في الصلاة وبمكبرات الصوت (أشهد أن لا إله إلا الله)، ونكرر ذلك ثم نقول في الأخير: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ونقرأ القرآن وهو مليء بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لو كان هناك إله آخر لظهر.

فنحن نردها جيلاً بعد جيل، مئات السنين، يردها المسلمون في كل بقاع الدنيا، ولا أحد ظهر ليقول بأنه باقى واحد ثانى هو أنا. إذاً حقيقة ليس هناك إله آخر.

إنما نحن الذين نصنع آلهة داخل أنفسنا، نصنع آلهة من الأشخاص ممن هم عبيد كالأنعام، وليسوا حتى مثل بقية الناس، نحن من نصنعهم آلهة، ونحن من نصنع داخل أنفسنا آلهة، في الوقت الذي نسمع قول الله تعالى يتكرر في أذاننا وعلى مسامعنا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، والمؤذن للصلاة يقول لنا: (لا إله إلا الله). ونحن نقول في صلاتنا: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله».

لماذا لا نفكر في كيف يجب أن نستفيد من تكرير ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، نرسخ في داخل أنفسنا أن ما سوى الله لا يجب أن نخيفنا، لا ينبغي أن نخاف منه، لا ينبغي أن نعتمد

عليه، ونطمئن إليه في مقابل الابتعاد عن إلهنا الذي لا إله إلا هو، وهو الله سبحانه وتعالى.

ذكرنا في درس سابق حول قول الله تعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله):

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

تحدثنا كثيراً عن كيف يجب أن نتعامل مع ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وكيف يجب أن يكون ترديدنا لها، وكيف نستفيد منها، وكيف هو الأثر الكبير، الأثر المهم الذي تصنعه في النفوس، التي تحاول أن ترسخ معانيها فيها، كيف ستصبح قوة تقهر كل من يبرزون في هذا العالم كآلهة للناس، ممن هم عبيد أذلاء ضعفاء أمام الله الواحد القهار، جبار السماوات والأرض، وكيف يجب أن تكون ثقتنا بالله ثقة مطلقة، فما الذي يمكن أن نخاف منه سوى الله؟ من الذي يملك ما يملكه الله؟ من هو الكامل ككمال الله؟ من هو الدائم بدوام الله؟ من هو القاهر كقهر الله؟ من هو الجبار كجبروت الله. لا أحد.

حتى كل من يبرزون في هذه الأرض يتعاطفون أنفسهم، ويقدمون أنفسهم كجبارين، وطواغيت، في حقيقة الأمر إنهم أذلاء، إنهم ضعفاء، إنهم مساكين، مساكين أمام جبروت الواحد القهار. ما أضعفهم، وما أحقرهم، وما أذلهم، وما أذلنا نحن، وما أحقرنا، وما أضعفنا إذا أصبحنا نخاف منهم ولا نخاف من الله، ما أضعفنا وما أحقرنا وما أعمى بصائرنا إذا اطمأننا إليهم، ولا نطمئن ولا نشق بالله سبحانه وتعالى.

هو الله وحده فبه ثق، وعليه توكل، وإياه فاسأل، وبه فاستعن، وإليه فارغب، وإياه فارهب، وإياه فاعبد، وله فأخلص ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

أليست هذه واحدة تكفي أن تتعامل مع الله على هذا النحو، وأن تنظر إليه هذه

النظرة. لأنه لا إلهَ إِلهٌ إِليه، أَتجه إِليه، أَصُمدُ إِليه، أَقصدُه، أعبده إِلا الله.

﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾

أليست هذه صفة أخرى إيجابية تدفعني إلى أن أثق به، وأطمئن إليه، وأشعر بعظمته، وأرسخ في نفسي الشعور بعظمته. هو عالم الغيب والشهادة، فهو من إذا وثقت به وثقت بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وثقت بمن لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فمتى يمكن أن يَسْتَغْفِرَني أعدائي إذا كان وليي هو من يعلم الغيب في السماوات والأرض، هو عالم الغيب والشهادة. ومتى أحتاج فلا يسمعني، متى أدعوه فلا يسمعني. ليس له مجلس معين فقط متى ما سرنا إلى بوابة ذلك المجلس يمكن أن نقابله.

هو معكم أين ما كنتم، هو من يعلم الغيب والشهادة، بالنسبة له كل شيء شاهد ليس هناك غائب بالنسبة له سبحانه وتعالى إنما ما هو غائب وشاهد بالنسبة لنا الله يعلمه، ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، هو الرحمن الرحيم وكما قلنا سابقاً بأن مجموع اللفظتين تفيد المبالغة في أنه رحيم بعباده.

ولو تأملنا من خلال هدايته للناس، من خلال تشريعه للناس، من خلال تديره لشؤون عباده، لشؤون مملكته لوجدنا ما يبهرنا من مظاهر رحمته بنا، لوجدنا ما يبهرنا من مظاهر حلمه عنا. رحمته الواسعة بنا ونحن ما نزال في بطون أمهاتنا، وبهذا ذكرنا في القرآن الكريم.

رحمته بنا ونحن في أحضان أمهاتنا، يعطفن علينا بقلوب مليئة بالرفقة والشفقة على الرغم من أننا نكون في ظرف لا نفعهن فيه بشيء، بل نؤذي الأمهات. أليس الولد يؤذي أمه بأشياء كثيرة، يقلقها وقت نومها، يقلقها أثناء عملها، يوسخ ثيابها، وتخدمه بكل رغبة، تخدمه بكل ارتياح، يعجبها وترتاح حتى بأن تسمع صوته، وإن كان في منتصف الليل بعد أعمال شاقة طول النهار، يعجبها أن تسمع صوته، وتضمه

إلى صدرها، وتحنو عليه بقلبها وعطفها.

وهكذا تجد في مختلف الحيوانات الأخرى، حتى تلك الحيوانات الشرسة، تلك الحيوانات ذات المنظر البشع، أنثى التمساح التي ليس لها حِجْر تحتضن صغارها فيه، أين تضع صغارها، في فمها، ذلك الفم الممتلئ بالأسنان الرهيبة، فم طويل فيه مواشير من الأسنان فتحمل أولادها برفق وشفقة فوق أسنانها الرهيبة المفترسة، فيحس بالطمأنينة، ويحس بالارتياح فوق تلك الأسنان، التي لو رآها واحد منا عن بُعد لولّى هارباً من بشاعتها. لا تحاول أن تطبق فمها على صغارها، تطبق فمها بالشكل الذي فقط يمسك صغارها. الرحمة حتى داخل الفم الممتلئ بالأسنان المفترسة البشعة الشكل، الكثيرة العدد.

وهكذا تجد في بقية مخلوقات الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بمرحلة من مراحل المخلوقات هي مرحلة الولادة، ومرحلة الحضانة للصغار.

الشريعة رحمة لنا

مظاهر رحمته بنا واسعة جداً حتى في تشريعه لنا، يشرع لنا ما هو ضروري بالنسبة لحياتنا أن نسير عليه، حتى وإن لم يكن هناك من ورائه لا جنة ولا نار. المتأمل يرى بأنه ضروري فعلاً للحياة، أليس الناس يشرعون لأنفسهم قوانين ودساتير، هل ورائها جنة ونار من الدولة التي تشرعها، مجرد تشريعات يقال: سيرون عليها لتستقر الحياة السياسية والاقتصادية، ويحصل استقرار داخل هذا الشعب أو ذاك الشعب فيسعد الناس. هذا كل ما يقولونه من وراء ما يشرعون. ومع هذا ما أكثر الأخطاء التي تظهر في تلك التشريعات؛ لأنها ناقصة جاءت من قاصرين وناقصين شرعوها للناس، الناس الذين لا يمكن أن يعلم بما هو تشريع مناسب لهم إلا الله الذي خلقهم.

تأتي إلى الله سبحانه وتعالى تجد كيف أنه فيما هدانا إليه وفيما شرعه لنا ما هو

ضروري بالنسبة لحياتنا أن تستقيم عليه، وأن يسعد الناس في السير على نهجه، يأتي ليعدنا على ذلك بالأجر العظيم، والثواب الكبير، برضاه، وبالأمن يوم لقاه، وبالجنة التي عرضها السماوات والأرض، التي فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذذُ الأعين. أليس هذا من مظاهر رحمة الله.

لو أتى رئيس من الرؤساء وصاغ دستوراً معيناً، أو قانوناً في مجال من المجالات وقال: من التزم به وسار عليه فسوف نعطيه قطعة أرض في محافظة (البصرة) سعتها كذا وكذا، لاتجه الناس كلهم إلى تطبيق ذلك القانون، وآمنوا به أعظم من إيمانهم بالقرآن، من أجل أن يحصلوا على قطعة أرض، أو من أجل أن يحصل الواحد منهم على وظيفة معينة، وما قيمة الوظيفة، وما قيمة قطعة أرض في مقابل جنة عرضها السماوات والأرض.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾^(١).

أليس فيها أنهار، كل هذه الأنهار، كل تلك الجنات المتدلية الشمار، كل تلك الجنات الواسعة المساحات، كل ذلك النعيم الدائم الذي لا ينقطع، كله يعتبر زيادة منه سبحانه وتعالى، رحمة لعباده، وعدهم به فيما إذا ساروا على هديه، والتزموا بتشريعه، أن يمنحهم ذلك النعيم العظيم، هذه رحمة عظيمة.

ثم تجد أثناء دفعه للناس إلى أن يلتزموا بتشريعه، ودفعه بالناس إلى أن يسيروا على صراطه المستقيم الذي يوصلهم إلى مستقر رحمته الجنة، يفتح أبواباً في الدنيا، أبواباً كثيرة لمضاعفة الأجر: من أول وهلة الحسنة بعشر حسنات.

أي الناس من أقاربك، من أرحم الناس بك يمكن أن يبادلِكَ على هذا النحو في تصرفاتك معه: الحسنة بعشر حسنات. هل يمكن أمُّك أن تتعامل معك على هذا

النحو في أمور تخصها فتقول لك: يا بني اعمل وحاول أن تدخل لي مائة ألف وأنا سأعطيك بدل المائة ألف مليون، هل هذا يحصل أو أبوك ممكن أن يعمل هكذا، أو حتى أولادك ممكن أن يعملوا هكذا، أي من الناس ممن هم رحماء بك يمكن أن يتعاملوا معك على هذا النحو، من حيث المبدأ مائة ألف بمليون أو حسنة بعشر حسنات. لا أحد إلا الله.

من الذي فرض عليه هذا، هل أحد فرض عليه هذا من جهة عباده، هو الرحمن الرحيم، هو الرؤوف الرحيم الذي يدفعنا بأي وسيلة، ويشجعنا بأي وسيلة، ويعمل هو على تكثير حسناتنا؛ لنكون جديرين بما وعد به أوليائه، ويثقل موازين حسناتنا يوم القيامة هو، حسنة بعشر حسنات، سيئة واحدة منك يكتبها واحدة، تتوب تمحى بأكملها ويبدل لك حسنات مكانها، أليست هذه رحمة، ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(١).

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢).

يحاول أن يحتفظ لك برصيدك من الحسنات مهما أمكن، إلا أن تأتي أنت بحماقتك فتعمل ما يحبطها، رغماً من محاولات فتصبح أنت من جنيت على نفسك.

قد أعتذرُ إلى شخصٍ أسأت إليه، ماذا يمكن أن يعمل لي بدل اعتذاري إليه، أليس هذا كل ما يمكن أن يعملهُ شخص يحترم وصولك إليه لتعتذر من زلة بدرت منك نحوه. أما الله فهو يتوب عليك، بل هو أحياناً - ومع بعض عباده - يحاول هو أن يتوب عليهم أولاً ليتوبوا ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(٣).

يعمل على أن يدفعهم إلى أن يتوبوا، بلطفه، وبتوفيقه ثم يتوبوا فيتوب عليهم،

١. الفرقان: من الآية ٧٠

٢. هود: من الآية ١١٤

٣. التوبة: من الآية ١١٨

ومتى ما تاب أحدنا من زلة بدرت منه، أو سيئة هي في نفس الوقت ضرر على وليست على الله. هل هناك ضرر على الله فيما أعمل؟ فلأنني رفعت ضرراً عن الله قدر لي ذلك العمل فبادلني بحسنات بدل تلك الأزيمة التي فكيتها عنه.

الله لا تضره معاصينا، معاصينا ضرر علينا نحن، ولكن على الرغم من ذلك يأتي هو فيبدل - عندما نتوب إليه - يبدل سيئاتنا بحسنات، الأمر الذي لا يكاد أن يفعله أي شخص أبداً ممن تعتذر نحوهم من زلة بدرت منك إليهم وإن كانت ضرراً عليهم. أما الله فهو الذي لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وهكذا يتعامل معنا.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

يضاعف الحسنات رحمة بنا

أكثر ما يمكن الحصول عليه، وما يمكن أن يعمل به الله سبحانه وتعالى بالنسبة لمضاعفة الحسنات، يفتح الله تعالى لنا مجالات واسعة، ويفتح أبواباً واسعة: في خلال اليوم أوقات معينة فيها صلوات يُضاعف فيها الأعمال. في خلال الأربعة والعشرين ساعة هناك وقت متأخر في ثلث الليل الآخر يضاعف فيه الأعمال والحسنات أكثر. هناك داخل الأسبوع يوم واحد يضاعف فيه الحسنات وهو يوم الجمعة، في نفس هذا اليوم ساعة واحدة يضاعف فيها الأجر أكثر. في السنة هناك شهر يضاعف فيه الحسنات أكثر إلى سبعين ضعفاً، وفي نفس الشهر ليلة واحدة يضاعف فيها الحسنات آلاف الأضعاف، ليلة القدر، هكذا بالنسبة للزمن.

تعود بالنسبة للأماكن فيفتح نفس الشيء. أماكن معينة تكون العبادة فيها أفضل: المساجد، المساجد متعددة هناك مساجد العبادة فيها أفضل من العبادة في المساجد الأخرى، المسجد الحرام ومسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومسجد الكوفة والمسجد الأقصى. في داخل المسجد الحرام بجوار الكعبة تبدو الحسنات أكثر وتضاعف أكثر.

في أيام معينة هي من ليالي العشر، عشر ذي الحجة كذلك تتضاعف فيها الحسنات أكثر. تأتي إلى الأجواء التي نؤدي فيها العبادة تجد كيف أن العمل الجماعي يكون الأجر فيه مضاعفاً أكثر عندما تصلي جماعة تصبح صلاتك بنحو خمس وعشرين صلاة.

وفيما يتعلق بالمال يفتح مجالات لمضاعفة الأجر بشكل أفضل وأكثر من الحسنة بعشر إلى الحسنة بسبعمئة حسنة وأكثر، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

أليس هو سبحانه وتعالى برحمته من يعمل على أن يضاعف حسناتنا. تلك الحسنات التي تصدر منا من أعمال بسيطة هو ليس بحاجة إليها، نحن المحتاجون إليها، فيضاعفها لنا كي يرفع درجاتنا؛ لأنه حتى وإن كان يريد منا أن ندخل الجنة فهو يريد أن ندخلها ونحظى بدرجات رفيعة فيها.

فيما يتعلق بأعمالك أنت في الدنيا وأنت تجمع المال من الذي يمكن أن يتعامل معك من أسرتك على هذا النحو فيفرغ وقته ويجهد نفسه في تَشْمِيرِ رأس مالك، فتجمع عند أخيك أو عند والدك أو عند أمك مائة ألف فيقوم هو بتميرها ومضاعفتها فلا يأتي عليها فترة من الزمن إلا وقد أصبحت سبعمئة ألف.

هل يمكن لأبيك أن يعمل هذا، تودع عنده مائة ألف فيقوم هو بالعمل فيها والتجارة فيها واستثمارها لتصبح بعد أربع أو خمس سنين سبعمئة ألف. بل لن يبقى رأس المال سالماً [والولد وما ملك لأبيه] أليس هذا هو ما قد يحصل، وهكذا تجد أمك، وهكذا تجد ابنك، وهكذا تجد إخوانك وهكذا تجد أصدقاءك، ليس هناك أحد مستعد - ممن هو رحيم بك - أن يجهد نفسه ليُثْمَرِ رأس مالك هكذا.

ثم بعد أن يُثْمَرِ رأس مالك فيصبح سبعمئة ألف هل سيعطيك فيما بعد سيارة قيمتها أربعة ملايين جائزة على أن مالك كثر إلى سبعمئة ألف هل هذا ممكن.

أما الله سبحانه وتعالى فيعطي بعد مضاعفة الحسنات يضاعفها ثم في الأخير يعطيك جائزة مهمة جداً جداً لا يساويها شيء هي الجنة.

الإنسان لو يتأمل في القرآن الكريم وفيما يصنع الله لعباده لوجدت كم هو فعلاً
رحمن ورحيم، رحيم بعباده بشكل يجعل الإنسان يستحي ويخجل.

هذا فيما يتعلق بتشريعه، وكما سبق فيما يتعلق بتدبيره لشؤون خلقه ما ذكرنا من
رعاية الصغار في المخلوقات.

تدبيره أيضاً لشؤون خلقه من الليل والنهار والحر والبرد وإنزال المطر وأشعة
الشمس وكلها كلها تكون بالشكل الذي لا يضر الإنسان، ولا يضر ما يعتبر من
الضروريات لبقائه حياً في هذه الدنيا ولا استقامة معيشته فيها، فيأتي الليل بقدر،
ويأتي النهار بقدر، وتأتي أشعة الشمس إلينا بقدر، وينزل إلينا الماء من السماء مفرقاً
إلى قطرات حتى لا يجرف أموالنا وبيوتنا وهو ملايين الأطنان في السماء.

فلو يأتي بالسحاب فينزل دفعة واحدة على بلد واحد، سينهياها، لكن ينزل بشكل
قطرات متفرقة فتجتمع القطرات فتري منها الأودية التي تجرف الصخرات. كم ذكر
في القرآن الكريم فيما يتعلق بتدبير شؤون خلقه برهنة لعباده على كم هو رحيم بهم؛
ليفهموا أنه رحيم بهم.

وإذا فهمنا أنه رحيم بنا ماذا يعني ذلك، هل أن نقول: [الحمد لله، لك الحمد يا
الله، ولك الشكر يا الله]، ثم نتجه في عبادة الآلهة الأخرى، ثم نتجه في طاعة الأصنام
الأخرى من أصنام البشر ثم نتجه إليهم فنخافهم ونرغبهم ونثني عليهم ونمجدهم
أكثر.

ذكر في البداية: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن
الرحيم إذاً فإليه فانقطعوا، به ثقوا، ومنه فاستحيوا واخجلوا.

إذا عرفنا كم هو رحيم بنا ستترك هذه المعرفة شعوراً مهماً في أنفسنا؛ لأنك حينها
— كما ذكرت سابقاً — تستعرض أقرب المقربين إليك فلا تجد فيهم من يمكن أن
يكون فيه معشار ما يحيطك الله به من عنايته ورحمته، خلي عنك مدير المديرية التي

أنت فيها، محافظ المحافظة التي أنت فيها، رئيس البلد الذي أنت فيه، من لا يعلم أين أنت، ولا ممن أنت، ولا كيف أنت، ولا يبالي على أي حال كنت، وهم من نخافهم، من نرغب إليهم، من نرمي بكل توجيهات الله بعيداً عنا من أجل الخوف منهم، من نتردد في أن نقول الحق من أجل الخوف منهم.

هل هم يمتلكون ما نخاف منه مثلما يمتلك الله، هل أن فضلهم علينا أعظم من فضل الله علينا، هل أن رحمتهم بنا أعظم من رحمة الله بنا، فنحن نؤثر الرغبة إليهم والالتزام بتوجيهاتهم أكثر مما يصدر من جانب الله تعالى. لماذا كل ذلك؛ لأننا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(١).

قتل: لعن، لعن الإنسان ما أكفره!

وفعلاً كل إنسان يستحق اللعنة إذا لم يرجع ليتفهم جيداً معاني رحمة الله به، يتفهم جيداً معاني معرفته بالله، ليعرف بأنه ليس هناك ما يمكن أن يدفعه إلى أن يميل إلى هذا الجانب أو هذا الجانب لا برغبة ولا برهبة، ولا بخوف ولا برجاء.

يقول لنا في أول كل سورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم ينطلق داخل السورة هذه بالشاء عليه ثم يتحدث بتوجيهنا وهدايتنا بأشياء مهمة، فنأتي نحن ونقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه ليست آية ماذا نعمل بها، فنرمي بها بعيداً في أفضل عبادة من العبادات التي شرعها لنا وهي الصلاة. أليس هكذا يعمل بعض البشر من المسلمين يرفضون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي آية مهمة لها دلالتها المهمة جداً جداً، في أن كل هداية منه، وكل تشريع منه، وكل توجيه منه داخل هذا القرآن الكريم هو من منطلق رحمته، يقوم على أساس رحمته، ويسير بنا في أجواء رحمته، وينتهي بنا إلى مستقر رحمته.

فيتنازع الفقهاء والمفسرون هل هي آية أو ليست آية! كيف لا تكون وهي آية من أعظم الآيات وأهمها وهي التي تكررت في القرآن كله حتى قيل إنها حتى في سورة براءة إنما حذفها عثمان على أساس أن يدمج [الأنفال] و[براءة] كسورة واحدة واعترض عليه ابن عباس قال: كيف عمدتم إلى سورة هي من أول السور نزولاً في المدينة وسورة أخرى هي من آخرها فدمجتموها سورة واحدة وحذفتكم بسم الله الرحمن الرحيم بينهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الآية المهمة لمن يتأملها ثم تأتي داخل السور نفسها تكرير للرحمن الرحيم

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

وهكذا تتكرر.

لو نأتي إلى هذا الاسم الإلهي: «الرَّحِيمِ»، ونتأمل مظاهر رحمته فينا لكفتنا هذه، «عَلِيمٌ حَكِيمٌ خَبِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَدِيرٌ»؛ إلى آخر أسمائه الحسنی، رحيم وحدها، اسمه العظيم «رَّحِيمِ».

١. فصلت: ٢.

٢. الفاتحة: ٢-٣.

لو نأتي لتأمل معناه وتلمس مظاهره في حياتنا كلها، وفي تشريعه لنا لوجدنا أنفسنا، لوجدنا أنفسنا في حالة سيئة من الكفران بالله، من الظلم لأنفسنا، وسنرى أنفسنا كما قال الله: ظلوم كفار، ألم يصف الإنسان بهذا؟
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١).

وعندما يذكرنا بنعمه في القرآن الكريم هو كذلك لننظر إليها من منظار أنها مظهر من مظاهر رحمته بنا أيضاً ألم تتكرر آيات كثيرة يذكرنا الله فيها بنعمته علينا. ألم تتكرر آيات كثيرة يقول لنا فيها: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٢).

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٣).

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٤).

فكون الأشياء كلها بالنسبة لنا نعمة منه أليس ذلك يعني أنها مظهر من مظاهر رحمته بنا. أليس يعني ذلك أنه رحيم سبحانه وتعالى بنا.

ثم نأتي إلى بقية الأسماء الحسنى التي أثنى الله سبحانه وتعالى بها على نفسه في هذه الآية؛ لننظر إليه سبحانه وتعالى نظرة من نفسه ممثلة بالشعور بعظمة الله.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾^(٥).

ألم يكرر نفس العبارة الأولى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

هو الله، ثم يأتي بعدها بقية أسمائه الحسنى التي هي قائمة على هذا الاسم المبارك [الله] الذي لا إله إلا هو ﴿الْمَلِكُ﴾

١. إبراهيم: من الآية ٣٤

٢. النحل: ٥٣

٣. لقمان: من الآية ٢٠

٤. إبراهيم: من الآية ٣٤

٥. الحشر: من الآية ٢٣

الملك بـ (أَل) التي تفيد الاختصاص أنه وحده الملك من له ملك السماوات والأرض من هو ملكنا إذاً فهو هو وحده من له حق التصرف فينا، هو وحده من يجب أن نرغب إليه، ونخاف منه؛ لأنه الملك القاهر علينا.

ثم تَجِدُ مُلْكَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمُلْكِكَ الْآخَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ مُلْكٌ هَيْمَنَةٌ، مُلْكٌ جَبْرُوتٌ، مُلْكٌ طُغْيَانٌ، أَوَامِرُ جَافَةٍ، نَوَاهِي جَافَةٌ نَفْذٌ لَا تَكْرِيمَ فِيهَا وَلَا كِرَامَةَ مَعَهَا. أما الله عز وجل فإن ملكه كله قائم من منطلق أنه رب العالمين، وهو رحيم ورحمن بهم، نفس المعنى الذي جاء في أول سورة الفاتحة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

هو الذي ربوبيته تقوم على أساس رحمته، ربوبيته لعباده هي مظهر من مظاهر ملكه، وتدبير من تدبير شؤون عباده الذين هو مَلِكُهُمْ.

﴿هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾.

المنزلة الْمُعْظَمُ، فأنت عندما تكون منقطعاً إليه، ملتجئاً إليه تجهر بأنه ربك، وأنه ملكك، وأنه إلهك، وأنه وليك، فإنه هو من هو فخرٌ لك أن يكون إلهك، هو (قُدُّوسٌ)، هو منزله، هو طاهر، هو معظَّم، أنت لم تلجئ نفسك إلى طرف تستحي إذا ما أحد عرف أنه وليك أو أنه قدوتك أو أنه رئيسك أو أنه ملكك فتخزي، أما الله فإنه من يشرفك أنه إلهك أنه ربك وملكك، من تتشرف بأنك عبدٌ له.

ولهذه القضية أهميتها في السمو بالنفس حتى على مستوى القدوات من البشر، أَلَمْ نَقُلْ فِي مَقَامٍ آخَرَ أَنَّ مِنَ الْفَخْرِ لَنَا، أَنْ فَدَوَاتَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لَيْسُوا مِنْ أَوْلِيائِكَ الْمُلْطَخِينَ بِعَارِ الْمَخَالَفَةِ لِلرَّسُولِ (صلوات الله عليه وعلى آله) الْمُلْطَخِينَ بِالْأَخْطَاءِ وَالْمَسَاوِي، وَالْمَوَاقِفِ السَّيِّئَةِ، فَنَحْنُ نَتَعَبُ أَنْفُسَنَا فِي الدِّفَاعِ عَنْهُمْ وَفِي تَنْمِيقِ مَظْهَرِهِمْ.

قدواتنا من أهل البيت هم من أولئك المنزهين المطهرين الكاملين في أنفسهم، ممن يشرفنا أن نفتدي بهم. فأنت لا تحجل إذا ما قلت أن وليك علي بن أبي طالب، عد إلى علي فتعرّف على علي تجد أنه بالشكل الذي يشرفك، بالشكل الذي يجعلك تفتخر بأنه إمامك، بأنك تتولاه.

ولكن انظر إلى الآخرين كيف يتعبون أنفسهم وهم دائماً يدافعون عمن يتولونهم، يحرفون معاني القرآن من أجلهم، يحرفون معاني كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أجلهم، يعملون على أن يحولوا سيئاتهم إلى حسنات، يعملون على أن يقدموهم للأمة كأعلام. ولكن يكفيننا شهادة على أنهم ليسوا ممن يمكن أن نفخر بهم إذا ما انتمينإ إليهم أننا نجدكم أنتم تتعبون أنفسكم وأنتم تغطّون على خطيئاتهم، وعلى قصورهم ونقصهم.

الله سبحانه وتعالى ﴿الْقُدُّوسُ﴾

هو الذي تفتخر بعبوديتك له، وتفتخر بقربك منه، أليس هناك في هذه الدنيا من يفخر بأنه مقرب من الرئيس أو مقرب من الملك، ويرى لنفسه مكانة عظيمة يتناول بها علينا، أنه شخص له كلمته عند الرئيس أو عند الملك أو عند رئيس الوزراء أو عند الشيخ فلان، أليس هذا هو ما نراه، ومن هم هؤلاء، من هم هؤلاء البشر الضعاف الناقصين القاصرين المساكين.

فإذا كنا نجد من يفخر بقربه منهم، من يفخر بتولييه لهم، من يفخر بطاعته إياهم، فلماذا نحن لا نفخر على الآخرين بأننا نعمل لنكون مقربين إلى الله. أن نبحت عن كيف نحصل على ما فيه مجد لنا، وعزة لنا، وفخر لنا هو أن نقرب من الله، وأن نعزز علاقتنا به، وأن نرسخ تولينا له؛ لأنه ﴿الْقُدُّوسُ﴾، ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾، سلام لأوليائه، مؤمن لأوليائه، فكن من أوليائه سيرعاك ويحيطك بالسلامة بالأمن من الضلال، من الذل في هذه الدنيا، وهو من سيوصلك إلى دار السلام في الآخرة، ألم يصف جنته بأنها دار السلام في الآخرة.

﴿المُهَيِّمُ﴾

على كل شيء، هو المهيمن على كل شيء، فكيف تخاف، وكيف ترهب من هم تحت هيمنته. إذا كان رئيس أمريكا هو من يهيمن على بقية الزعماء، وهو من هو، أليس هو من الله مهيمن عليه. فما هو إلا ذرة من ذرات هذا الكون الذي يهيمن الله عليه. أنظر كيف نتعامل نحن: نخاف من شخص هناك من هو مهيمن عليه شخص آخر، وهذا الشخص الآخر هو مهيمن عليه شخص آخر، وهذا الكبير في الأخير هناك من هو مهيمن عليه، هو الله الواحد القهار، الذي يقول لنا في كتابه ﴿هُوَ اللَّهُ﴾

عبارة (هو) هي تناجيك في كل لحظة وأنت تبحث عن أن تنصرف بذهنك إلى هذه الجهة أو إلى هذه الجهة، تقول لك: ﴿هُوَ﴾، وحده ﴿الله﴾.

بالإمكان إذا كنت تبحث عن السلام، تبحث عن الأمن، كما هو حال العرب الآن في صراعهم مع أعداء الإسلام والمسلمين يبحثون عن السلام، ويبحثون عن الأمن، فلم يجدوا أمناً ولم يجدوا سلاماً وإنما وجدوا ذلاً وقهراً وإهانة، ودوساً بالأقدام. لماذا لا تعودون إلى الله هو الذي سيمنحكم السلام. أليست إسرائيل هي في موقع سلام بالنسبة للفلسطينيين؛ لأنها هي المهيمنة عليهم؟ هل هي التي تخافهم أم هم الذين يخافونها.

نحن لو التجأنا إلى الله سبحانه وتعالى كلنا وتلك الحكومات التي تبحث، وأولئك الكبار الذين يبحثون عن السلام من أمريكا، ويبحثون عن السلام من روسيا، يبحثون عن السلام من بلدان أوروبا، بل يبحثون عن السلام من إسرائيل نفسها، عودوا إلى الله هو الذي سيمنحكم القوة، يمنحكم العزة فتكونوا أتم المهيمنين على الآخرين؛ لأنكم تمسكتكم بالسلام المؤمن المهيمن، وهناك من الذي يستطيع أن يضركم. من الذي يستطيع أن يؤذيك، من الذي يمكنه أن يقهركم، أليس هذا هو السلام.

السلام لا يتحقق لك إلا إذا كنت في موقف عزة وقوة ومكانة، أما أن تأتي تبحث

عن السلام وأنت تحت، - كما يصنع الفلسطينيون، وكما يصنع العرب الآن - فإنما هو استسلام، هو استسلام، وأنت في الواقع تحت رحمة عدوك، بإمكانه أن يضربك في أي وقت، بإمكانه أن يختلق لك مشكلة ما مع أي بلد آخر فتدخل في حرب مع ذلك البلد كما رأينا.

هل يريد الناس سلاماً بما تعنيه الكلمة، وأمناً بما تعنيه الكلمة؟ فليعودوا إلى السلام المؤمن المهيمن، مَنْ كتابه مهيمن على الكتب، ومن سيجعلهم مهيمنين على بقية الأمم وحينها سيحفظون بالسلام.

والإسلام هو دين السلام، لكن دين السلام بمعناه الصحيح، ما معناه إقفال ملفات الحرب مع الآخرين ليس هذا هو السلام.؟ أن نقول: انتهى الأمر نلغي الجهاد، ونلغي الحروب لنعيش مع الآخرين في سلام. هذا هو ما حصل لنا نحن المسلمين، ما عمله كبارنا، ظلوا يلهثون وراء السلام، ويناشدون الآخرين بأننا نريد السلام و يبحثون عن السلام، بعد أن ألقوا آلة الحرب وألغوا اسم (الجهاد)، فما الذي حصل هل حصل سلام أم حصل دوس بالأقدام. وحصل استسلام. أليس هذا هو الذي حصل.

الأكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

افهم إسلامك الذي سيحقق لك السلام، هو دين الله السلام، لكن بمعنى آخر، متى ما سرت على نهج هذا الدين، متى ما تمسكت بهذا الدين، متى ما اعتصمت بالله المشرع والهادي بهذا الدين ستكون قوياً، ستكون عزيزاً، ستكون الأعلى ﴿فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾^(١).

ألم يستنكر عليهم أن يدعوا إلى السَّلَام وهم في موقف يجب أن يكونوا هم الأعلى. فكيف تبحث عن السَّلَام مع الآخرين وأنت من يجب أن تكون أنت من يحاول الآخرون أن يبحثوا عن السَّلَام معك، فتقول لهم: أدخلوا في الإسلام لتحظوا بالسَّلَام؛ ليكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا. ألم يكن هذا ما يعملُه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في أيام حروبه، عندما يخبرهم بين واحدة من اثنتين: إما الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو الحرب. أنتم تريدون السلام أدخلوا في هذا الإسلام لتحظوا بالسلام، وإلا فليس أمامكم إلا السيف. حينها يصح أن نقول عن أنفسنا بأننا قد حصلنا على السلام، وحينها سنعرف معنى اسم كلمة إسلام الذي شُوِّه معناه، فأصبح يعني الآن استسلام للآخرين.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾، أليس في هذه الأسماء الحسنَى - التي نتحدث عن كمال الله سبحانه وتعالى - أليس فيها ما يصنع الثقة في نفوس أولئك الذين ارْتَمَوْا تحت أقدام أميركا وإسرائيل؟ لماذا

يعرضون عن الله وهم من يعترفون ويشهدون على أنفسهم بأنهم مسلمون، وأنهم مؤمنون بهذا القرآن الكريم.

هذه هي التي ضربت المسلمين كباراً وصغاراً (عدم الثقة بالله)، عدم الثقة بالله حتى فينا نحن الصغار نخاف من شخص هو مسكين بالنسبة للآخرين هناك من هو مهيمن عليه، والذي هو مهيمن عليه مسكين بالنسبة لذلك الأمريكي الذي في واشنطن الذي هو مهيمن عليه، والكل مساكين ومقهورين تحت جبروت الله وقهره.

اربط نفسك بالله رأساً، تجاوز كل هذه الأصنام في هذه الدنيا، وارتبط بالله رأساً، وثق به، وهو من سيجعلك قوياً أقوى مما يملكه هؤلاء من وسائل القوة في هذه الدنيا.

هو أيضاً «الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ».

والله في الوقت الذي يقول لنا: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ».

أليست عبارات تبدو رقيقة؟ يقول لك: هو أيضاً في نفس الوقت إذا ما وثقت به وأنت في ميدان المواجهة والصراع مع أعدائك وأعدائه من يريدون ظلمك وقهرك واستدلالك هو «عَزِيزٌ»، يمكنك أن تمتنع به، هو (جبار متكبر) سيقهرهم، وسيجعلك أنت من تقهرهم «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ»^(١).

أمر يقل هكذا. هو يقول: سأجعلكم جبارين على أعدائكم، ومتكبرين على أعدائكم، فأنت عندما تثق بالله، ستثق بمن هو سلام لك وأمن لك في مقامات

السلام معه، عزيز جبار متكبر سيمنحك من عزته وجبروته وكبريائه ما تقهر به أعداءك وأعداءه، ليس هناك نقص إطلاقاً في جانب الله عندما تثق به وتلتجئ إليه.

عندما تشعر بعظمته ليس فيه صفة واحدة كما هي في الناس، والتي نسمعها كثيراً من بعضنا بعض نقول فلان.. تقول: [فعلاً يا أخي فلان رجال جيد وياهر، وما يقصر لكن أمانه ما هو حق هذه المواقف] أليس الناس يقولون هكذا.

أما الله فهو من يكون لك في كل المواقف، ولك بأكثر مما يمكن أن تدرك، سيملاً قلوب الآخرين رعباً بالشكل الذي لا يمكن أن تصنعه وسائل إعلامك، ولا يمكن أن تصنعه أيضاً أليتك العسكرية. هو من نصر نبيه بالرعب بمسافة شهر، وكم كان الجيش الذي معه. هم أولئك الذين حُوصروا في المدينة عدد قليل، ونصره الله بالرعب، فكان بعض أعدائه من اليهود يخربون بيوتهم ويقطعون نخيلهم أحياناً، ويرحلون خوفاً قبل أن يجيئ الجيوش عليهم، وقبل أن يحاول أنه يشعرهم بأنه يريد أن يهاجمهم.

﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

بعد هذه الأسماء الحسنى ترى غريباً جداً جداً أولئك الذين يلتجئون إلى غير الله سبحانه وتعالى ما أسوأ حالهم! ما أخط مكائنتهم! وما أتعسهم! وما ألأمهم!، عندما يلتجئون إلى غير الله، إلى صنم من الأخشاب أو صنم من الأحجار أو صنم من البشر؛ لأنهم يخافونه، ويرجون منه أشياء، والله قال لهم في هذه الآيات هو، هو كذا، كذا.. إلى آخره.. من يمكن أن ترجوه، من يمكن أن تعتمدوا عليه، من يجب أن تخافوه.

ولأنه ليس هناك في هذا العالم، ولا في الوجود من يمكن أن يكون متصفاً بكمال الله سبحانه وتعالى، ولا بجزء من كمال الله سبحانه وتعالى - إن صح التعبير - من الظلم لأنفسنا ومن الإساءة إلى الله ربنا الذي هو ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾، من الإساءة البالغة إليه أن نجعل له شركاء فنمنحهم

ولاعنا، ومنهم نخاف، وإليهم نرغب.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، تنزيه لله عن أن يكون له شريك، تنزيه لله وتقديس له عن أن يكون له شريك في ملكه، شريك في كماله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ

هو من قال لبني إسرائيل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾^(٢).

فعندما يقول الناس: نحن قليل الآخرون قد يستدلونا، قد يقتل منا كذا، ونصبح قليل لا نستطيع أن نعمل شيئاً، الله هو الخالق، هو الذي يستطيع أن يمدكم بأموال وبنين، ألم يقل نوح لقومه هكذا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٣).

إذا ما قتل ابني هذا وابني هذا هو من سيمدني بأبناء آخرين ﴿مِدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾

هو الخالق، هو البارئ، كلمة ﴿بَارِئٍ﴾، تشبه معنى كلمة ﴿خَالِقٍ﴾، فيما تعنيه أيضاً من الإبداع أو الابتداء، أو أنه فاطر ما خلقه.

﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾

أن يخلق الشيء على نحو معين، على كيفية معينة ويقال الذي برأ النّسمة، كما كان

١. الحشر: ٢٤.

٢. الإسراء: ٦.

٣. نوح: ١٠-١٢.

في قَسَم الإمام علي (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة) خلقها على كيفية معينة، فطرها هو وابتدعها هو بدون مثال سابق.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

فهنا ذكر لنا مجموعة من أسماء الحسنی، التي تعني كمالاً بالنسبة لله سبحانه وتعالى، ليس مجرد أسماء ألفاظ لا تعني شيئاً. الآن لو وضعنا لشخص منا خمسة أسماء هل يمكن أن تزيد في معانيه شيئاً فنسميه: أحمد ومحمد وقاسم وصالح وعلي وجابر، هل لهذا زيادة فيه، هل تعطي هذه الكلمات معاني بالنسبة لك يعني شهادة بكمالك.

الله هنا عرض لنا مجموعة من أسماء الحسنی التي هي حديث عن كماله، كماله المطلق في كل شيء، (عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر).

ثم قال لك أيضاً: له الأسماء الحسنی، عُد إليها في بقية الآيات والسور داخل القرآن الكريم وجمعها وستجد كم هي أشبه شيء بإحالة لنا إلى ما ذكره من أسمائه في بقية السور والآيات الأخرى، ارجع إليها من هناك حكيم، حلیم سمیع، بصير إلى آخر أسمائه الحسنی، تلك الأسماء التي تشهد بكمالها؛ لترى نفسك بأنه يمكن لك، بل يجب عليك، بل لا يجوز لك غير هذا هو أن تعتمد عليه، وأن تثق به، وأن تستشعر عظمته سبحانه وتعالى.

استشعار عظمة الله في نفوسنا، أن تملأ عظمته نفوسنا، قضية مهمة، ولا شيء يمكن أن يمنحنا هذا الشعور سوى القرآن الكريم فيما يعرضه من أسماء الله الحسنی، ومعانيها، وما فيها من شهادة بكمال الله سبحانه وتعالى.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

هذه آية الكرسي – تحدثنا عنها في درس سابق – هي في نفس هذا المسار يمكن

أن نتحدث عنها في مجال خلق شعور بعظمة الله سبحانه وتعالى، وثناء عليه، وشهادة بكماله، وكل أسمائه الحسنی، هي مفردات تعبر عن كماله المطلق سبحانه وتعالى هو العلي العظيم.

وهذا الأسلوب بالنسبة لنا يجب أن نرسخه في حياتنا أن تكون هناك أوقات كما نحن ندعو الله في أوقات، يكون هناك أوقات نمجد الله فيها، نعظم الله، نقديس الله، من خلال ذكره الكثير الذي شرعه من مثل ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ يردد الإنسان هذه التسبيحة كلما تذكر، هي ثناء على الله، وتعظيم وتمجيد لله سبحانه وتعالى، تترك في النفس أثراً طيباً هو شعور بعظمة الله، وتذكر دائم لله سبحانه وتعالى.

هناك أيضاً في دعاء الإمام علي (عليه السلام) أو فيما أثر عنه، وفيما أثر عن الإمام زين العابدين من هذا النوع، من الكلام الذي هو تمجيد لله الشيء الكثير، مناسب جداً أن يعود الإنسان إليه. فقط نحن نرى أنفسنا ندعو الله أدعية: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اقض حاجتنا، اللهم) أليس هذا هو ما يحصل، هذا يسمى دعاء، هناك نوع آخر يسمى (تمجيد لله وثناء عليه)، هو عبادة مهمة ذات قيمة عظيمة، ولها أثرها فيما يتعلق بالنفس، في مقام معرفة الله سبحانه وتعالى واستشعار عظمته.

فيما أثر عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة قال (عليه السلام):

(الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، رب الأرباب، وإله كل مأكوّه، وخالق كل مخلوق، ووارث كل وارث، ليس كمثله شيء، ولا يعزب عنه علم شيء، وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء رقيب.

أليس هذا تمجيد أم هو دعاء، تمجيد لله وثناء على الله، وتعظيم لله.

أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد. وأنت الله لا إله إلا أنت،

الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر. وأنت الله لا إله إلا أنت العلي المتعال الشديد المحال. وأنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم العليم الحكيم. وأنت الله لا إله إلا أنت السميع البصير القديم الخبير، وأنت الله لا إله إلا أنت، الأول قبل كل أحد، والآخر بعد كل عدد. وأنت الله لا إله إلا أنت الداني في علوه والعالى في دُنُوّه. وأنت الله لا إله إلا أنت ذو البهاء والمجد، والكبرياء والحمد. وأنت الله لا إله إلا أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سِنخ، وصوّرت ما صورت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، أنت الذي قدّرت كل شيء تقديرًا، ويسرت كل شيء تيسيرًا، ودبرت ما دونك تدبيرًا.

أنت الذي لم يُعْنِك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير، أنت الذي أردت فكان حتمًا ما أردت، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت، أنت الذي لا يحوجك مكان، ولم يقم لسلطانك سلطان، ولم يُعَيِّد برهان ولا بيان. أنت الذي أحصيت كل شيء عدداً، وجعلت لكل شيء أمداً وقدّرت كل شيء تقديرًا. أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك، وعجزت الأفهام عن كيفيتك، ولم تدرك الأبصار موضع أنيتك، أنت الذي لا تُحد فتكون محدوداً، ولم تُمثل فتكون موجوداً، ولم تلد فتكون مولوداً. أنت الذي لا ضد معك فيعاندك، ولا عدل فيكائرك، ولا ند لك فيعارضك، أنت الذي ابتداءً واخترع، واستحدث وابتدع، وأحسن صنع ما صنع.

سبحانك ما أجل شأنك، وأسنى في الأماكن مكانك، وأصدع بالحق فرقائك، سبحانك من لطيف ما أطفك، ورؤوف ما أرفك، وحكيم ما أعرفك، سبحانك من مليك ما أمنعك، وجواد ما أوسعك، ورفيع ما أرفعك، ذو البهاء والمجد، والكبرياء والحمد، سبحانك بسطت بالخيرات يدك، وعُرِفَت الهداية من عندك، فمن التمسك لدين أو دنيا وجدك.

سبحانك خضع لك من جرى في علمك، وخشع لعظمتك ما دون عرشك،

وانقاد للتسليم لك كل خلقك، سبحانك لا تُحَسَّ ولا تُجَسَّ، ولا تُمَسَّ، ولا تُكَاد ولا تُمَاط، ولا تُنَازَع، ولا تُجَارَى، ولا تُمَارَى، ولا تُخَادَع، ولا تُمَآكِر. سبحانك سيِّلك جَدَد، وأمرُك رَشَد، وأنت حي صمد. سبحانك قولك حُكْم، وقضاؤك حَتْم، وإرادتك عزم. سبحانك لا رادَّ لمشيئتك، ولا مبدل لكلماتك. سبحانك باهر الآيات فاطر السماوات، باري النسمات).

وهكذا الإمام زين العابدين يُمَجِّد الله سبحانه وتعالى بهذا الأسلوب الذي يشد النفوس نحو الله، يشد القلوب نحو الله سبحانه وتعالى، ومن خلاله تتعرف على معاني أسماء الله الحسنى، وتعرف سعة علم الله، ما أمكنك ذلك، وتعرف حكمته، وتديره، وقدرته.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الإسلام ومشروع الفكر الإسلامي في القرآن الكريم

١. الرؤية التوحيدية الشاملة (الأساس الفكري ومنهج التحرر)

الركيزة الأولى والمطلقة في مشروع الفكر الإسلامي هي الرؤية التوحيدية الخالصة. هذه الرؤية تتجاوز مجرد الإقرار بوجود الخالق، لتصبح نظاماً شاملاً يحدد علاقة الإنسان بالكون، بالحياة، وبالآخرين.

أ. التوحيد كمنظومة معرفية كاملة

التوحيد القرآني يمثل الرؤية الكونية الموحدة. عندما يُقال إن الله هو الواحد الأحد، فهذا يعني أن مصدر التشريع، والسيادة، والقوة المطلقة، والمصير، كلها تتجه إلى مصدر واحد. هذه الوحدة المطلقة تمنح الفكر الإسلامي حصانة معرفية ضد التناقض والازدواجية.

في ظل هذا التوحيد، لا يوجد في الكون قوة تستحق العبادة أو الطاعة المطلقة سوى الله. هذه القناعة تمنح المسلم قوة نفسية هائلة، إذ يتحرر من الخوف من المخلوقين ومن الانقياد للآراء والأهواء البشرية المتباينة. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ب. نفي الأصنام الفكرية والاجتماعية

مشروع التوحيد هو بالضرورة مشروع نفي للطاغوت والشرك. ولا يقتصر الطاغوت على عبادة الأوثان الحجرية، بل يشمل كل ما يطغى على سلطان الله في حياة الناس.

١. الطاغوت الفكرية: وهي الأوهام، والخرافات، والتقاليد العمياء، والآراء الزائفة التي يتم قبولها دون دليل عقلي أو شرعي. القرآن يدعو إلى النور، والعلم، والبرهان، ويحارب الظن والجهل كأسباب للضلال. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٢. الطاغوت الاجتماعية والسياسية: وهم المستكبرون والمستبدون الذين يسلبون الناس إرادتهم وحقهم في الحياة الحرة الكريمة، ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله. إن الفكر الإسلامي يرى أن مقاومة الاستكبار العالمي والدفاع عن المستضعفين هو جزء لا يتجزأ من تحقيق التوحيد العملي في المجتمع. التوحيد يعني أن السيادة لله، وبالتالي، لا شرعية لأي حكم يتعالى على شريعته أو يظلم عباده.

هذا المفهوم للتوحيد هو قوة دفع ثورية، فهو لا يقبل أن يرى المسلم مستسلماً للظلم أو للجُمود العقلي، بل يوجب عليه الحركة الدائمة نحو الأفضل والأعدل.

٢. الإنسان في المشروع القرآني (المحور والبناء والمسؤولية)

القرآن الكريم يتعامل مع الإنسان ليس كمستهلك أو مجرد كائن حي، بل كـ «خليفة» يحمل أمانة عظيمة تتطلب منه بناء الذات والمجتمع على أسس ربانية.

أ. بناء «الإنسان العياري» (نموذج التكامل)

يرسم القرآن الكريم نموذجًا مثاليًا للإنسان، وهو ما يمكن تسميته بـ «الإنسان العياري»؛ أي المعيار الذي يُقاس به صلاح البشر. هذا الإنسان يجمع بين أعلى درجات التزكية الروحية والفعالية الاجتماعية.

- التزكية الروحية: يبدأ البناء من الداخل، بتطهير النفس من الرذائل والأنانية، والارتباط القلبي بالله (التفكير، التذكر، الدعاء). ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

- القوة العقلية: الإسلام يقدس العقل كأداة للمعرفة، ويحث على طلب العلم والتفكير في آيات الكون. الإنسان العياري هو إنسان عالم ومتبصر لا يتبع إلا ما لديه به علم.

- الجهاد والعمل: هذا الإنسان لا يعيش لنفسه فقط، بل هو مقاتل في سبيل الحق، وعامل مصلح في الأرض.

يؤكد المشروع القرآني أن الإيمان بلا عمل، مجرد فكرة عقيمة؛ والعمل بلا إيمان، مجهود بلا هدف سام. الإيمان والعمل الصالح هما جناحان لا يمكن التحليق إلا بهما. هذا يمنع الانغماس الكامل في الروحانية المعزولة (الرهبانية)، ويمنع الانغماس الكامل في المادية الفارغة.

ب. الابتلاء والمسؤولية

الوجود الإنساني في المنظور القرآني هو ساحة اختبار وابتلاء. فكرة الابتلاء هي جزء أصيل من المشروع الفكري، إذ تدفع الإنسان إلى العمل والتحدي بدلاً من الاستسلام للراحة أو اليأس.

المسلم مكلف بالاستفادة من كل الطاقات الممنوحة له (العقل، الإرادة، الجسد) لتحقيق رسالة الخلافة. هذا التكليف يعني المسؤولية المطلقة عن اختياراته وأفعاله، وعن مصير مجتمعه وأمته. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

٣. العدالة كغاية وكوسيلة (إطار البناء الاجتماعي)

إن جوهر المشروع الفكري الإسلامي يكمن في إقامة «القسط»، وهي مرحلة أرقى من مجرد العدل، حيث تعني التوزيع المتوازن للحقوق والواجبات والموارد بين الناس.

أ. العدل الشامل كأساس للحضارة

العدل في المنظور القرآني هو الغاية التي أرسل الله لأجلها الأنبياء والرسل. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

- **العدل الاقتصادي:** محاربة الفساد والاحتكار، وضمان التكافل الاجتماعي، وتوجيه الاقتصاد لخدمة الناس لا لخدمة فئة قليلة. القرآن يرفض أن يكون المال دولة بين الأغنياء، وهذا يتطلب نظاماً اقتصادياً يضمن حركة دائمة للثروة في المجتمع (الزكاة، الصدقات، تحريم الربا).

• العدل القضائي والتشريعي: الالتزام بتطبيق الأحكام الشرعية دون محاباة أو تمييز، حتى لو كان الحكم على أقرب الناس. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

إن أي نظام اجتماعي أو سياسي يغلب فيه الظلم على العدل، أو يستغل فيه القوي الضعيف، يعتبر نظاماً جائراً يتناقض مع جوهر الفكر الإسلامي، ومقاومة هذا النظام واجبة.

ب. فكرة «الوحدة والأخوة» ورفض التمييز

المشروع الفكري القرآني يؤسس على مفهوم الأمة الواحدة التي تذوب فيها الفروق العرقية والمذهبية أمام الهدف الأسمى: تحقيق التوحيد والعدل. هذا يتطلب تكاتفاً اجتماعياً يضمن حقوق الأقليات والمختلفين، وينبذ التعصب والفرقة. \$إنها المؤمنون إخوة\$.

إن الوحدة هي القوة الضاربة للأمة في مواجهة الأعداء الظاهرين (الاستكبار) والأعداء الباطنين (الفرقة والتعصب). تحقيق الوحدة يبدأ من تطبيق العدل بين جميع أفراد الأمة.

٤. الحركة والتغيير (المنهج الفعلي والنهضة المستمرة)

الفكر الإسلامي ليس فكرًا مستسلمًا أو انعزاليًا، بل هو فكر ديناميكي يقوم على الحركة والتغيير المستمر نحو الأفضل، ورفض الجمود والتقليد السلبي.

أ. سنة التغيير الحضاري والنهضوي

التغيير هو سنة إلهية، لكنه مشروط بعمل الإنسان وجهده ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ هذا التغيير الذاتي يبدأ بتغيير الفكر والتصورات، وينتقل إلى تغيير السلوك والواقع الاجتماعي.

- الجهاد كمحرك للتغيير: الجهاد في الإسلام هو مفهوم واسع يشمل الجهاد الأكبر (جهاد النفس والهوى)، والجهاد الفكري (مقاومة الأفكار الباطلة)، والجهاد المسلح (الدفاع عن الحق والأرض والعرض). هذا المبدأ هو الضامن لاستمرارية الحركة وعدم الوقوع في حالة السكون.

- التخطيط والعمل المنظم: لا يكتفي المشروع الفكري بالأمنيات، بل يدعو إلى التخطيط المحكم والتدبير الحكيم وإعداد القوة لمواجهة تحديات العصر. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

المسلم في هذا المشروع هو كائن فعال، يصنع مستقبله بيده، ولا ينتظر أن يغيره أحد، بل هو الذي يبدأ التغيير من ذاته، ثم ينتقل به إلى محيطه الاجتماعي وصولاً إلى التأثير في العالم.

ب. الأمة الشاهدة (دور القيادة العالمية)

القرآن يصف الأمة الإسلامية بأنها «أُمَّةٌ وَسَطًا» لتكون «شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ». هذه الشهادة تعني القيادة الفكرية والأخلاقية والاجتماعية للعالم، وتقديم النموذج الحضاري البديل.

هذا الدور يمنح الأمة هدفاً يتجاوز حدودها الإقليمية، ويجعلها مسؤولة عن نشر الخير والعدل في الأرض. إن الأمة التي تقود، لا يمكن أن تكون تابعة أو مستوردة لأفكار الآخرين، بل هي منتجة للفكر، ومصدرة للحضارة.

٥. دور العقل والتدبر في القرآن (آلية الاستنباط والتجديد)

إن مشروع الفكر الإسلامي هو مشروع عقلي وعلمي بامتياز، يرفع من شأن العقل ولا يقبل الجمود أو الانغلاق.

أ. القرآن كتاب تدبر واجتهاد

يدعو القرآن الكريم إلى التدبر في آياته، وهو ليس مجرد التلاوة، بل هو محاولة الغوص في المعنى واستنباط الأحكام والمفاهيم العميقة لتطبيقها في الواقع المتجدد.

الإصرار على التدبر هو دعوة مستمرة إلى الاجتهاد والتجديد. لا يمكن أن يستمر الفكر الإسلامي حيويًا وفعالاً إلا بوجود قادة وعلماء قادرين على فهم النص بوعي العصر، واستخراج الحلول لمشكلاته المعقدة، بعيداً عن السطحية والتقليد المذموم.

ب. محاربة الجهل والتقليد الأعمى

يعتبر القرآن أن اتباع الظن والتقليد الأعمى هو من أسوأ الأمراض التي تفتك بالفكر. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

- العلم كفريضة: الفكر الإسلامي يرى أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لأنه الأداة الرئيسية للتمييز بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والوهم.
- ميزان العقل: العقل هو الميزان الذي به تُعرض الأفكار، وهو الذي يحمي المسلم من التبعية الثقافية والحضارية لأي قوة تحاول سلب إرادته أو تغريب فكره.

٦. الخاتمة: الدعوة إلى إحياء المشروع

لقد استعرضنا الأركان الأساسية لمشروع الفكر الإسلامي كما يقدمه القرآن الكريم:

١. الأساس: التوحيد الشامل، تحرراً من كل الطواغيت.
٢. البناء: الإنسان المتكامل، المزكى، العالم، المجاهد.
٣. الغاية: العدل والقسط في جميع مفاصل الحياة.
٤. المنهج: الحركة والجهاد والتغيير المستمر.
٥. الأداة: العقل والتدبر والاجتهاد.

إن هذه الأركان تشكل في مجموعها منظومة متكاملة لا تقبل التجزئة أو الاختزال. لا يمكن تحقيق التوحيد الكامل دون إقامة العدل، ولا يمكن إقامة العدل دون بناء الإنسان المتكامل، وكل ذلك لا يتم إلا بالحركة والاجتهاد المستمر.

مسؤوليتنا اليوم هي إحياء هذا المشروع الفكري، وتطبيقه في واقعنا المعاصر. إن نهضة الأمة تبدأ من هنا، من العودة الصادقة إلى القرآن كمنهج حياة، لا ككتاب عبادة فقط، والعمل على بناء الحضارة الإسلامية الموعودة التي تضيء دروب الإنسانية جمعاء بالعدل والسلام.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما العلاقة بين أسماء الله الحسنى ومقام الملك والهيمنة؟
٢. كيف يعزز التمجيد لله الثقة بالنفس والتحرر من الخوف؟
٣. لماذا يُعتبر الاستعانة بالله عزًا واستغناءً عن الطغاة؟
٤. كيف عبّرت سورة الحشر عن صفات الله بأسماء مركزة؟
٥. ما الفارق بين السلام بمعناه الإيماني والاستسلام السياسي؟
٦. كيف يتجلى اسم الله (المهيمن) في حياة المؤمن؟
٧. ما أهمية تمجيد الله في دعاء الإمام زين العابدين؟
٨. كيف تُحدث أسماء الله الحسنى أثرًا في نفس المؤمن؟
٩. ما هي الرسالة التربوية في ذكر صفات الله عز وجل في هذا الفصل؟
١٠. ما أثر الربط بين التمجيد لله والواقع السياسي في حياة الأمة؟



الفصل الثامن

تنزيه الله وتسيحه

الدرس

الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين * الحمد لله * ما لك يوم الدين * انا نعبد وانا انا
نستعين * اهذنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

الفاتحة ١ - ٧

مُقَدِّمَةٌ

يُعالج هذا الدرس مسألة عظيمة في العقيدة الإسلامية، وهي قضية تنزيه الله وتسبيحه، ويبرز خطورة العقائد التي تنسب إلى الله ما لا يليق بجلاله، سواء في ذاته أو أفعاله أو تشريعه، مستعرضاً الآيات التي تؤكد أن التسبيح هو مفتاح المعرفة الصحيحة بالله.

قد تقدم في الدروس السابقة أيضاً الحديث حول نعم الله سبحانه وتعالى وإحسانه العظيم إلينا فهنا يقول الإمام علي (عليه السلام): «وإن أحق من كان كذلك» أي من يجب أن يجل أو يكبر الله، ويعظم الله في نفسه فيصغر عنده كل ما سواه هو من؟ «من عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه».

هو الله

من الآيات القرآنية التي نفهم منها ما يتعلق بهذا الموضوع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقلنا: كل من يسمع كلمة (هو) والتي هي ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى ليشير في نفسك كل ما قد عرفته وسمعت داخل آيات الله في بقية سور القرآن الكريم من حديث حول عظمة الله سبحانه وتعالى.

ويجب أيضاً أن تتذكر (هو) في جميع مواقفك في هذه الدنيا، فمتى ما وقفت متردداً بين أن تقف بصدق مع الله سبحانه وتعالى أو أن تقعد، أو أن تميل مع أطراف أخرى بعيدة عن الله سبحانه وتعالى فتذكر أنك تقارن بين الله وبين غيره فارجع إلى (هو).

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

كل ما سوى الله سيفنى، وكل ما سوى الله ناقص وضعيف. إذاً فمن هو الذي يجب عليّ أن ألتجئ إليه، وأدعوه وأثني عليه وأثق به، الله أم شخص آخر، الله أم مطمع من مطامع الدنيا، الله أم هوى نفسي وشهواتها، أنا سأقول: (هو)، سأرجع إلى الله؛ لأنه ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

هو الحي الدائم البقاء الذي لا يفنى، وهو الإله الذي لا إله غيره، فهو من يجب أن أدعوه مخلصاً له في دعائي، من ألتجئ إليه مخلصاً له في التجائي إليه، من أتوكل عليه منقطعاً في توكلي عليه، من أثق به معرضاً عن كل من ليس في خطه وعلى صراطه.

وهو أيضاً من يجب أن أثني عليه؛ لكماله سبحانه وتعالى، ولعظيم إحسانه إليّ، ولسوابغ نعمه عليّ، إنه إله رحيم، إله عظيم الإحسان، إله يسبغ نعمه على عباده، عباده الذين أنا واحد منهم، وأنا من أعلم بأن نعمه عليّ لا أستطيع أنا ولا غيري أن يحصيها.

هو المقدّس، هو المنزه، هو الذي من تُسبح له السماوات والأرض ومن فيهن، وهو الذي له الحمد. والحمد معناه: الثناء على الله، هو وحده من يستحق الثناء، ومن له الثناء، وهو رب العالمين، إذاً فهو من يجب أن أخلص له.

الإنسان لا يرائي في أعماله إلا إذا لم يكن الله عظيماً في نفسه، الإنسان لا يرائي في أعماله إلا إذا كان ما يريده من الناس هو في نفسه أعظم مما يمكن أن يحصل عليه من قبل الله، وهذا من أعظم الجهل بالله سبحانه وتعالى، من أعظم الجهل بما يسبغه علينا من نعم، من أعظم الجهل بعظم ما عنده مما وعد به أوليائه المؤمنين.

هو القاهر

في آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

فمن الذي يستطيع أن يغالب الله؟ من الذي يستطيع أن يقهر أولياء الله المعتصمين به، والمتوكلين عليه والواثقين به. وهو الذي قال في كتابه الكريم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢).

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣).

من الذي يستطيع أن يقف أمامه فيحول بينه وبين أن يفني بوعده للمؤمنين الصادقين عندما يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤).

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٥).

إنه القاهر فوق عباده، من هو ذلك الذي يمكن أن نصفه بصفة كهذه من ملوك وزعماء الأرض! من هو ذلك الذي قد تقارن بينه وبين الله في جبروته وقهره! لا أحد في هذه الدنيا مهما ملك من قوة، الله وحده هو القاهر فوق عباده كبيرهم وصغيرهم،

١. الأنعام ١٨

٢. المجادلة: ٢١

٣. غافر: ٥١

٤. الحج: من الآية ٤٠

٥. محمد: من الآية ٧

ملكهم وملوكهم، رئيسهم ومرؤوسهم.

وهو الحكيم في أفعاله، الحكيم في تدبيره، أعماله لا عشوائية فيها، ولا جهالة فيها، الخبير بشئون عباده، الخبير بأعمال عباده، الخبير كيف يقهر من تمرد عليه، الخبير كيف ينصر من نصره، الخبير في كيف يفى بوعده لمن وثق به وتوكل عليه.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

في هذه الدنيا نجد أمثلة كثيرة تبين أن كثيراً من أولئك الذين يعتمد عليهم الناس فمتى ما انطلقوا ليفوا بوعودهم لهم كم تحصل من أخطاء. أمريكا عندما دخلت أفغانستان، ووقفت مع أحزاب التحالف الشمالي، التي كانت معارضة لحركة طالبان كم حصل من أخطاء من قبل الطائرات الأمريكية فضربت مدناً، وضربت مناطق هي تابعة لأحزاب المعارضة، فحصل قتلى كثير في مناطق هي تابعة لأحزاب المعارضة الذين هم تولوا أمريكا، وأمريكا وقفت معهم، لا أحد مهما كان ناصحاً معك إذا ما توليته وابتعدت عن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يكون خبيراً في كيف يقف معك.

بل نجد كيف أن أمريكا نفسها كم من الزعماء جنّدوا أنفسهم لخدمتها، وقضوا أعمارهم في العمالة لها، وفي تنفيذ مخططاتها، وفي الأخير في وقت الشدة، ووقت ثورة شعوبهم عليهم تتركهم وتتخلى عنهم، وأحياناً تتخلى عنهم قبل ذلك، كم من شخص جنّد نفسه ليكون جاسوساً للمخابرات الأمريكية أو غيرها، فيبدوا لهم في حين من الأحيان أن يقضوا عليه، أو يعملوا على أن تصيبه عاهة من الجنون أو نحوه تفقده شعوره.

هكذا يعملون بأوليائهم، أفعال ليست من الحكمة في شيء، أعمال هي فيما يتعلق بذلك الشخص الذي بذل جهده من أجلهم، وضحي بعمره من أجلهم تعتبر

١. الأنعام: من الآية ١٨

مكافئة سيئة على إحسانه إليهم، أما الله سبحانه وتعالى فهو من ينصر أوليائه، ومن يقف مع أوليائه، ومن لا يضيّع جهود أوليائه، ومن يقرب أوليائه منه، ومن لا يفرط فيهم ولا يضيعهم؛ لأنه الحكيم الخبير.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(١).

هو من له الثناء، من له المجد في الدنيا في هذا العالم وفي الآخرة، هو المقدس، والمنزه عن كل نقص، وعن كل قبيح، وعن كل عيب في هذه الدنيا وفي الآخرة.

والدنيا والآخرة عالمان يعيشهما الإنسان لا بد أن يمضي فيهما، نحن في هذه الدنيا في عالم الأولى، ولا بد أن نَفِدَ ونتحرك جميعاً إلى عالم الآخرة، فمن هو هناك الملك في اليوم الآخر، أليس هو الله سبحانه وتعالى، فهو هناك من له الملك وحده، لا أحد يستطيع أن يتصرف في شئون عباده في اليوم الآخر.

وهو سبحانه وتعالى المستحق للحمد والثناء والمجد في الدنيا وفي الآخرة، وهو من لا يمكن أن يتنكر لك، فإذا ما وعدك هنا في الدنيا فيستحيل أن يخلف في الآخرة. هو من ستكون رحمته بك في الآخرة أعظم وأعظم، وسيبدولك إحسانه إليك في الآخرة أكبر وأكبر مما حصل في الدنيا.

وكونه مستحق للحمد هو لكماله، لقدسيته، فهو، الكامل في الدنيا وفي الآخرة، فلا يمكن أن تخشى أن يتغير لديه مزاج كما يحصل للناس في هذه الدنيا، قد تجد شخصاً وفيماً معك، وصادقاً معك فترة، ثم تلمس فيه أنه بدأ يتغير مزاجه، وبدأ يقلب وجهه عنك، قد يصدق معك في موقف معين، ثم يأتي موقف آخر فتراه تغير وتبدل وقعد عنك، ألسنت ترى بأن هذا الشخص قد اعتراه نقص، قد علاه نوع من النقص، وسوء الخلق. فأنت تنظر إليه أنه أصبح يستحق الدم، أليس كذلك، بل قد تنطلق أنت لتذمه بعبارات قاسية تطلقها من فمك، أما الله سبحانه وتعالى فهو مَنْ

سيكون شعورك نحوه في الآخرة أعظم مما كنت عليه في الدنيا، تتجلّى رحمته لك أعظم، وإحسانه إليك أكبر، وتأتيك البشارات الواحدة تلو الأخرى وأنت في موقف الحساب، فالناس تشخص أبصارهم من شدة الهول، وأنت هناك مطمئن

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٢).

يكون أولياؤه - والناس في شدة الحساب - من هم متكئون وجالسون على أرائك، والأرائك هي [الكنب] كما نقول في الدنيا، المقاعد الملبسة بالفراش، يقدم لهم الشراب، ويقدم لهم الطعام قبل أن يزفوا إلى الجنة، والناس هناك في هول شديد.

الله من لا يمكن أن نخشى منه أن يتغير أو يتبدل؛ لأن كماله هو كمال ذاتي، وكمال هو الكمال المطلق، إذا فلماذا لا تثق به؟ لماذا لا تعظم ثقتك به؟ أنت قد تثق بشخص هنا في الدنيا حتى ولو كان رئيس دولة، وأنت تعلم بأنه من المحتمل أن يموت اليوم أو غداً، من المحتمل أن يحدث عليه انقلاب اليوم أو غداً، فيصبح مسكيناً لا يستطيع أن يعمل لنفسه شيئاً فضلاً عن أن يعمل لك شيئاً. أما الله فهو من لا يمكن أن يغيره نقص يعتريه، أو إله آخر يقهره، متى ما وثقت به هنا في الدنيا؛ لأنك تراه هو أهل المجد، وأهل الحمد، وأهل الثناء، كذلك ستجده في الآخرة هو أهل المجد، وأهل الحمد، وأهل الثناء لا يتخلف عنك، ولا يتغير أمامك، ولا يتبدل.

١. يونس: ٦٢.

٢. الزخرف: ٦٨.

﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾^(١).

هو من له الحكم هنا في الدنيا، وله الحكم في الآخرة أيضاً، له الحكم في الآخرة في يوم الفصل، لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد إلا بإذنه، ولمن ارتضى من عباده، كل عباده يقفون صامتين بين يديه فلا تسمع إلا همساً

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٢).

كل أولئك الذين كانوا يتجبرون في هذه الدنيا، ويطلقون العبارات القاسية ضد المستضعفين من عباد الله، هم من سيقفون أذلاء بين يدي مَنْ أنت تتولاه، هم من ستضحك منهم، وتسخر منهم في الآخرة كما سخرُوا منك في الدنيا، وكما كانوا يضحكون عليك في الدنيا

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾^(٣).

في يوم الحساب مرتاحين تقدم لهم [مداكي] يجلسون عليها، وشراب وأكل، وهم يضحكون من الآخرين، وهم من قد شخصت أبصارهم، هم من قد كادت أفندتهم أن تخرج من صدورهم من شدة الخوف والهلع، فترى كم كان لتوليكَ الله سبحانه وتعالى من أثر عظيم.

في ذلك اليوم الشديد الأهوال ترى أن من توليته هو من رفعك في ذلك المقام العظيم، فأمنك في يوم الهول الشديد، فتصبح أنت من تضحك، ومن تسخر من أولئك الكبار، الذين كانوا في الدنيا يضحكون من أولياء الله، ويسخرون منهم،

١. القصص: من الآية ٧٠

٢. طه: من الآية ١٠٨

٣. المطففين ٣٥

ويهددونهم، ويستضعفونهم، ويتجبرون عليهم.

والفارق كبير جداً، في هذه الدنيا فترة قصيرة نعيش فيها جميعاً نحن والمستكبرون، نحن ومن يسخرون منا، نحن ومن يضحكون منا، لكن هناك في اليوم الآخر هو عالم الخلود الأبدي، سيكون مَنْ هو آمن دائماً، مَنْ هو ذليل دائماً، مَنْ هو خائف دائماً في قعر جهنم. فالفارق كبير جداً؛ لأن من توليته هو مَنْ له الحكم في الآخرة، ومن إليه يُرجع الناس جميعاً، وأنت منهم سترجع إليه فترى الجزاء الحسن، وترى الثواب العظيم على توليك له، ورجوعك إليه في الدنيا، يوم كنت ترجع إليه في كل أحوالك، وتتجه إليه في كل أعمالك.

هو أيضاً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾^(١).

قوله الحق الذي لا يتخلف، قوله الحق الذي لا يمكن لأحد أن يفرض عليه أن يتخلف عن قوله، أو يحول بينه وبين تنفيذ قوله، ومعنى أن قوله الحق: هو الواقع الثابت الذي لا يتخلف، وهو الحق الذي لا باطل فيه، ولا ضلال فيه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

له الملك في الدنيا، وله الملك في يوم ينفخ في الصور، في يوم القيامة، هو عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير.

عندما نقرأ مثل هذه الآيات العظيمة، ليس المقصود فقط هو: أن تعرف أن الله هكذا، هو هكذا سبحانه وتعالى، لكن المطلوب ماذا ستترك هذه الآيات في نفسك من أثر، الله سبحانه وتعالى نزل كتابه الكريم، وكتابه كتاب هداية، كتاب يعمل على أن يهديك بأي وسيلة، فهو هنا لا يتحدث لمجرد الحديث عن عظمة الله سبحانه

١. الأنعام: ٧٣.

٢. الأنعام: ٧٣.

وتعالى فقط، بل ليقول لك: أنا هكذا في فتق، وعليّ فتوكل، وإياي فارجوا وهكذا. عندما يقول عن نفسه سبحانه وتعالى: «قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ».

فهل نجيب عليها بأن نقول: صح، نعم هي حق، لكن لنرجع إلى أنفسنا، نبحث عن كيف نجعل لهذه الآيات العظيمة – التي تتحدث عن عظمة الله سبحانه وتعالى – أثراً عظيماً في نفوسنا، كيف نجعل نفوسنا تشعر بعظمة الله، فيعظم الله فيها، فيصغر ما دونه أمامها.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

مبتدعهما، أي هو لم يخلقهما على مخطط قدم له من جهة أخرى، أو عملهما على مثال عملته جهة أخرى، هو من ابتداعهما، هو من أوجدهما من حالة العدم على غير مثال احتذاه.

﴿أَنْتَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

فأولئك الذين أدعوا له ولداً، أو جعلوا أنفسهم أبناء له، اليهود والنصارى، اليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، الله كفرهم بأقوالهم هذه، وسخر منهم: «أَنْتَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ»؛ كيف يمكن أن يكون له ولد «وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً»؛ ليس له زوجة، هو ليس بحاجة إلى ولد، هو بديع السموات والأرض، هو من لا يمكن أن يلد أو أن يكون مولوداً، لا يمكن إطلاقاً، لا يمكن أبداً أن يكون مولوداً، ولا يمكن أبداً أن يلد، أن ينبج؛ لأن هذا هو شأن المخلوقات، شأن المحدثات، تعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

١. البقرة: ١١٧.

٢. الأنعام: ١٠١.

فكان من يقولون بأن الله ولدًا كاليهود والنصارى الله كَفَرهم، ولعنهم بقولهم بأن له ولدًا. وما نزال نسمع من إذاعات المبشرين، التبشير بالنصرانية يتحدثون عن المسيح أنه ابن الله، يتحدثون عنه بأنه ابن الله ويقولون: أنه مع أمه ومع الله إله واحد، واحد في ثلاثة! هذا كفر وجهل بالله سبحانه وتعالى.

كثير من الناس حول هذه المسألة لا يتعقل ما فيها من سوء حتى يرى بأن عليه أن ينزه الله منها، فنحن متى ما نزهنا الله ينزهه الكثير من منطلق إيماني: بأنه هكذا نزه نفسه، فنحن ننزه نفسه. لهذا متى ما سمع كثير من العوام إذا ما قلت لهم: فلان يقول: أن الله يُرى! بعضهم لا يستنكر، لا تثيره هذه القضية، إلا إذا كان قد تعلم وعرف معرفة لا بأس.

الله سبحانه وتعالى عندما ينزه نفسه عن مشابهة خلقه، عندما ينزه نفسه عن أن يكون له ولد، أو يكون مولودًا، أو يكون له صاحبة، ينزه نفسه؛ لأنه لو كان على هذا النحو لكانت فيه دلائل الحدوث، ولو كانت فيه دلائل الحدوث لكان ذلك يعني: أن هناك طرفًا ثانيًا أحدثه على هذه الكيفية التي هو عليها، فيكون ناقصًا محتاجًا، ويكون غيره أكمل منه.

كما هو الحال بالنسبة لنا، أليست فينا دلائل الحدوث، من تركيبنا على كيفية معينة، ووجودنا بعد حالة عدم، وكوننا مولودين من بطون أمهاتنا. أليس ذلك يدل على أننا محتاجون، أن هناك طرفًا ثانيًا عمل هذا بنا؟ فنحن ناقصون بالنسبة له، نحن محتاجون إليه، إذاً هو أكمل منا.

فإذا كان يلزم من هذا من أن يكون له ولد، أو يكون مولودًا، أو تكون له صاحبة أن يكون مُحدثًا، وأن يكون محتاجًا، ويكون ناقصًا، فهذا يعني: أن هناك غيره من هو أكمل منه هو من أولده من آخر، أو من جعله على كيفية معينة قابلة لأن يلد فينجب فيكون ناقصًا.

ونحن نقول كما تكرر في القرآن الكريم في آيات كثيرة إن من أعظم ما يؤكد عليه

القرآن الكريم ويعمل على ترسيخه في النفوس هو: الشعور بكمال الله المطلق، أي هو من لا يحتاج أبداً إلى غيره، هو الكامل، فعندما نصفه ونسميه كما سمى نفسه «عليم» فهو العليم الذي لا يجهل شيئاً، هو الذي أحاط علمه بكل شيء، هو عالم الغيب والشهادة.

ومتى ما سمعناه يسمي نفسه بأنه قدير فإنه يقول: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

لا يعجزه شيء، والقرآن الكريم عمل على ترسيخ مبدأ الكمال، كمال الله سبحانه وتعالى، وهو المبدأ الذي استطاع أن ينسف الشرك من نفوس العرب، عندما جاء ليقول لهم: إن الإله يجب أن يكون كاملاً، الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون كاملاً كمالاً مطلقاً، أما إذا كان ناقصاً محتاجاً فغيره أكمل منه، إذاً فغيره أولى بالعبادة له منه، فتحدث عن أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر، لا تسمع، لا تبصر، ألم يتحدث في القرآن الكريم عن هذا كثيراً.

الذكر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الكمال التام لله وحده

نبي الله إبراهيم (عليه السلام) عندما حطم تلك الأصنام؛ ليشير في نفوس قومه أن هذه الأصنام التي تعبدونها ناقصة قاصرة، لا تستطيع أن تنفع ولا تضر، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها فكيف يمكن أن تدفع عنكم، فلماذا تعبدونها، إن من يجب أن تعبدوه هو الله سبحانه وتعالى الكامل، ذي الكمال المطلق، الذي لا أحد يستطيع أن يقهره، الذي إذا التجأت إليه نفعلك، إذا خرجت عن نهجه وتجبرت عليه ضربك، ويستطيع أن يضربك، ويقول لك: بأن كل من في السموات والأرض جنود له: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

﴿فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

عرفوا أنه فعلاً أصنام تتحطم هي ناقصة، فكيف نعبدها، ماذا يمكن أن تعمل هذه الأصنام؟ من أي وجه تستحق العبادة؟ أي كمال لها تستحق به أن نعبدها، ونخضع أنفسنا لها، ونشئ عليها.

وهكذا استطاع القرآن الكريم أن ينسف الشرك من نفوس العرب إلى الآن. هل هناك صنم في البلاد العربية ركزوه من جديد ليعبدوه، انتهى الموضوع؛ لأن كل واحد يتساءل لماذا أنصب صخرة، أو خشبة، أو تمثالاً فأعبدته وأولهه، ماذا يمكن أن

١. الفتح: من الآية ٤.

٢. الأنبياء: ٦٤.

يعمل؟ لماذا أعبدته؟ بأي وجه يستحق العبادة! أي كمال فيه يستحق أن أعبدته، واثنى عليه، وأمجده، وأعظمه وأقدسّه.

فعندما نسمع أن من عقائدنا: أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يجوز أن يشبه شيئاً؛ لأن كل الأشياء غيره سبحانه وتعالى فيها دلائل الحدوث، فلو كان مشبهاً لأي شيء من مخلوقاته لكان قد أصبح ناقصاً محتاجاً كمثليها، ولكن هو في نفسه دليلاً على أن هناك طرفاً آخر هو أكمل منه، وهذا نفس للألوهية من أساسها، نفس لاستحقاقه الألوهية والربوبية من أساسها؛ لأننا سنقول فيما بعد: إذاً ذلك الذي منحك هذا الذي أنت عليه هو أجدر بالعبادة، هو أكمل منك. وتلاحظون أن مبدأ الكمال - أيضاً - هو مما رسخه الله سبحانه وتعالى في نفوسنا، فطرة فطر الناس عليها.

الكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، لا يمكن أن تفترض أن هناك اثنين كاملين، كل واحد منهما سيظهر ناقصاً بالنسبة للآخر، الكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، وهو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا كل ما يستلزم منه أن يكون الله مشابهاً لخلقه بما يعني هذا: أنه أصبح فيه دلائل أنه محدث ومحتاج إلى طرف آخر فهو من أكبر الكبائر عندما تعتقده بالنسبة لله سبحانه وتعالى؛ لأنه ماذا يعني؟ بأنك حكمت بنسف استحقاقه للألوهية من أساسها؛ ولهذا نحن نقول في عقائدنا: لا يجوز أن نقول: أن الله وجهاً، كما يقول الآخرون، وليس له يد، ليس له أعين كما يقول الآخرون، هذه آليات عملها لنا نحن الناقصين، نحن القاصرين، نحن المحتاجين.

لو قلنا بأن له وجهاً، وله يداً، وله رجلاً حتى ولو قلنا كما يقولون: يليق به، وجه يليق به، يد تليق به، رجل تليق به.. هكذا يقولون. اسألهم: هل وجهه غير يده، ويده غير رجله، أم أن وجهه يده، ويده رجله، ورجله وجهه. سيقول لك: لا، هي بالطبع وجهه غير يده، ويده غير رجله؟ إذاً من الذي منحه وجهاً هو مغاير ليده، ويداً مغايرة لرجله، إذاً أثبتتم له أعضاء، وإن كنتم تقولون بأننا لا نعرف كيفيتها،

فالتنزيه لا يعني فقط بأنك تقول بأنك لا تعرف الكيفية التي عليها هذا الوجه الذي أثبتّه الله، أن تنفي عنه من الأساس أن يكون له عضو، أو يكون مركباً من أجزاء، أن يكون مؤلفاً، لا يصح؛ لماذا. لأن التركيب علامة من علامات الحدوث.

ماذا يعني الحدوث؟ أي أن هناك مَنْ منحه وجهه كما منحك وجهك، ومن منحه يده وجعلها في موضع في غير موضع وجهه، ولها أعمال غير أعمال وجهه، وله رَجُل لها أعمال غير أعمال يده، وموضعها غير موضع يده، كما هو الحال بالنسبة لنا أليس كذلك.

إذاً فهذه علامات الحدوث، إذاً هناك من منحه هذه الأشياء، إذاً فهو ناقص، ومن منحه هذه الأشياء هو أكمل منه، إذاً فليس رباً ولا إلهاً، أليست المسألة تنتهي إلى هذه؟ المسألة تنتهي في الأخير إلى كفر بالله؛ ولهذا ينقل ان أحد العلماء وزع قبل سنوات فتوى يحكم فيها بكفر من يعتقد: أن الله يُرى، ويقول: أن الله يرى؛ لأنه هكذا تنتهي المسألة إلى هذا الحد؛ ولهذا نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن أن يكون له مشابه، وهنا نزه نفسه عن أن يكون له ولد.

تأتي هذه الآيات تتحدث عن تنزيه لذاته سبحانه وتعالى لأنه هو ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

هو من لا يحتاج - وهو يخلق ما يخلق ويفطر ما يفطر - إلى أن يعتمد على طرف آخر يسلمه مخططاً ليرسم عليه، أو يَسْتَقْدِمَ نموذجاً فيصنّع كمثلته، هو مَنْ لا يحتاج إلى هذا، هو من ليس هناك غيره يمكن أن يعمل هذا؛ لأن كل ما سواه مخلوق، كل ما سواه محدث، هو الذي خلقه، هو الذي أحدثه، فهو مَنْ ابتدع السماوات والأرض، هو من لا يمكن أن يكون له ولد.

هل فهمنا الآن بأنها صفة نقص لو حكمنا بأن له ولداً، صفة نقص فيه نثبتها، ما

١. الأنعام: من الآية ١٠١

هي صفة النقص هذه؟ أي سنثبت بأنه ناقص. ما هو النقص؟ أننا أثبتنا أنه محتاج لطرف آخر، وأن الطرف الآخر هو أكمل منه، إذاً ونحن مفطورون على إعطاء الحق للأولي أليس كذلك، والتسليم للأكمل، سنقول: إن ذلك الذي هو من صنع الله على هذا النحو، أو منحه هذا الشيء هو الأكمل، إذاً فهو الأول. فهذه تنسف التوحيد من أساسه، وهذا هو كفر، كفر شديد.

لا ينسب الظلم لله تعالى

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

هو من خلق كل شيء، كل شيء من هذه الأشياء التي نراها أمامنا، خلقنا نحن، وخلق كل هذه الموجودات التي أمامنا. كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أتت في سياق الثناء على الله، والتمجيد لله، والتقديس لله، والحديث عن كماله سبحانه وتعالى، كماله الذي يستحق الثناء من عباده، بل هو من أثني على نفسه قبل أن يثني عليه عباده.

فعندما يأتي الآخرون فيقولون: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ يعني: هو أيضاً أفعالنا هذه، المعاصي هو الذي خلقها؛ لأنها أشياء فهو إذاً الذي خلقها. لا يفهمون الحديث هو عن ماذا هنا، أنه يتحدث عن كماله، عن تنزيهه، عن تنزيه ذاته، عن تمجيده، عن تقديسه، عن الثناء عليه، عن كماله سبحانه وتعالى. فهل هو من يتمدح بأنه الذي خلق المعاصي وخلق الظلم وخلق الفساد وخلق الكفر وخلق النفاق، هل هذا تمدح، لو كان هو من خلق الضلال والكفر والفساد والنفاق والمعاصي والباطل لما استحق أن نثني عليه، نثني عليه مقابل ماذا!

إذا كنا نقول: بأنه مصدر كل قبيح ومصدر الفواحش، ومصدر الشرور، فلماذا نثني عليه! هل يستحق الثناء عليه فيما إذا وصفناه بأنه مصدر القبائح والفواحش،

١. الأنعام: من الآية ١٠١

هل من هو مصدر القبائح والفواحش يستحق أن يُثني عليه، هل الله سبحانه وتعالى ممكن أن يثني على نفسه، ويتحدث في مقام الشاء على ذاته بأنه من خلق الظلم والفواحش والفساد، هذا ليس مما يمكن أن يقوله من في قلبه مثقال ذرة من معرفة بالله صادقة، وشعور بعظمة الله سبحانه وتعالى.

هو من نزه نفسه في آيات أخرى عن الفساد والظلم، أنه لا يريد أن يظلم العباد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

وهو من قال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وكلمة ظلم تشمل - تقريباً - كل أنواع الفساد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٤).

هو الذي ينهى عنها فكيف يتمدح بأنه هو من يخلقها، وكيف يمكن أن يكون هو من خلقها فيك، إذا كان هو من خلقها فيك فمعنى ذلك بأنك انطلقت فيها بغير اختيار منك؛ لأن كل ما خلقه الله فيك هو بغير اختيار منك، بل وبغير اختيار من أهلك، وبغير اختيار من أمك، لونك، شكلك، طولك، قصرك، شكل أعضائك، هل هو باختيار منك، هل أنت قدمت لله مخططاً فقلت أريد أن تجعل أذني كذا وأنفي كذا وعيوني كذا وأن يكون طول وعرض وجهي على هذا النحو مثلما تعمل مخططاً لنفسك.

إذاً فلو كان الله هو من خلق فينا المعاصي، ومن ساقنا إليها - على اختلاف أقوالهم

١. فصلت: من الآية ٤٦

٢. آل عمران: من الآية ١٠٨

٣. الأعراف: من الآية ٢٨

٤. النحل: ٩٠

حول هذه - هم يلتقون حول هذه أنه خلقها فكيف يمكن أن ينطلق هو ليلعن الشيطان ويأمرنا أن نعادي الشيطان وأن نلعنه والشيطان إنما يوسوس ليحملنا على الفحشاء فكيف يعمل هذا مع الشيطان وهو من خلق الفحشاء، من الأسوأ حينئذٍ من يخلق الفحشاء أو من يوسوس لها فقط.

حينئذٍ جعلوا الله - سبحانه وتعالى نزهه ونقدسه - جعلوه أسوأ من الشيطان، خلق الفواحش وهو من تنزل أول آية من كتاب الله الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم هي [سورة الفاتحة] وأولها الثناء على الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١).

﴿الْحَمْدُ﴾

بهذه العبارة التي تعني: كل الحمد، كل الثناء كل المجد ﴿لِلَّهِ﴾، سبحانه وتعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فكيف يستحق الثناء من هو الذي يخلق الفواحش، من يملأ القلوب كفرًا ويملؤها نفاقًا رغماً عن أصحابها، ثم هو في الأخير من يلعنهم، وفي الأخير من يقودهم إلى قعر جهنم، ماذا عملوا، ماذا عملت أنت، رغماً عنك يملأ قلبك كفرًا ونفاقًا، ويملأ قلبك فساداً ثم يعذبك، يتنافى هذا مع عدله، يتنافى مع حكمته، يتنافى مع رحمته، يتنافى مع كماله، يتنافى مع جلاله وعظمته وقديسيته.

وهكذا، يقولون: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه عقيدتنا، وهذا دليلها من القرآن ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣)، والمعاصي هي أشياء إذاً هو الذي خلقها.

القرآن الكريم هو كتاب عربي، بلسان العرب، بأساليب العرب، ونحن نستخدم هذه العبارة، والقرائن المحيطة بها، والجو الذي تقدم فيه، الطرف الآخر الذي

١. الفاتحة: من الآية ٢

٢. الفاتحة: من الآية ٢

٣. الأنعام: من الآية ١٠١

تتحدث معه هو من يعرف ماذا تعني، عندما تقول: [نحن تغدينا عند فلان وقدم لنا من كل شيء] ألسنا نقول هكذا، هل سيفهم ذلك أنه قدم لكم من كل شيء في الدنيا في السماوات والأرض، من الأشياء المعلومة المعروفة.

فنقول: هذه الأشياء التي تشاهدونها، هذه الأشجار هذه الجبال والأحجار، هذه الدواب، هذه الكواكب، هذه السحب الله هو الذي خلقها ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

من هذه الأشياء، لأن الناس بفطرتهم لا أحد يتبادر إلى ذهنه أن يقول: إذاً هو خلق أفعالي؛ لأن كل إنسان بفطرته، بل الدواب بفطرتها تعرف أن أفعالها منها، أنها هي التي انطلقت فيها؛ ولهذا ترى القط، ترى الكلب عندما يعمل عملاً هو يعرف بأنه عمل غير مسموح به، يدخل من باب البيت فمتى ما سمعك أنك قريب من البيت يهرب بسرعة؛ لأنه يعرف أنه هو قد ارتكب خطأً، دخل البيت وليس من حقه أن يدخل البيت. القطُّ قبل أن يتناول [اللحمة] أليس هو ينظر هنا وهنا قبل أن يتناولها هل أحد يراه ثم يقفز وينطلق بسرعة، وإذا لم يكن أحد عنده أكلها مكانها، فعندما يسمع أحداً قادماً إليه يأخذها ويهرب بسرعة. هكذا حتى الحيوانات تعرف أن أفعالها منها.

من منا ممكن أن يتبادر إلى ذهنه أنه عندما يشرب، عندما يأكل أن الله هو الذي خلق هذا الفعل وأنا آكل، يمكن تقول هو الذي اكل، فهو الذي خلق الاكل خلق هذه أفعالنا نحن، والحيوانات لها أفعال تختص بها.

لا يتبادر إلى الذهن، لكن الطواغيت، وعلماء السوء هم من أجل خدمة السياسة الفاسدة، خدمة الطواغيت يحملون الله كل سوء، وينسبون إلى الله كل قبيح فيشبهون على العوام من الناس، فمتى ما رأينا معاوية بطغيانه وقبحه نقول: الله هو الذي ولاه، والأعمال التي تصدر من معاوية الله هو الذي خلقها، فأصبح معاوية مقبولاً بكل ما هو عليه؛ لأنه كله من الله، هو الذي ولاه، وهو الذي خلق أفعاله!! فمن الذي سيستثار ضد معاوية إذا أو أشباه معاوية وهو يعتقد هذه العقيدة! أليسوا هم

من دَجَّنُوا أنفسهم ودَجَّنُوا الأمة للظالمين بعقائد مثل هذه، هم من أساءوا إلى الله إساءة بالغة.

فسبحانه وتعالى ما أعظم حلمه عنهم، وهم من ينطلقون في عباداتهم، وأنت عندما ترى ما في كتبهم من عقائد باطلة، وتراهم يتعبدون ستحكم بأنهم يتعبدون لغير الله، وأنهم يتعبدون لمن، أنت كيف تقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فثني على من تعتقد أنه وراء كل فاحشة وقبيح، هذا تناقض.

ثم أنت تجعل العقيدة الباطلة في قلبك، والمنطق الصحيح على لسانك فقط، والله يتعامل مع من، مع القلب أو مع اللسان، اكيد مع القلب، بل لو انطلقت من لسانك كلمة كفر تكره عليها وقلبك مطمئن بالإيمان لا يضر، لكن أن يكون قلبك مطمئناً بالكفر وتنطلق من لسانك كلمة إيمان لا تنفع ولا قيمة لها.

يقرؤون القرآن أحياناً ويكفون، وفي الصلاة يسبحون: سبحان ربي العظيم وبحمده. أسأله عن ربه بعد سيقول لك: هو الذي يقدر كل شيء إذاً فلماذا تسبحه؛ لأن التسبيح لله يعني: تنزيه له عما لا يليق بكماله، وأنت الآن نسبت إليه بأن تلك الفاحشة التي اقترفها فلان، تلك الجريمة التي ارتكبها فلان الله هو الذي قدرها، هو الذي خلق الفعل الذي انطلق من هذا الشخص وهو ينفذ الجريمة! فكيف تسبحه! وكيف تلعن الشيطان وهو لم يعمل إلا أقل مما عمله ربك الذي قلت بأنه خلق الفاحشة، وقدرها وساق ذلك الشخص إليها رغماً عنه، إنهم متناقضون، عقائد خبيثة، عقائد تتنافى مع القرآن الكريم بشكل مفضوح.

ثم لا ينفع أن يقولوا: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أو يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

ألم ينطق بكلمة: ﴿الْحَمْدُ﴾.

لكن كما قلت سابقاً؛ لأن بعض الناس يقول: كيف هم هؤلاء يقولون مثلنا يسبحون الله ويمجدون الله ويمجدون الله نقول: لكن فيما إذا كان الواقع على هذا النحو: أن قلوبهم تعتقد عقائد باطلة وفقط ألسنتهم تقول بهذا فما يصدر من ألسنتهم إنما هو شهادة على قبح اعتقادهم، وهو نفس المنطق الذي استخدمه القرآن مع الكافرين الذين كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

ويردد في آيات أخرى، ﴿ولئن سألتهم﴾؛ ثم بعدها يقول: ﴿قل أفلا تَعْقِلُونَ . أفلا تَتَّقُونَ . أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

إذا أنتم تقولون: بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، إذا فلماذا تجعلون معه آلهة؟ أنت من تقول: الحمد لله، وتقول: سبحان الله، إذا فلماذا تعتقد بأنه مصدر القبائح؟ نفس المنطق، ونفس الأسلوب. فأولئك عندما كانوا يقولون: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، الله هو الذي خلقنا، ألم يجعل هذه حجة عليهم وشهادة انطلقت من ألسنتهم على بطلان ما يعتقدون من أن هناك آلهة مع الله. نفس الشيء أنت عندما تقول: سبحان الله والحمد لله وأنت تعتقد أن الله هو مصدر القبائح والفواحش، هو الذي خلقها وقدرها، فأنت تشهد على نفسك، وقولك حجة عليك يشهد ببطلان ما تعتقد، إذا فلماذا لا تتحول عن هذا الاعتقاد الباطل.

أما أن آتي أنا وأقول: هذا الاعتقاد لا يضر؛ لأنني سمعتك تقول: سبحان الله والحمد لله، إذا سأقول لذلك النبي عندما يقولون: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢).

١. الزخرف: ٩.

٢. الزخرف: من الآية ٨٧.

سأقول له هم يقولون الله، إذاً فالمسألة انتهت إلى مجرد حجر يطوفون عليها فلا تضر هذه المسألة، أو أنهم جعلوا هذا إله، هم ما نسبوا إليه أنه خلق، ولا نسبوا إليه أنه رزق، ولا نسبوا إليه أنه من يدبر الأمر، ولا نسبوا إليه أنه من خلقهم، ولا شيء، إذاً لم يعد إلا مجرد خرافة لا تضر ولا شيء فلماذا نتقاتل نحن وإياهم عليها.

على هذا الأساس ممكن أن يكون منطق، لكن القرآن رفض هذا الأسلوب، إذا كنت من أتاول لك وأنت صاحب هذه العقيدة الباطلة؛ لأنه انطلقت من لسانك كلمات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وكلمات: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾؛ فأقول: لذلك المشرك بعد أن قال: الله هو الذي يدبر الأمر، الله هو الذي خلق السماوات والأرض، الله هو الذي يرزق، الله هو الذي ينزل من السماء ماء، هكذا ورد اعترافهم بهذا نقول: خلاص يا محمد، خلاص يا نوح، خلاص يا موسى، خلاص، انتهى الموضوع، ماذا تريدون منهم، نقوم نتقاتل إحنا وإياهم وهم معترفون أن الله هو الذي عمل كل شيء، فقط تعتبر مجرد خرافة أنهم نصبوا حجر يقولون: أنها إله، لاحظ هل هذا منطق قبله القرآن! بل اعتبر اعترافهم شهادة على بطلان اعتقادهم بجعل هذا إله حتى وإن كانوا لا ينسبون إليه شيئاً مما هو يختص بالله سبحانه وتعالى.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾؛ قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾^(١).

وهل الله في واقعه ثالث ثالث ثلاثة. هل يمكن أن أقول الله ليس ثالث ثالث ثلاثة وهذه مجرد كلمة، كفروا وإن لم يكن إلا مجرد قول، وفعلاً الشرك لا حقيقة له، هل للشرك حقيقة، هل لله شركاء حقيقيون، لو كان لله شركاء حقيقيون لكان الشرك حق، فالشرك باطل أي لا أصل له، ولا حقيقة له.

لذلك كونه لا حقيقة له ولا أصل له، وهو مجرد خرافة، إذاً خلاص لا يضر، يقتل صاحبه وإن كان هذا لا أساس له، ماذا يعني لا أساس له، أي ليس واقعاً،

١. المائدة: من الآية ٧٣

وليس هناك شريك لله حقيقة، وفي واقع الأمر.

كذلك عندما قالوا: ﴿اللَّهُ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾، هل الله ثالث ثلاثة، لا فالله إله واحد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١)، لكن هم كافرون، وسيدخلون جهنم، وسيخلدون في جهنم. إذا فجاءت كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

في مقام الثناء على الله سبحانه وتعالى، وهو يعلم أننا نفهم، وأنها بفطرتنا لا يمكن أن يتبادر إلى أذهاننا أن هناك ما نعمله من معاصي هو أيضاً داخل تحت كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، الناس عرب والناس يفهمون في مخاطبتهم ماذا تعني العبارات المطلقة أنها مقيدة بالقرائن الحالية، بالقرائن المقالية، بما يحيط بالكلام من ملابسات، وقرائن، بل لا يتبادر إلى الذهن شيء من هذا ابداً.

اللَّهُ أَكْبَرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. النساء: من الآية ١٧١

تنزيه الله تعالى والثناء عليه

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أليس هذا أيضاً من عبارات الثناء على الله سبحانه وتعالى، والحديث عن كماله، فهي كلها من ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وتنزيهه عن أن يكون له ولد، أو أن يكون له صاحبة، وإثبات أنه خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم. أليست هذه كلها حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى، تنزيه لذاته، وثناء على ذاته.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

ذلكم، بديع السماوات والأرض، المنزه عن أن يكون له ولد، أو يكون له صاحبة، من هو خالق كل شيء، من هو بكل شيء عليم، هو ربكم لا إله إلا هو ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

أيضاً جاءت آية تنزيهه عن الرؤية عن أن تدركه الأبصار جاءت أيضاً في مقام تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن ما لا يليق بأن ينسب إليه، تنزيه لذاته، لا يمكن أن تدركه الأبصار، كيفما كانت هذه الأبصار، سواء قالوا حاسة سادسة أو سابعة أو

١. الأنعام: من الآية ١٠٢

٢. الأنعام: ١٠٣

ثامنة أو حاسة تاسعة أو كيفما قالوا فهي لا تخرج عن كونها أبصار، وعملية الرؤية لا تخرج عن كونها إبصار، فهو نزه نفسه سبحانه وتعالى، نزه ذاته عن أن تدركه الأبصار.

قالوا: يعني هذا في الدنيا أما في الآخرة فسنراه، ويدعون الله أيضاً بأن يريهم وجهه الكريم، وفي أدعيتهم: اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، اللهم أرنا وجهك.

النقص الذي نزه الله ذاته عنه يصبح عند بعض المسلمين عبادة يتعبدون الله بنسبتها إليه، ويطلبون من الله أن يمكنهم من الحصول عليها.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

وتأتي العبارة مطلقة، وكلما هو تنزيه لذاته فهو تنزيه لذاته في الدنيا والآخرة؛ لأنه كما قال سابقاً: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(١).

فكلما هو تنزيه لذاته هو تنزيه مطلق لذاته سواء في الدنيا وفي الآخرة، والدنيا والآخرة بالنسبة لله سبحانه وتعالى ليستا عالمين متغيرين، لا يحدث هذا التغير في الكون أي تغير بالنسبة لله سبحانه وتعالى، عالم واحد وضعية واحدة الله لا يتغير بتغيرها، ولا يطرأ عليه شيء من خلال تغيرها، فهو من لا يمكن أن تدركه الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولماذا نزه ذاته عن أن تدركه الأبصار كما نزه هو ذاته عن أن تدركه الأبصار، نفس الكلام الذي قلناه في قوله تعالى عندما نزه نفسه عن أن يكون له ولد أو أن تكون له صاحبة: أن هذا يعني: إثبات نقص في الله سبحانه وتعالى؛ لأنه متى ما قلنا بأنه يمكن أن يرى فالرؤية لا تتحقق إلا من خلال: أن يكون بينك وبين الطرف

١. القصص: من الآية ٧٠

المرئي مسافة معقولة تمكنك من رؤيته، ويكون هو على كيفية محدودة تتمكن من رؤيته، وتسقط عليه الأشعة لتنتقل صوراً من الكيفية التي هو عليها إلى [شَبَكِيَّة] إِبْصَارِكَ، أو بأي وسيلة كانت، ولا بد أن يكون على كيفية محددة، والتحديد والتكييف هو من خواص المحدثات، وهو من دلائل الحدوث، إذاً فيلزم أن يكون محدثاً، فيلزم أن يكون مخلوقاً، إذاً فيلزم أن يكون هناك من خلقه، ومن أحدثه.

وإذا لزم أن يكون هناك من خلقه أو أحدثه، فلزم أن يكون ناقصاً، وأن يكون محتاجاً، وأن يكون هناك من هو أكمل منه، وهذا ينتهي إلى ماذا، إلى كفر بالله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن تدركه الأبصار إطلاقاً.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾^(١).

إلى قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

الحمد لله معناه: الثناء على الله، الذي يستحق الثناء كل الثناء هو الله سبحانه وتعالى، هو من له ما في السموات وما في الأرض، وتأتي العبارة أحياناً بلفظ: ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

وأحياناً: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وكلها تفيد أنه هو مالك ما في السماوات وما في الأرض، وله الملك في السماوات وفي الأرض.
وله الحمد في الآخرة كما له الحمد هنا في الدنيا، وهو الحكيم الخبير.

١. سبأ: ١-٢

٢. سبأ: من الآية ٣

٣. البقرة: من الآية ١٠٧

﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾.

كل شيء يَلْجُ في الأرض أي يدخل فيها، أنت عندما تغرس شجرة أَلست تدخل جذورها في الأرض، عندما تبذر البذور أَلست تدخل البذور في الأرض، كل شيء يدخل في هذه الأرض، وكل شيء يخرج منها الله سبحانه وتعالى يعلمه، لا يعزب عنه أبداً مثقال ذرة، بمعنى: لا يغيب عنه.

يعلم أيضاً بما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، يدل هذا على أنه من يملك السماوات والأرض، وهو ملك السماوات والأرض، لكنه مُلك متميز بخلاف من يملك في هذه الدنيا، هل الرئيس يعلم بما يدخل في العراق وما يخرج منه، لا يعزب عنه مثقال ذرة.

الله سبحانه وتعالى، وهذا من الشيء الذي يبهر الإنسان أمام عظمة الله سبحانه وتعالى، قدرته، علمه الواسع، تجد كم في هذه الدنيا من آلاف المخلوقات، والصنف الواحد كم آلاف من أفراد.

عندما تطلّع على بلد وقت الزراعة، وقت زراعة [الحنطة] أو زراعة [الرز] أو أي شيء من أنواع الحبوب كم يمكن أن يكون في هذه المنطقة من حبوب، كم في الثمرة الواحدة من حب، وفي رأس كل حبة يكون فيها هناك زهرة صغيرة يسمونها حبوب لقاح أو نحوه، كل هذه معلومة لله سبحانه وتعالى، مليارات من حبات القمح في هذه الدنيا معلومة لله سبحانه وتعالى هو الذي فلقتها وبرأها، هو الذي أنبتها، هو الذي خلق الثمرة التي فيها، هو يعلم كل حبة فيها.

لو تأتي إلى صنف واحد من مخلوقاته لبهرك سعة علمه سبحانه وتعالى به، كم في استراليا من مليارات حبات القمح وقت الزراعة، من الذي يستطيع أن يحصيها، ثم تجد هذا صنف واحد من مخلوقاته، هناك البشر، هناك الحيوانات بأصنافها، هناك الأشجار الأخرى بأصنافها، هناك الدواب الصغيرة والحشرات بأصنافها.

المخلوقات في البحار أيضاً التي هي أكثر مما في البر، أصناف الحيوانات بأعدادها الهائلة في البحر هو أيضاً من يعلمها، ومن يرعاها، لا يشغله وهو يرعى حبة قمح يفلقها في العراق عن أن يرعى ملايين الأسماك في البحار عن أن يعزب عنه ذرة من سمكة واحدة.

يدعوه الناس بمختلف لهجاتهم، وبمختلف حاجاتهم، وعلى اختلاف ألوانهم وبقاعهم فيعلمهم جميعاً، ويجب من يجب، ويترك من لا يستحق أن يجيبه، كلهم يتحركون في هذه الدنيا فيحصى على كل واحد منهم أنفاسه، يعلم بذات صدره، هو عليم بذات الصدور.

أنت لو تأتى تفكر، وتتأمل في سعة علم الله من خلال التعدد الهائل لأصناف مخلوقاته تجد ما يبهرك، تجد ما يملأ قلبك شعوراً بعظمة الله سبحانه وتعالى، وهو هكذا وليس فقط مرة واحدة أو سنة واحدة ثم ترى بأن هذا عمل مضمّن ومجهّد قد تتركه وتتخلّى عنه، كم أجلس أراقب مليارات الأسماك في البحار، ومليارات من حبات القمح، ومليارات الأزهار، ومليارات البشر، ومليارات الدواب، تعب، تعب، لا يمكن هذا على الله هو حي قيّوم، هو كما قال عن نفسه سبحانه وتعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١).

لا يتعبه هذا، لا يشغله، لا يرهقه، لا ينسيه شيء عن شيء، لا يشغله شيء عن شيء آخر، عن الشيء الواحد أو اثنين أو ثلاثة أو صنف أعداده محدودة.

سبحان الله، إذا تأمل الإنسان في مظاهر قدرته، ومظاهر علمه، وسعة علمه كيف سيجد نفسه مبهوراً، تراه يرعى الأشياء الكبيرة، وقد تنتهي الأحجام بالنسبة للحيوانات إلى الفيل، ثم تتجه أيضاً لتبحث عن الحشرات الصغيرة فتري حشرات صغيرة جداً، جداً بعضها قد تكون النقطة التي تحت حرف [الباء] أكبر منها وتراها

١. البقرة: من الآية ٢٥٥

فوق صفحة من صفحات كتابك تتحرك، وكم تجلس حتى تقطع السطر من طرفه إلى طرفه الآخر مسافة، وأنت تراها بجسمها الكامل والمتكامل، ولها إدراكاتها، ولها إحساسها، ولها حياتها الخاصة، ولها الأنواع التي تعيش عليها، ولها مشاعرها وهي تبيض وهي تربي صغارها.

ثم تتجه إلى هناك بعدما أُكتشف في هذا العصر الآليات للبحث عن الأشياء الصغيرة إلى أن تنتهي بالفيروسات والجراثيم، مخلوقات صغيرة جداً جداً، ينتهي إدراكك عند الإحساس بصغرها، ينتهي إدراكك ينتهي أن تتصور صغر لما استطعت هناك شيء ينتهي ما تستطيع أنك تواصل بمسيرة ذهنك وأنت تتابع تصور الصغر إلى ما لا نهاية.

ثم يأتي الإنسان كما قال الله عنه: **إِنَّهُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**، **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾**^(١).

يلفت نظرك إلى أن أصلك من نطفة، ويكشف هذا العلم الحديث بأنك كنت حيوان صغير جداً يسمونه [الحيوان المنوي] ربما آلاف من هذا الحيوان قد تجتمع على رأس دبوس صغير، دبوس صغير على رأسه قد تجتمع آلاف من هذه الحيوانات التي كنت واحداً منها، ثم تمشي وأنت تبحث عن [البويضة] وتتجه إليها فتشترك معها، ثم تخصب، ثم تطلع جنيناً ضعيفاً فتتنفخ فيك الروح، ثم عندما تخرج من بطن أمك وأنت لا تعلم شيئاً يهديك إلى أن ترضع من ثدي أمك، ويصنع لك غذاءك، يجعل غذاءك قريباً من فمك، وفي مكان تحظى فيه بالحنان والدفء والعطف والرحمة والغذاء، وبعد أن يشتد عودك تتحول إلى خصيم لله! وبعد أن يركاك هذه الرعاية لم تعد تركز اليه، وتثق به، فقد أصبحت رجلاً مفكراً، أليس هذا الذي يحصل عند الناس. لم نعد نركز اليه فيما بعد، ولم نعد نثق بكلامه، ننسى مسيرة حياتنا من يوم

تخرج من صلب أبيك، وتتقلب في رحم أمك حتى تخرج من بطنها ثم تشب.

دع عنك الأشياء الأخرى في هذا العالم التي يتبين لك من خلالها سعة قدرة الله وعظمته وعلمه فتصبح خصباً مبنياً معانداً متمرداً مجازفاً، ثم تصبح أنت ترى أن ذكاءك هو ذلك الذي يجعلك لا تثق بالله، وتقرأ القرآن ولا تثق بوعوده، وكأنه لا يستطيع أن يقدم أو يؤخر، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً، جحود بالله سبحانه وتعالى.

﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

﴿سَبِّحَ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

ترى كم تكرر التسييح في القرآن الكريم بما يعنيه التسييح من تنزيه لله سبحانه وتعالى وتقديس وإجلال وتعظيم له، بما يعنيه أساساً من تنزيه لله عما لا يليق أن ينسب إليه لا باعتبار ذاته، ولا أفعاله، ولا في تشريعه.

ولأن تنزيهه سبحانه وتعالى قضية مهمة بالغة الأهمية يجب أن يكون الإنسان مستشعراً لها دائماً، وقاعدة ينطلق منها في معرفته لله سبحانه وتعالى.

يستنفر الله سبحانه وتعالى كل ما في سماوته، وكل ما في أرضه ليقول لك بأن كل ما فيها يسبحون له، ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).

كل ما فيها يشهد بنزاهته ما بين من ينطق بذلك بلسان المقال، وما بين من ينطق

١. التغابن: ١.

٢. الحشر: ١.

٣. يس: ٨٣.

٤. الجمعة: ١.

بلسان الحال فيشهد على نزاهة الله سبحانه وتعالى.

تنزيهه عن ماذا، للتسبيح معناً مهماً جداً، تنزيهه عما لا يليق به في ذاته أن تنسب إليه نقصاً، أن تنسب إليه من العيوب ما لا يليق بأن تنسبها إليه كما نسب إليه الآخرون من أنه ذو أعضاء، من أنه يقدر المعاصي، ويخلق المعاصي والفواحش، ويريدها ويقضي بها. تنزيهه له أيضاً في أفعاله هو من لا يظلم، من لا يفعل الفساد، من لا يفعل ما يتنافى مع الحكمة، هو من خلق كل شيء فقدره تقديراً، تنزيهه له سبحانه وتعالى أيضاً في تشريعه، وفي هدايته.

أنزهه عن أن يشرع لي طاعة من يعصيه، أن يوجب على أن أطيع الظالمين والجبارين والطواغيت والمتكبرين وهو من يلعنهم في كتابه، وهو من يستنصرني لأقف في وجوههم فكيف يأمرني بطاعتهم، وهل يشرف الله سبحانه وتعالى، أو يليق به أن يكون هؤلاء من يوجب علينا أن نطيعهم وهم مفسدون ومجرمون وطواغيت وكافرون.

ألست أنت من تحاول أن تطرد ابنك من بيتك إذا ما وجدته ابناً فاسداً، والآخرون يقولون لك اطرده من بيتك، وأنت تقول لابنك: أنت شوهت سمعتي، أنت لا تشرفني أن يقال أنت إبنني.

الله سبحانه وتعالى كيف يمكن أن يوجب علينا أن نطيع أعداءه، هذه واحدة من العقائد الباطلة التي نسبوها إلى دين الله، ودين الله هو تشريعه وهديه.

ولو تأتى، لو تأتى تتبع ما حصل من هذا القبيل مما نسب إلى الله سبحانه وتعالى لوجدت بأنهم نسبوا إليه ما لا يليق به، وأمام هؤلاء استنفر الله كل مخلوقاته لتسبحه؛ لعظم قبح ما نسبوا إليه في تشريعه، أو في هديه، أو في أفعاله، أو في ذاته سبحانه وتعالى.

والتسبيح هو الذي أخذ المساحة الواسعة في التعبّد داخل الملائكة، وداخل

المخلوقات كلها، الله قال عن ملائكته ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾^(١).

وقال لنا، نجبرنا عن أنهم يسبحونه، ثم قال لك: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٢).

لتفهم أنها قضية كبيرة، جريمة كبيرة، قبح عظيم أن تنسب إليه ما لا يليق به، ما يتنافى مع جلاله سبحانه وتعالى، مع قدسيته، مع كبريائه، مع عظمته، الأمر الذي لا يهز في الكثير منا شعرة واحدة، ولا ينطلق يتفاعل إذا ما سمع بأن هناك من ينشر عقائد باطلة.

ويقولون إن رسول الله صلوات الله عليه يشفع لأهل الكبائر، ويقولون بأنه يجب طاعة الظالمين، أنها إساءة بالغة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ولتفهم أن القضية مهمة جداً تدفعك إلى أن تغضب الله، وإلى أن تبذل نفسك وتبذل مالك لتتصر الله سبحانه وتعالى فتقول لأولئك: لا تنطلق في الحديث مع الناس عن تنزيه الله، وأن ما يقال بأنه منزّه عن هذه الأفعال، وأنه شرع الله لا ينسجم مع هذه الأطروحة، وهذا باطل لا يجوز أن ينسب إلى الله. تنطلق في نصر الله كما قال لك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^(٣).

القرآن الكريم عندما يقول لك بأن كل من في السماوات والأرض يسبحون له، والملائكة عملهم الدائم التسبيح له ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾.

هل لأن الله سبحانه وتعالى يعجبه أن يسمع ترديد التسبيح ليستمتع به! هو سبحانه وتعالى منزّه عن هذا، وإنما ليقول لنا: أن قضية أن نحافظ في أنفسنا على الإيمان بكماله المطلق الذي يدفعنا إلى أن ننزهه عن كل ما لا يليق به، وأن نسبة شيء

١. الأنبياء: ٢٠.

٢. الإسراء: من الآية ٤٤

٣. الصف: من الآية ١٤

إليه لا تليق به هي قضية كبيرة جداً. مثل هذه العقائد هل سيصل ضررها إلى الله سبحانه وتعالى أو علينا نحن!

عقائد من هذه أين جاء ضررها، هي قبح أن تنسب إلى الله سبحانه وتعالى، لكن أين حصل الضرر؟ على الأمة، على البشرية نفسها؛ لأنه متى ما جوزنا على الله سبحانه وتعالى أن يكون في تشريعه طاعة للمجرمين استسغنا نحن البشر أن يحكمنا الطواغيت، وإذا حكمنا الطواغيت ما الذي يحصل في حياتنا، تضع كرامتنا، تضع عزتنا، نستذل، تصبح حياتنا ومعيشتنا ضنكة، نُضَام، نُقَهَر، يسود فينا الفساد، تغيب عنا وعن أوساطنا القِيم المثلّي والفضائل.

انظر كيف اوصلت الأمة هذه العقيدة الفاسدة، أن أولئك الذين انطلقوا فوق منابر المسلمين ليدجنوا الأمة للظالمين، ألم يعلموا ما جنت أيديهم، كيف أصبح هؤلاء يدجنون الأمة لليهود، وكيف أصبحنا في واقعنا الاقتصادي لا نستطيع أن نعيش شهراً واحداً - كما عاش أسلافنا قبل ألف سنة - معتمدين على أنفسنا.

لذلك نجد أنفسنا لا نستطيع أن نعيش شهراً واحداً معتمدين على أنفسهم وقوتنا كما كان أسلافنا قبل ألف سنة، أولئك الذين نقول عنهم أنهم متخلفون، ومن أصحاب العصور المظلمة. ما الذي جعل البشر يصلون إلى هذا المستوى، هي هذه العقائد الباطلة. من أين استسغناها! من يوم ما آمنا وجوزنا بأنه يصح أن تنسب إلى الله فتكون جزءاً من دينه، وتكون مما شرعه لعباده، ونسينا ما كان بالإمكان أن يعمل التسييح في نفوسنا لو رجعنا إليه.

عندما نجد الله يستنفر كل من في السماوات ومن في الأرض ليسبحوه، وعندما يقول عن ملائكته أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

لكن هكذا عندما يصبح القرآن على ألسنتنا مجرد لَقْلَقَة باللسان، ويهمنا تجويد حروفه نحافظ على [الغنة] وعلى [المد] وعلى [القلقلة] ونحوها، ونصرف عما تريد منا هذه الآيات: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾

حتى تتساءل لماذا التسبيح هو الذي أخذ المساحة الواسعة في التعبد، في صلاتنا تسبيح، في الركوع في السجود في القيام. والتسبيح يُشرع كذكر من أذكار الله المهمة: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

عندما نسينا، أو جهلنا، أو ابتعدنا عن هذه الآيات فلم ندعها تترك في نفوسنا الأثر المهم لها، هو أن نلمس أن القضية مهمة جداً وخطيرة جداً أن ننسب إلى الله ما لا يليق به في تشريعه، عندما نسينا هذا استسغنا عندما قالوا: هذا من دين الله، ورواه فلان عن فلان قال حدثني فلان أخبرني فلان قال رسول الله كذا وكذا، إلى آخره، صدق رسول الله، واعتقدناها ومشينا عليها، يُكذب على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ويُفترى على الله سبحانه وتعالى.

فينبغي علينا أن نعود إلى هذه الآيات العظيمة نستلهم منها ما يحول بيننا وبين الوقوع في هذا الضلال الشديد ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(١).

خاتمة:

إن التسييح لله سبحانه وتعالى ليس مجرد ذكر لفظي، بل هو اعتقاد وإيمان عميق بعظمته وتنزهه عن كل نقص، وهو الأساس الذي يحفظ العقيدة من الانحراف. والوعي بخطورة نسب النقص إلى الله هو جوهر هذا الدرس الإيماني العميق.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما المقصود بالتسييح في القرآن الكريم؟
٢. كيف يُعد تنزيه الله جزءاً من معرفة الله تعالى؟
٣. ما الفرق بين القول بلسان المقال والقول بلسان الحال؟
٤. ما خطورة العقيدة التي تنسب القبائح إلى الله سبحانه؟
٥. كيف تعامل القرآن مع المشركين الذين يعترفون بالله ثم يشركون به؟
٦. ما دلالة الآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في تنزيه الله؟
٧. كيف ينفي التسييح إمكانية رؤية الله في الآخرة؟
٨. ما علاقة التسييح بعقيدة الطاعة للظالمين؟
٩. كيف يبين الفصل خطورة العقائد التي تُشرعن طاعة أعداء الله؟
١٠. لماذا شدد القرآن على التسييح في ليل الملائكة ونهارهم بلا فتور؟

الفصل التاسع

الإيمان بوعده الله ووعيده

الدرس

الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَقَدِّمَةٌ

يتناول هذا الدرس الحديث عن الإيمان بالوعد والوعيد، وأثر ذلك في ترسيخ الخوف والرجاء، ويكشف عن دور الإيمان باليوم الآخر في تصحيح المواقف والسلوك في الدنيا، ويبرز الترابط بين معرفة الله وخشيته والإيمان بجنته وناره، محذراً من الغفلة عن هذه الحقائق الكبرى التي تُبنى عليها النجاة.

الوعد والوعيد فيما يعني ككلمة أصبحت تعني في استخدامنا لها: الوعد بالثواب، والوعيد الذي يعني: العقاب.

الوعد والوعيد: هو مما ملئت به صفحات القرآن الكريم وتكرر كثيراً في آيات الله في القرآن الكريم الحديث عن الجنة، الحديث عن النار بالتفصيل الكامل للجنة والنار.

الوعد للمؤمنين في الدنيا، الوعد للمتقين، الوعد لمن يسرون على هدي الله في

هذه الدنيا، وعدهم بأشياء كثيرة جداً، والوعيد لمن يخالفون هدي الله في هذه الدنيا، ومن يتمردون عليه، ومن يعصونه، توعدهم بعقوبات كثيرة جداً.

والمؤسف هو أن هذا العنوان - الوعد والوعيد - هو من المباحث التي نقرأها في بعض كتب [علم الكلام]، والتي تقدم إلينا باعتبارها الكتب التي من خلالها نعرف الله سبحانه وتعالى، ولكن بعد هذا العنوان الكبير، تقدم المسألة في أضيق نطاق، فتجد ما يبحث عنه في تلك الفصول تحت هذا العنوان، هو ما يتعلق بموضوع: [الشفاعة]، [الخلود من عدمه] أو [الشفاعة للمجرمين من عدمها].

يتناول هذا الموضوع تناولاً موجزاً جداً، ثم نقفل صفحات أو دفعة ذلك الكتاب ونرى أنفسنا وكأننا قد عرفنا الله سبحانه وتعالى، وعرفنا الوعد والوعيد، هذا شيء.

الشيء الثاني أيضاً: أنه يقدم لنا [الوعد والوعيد] سواءً من خلال بعض كتب [علم الكلام] أو من خلال ما يقدم لنا على منابرنا موضوع: [الجنة والنار] فقط، موضوع الجنة والنار، وعد ووعد، وتقدم لنا الجنة وكأنها هي الغاية من خلقنا في هذه الدنيا، تقدم النار وكأنها تكاد أن تكون هي الغاية من وراء خلق المجرمين والكافرين في هذه الدنيا، فيصبح المفهوم لدينا والمترسخ في اذهاننا هو: كأن الناس إنما خلقوا هنا ليعيشوا فترة معينة في هذه الدنيا، فهي فقط مجرد مرور، هذا الوجود ليس له هناك غاية أكثر من أن يتميز هنا من الذي سيمشي إلى الجنة ومن الذي سيمشي إلى النار فقط!

هذا المفهوم ناقص جداً، ومؤثر، وله سلبيات كثيرة فيما يتعلق بفهمنا للدين، وفيما يتعلق حتى باعتزازنا بالدين واستشعارنا لعظمة هذا الدين، مفهوم أدى إلى جهلنا بالغاية كلها من هذا الوجود.

نجد القرآن الكريم قدم قضية: الجنة والنار بكلها، باعتبارها آلة ترغيب وترهيب للبشر هنا في الدنيا ليستقيموا، لتستقيم الحياة، ليؤدي الإنسان المهمة التي استخلفه الله لأدائها، فجاء التحذير من نار جهنم، جاء الحديث الكثير عن جهنم، من أجل

ماذا؟ أليس من أجل أن نلتزم هنا في الدنيا، من أجل أن نستقيم هنا في الدنيا! ثم نأتي إلى تشريعات هذا الدين، وإذا هي مرتبطة بالدنيا: نوع من التعامل فيما بيننا، لأداء مهام هي مرتبطة بحياتنا، مرتبطة بكرامتنا، بعزتنا، بقوةتنا، برفعتنا، بسعادتنا، فيأتي الحديث عن جهنم ويتكرر في القرآن الكريم ليرسخ في ذهنيّتنا: أن جهنم هي للتخويف لنا هنا في الدنيا وليس فقط لمجرد الإيمان، ثم متى ما حصل منك إيمان سينفعك، ولهذا تلاحظ متى ما أقفل ملفك في الدنيا، ملف الحياة، هل سينفع الإيمان بجهنم؟

في المحشر، في اليوم الذي طوله كما قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).

سواء كان بمعنى خمسين يوماً أو أن يكون بمعنى يوم واحد ينجز فيه ما ينجز في نحو خمسين ألف سنة - المهم أنه يوم طويل - أليس الناس سيكونون هناك كلهم مؤمنين، مؤمنين كلهم، مؤمنين بالجنة، ومؤمنين بالنار، هو يرى النار أمامه، أليس هذا اليقين والإيمان الواضح، لكن هل سينفعهم إيمانهم هناك!

إذا كانت قضية الجنة والنار هي لمجرد الإيمان بهما والإيمان بك يا الله، لماذا لا ينفعنا الإيمان بك ونحن الآن في المحشر، لأن ساحة العمل هي الدنيا التي كان المطلوب أن تؤمن هناك لتستقيم تلك الحياة، لتقوم بمهمتك في الحياة على نحو صحيح.

نفس الشيء بالنسبة للجنة، قدمت الجنة وجاء الحديث عن الجنة ترغيباً للناس ليستقيموا هنا في الدنيا، لتستقيم الحياة في الدنيا، ليعملوا بالدين هنا، هنا في الدنيا فما الذي حصل، حصل تنصل عن هذه الحياة وفهم بأن الآخرة هي الغاية، هي الغاية من الوجود.

١. المعارج: من الآية ٤

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

خليفة ماذا يعمل، خليفة تسخر له السماوات والأرض وما فيها وما بينهما، له دور كبير، له دور مهم؛ فتأتي الجنة للترغيب للمؤمنين، للترغيب للبشر جميعاً أن يستقيموا، أن يلتزموا بهدي الله، وأن يستقيموا عليه، وأن يقوموا بأعمالهم في هذه الحياة وفق هداية الله سبحانه وتعالى لهم؛ وهو الذي قال لربي آدم من أول ما أهبط آدم من الجنة: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(٢).

ثم يقول: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾^(٣).

عندما يأوي، عندما يرجع، فالآخرة هي مرجع، هي مأوى، وليست هي الغاية من الوجود، ليست هي الغاية من وجود البشر هنا، لأنه كان بالإمكان أن يقال – سؤال أو تساؤل – لماذا لم نخلقنا في الجنة من أول يوم، ونسلم الضجة هذه، ونسلم الفساد هذا، ونسلم كل شيء، إذا كان المقصود هو: أن البشر الغاية التي وجدوا من أجلها هو أن يصيروا إلى الجنة، كان تخلقهم في الجنة من أول يوم. كيف تجعل الآخرة هي غاية الوجود ب كله وإذا بنا نرى نحو ٩٠٪ من البشر على أقل تقدير هم متجهون إلى جهنم.

يجب أن نفهم قضية الجنة والنار وفق النظرة القرآنية التي تدل على: أن الاستقامة هنا في الدنيا هي قضية مهمة جداً، وأن الجنة والنار في واقعها تخويف وترغيب لنا،

١. البقرة: من الآية ٣٠

٢. طه: من الآية ١٢٣-١٢٤

٣. طه: من الآية ١٢٤

لنستقيم هنا في الدنيا، وليس فقط حتى لمجرد الإيمان بالله لأنه هل الله سبحانه وتعالى يختلف وضعيته في الدنيا والأخرى، هل تختلف، الله هو الله تعالى في النشاطين.

فإذا كان المطلوب هو: الإيمان بالجنة والإيمان بالنار، والغاية من وجودهما هو: أن نحصل على إيمان بهما لمجرد الإيمان بهما، فالإيمان في الآخرة بالله، أليس شيئاً سيحصل، لماذا لا ينفع، هل لأن الله اختلفت وضعيته. الله سبحانه وتعالى هو من له الحمد في الأولى والآخرة، هو من لا يختلف بالنسبة له سبحانه وتعالى عالم الدنيا وعالم الآخرة، فلماذا لا يدخل أهل المحشر جميعاً الجنة، وهم قد أصبحوا مؤمنين، أصبحوا مؤمنين، أصبحوا موقنين، أصبحوا منقطعين إلى الله، أصبحوا خائفين، وجلين. هل هناك شيء أقوى من إيمان الناس في يوم القيامة. وهو إيمان يرون جهنم أمامهم، من هو الذي لا يحصل في نفسه إيمان، ألم يحصل إيمان بالله، وحصل إيمان بالجنة والنار.

ما الذي تغير! هل الله سبحانه وتعالى تغير! نقول: [لم يعد ينفع الإيمان به، فقط كان نؤمن به يوم كان هو في الدنيا أما عندما أصبح في الآخرة لم يعد يصلح الإيمان به!] لا يصح أن يقال هكذا.

فمهمة الإنسان في هذه الحياة كبيرة وواسعة جداً، ما هي المهمة، هي: خلافة الله، هي أن يكون خليفة لله في أرضه، وأن يسير في هذا العالم في عمارته وفي تطوير الحياة فيه على وفق هدي الله الذي رسمه لبني آدم (عليه السلام) جيلاً بعد جيل على أيدي رسله، وفيما أنزله من كتبه، ثم من خرج عن هدي الله يعتبر هنا في الدنيا، هنا في الدنيا خبيثاً، هنا مفسداً ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١).

ولا بد للإله، للملك هو أن يكون هناك في هديه نظام ما يسمى: بنظام الثواب ونظام الجزاء - الثواب والعقاب - يكون هناك عقاب ويكون هناك ثواب، فقد

١. الروم: من الآية ٤١

جعل جهنم في الأخير لكل الخبثاء هنا في الدنيا، من خبثت نفوسهم هنا في الدنيا سيكون مأواهم جهنم.

ألم يتحدث عن الجنة والنار بأنها تسمى مأوى، أنها أمه التي يأوي إليها، يرجع إليها، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(١).

لم يتحدث عنها بأنها هي الغاية من وجوده. ومن سار على هدي الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، هناك وعود كثيرة له في الدنيا، ووعد عظيم في الآخرة، كما هناك تهديد شديد وعقوبات في الدنيا هنا، وعقوبات في الآخرة.

فعندما قدمت المسألة على هذا النحو: أصبحت لدينا مفاهيم كثيرة مغلوطة، وأصبحت نظرتنا إلى الدنيا هذه بأنها دنيا لا علاقة لنا بها أبداً، وفهمنا الدين في أنفسنا وفهمنا الآخرين بأنه دين لا علاقة له بالدنيا، والدنيا هذه هي الحياة، أي لا علاقة لهم بحياتنا الدنيا.

قدم الوعد والوعيد بأنه يعني فقط: [الجنة والنار] ولم يأت حديث عما وعد الله به أوليائه في الدنيا، عما وعد الله به من يستقيمون في الدنيا، من يهتدون بهديه في الدنيا، ألم يعد وعوداً كثيرة. فهل قدم الوعيد بأنه النار فقط! ولم يأت حديث عما توعد الله به المجرمين والفاستين والضالين والمعرضين عن هديه هنا في الدنيا.

فالذي يجب أن نفهم: وعداً ووعيداً، يبدأ من الدنيا هنا وينتهي بالآخرة، حتى أصبحنا - لخطورة سليات هذا المفهوم، مفهوم: الوعد والوعيد - أصبحنا نعيش في حالة وعيد هي مما توعد الله بها من يعرضون عن ذكره، من يقعدون عن نصرته دينه؛ فأصبحنا نعيش في حالة من الذلة، وحالة من الإهانة، وحالة من الاستضعاف، هي حالة عقوبة، ولكن لا نعتبرها عقوبة، وناسين، بل نتعبد الله بها! أليس هذا مفهوماً مغلوطاً.

أنت في حالة عقوبة على ما قصرت وإذا بك تنظر إلى ما أنت فيه فتتعبد الله بالصبر عليه، وتتعبد الله بالبقاء عليه إلى آخر أيامك؛ لأنه هكذا فهمنا: أن الوعيد هو ذلك الذي هو مرتبط بالنار.

ألم يذكر الله في القرآن الكريم في آيات كثيرة الوعد والوعيد هنا في الدنيا، ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١).

أليس هذا وعداً إلهياً، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

أليس هذا وعداً إلهياً في الدنيا، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾^(٣).

أليس هذا الكلام وعداً من الله في الدنيا، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤).

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

أليس هذا وعداً في الدنيا.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦).

١. الجن: ١٦.

٢. الأعراف: من الآية ٩٦.

٣. نوح: ١٠ - ١٢.

٤. الحج: من الآية ٤٠.

٥. المنافقون: من الآية ٨.

٦. القصص: من الآية ٥ - ٦.

أليس هذا وعداً إلهياً هنا في الدنيا، ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

أليست هذه عقوبة في الدنيا ووعداً في الدنيا، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾^(٢).

أليس هذا وعداً في الدنيا أن يذيقهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(٣).

أليس هذا وعداً أن المفتريين سيذلمهم الله، سيعاقبهم الله.

وهكذا تجد القرآن الكريم مليئاً بهذا، مليئاً بالوعد والوعيد، وأن تؤمن بأن الوعد والوعيد يبدأ من هنا من الدنيا؛ أنت ستستطيع أن تفهم واقعك، تستطيع أن تعرف وضعيتك التي أنت فيها، هل أنت في وعد أو وعيد، هل أنت داخل مثوبة من الله أو داخل عقوبة من الله.

لو كنا نفهم الوعد والوعيد يبدأ من هنا من الدنيا لما اختلطت الأوراق علينا، فأصبحنا نتعبد الله بالبقاء على حالة الذلة التي نحن عليها، كيف هذا؟ أصبحت العقوبات هنا في الدنيا لا نحس بها، العقوبات الإلهية، ألم يقل عن بني إسرائيل عندما ضرب عليهم الذلة والمسكنة بأنه بما عصوا وكانوا يعتدون، أي هكذا سيعمل بالعصاة وسيعمل بالمعتدين. هذه الأشياء التي نؤكد على ضرورة اعتماد القرآن الكريم فيها بالذات: أن نفهم الوعد والوعيد الإلهي بمعناه الكامل، الذي

١. آل عمران: ١١٢.

٢. الروم: من الآية ٤١.

٣. الأعراف: ١٥٢.

يبدأ من هنا من الدنيا وينتهي في الآخرة.

وأن كل ذلك الوعد والوعيد الذي يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، عندما يحدثنا عنه بأنه لن يتخلف، كله ليدفعنا إلى الاستقامة على هديه، والشبات على ما أرشدنا إليه.

اللَّهُمَّ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

توهُمة الدنيا والاخرة

جهنم التي نعرفها وقد قدمها القرآن الكريم هي العذاب الشديد، فجهنم هي مستقر غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه، جهنم جعلها الله عذاباً شديداً فوق ما يمكن أن يتصور الناس ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١).

والجنة هي النعيم العظيم، النعيم الذي وصفه الرسول (صلوات الله عليه وعلى اله) بعبارة موجزة: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» كيف نؤمن بهما، وما هو الأثر الذي يتركه الإيمان بهما، وكيف نؤمن باليوم الآخر بتفصيلاته تلك المهولة، بتلك الأهوال التي تأتي في ذلك اليوم. فما هي علاقته بمعرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالجنة، والإيمان بالنار. يجب أن يكون إيماناً بالشكل الذي يترك أثره في نفوسنا، إيماناً يشدنا إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن الجنة بيده والنار بيده، وهو من يبعث عباده ويحشرهم ويحاسبهم وهو من يصنع كل تلك الأهوال في ذلك اليوم.

أوليس من أسمائه الحسنی سبحانه وتعالى: الجبار، شديد العقاب، ألم يصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه شديد العقاب. أن نؤمن بأنه جبار، جبار على من يتمرّدون عليه، على من لا يهتدون بهديه، على من يعاندون ما أنزله على أنبيائه من الهدى، من الآيات البينات، شديد العقاب لا أحد غيره يمكن أن تصل عقوبته إلى معشار، معشار

١. الزمر: من الآية ٤٧

العقوبة من الله سبحانه وتعالى، هذا نفسه سيربطنا بالله سبحانه وتعالى، بالجبار بشديد العقاب، يربطنا به فنعرفه سبحانه وتعالى بأنه جبار وشديد العقاب، فيدفعنا ذلك إلى أن نخشاه، إلى أن نخاف على أنفسنا من مخالفة ما هدانا إليه وأرشدنا إليه.

إيمان غير كامل

الإيمان السائد بالله سبحانه وتعالى هو إيمان: [الله غفور رحيم]، «بَيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ»^(١).

«غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ»^(٢).

أليس يريد أن يؤمن بالأمرين معاً. أنه غفور رحيم، وأن عذابه هو العذاب الأليم، أنه غفور رحيم، وأنه شديد العقاب، أنه «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ».

أعمالنا في هذه الدنيا تسير على شق واحد، هو شق: «الله غفور رحيم» أي إيماناً ناقص بالنسبة لله سبحانه وتعالى؛ لأن الإيمان به ليس فقط إيمان بمجرد وجوده، الإيمان به مرتبط بالإيمان برسوله، بكتبه، باليوم الآخر.

أن تكون مؤمناً بالله ثم لا تكون مؤمناً باليوم الآخر، أو تكون غافلاً عن اليوم الآخر، أو ناسياً لليوم الآخر، سيبدو إيمانك بالله سبحانه وتعالى ذاته ناقصاً؛ لأنك فقط آمنت بأنه هو الغفور الرحيم، وهو في نفس الوقت - كما وصف نفسه، وكما سمى نفسه - : الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، هو غافر الذنب، شديد العقاب، كما قال: «بَيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

١. الحَجَر: ٥٠.

٢. غافر: من الآية ٣.

قل لهم أنا هكذا، ليؤمنوا بي هكذا إيماناً كاملاً، لأن القضية مهمة؛ الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هذا النحو الكامل هو ما يدفعني إلى أن أرغب إليه وأرهب منه إلى أن أتقيه.

حقيقة التقوى

التقوى في القرآن الكريم تأتي بعبارة: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢).

اتقوا الله

أين يتجه الأمر بالتقوى، إلى غفور رحيم، أو الاتقاء لأنه سبحانه وتعالى شديد العقاب، فلا تتحقق التقوى لدي إذا لم أؤمن بالله سبحانه وتعالى على هذا النحو. أين موضع شدة عقابه، أين موضع جبروته وبطشه، هنا في الدنيا وفي الآخرة على أعلى مستوى، وأشد ما يمكن أن يكون في جهنم.

إذا فالإيمان بجهنم والإيمان باليوم الآخر على هذا النحو الذي يجعلني خائفاً، هو نفسه الإيمان بأن الله شديد العقاب، الإيمان بأن عذابه هو العذاب الأليم، ومن هذا الطريق تأتي إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وليترسخ في نفسي الخوف من جهنم؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم الآيات الكثيرة التي تتحدث عن تفاصيل جهنم بشكل رهيب.

١. البقرة: من الآية ١٩٧

٢. التوبة: من الآية ١١٩

القرآن الكريم تحدث عن وقودها فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ﴾^(١).

وقودها الناس والحجارة تصبح أنت مجرد وقود لجهنم من شدة العذاب - نعوذ
بالله - تصبح أنت جزءاً من النار، وكتلة من النار، ووقودها الحجارة، الصخرات
التي تتحول إلى جمرات متوهجة، نار ليست ذات درجة حرارة ثابتة بل هي نار
مسعرة، ملتهبة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِيَجْهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^(٢).

والعذاب فيها - نعوذ بالله منها - العذاب فيها ليس فترة محدودة أو لعمر محدود
قد ينتهي فينتهي الأمل.

الله يقول عن أهل جهنم وهم يعذبون فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ
نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٣).

يقال: أن الجلد هو منطقة الإحساس فالجلد هو من يحترق، فكلما احترق يبدل
ليبقى الأمل مستمراً.

الآلام في الدنيا قد تصل إلى درجة أن تفقد وعيك، فتفقد إحساسك فتصبح في
واقعك مرتاحاً غير متألم، هناك في جهنم لا يفقد الإنسان وعيه، ولا يتلاشى حتى
ينتهي وجوده فيدخل في غيوبة مطلقة فلا يعد يحس بشيء، بل يبقى يتألم، وكل
عضو يفقده من احتراق في آن يتجدد ذلك العضو من جديد.

جهنم الشيء المؤسف، والشيء العجيب من حالة الإنسان: أن تكون جهنم التي

١. البقرة: ٢٤.

٢. النساء: من الآية ٥٥.

٣. النساء: من الآية ٥٦.

تحدث الله عن شدة عذابها، تحدث عن حالة أهلها السيئة، البالغة السوء، أن يكون اتجاه الناس إليها، اتجاه الناس، أغلب الناس إليها، وتلك الجنة التي تحدث عنها في كل كتبه، ووصفها لعباده، القليل منهم من يدخلها.

يقول عن جهنم، يبين لك أن من يدخلها هم أمم، أمة بعد أمة، وجيل بعد جيل: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَلْنَا فَأَتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

هذه الآية تشبه الآية الأخرى، لتدل على أن الأكثرية من البشر هم متجهون إلى النار ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٢).

هذا مما يقول الله سبحانه وتعالى، مما سيقوله لبني آدم يوم القيامة، فترى كيف الخطاب خطاب عام ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣).

ليس جزءاً من الكلام معهم: ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٤).

قضية مؤسفة جداً، وهذا هو ما كان يؤلم أنبياء الله في كل زمان، وهو ما كان يظهر على الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) شدة تألمه، تحسره على الأمة، تلك الأمة التي يعيش في عصرها والأمة من بعده إلى آخر أيام الدنيا، متألم جداً ومهتم بأمرهم جداً، يعمل بأي طريقة أن يعمل ليصرفهم عن جهنم.

١. الأعراف: ٣٨.

٢. يس: من الآية ٦٠.

٣. يس ٦٠-٦٣.

٤. يس: ٦٤.

ولهذا كان (صلوات الله عليه وعلى آله) وكذلك كان أنبياء الله جميعاً والائمة الاطهار عليهم السلام يعملون بكل جد واجتهاد لنصح الناس ويعانون ويتعبون ويعذبون ويشردون ثم يقتل كثير منهم وهم في جد في عملهم في إبعاد الناس عن جهنم لكن لا ينفع؛ لأن الناس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

أفلم تكونوا تعقلون: ما جاء من آيات في كتبي، ما جاءت به رسلي: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾^(٢).

أفلم تكونوا تعقلون ذلك الهدى، أفلم تكونوا تعقلون ذلك الهدى الذي فيه نجاتكم، الذي فيه إبعادكم من أن يضلكم الشيطان، من أن يدفع بكم جميعاً على هذا النحو: إلى أن تكونوا من أصحاب السعير، أفلم تكونوا تعقلون.
هنا: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾^(٣).

— أمم — أمة بعد أمة ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(٤).

يتلاعنون [أنتم الذين أضللتهمونا، أنتم الذين عملتم كذا، لعنة الله عليكم] هكذا يصبح أهل النار حياتهم فيها حياة اللعن لبعضهم بعض، أصبحوا هناك عاقلين، أصبحوا فاهمين، أصبحوا كتلاً من الحقد على بعضهم بعض خاصة الضعاف المستضعفين، تكون حسراتهم أشد، العذاب النفسي يكون عليهم أشد.

والقرآن الكريم عرض ما يتعلق بالمستضعفين من الناس هؤلاء العوام، عامة الناس، البسطاء، هم أكثر الناس عذاباً نفسياً، تألم وحسرات هم لهم عذاب لكن

١. يس: ٦٢

٢. الأنعام: من الآية ١٣٠

٣. الأعراف: من الآية ٣٨

٤. الأعراف: من الآية ٣٨

الحسرات التي تقطع القلوب تكون على المستضعفين، على الأتباع، على المساكين.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾

لعنت مثيلتها لعنت السابقة قبلها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾^(١).

تلاحقوا وأصبحوا جميعاً فيها ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمُ لَأُولَاهُمْ﴾^(٢).

هنا كل أمة تعرف من أين كان منبع ضلالها، أنها تلك الأمة السابقة أولئك هم الذين أضلونا فهم في النار في جهنم كتلاً من الحقد عليهم يحاولون إذا ما زال هناك شيء يمكن أن يضاف لأولئك من العذاب: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾^(٣).

أضف لهم، أضف لهم عذاباً هم الذين أضلونا في الدنيا، كنا نقول فيهم: كذا وكذا، وكنا نقدرهم، وكنا نعتبرهم أعلام الحق، وكنا نتمسك بهم، فإذا هم في الأخير هم من أضلونا.

لاحظ ما الذي سينفعهم في النار، هذا الكلام: أنهم عرفوا أن أولئك هم الذين أضلوهم فأصبحوا يلعنونهم وأصبحوا يطلبون من الله بإلحاح أن يزيدهم عذاباً فوق عذابهم، هل سينفع هؤلاء المساكين.

هذه الآيات توحى لنا بأنه هنا في الدنيا، العن أولئك الذين أضلونا، العن أولئك الذين أضلو الأمة من سابقين أو من لاحقين، إن لعنتهم هنا في الدنيا هي التي ستجدي، أن تفضحهم هنا في الدنيا، وأن تطلب من الله أن يخزيهم وأن يخزي من

١. الأعراف: من الآية ٣٨

٢. الأعراف: من الآية ٣٨

٣. الأعراف: من الآية ٣٨

يسير على نهجهم، هنا في الدنيا سينفع، أما نأتي ندافع عنهم هنا في الدنيا ونتمسك بهم، ونرفض القرآن ونرفض الرسول من أجلهم ثم نرى أنفسنا في يوم القيامة وإذا نحن تحت أقدامهم في النار ثم نلعنهم ثم اكتشفنا بأنهم هم كانوا سبب ضلالتنا ﴿قَالَتْ أَخَرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ﴾^(١).

أليس هناك من يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(٢).

الأمة الواحدة الآخرون قد يكونون سبب ضلالتهم ولو كانوا بعد ألفين سنة أو ثلاثة آلاف سنة، قد يكون سبب ضلالتهم أولئك المتقدمين عليهم بألفين سنة، بثلاثة آلاف سنة، بأربعة آلاف سنة، أن يكشف الناس أن أولئك هم الذين أضلوهم وهم الذين أوصلوهم إلى قعر جهنم. ماذا سينفعهم أن يكشفوا في النار ذلك، لا ينفعهم شيء من ذلك مطلقاً.

هنا في الدنيا اكتشف، هنا في الدنيا ابحث، هنا في الدنيا إعراف منابع الضلال، العن المضلين هنا في الدنيا، ابتعد عنهم هنا في الدنيا، اكشف حقائقهم هنا في الدنيا، لا تنطلق لندافع عنهم، تتأول لهم، تغطي على جرائمهم، على سوء آثار ما عملوا، تجد نفسك في الأخير وأنت بديت هنا في الدنيا مقدساً لهم، وبديت في الدنيا مجلاً لهم، أنت في الآخرة ستطلب زيادة إن أمكن هناك زيادة في العذاب لهم، أصبحت تكرههم كراهة شديدة، تمقتهم مقتاً شديداً، تلعنهم لكن ذلك لن ينفعك.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾^(٣) هم لهم ضعف من العذاب؛ لأنهم أضلوا وزينوا الضلال، وروجوا للضللال، وأنتم لكم أضعاف؛ لأنكم قبلتم، لأنكم لم تكونوا مستبصرين، لم تفهموا، لم تتبينوا، لم تتحققوا، كنتم تصمون آذانكم عن دعاة الحق، كنتم تعرضون

١. الأعراف: من الآية ٣٨

٢. البقرة: من الآية ١٣٤

٣. الأعراف: من الآية ٣٨

بوجوهكم عن أعلام الحق والهدى! لكم أضعاف، وهم لهم أضعاف ﴿لِكُلِّ ضَعْفٌ﴾. للأولين وللآخرين.

لماذا أصبحوا متألمين عليهم: ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمِ لِأُولَاهُمْ﴾^(١).

تألموا جداً لأنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾^(٢).

اكتشف هنا لتقول: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾.

فنحن نبرأ إليك منهم هنا في الدنيا، لتسير في غير طريقهم، لتكون في يوم القيامة بعيداً عنهم، لست ممن يصرخ كصرأخهم في قعر جهنم، تكون أنت من الفائزين، تكون أنت من الناجين.

هذه القضية بالذات بدت في القرآن الكريم في أكثر من آية تنبه الناس على أنهم في الآخرة - هؤلاء الضالين والمضلين الكبار والأتباع سيكونون في الدنيا - تتجلى الحقائق فيرون أنفسهم كيف ارتكبوا خطأ كبيراً أودى بهم إلى تلك العاقبة السيئة سواء كانوا بشكل أمم، أمة تلعن أمة، أو شخص يلعن شخصاً كان في الدنيا يضلّه، أو فئة تلعن فئة، أو مرؤوس يلعن رئيساً، أو مواطن يلعن كبيره.

القرآن كلها تعرض لها وعندما يتعرض لها هو يحكي كيف سيكون الواقع، ليقول لنا جميعاً: انتبهوا وأنتم هنا في الدنيا، الأمة التي تسرون وراءها انتبهوا أن تكون أمة مضلة فستكونون هكذا.

قرينك الذي تجلس معه في الدنيا أنت ستلعه في الآخرة وتتحول صداقتكم هذه الحميمة إلى عدااء شديد في الآخرة، ونفسك تكاد أن تذهب حسرة وتقطع حشرات من شدة الألم فتود أن بإمكانك أن تتبرأ منه، كلها تعرض لها القرآن الكريم

١. الأعراف: من الآية ٣٨

٢. الأعراف: من الآية ٣٨

لنستبصر هنا في الدنيا، وأن نقف ذلك الموقف الذي يمكن أن يصل الواحد منا إليه هناك في النار، أو هناك في ساحة المحشر، نفقه هنا في الدنيا حيث سينفع.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(١).

أليس هذا يحكي كلام الظالم في الآخرة، في يوم الحساب ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾^(٢).

أليس هو يتلهف ويتحسر على تلك الصداقة التي أقامها مع فلان في الدنيا، وكان ممن يضلّه ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٣).

أليست هذه حسرة شديدة. تصور لو أن الإنسان الواحد منا يتصور أنه هو من يقول هذا. أليست هذه ندامة شديدة وحسرة كبرى.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

أخلاؤك المتقين هنا من ترتبط بهم، من تجالسهم، من تهدي بهم، من تقف موافقهم من المتقين، هم من سترى نفسك يوم القيامة أكثر حباً وأكثر وداً وأكثر علاقة بهم، وترى أنك كنت في نعمة عظيمة أن ارتبطت بأولياء من أولياء الله.

لكن كل صداقتك ستتحول إلى عدااء يوم القيامة، كل ولاء، كل تقديس في هذه الدنيا، وكل تصفيق، وكل تأييد سيتحول - إذا لم يكن هنا في الدنيا على حق - سيتحول كله في الآخرة إلى عدااء ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا

١. الفرقان: ٢٧.

٢. الفرقان: ٢٨.

٣. الفرقان: من الآية ٢٩.

٤. الزخرف: ٦٧.

لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ^(١).

قل هنا في الدنيا، لا تنتظر حتى تقول هذه يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾.

ليت أني لم أعرفك، ليت أن بيني وبينك بعد المشرقين، بعد ما بين المغرب والمشرق فلا أعرفك ولا تعرفني، فبئس القرين، بئس القرين، لكن ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾^(٢).

ما ينفعك كلها انتهت، أصبحتم مشتركين في العذاب جميعاً. فهذا التمني لا يخفف شيئاً من آلامك، وهذا التمني لا يزيد في عذاب قرينك الذي أضلك.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣).

أن تجلس أنت وقرينك [هو الذي أضلني، هو الذي كذا، هو الذي كذا] هذا ليس وقته الآن، ﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.

كان أعرف وأنت ما زلت في الدنيا، أعرف كيف تختار القرين الصالح الذي لا يضللك، الذي سيقودك إلى الهدى. ماذا سينفعك أن تقول: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^(٤).

لا تنفعك في الآخرة، هنا في الدنيا ستنفعك، أن تتبعد عن قرناء السوء وجلساء السوء كالبعد ما بين المشرق والمغرب.

١. الزخرف: ٣٦-٣٨

٢. الزخرف: ٣٩

٣. ق: ٢٧-٢٩

٤. الزخرف: من الآية ٣٨

صَوَّرَ القرآن الكريم هذه الحالة وهي من أسوأ الحالات بصور متعددة وشخصها تشخيصاً واضحاً نجد صورة منها فيما بين القرناء كأفراد، وفيما بين الفرقاء، فريق المستكبرين وفريق المستضعفين الذين كانوا أتباعاً ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾^(١).

يتخاصمون ويتجادلون، وكل شخص يحاول أن يحج الآخر أو كل فئة تحاول أن تحج الأخرى فتثبت أنها هي السبب فيما وصل إليه الجميع. ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ﴾.

لكن أين يتحاجون، في النار، هم كلهم في النار. ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾^(٢).

الضعفاء: الأتباع الذين كانوا يؤيدون ويصفقون ويباركون للمستكبرين للكبار من زعماء السوء، من المضلين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾^(٣).

نحن كنا أتباع لكم في الدنيا، وكنا نفديكم بأرواحنا، وكنا نعمل لكم كل شيء ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ﴾^(٤).

تدفعون عنا نصيباً من النار، أو تحاولون بأي طريقة أن يحصل تخفيف علينا من النار ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾^(٥).

ماذا نعمل لكم، كلنا الآن قد أصبحنا فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾^(٦).

١. غافر: من الآية ٤٧

٢. غافر: من الآية ٤٧

٣. غافر: من الآية ٤٧

٤. غافر: من الآية ٤٧

٥. غافر: من الآية ٤٨

٦. غافر: من الآية ٤٨

يقول الناس أيضاً من لا يحققون لأنفسهم صحة ولائهم هنا في الدنيا، فيتأثرون بالدعايات، يتأثرون بالتطويل، يتأثرون بتنميق القول، بزخرفة الآخرين فيتولون هكذا ويتبعون هكذا إتباعاً عشوائياً: «يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا»^(١).

وجهاءنا، مشايخنا، زعماءنا، الذين كانوا مضلين، نحن أطعناهم في الدنيا فأضلونا السبيلا ولكننا أصبحنا لا نملك شيئاً، لا نملك إلا أن نقول لشدة ألمنا مما وقعنا فيه، وحسرتنا التي نعاني منها، إذا كان بالإمكان: يا ربنا أن «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا»^(٢).

لاحظوا في أكثر من آية، ليس أمامهم إلا أن يطلبوا أن يزيد الله تلك الطائفة التي أضلتهم، أو ذلك الشخص الذي أضلهم، أو ذلك القرين الذي أضله أن يزيده عذاباً، يقول له: المسألة واحدة: «لِكُلِّ ضِعْفٍ»، «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ»، أعطهم مثلنا مرتين أو أكثر «وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا».

أليسوا أولئك الذين قالوا عنهم: «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا»

هم من كانوا يؤيدونهم، هم من كانوا يدافعون عنهم، هم من كانوا قد لا يسمحون بالسب لهم ولا يسمحون لأحد أن يناهم بكلمة جارحة، هم من كانوا ينطلقون جواسيس لهم في الدنيا، أولئك لشدة حسرتهم هم من سيقولون: «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا».

هنا في الدنيا العنهم هنا في الدنيا تبرأ منهم، هنا في الدنيا ابتعد عنهم.

١. الأحزاب: ٦٧.

٢. الأحزاب: ٦٨.

كل هذه الآيات تنبهنا على أن نصصح موقفنا هنا في الدنيا؛ لأن من المحتمل أن يكون هذا أو هذا أنت أو أنت أو ذاك، أن يكون من يقول هذا: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، لأن سادتنا وكبراءنا هي تبدأ من عند الوجه الذي في قريتك، من عند عميد أسرتك، كبير قريتك، كبير القبيلة أو العشيرة، كبير الشعب الذي أنت فيه، كبير الأمة التي أنت منها. هم سادتنا وكبرائنا، هم أضلونا السبيلا.

هل تحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن أنه قبل عذراً، [نحن لم نكن نفهم، لم نكن ندري، لم نكن، لم نكن....] إلى آخره، الضال والمضل كلهم في جهنم. حول هذه الآية: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(١).

ثم قوله: ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمِ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾

مع هذه الآيات الأخرى ونحن لم نستكمل نقل الآيات الأخرى، هي كلها، تنبيه لكل واحد منا: أن تلك الصرامة التي ستبدو منه سبحانه وتعالى في الآخرة، وذلك الوعي الذي سيبدو منه في ذلك اليوم في أرض المحشر أو في قعر جهنم فليبدو منك الآن في الدنيا، وعيك، صرامتك، موقفك القوي، تلعن الضال، تتعد عنه، لا تؤيده، تعمل على قهره هنا في الدنيا وإلا فستكون أنت من يقول هذه العبارات: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ﴾.

تلعنهم حيث لا ينفع.

إن هذا القرآن هو نور، ينير لنا الطريق، هو هدى يهدينا إلى كيف أن نقف المواقف الصحيحة، لا تظن أنها قضية سهلة، من أول خطوة تقف فيها مع قرين لك، مع صديق لك انظر ربما قد يكون هذا الصديق من تأتي يوم القيامة فتقول: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾

١. الأعراف: من الآية ٣٨

أنظر فيمن تصاحب، من تطع، من تتولى، من تؤيد، وإلا فستكون أنت ممن يندم
يوم القيامة، نعوذ بالله أن نكون ممن يندم، نعوذ بالله أن نكون من النادمين. أسأل الله
سبحانه وتعالى أن نكون من المهتدين في الدنيا إلى ما فيه نجاتنا في الدنيا والآخرة إنه
على كل شيء قدير.

خاتمة:

الإيمان بالوعد والوعيد ليس ترفاً فكرياً، بل هو وعي حيّ يغيّر الإنسان من
الداخل، ويحرّكه نحو النجاة والخلاص. ومن لم يربط بين إيمانه بالله وإيمانه بيوم
القيامة، قد يغفل عن أسس النجاة، ويمجد نفسه ممن يندمون حيث لا ينفع الندم.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما معنى الوعد والوعيد في القرآن الكريم؟
٢. كيف يُظهر القرآن أن الوعد والوعيد يبدأ في الدنيا؟
٣. ما أثر الإيمان بجَهَنَّمَ والجنة في حياة المؤمن؟
٤. كيف يؤثر الإيمان بصفات الله مثل (شديد العقاب) في سلوك الإنسان؟
٥. ما علاقة الإيمان بالوعد والوعيد بمعرفة الله؟
٦. لماذا لا يكفي الإيمان بجانب (الله غفور رحيم) دون (شديد العقاب)؟
٧. ما الرسالة التربوية من عرض مناقشات أهل النار في القرآن؟
٨. ما الخطر في التبعية العمياء للسادة والكبراء؟
٩. كيف يجب أن يكون موقف المؤمن من المضلين في الدنيا؟
١٠. ما العلاقة بين القرين السيء ومصير الإنسان في الآخرة؟



الفصل العاشر

دور الايمان في النجاة من عذاب الله

الدرس

الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يتناول هذا الدرس محورًا حيويًا في النجاة الإيمانية، وهو الحذر من المضلين، وضرورة التبرؤ منهم في الدنيا، ويُبرز قيمة الموقف في مواجهة الباطل، وخطورة مجاملة الباطلين تحت أي مبرر. كما يستعرض القرآن نماذج الندم في الآخرة من الذين تبعوا المضلين، ويوجه الخطاب إلى ضرورة الوعي والتحذير والموقف العملي من الآن.

في الدرس السابق كان مما تحدثنا عنه هو ما تجلّى في عدة آيات من كتاب الله الكريم، تلك الحالة الرهيبة التي يمر بها كثير من الناس، ومعظمهم - فيما يبدو - هم من عامة الناس، من الأتباع عادة: أن هناك سيكون في يوم الحساب سيكون أيضاً في داخل النار نفسها تخصم، وتشاجر، ولعن متبادل، وعداء شديد، وحسرات كبيرة جداً تقطع القلوب.

وقلنا أيضاً: هذا يدل على أن هذه ستكون بين أطراف كان بينها في الدنيا علاقة

قوية جداً: قرين مع قرينه، تابع مع متبعوه، مرؤوس مع رئيسه، أمة مع أمة قبلها كانت تحتذي بها وتسير على نهجها، من كانوا أخلاء في هذه الدنيا، من كانوا أصدقاء في هذه الدنيا، ولكن صداقة لا تقوم على أساس صحيح، صداقة عشوائية، صداقة قد تحكمها، أو تدفع إليها، أو تعزز روابطها مصالح دنيوية لا يلتفت معها الناس إلى خطورة النتيجة.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ - بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

من كانوا في الدنيا متقين، أصدقاء مع متقين، أتباع لمتقين، قرناء لمتقين، هؤلاء هم من ستعظم فيما بينهم المودة، ويشكر بعضهم بعضاً في ذلك اليوم، ويرتاح بعضهم لبعض.

فلماذا تتحول كل تلك الصداقات إلى حالة عدا، ولماذا يتبخر في ذلك اليوم الحديث عن كل المصالح السابقة في الدنيا، يصبح كل التعبير هو عن خطورة الموقف الذي أصبحوا فيه، الذي لم يعد بإمكان أولئك أن يذكروا الآخرين بأنهم [لكننا في الدنيا عملنا لكم كذا وكذا، وفي الدنيا فعلنا لكم كذا وكذا]؛ لأن هذه لن تقبل إطلاقاً من الطرف الآخر.

عندما ذكّر فرعون موسى (عليه السلام) ألم يذكره بنعمة ﴿أَلَمْ نَرْبُّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٢).

ألم يقل هكذا فرعون. في يوم القيامة تُنسى كل هذه تماماً فيما بين الأصدقاء، إذا كان صديقاً من يضلّك، ممن هو على ضلال في سلوكه، في اعتقاداته، في مواقفه، في توجهاته، قد يعمل لك في الدنيا الشيء الكثير لكن سترى أنه أضلك، وأنه أهلكك وأنه بئس القرين على الرغم مما عمل لك في الدنيا، فتقول له: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

١. الزخرف: من الآية ٦٦ - ٦٧

٢. الشعراء: ١٨

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ^(١).

أن تسمع من ذلك القرين كلمة أخرى يقول: [لماذا ببئس القرين وأنا كنت في الدنيا أعمل لك كذا، وعملت كذا] هذه لا قيمة لها تماماً، أصبحت لا قيمة لها نهائياً؛ لأنه قال لك ببئس القرين على الرغم مما قد عملت له في الدنيا.

وهكذا بالنسبة مع الكبار أيضاً المتبوعين مع الأتباع، يلعن بعضهم بعض، يتبرأون من بعضهم بعض، وقلنا أيضاً: بأنه اتضح بأن معظم العذاب النفسي والحسرات هي تكون للأتباع أعظم من الكبار، في هذا الجانب ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.

﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾^(٢).

عداوة شديدة، أين هم الذين أضلونا من الإنس والجن نجعلهما تحت أقدامنا في أسفل درك في جهنم، ندوسهم بأقدامنا، من العداوة، من الحقد، من الأسف، من الحسرة، من الندم؛ لأنه لا يدري ماذا يعمل إلا هذا، ذلك الذي أضله [يتركه يدوسه] بأقدامه في نار جهنم، وقد لا يحصل هذا أيضاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَرَاكَؤَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخَرَاهُمُ لَأُولَاهُمْ﴾^(٣)، أليست أمة تابعة لأمة كانت سابقة قبلها، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾^(٤).

لكم ضعف وهم لهم أضعاف، لكم أضعاف عذابي؛ لأنكم كنتم تؤثرون

١. الزخرف: من الآية ٣٨

٢. فصلت: من الآية ٢٩

٣. الأعراف: من الآية ٣٨

٤. الأعراف: من الآية ٣٨

إتباعهم، وكنتم تربطون أنفسكم بهم، وتنصرفون عن الحق، وتنصرفون عن الهدى، وأنتم متمسكون بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾^(١).

الكبار تبرأوا من الصغار، والصغار هم من كانوا في الدنيا يصفقون لهم، ويؤيدونهم، ويدعمونهم بأموالهم وبألستهم وبأنفسهم، يوم القيامة يتبرون منهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(٢).

كل الوسائل تتقطع فيما بينهم، تحصل حشرات عظيمة، ولكن في أي طرف حكاها الله سبحانه وتعالى، وعن من، عن الكبار أم عن الصغار، الصغار هم من سيكونون أكثر أسفاً وندماً ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾^(٣).

عندما رأوا أولئك تبرأوا منهم في هذا الموقف الصعب، وعرفوا بأنهم أضلوا أنفسهم لما اتبعوهم في الدنيا، يوم كانوا متبعين لهم في الدنيا، بسبب اتباعهم لهم في الدنيا، ورأوا بأنهم لا يمكن أن ينفعوهم بشيء في ذلك الموقف الرهيب، بل يتبرأون منهم، يعلنون تخليهم عنهم في ذلك الموقف الصعب، تحصل حشرات شديدة، فيقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾^(٤).

ليت لنا كرة: نرجع إلى الدنيا مرة ثانية نرجع ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾، ولكن لا يوجد هناك رجعة نهائياً.

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٥).

١. البقرة: من الآية ١٦٦

٢. البقرة: من الآية ١٦٦

٣. البقرة: من الآية ١٦٧

٤. البقرة: من الآية ١٦٧

٥. البقرة: من الآية ١٦٧

ستجد هكذا الحسرات للأتباع؛ لأن الأتباع هم من يصعد على أكتافهم الظالمون، ومن بأموالهم وتأييدهم تشتد سواعد الطغاة والمجرمون، هم الجنود، هم التجار، هم الأعوان، هم من يصفقون، هم من يؤيدون.

قد يكون هناك شخص واحد فقط موقفه بالنسبة للجميع كموقف الشيطان، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾^(١).

وتلاحظ أن الحسرة تأتي بين هذه الأطراف التي كانت في الدنيا تسود ما بينها حالة من الود والتأييد والتعاون وغيره.

نجد أنه حصل مثلها مع إبليس في موقف الناس من إبليس، نقول: [اننا كنا نعلم في دنيا بأنه عدو، ونعلم بأنه يريد أن يضلنا، وبأنه يريد أن يدعونا إلى عذاب السعير، ونعلم كل هذه الأشياء فنحن نستحق أن يغويننا] سيقولون هكذا.

لكن أن ترى نفسك أنك كنت تؤيد، وتنصر وتدعم، وتشجع وتجنّد نفسك ومالك مع أطراف هي ضالة ستكون الحسرة هنا، أنك أضعت عمرك مع طرف أودى بك اتباعه وتأييده ودعمه إلى قعر جهنم، وهذا الطرف يأتي يتبرأ علناً مني في ذلك الموقف الحرج، فتكون الحسرة هنا على الأتباع أكثر.

لم يتحدث القرآن عن الحسرات بالنسبة للكبار، الكبار يكفيهم حسرة أنهم يحملون أوزاراً كثيرة من أوزار الذين يضلونهم، من أوزار الذين يخدعونهم، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ

١. إبراهيم: من الآية ٢٢

مَا يَزُرُونَ»^(١).

تأتي الخصومة هناك في يوم القيامة، أو في النار، فنرى بأن تلك الخصومة لا يحصل من ورائها شيء إيجابي بالنسبة لهؤلاء المتحسرين النادمين، أن يتحولوا إلى كتل من العداء والمباينة لأولئك الذين كانوا في الدنيا كتلاً من الولاء والمعاونة لهم، لن تقبل هذه في الآخرة عند الله سبحانه وتعالى، لن تقبل، فهي لا قيمة لها. فهم لم يظهروا حالة عداء لأعداء الله، وعداء من ذلك النوع الشديد، ذلك الذي لو حصل منه جزء في الدنيا هنا لنفعهم.

فيعرضه القرآن الكريم لنا بأن تلك الخصومة - أيضاً - ليست خصومة بين أطراف عند طرف ثالث هو سيقضي بشيء لهذا الطرف الذي اكتشف بأنه مظلوم، وأنه كان مخدوعاً، وأنه كان مغروراً.

﴿لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾^(٢).

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).
تظلم، ما هم هنا تظلموا، ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾^(٤).
﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾^(٥).
ليس هذا تظلماً.

لا يجابون إطلاقاً في تظلمهم، ولا يقدر لهم ذلك الموقف أنهم أصبحوا يكرهون

١. النحل: ٢٥.

٢. الأعراف: من الآية ٣٨.

٣. البقرة: من الآية ١٦٧.

٤. فصلت: ٢٩.

٥. الأعراف: من الآية ٣٨.

ويبغضون ويبانون أعداء الله هؤلاء الكبار الذين كانوا في الدنيا معهم، فقد تصححت وضعيتهم، انتهى كل شيء، وما ذلك كله إلا نوع من العذاب النفسي لهم أيضاً، عذاب نفسي يعانون منه.

فقلنا: ما هو الموقف الصحيح من خلال ما نفهمه من مجموع هذه الآيات التي تتحدث عن مواقف خطيرة من هذا النوع، هو أنك وأنت هنا في الدنيا، ذلك الموقف الذي يمكن أن تقفه، وذلك الكلام الذي يمكن أن تقوله، وتلك المباشرة، وذلك العدا، وذلك اللعن مكانه هنا في الدنيا حيث سينفعك، فقيرين السوء ابتعد عنه، ولا تقل: [أنا فاهم وعارف لكل شيء، وما باستطاعته أن يخدعني، وأنا عارف كيف هو وأنا واثق من نفسي] وعبارات من هذه، هذا غير صحيح.

أنت من حيث المبدأ لا يصح لك أن تجالسه وتصادقه، وتكون على علاقة مستمرة معه، وتنادمه فتسمع منه الباطل، وهو يحاول أن يخدعك ويضلك، فتحاول أن تسكت عنه. قد تحصل هذه تسكت عنه وتجاهله ثم تقول أنت في الأخير أنك لن تتأثر، قد تتأثر، وحتى لو لم تتأثر فهذا موقف غير صحيح لا يجوز لك أن تقفه. إن كان سيقول كلاماً باطلاً هل أنت سترد عليه، وتوضح بطلان ما يقول، وإن كان سيقف موقفاً باطلاً هل أنت سترد عليه وتقول: لا، في هذا الموقف لن أكون معك.

هل إذا كان سيبذل ماله في الصد عن سبيل الله هل أنت ستمنعه وتقول: لا، لن أقف معك، وسأقطع علاقتي معك. لا بأس إن كنت من هذا النوع، لكن ما الذي سيحصل، مجاملات متبادلة، وسكوت عن باطل عن موقف باطل، عن قول باطل، عن بذل للقول وللمال وللنفس في مواقف وقضايا باطلة، وأنت تسكت وتحافظ على علاقتك معه.

إذا أصبح الدين ب كله لا يساوي علاقتك معه، أصبحت علاقتك بالله سبحانه وتعالى ليست بشيء في مقابل علاقتك مع هذا الشخص، أنت أصبحت في باطل، أنت يا من تقول: [بأنه لا يستطيع ان يغويني، أنا افهم كل شيء، ولن يستطيع أن

يضلني]، هكذا أصبحت في ضلال، وأصبحت علاقتك به أغلى من الدين كله؛ لأنه إن كنت متديناً فالدين مواقف، فإذا لم يكن لك مواقف أمام باطل يصدر من صديقك فهذا يكشف بأنك لست ملتزماً.

مرافقة الباطل ضلال

لا يجوز لك أن تجلس وترافق من يتكلمون بكلام باطل إلا إذا كان باستطاعتك أن تبين الحق أو تخرج، أما أن ترتبط بهم، وتحسن علاقتك معهم وأنت تعرف توجهاتهم الخاطئة، مواقفهم الباطلة، فقد جعلتهم أحماء، ستكون معهم يوم القيامة، وفي يوم القيامة ستكون العداوة بينك وبينهم شديدة، وتأسف وتندم على علاقتك التي كانت معهم في الدنيا، كيف أودت بك إلى هذا المصير المظلم.

تبرأ هنا في الدنيا من الكبار المجرمين قبل أن يتبرؤوا منك في الآخرة، العن المضلين وإن كان بينك وبينهم آلاف السنين، الذين هم سبب لإضلالك وإضلال الأمة التي أنت تعيش فيها، تبرأ منهم والعنهم، أظهر مباينتكم لهم، لكل أولئك الأطراف، لكل تلك الأطراف التي قد تتبرأ منها، أو تلعنها، أو تتندم على علاقتك بها، وتتحسر يوم القيامة، هنا في الدنيا حيث سينفكك، أما في الآخرة فلن ينفعك.

وهذه الآية العجيبة التي قالها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(١).

إين هم الذين اضلونا.

في الدنيا هنا هل كنت تبحث عن المضلين لتطاردهم، أم أنت كنت من يصمت، وتعرض نفسك لأي شخص يأتي يضلك، وتكون قابلاً للإضلال وليست مشكلة

١. فصلت: من الآية ٢٩

عندك، ولا قضية أن تصبح تعتقد هذا، أو ترى هذا، أو تقف هذا الموقف الباطل، الإضلال عندك لا يشكل شيئاً، الحرص على أن تبقى في طريق الحق، وعلى أن تبقى موافقك حق، أن تبقى عقائدك حق، ما كانت عندك قضية كبيرة.

لكن في يوم القيامة تبحث أين هم؟ من هم الذين أضلونا؟ تبحث عنهم، [هاتهم، هاتهم، هاتهم، في هذا اليوم نجعلهم تحت أقدامنا ليكونوا من الأسفلين].

اجعلهم هنا في الدنيا تحت أقدامك، اجعل المضلين تحت أقدامك هنا في الدنيا حيث سينفع، كن مهتماً هنا في الدنيا أن تعرف منابع الفساد والإضلال، وتعرف رموز الباطل ورموز الضلال؛ لتعمل على أن تجعلهم تحت أقدامك هنا في الدنيا.

كان هذا هو الموقف الصحيح حيث يجدي، تنتظر، ستضل داخل بيتك من حيث لا تشعر، يقدم لك الضلال إلى داخل بيتك، والناس يتحركون في هذه الدنيا وما أكثر من يضلون، من خلال جلسة مع شخص مضل، من خلال ركوب في سيارة مع شخص مضل، مصادفات كلها تأتي، معظمها تأتي مصادفات، صادف دخل معهم في مجلس وسمع كلمة، والمصادفات كثيرة.

ولأنه في الدنيا لا يهتم، ليس على حذر شديد من أن يقع في ضلال، فيكون مهتماً بأن يبحث ليعرف منابع الإضلال حتى يتجنبها؛ ليجعل كلامها تحت قدمه، ليجعل ما تزخره تحت قدمه، ليجعل أولئك المضلين تحت قدمه.

كثير من الناس - وهذا الشيء الملموس فعلاً - عندما تقول: هناك دعاة للضلال، وهناك مضلون يريدون أن يضلوكم، ترى المنطق هذا بارد عند الناس، بارد لا يحرك فيهم شيئاً، لتعرف أنها قضية خطيرة أنظر ماذا يقول هؤلاء: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْاسْفَلِينَ﴾^(١).

لاحظ أن يقولوا هذا الكلام على الرغم من شدة الأحوال، على الرغم من يقينهم بأنهم هم أصبحوا من أهل النار، أليست هذه قضية مخيفة جداً، قد تنسيك أي شيء آخر، قد تنسيك عدوك، قد تنسيك وليك، قد تنسيك كل شيء، لكن على الرغم من ذلك لا تزال هذه القضية هي أبرز ما يتجلى أمامهم؛ لأنهم سيقولون [كل ما وقعنا فيه هو من هذا، من أجل هذا الطرف] كل غضبهم، كل أسفهم يتحول إلى كتلة من الحقد على أولئك الذين أضلوهم، أين هم؟ أرنا؛ لنجعلهم تحت أقدامنا، ما هم تذكروا هناك أن يقولوا هكذا؟ مما يدل على شدة الحسرة والندامة.

الوقوف ضد التيارات المنحرفة

تحدث هنا مع الناس وتقول لهم: الوهابيون والمؤسسات الأمريكية يضلون الناس، يجب أن تتعاون في أن نحافظ على عقائدنا، كلمة [عقائدنا] كلمة ليست مهمة جداً مثل أن نقول نحافظ على أموالنا، أو نحافظ على مصالحنا، وأشياء من هذه، يتحرك الناس وسيبذلون أموالاً كثيرة إذا ما تشاجروا على شيء لا يساوي نصف ما يبذلونه من مال، فيبذلون أموالاً كثيرة، ويتعادون، ويعادي بعضهم بعض وإن كانوا أسرة واحدة، لكن أن يقفوا بنصف هذا الشعور أو بربع هذا الشعور مع أعداء الله المضلين، أبداً، لا يحصل هذا.

فترى الكثير من الناس لا يساعد في دعم الأعمال التي تنير طريق المسلمين بالعقائد الصحيحة والتي مردودها عليه وعلى أسرته، لأن العمل الثقافي والمواجهة الثقافية تصنع جدار صد للأفكار الضالة، فحقيقة دعم الأعمال هذه هي له بالأساس إضافة إلى أنها مسؤولية الجميع في التصدي للانحرافات ونشر الدين الحق.

ارجع إلى الآيات هذه وسترى كيف أنه يجب أن يكون هذا الموضوع هو ما يسيطر على كل اهتمامك ومشاعرك، وإلا فقد تكون ممن يقول: [أين هم؟ أرنا الذين أضلانا؟ أين هو العالم الفلاني، الزعيم الفلاني المسؤول الفلاني، نجعلهم تحت

أقدامنا] هذا الكلام لا ينفع.

أكرر بأن هذه الآيات يجب أن ننطلق منها لنبحث عن أي شخص نقارنه ما موافقه؟ ما اعتقاداته؟ هل سيكون من ذلك النوع الذي سيقول: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾، أرفضه الآن، وأجعل بيني وبينه بعد المشرقين الآن.

أولئك الذين نقدهم تحت عناوين الصحابة، ونحوها، إذا ما اكتشفت بأن ما صدر منهم هو مما أضل الأمة؛ فتبرأ الآن. تقدسهم، تنزههم، تدافع عنهم، بمنطق باهت لا تملك حجة، وهدى الله يحجك أيضاً، متمسك بهم، في يوم القيامة في الآخرة قد تكون ممن يقول هذا.

فلاحظ كيف عرض القرآن الكريم: بشكل أمم، وبشكل كبار زعماء ووجهاء، وبشكل جلساء قرناء، أليست كل الفئات، يقول لك: ابحث قبل أن تربط نفسك بهذا الشخص، بهذا الزعيم، بهذا الكبير، بهذا الوجيه، بتلك الأمة، بتلك الفئة، انظر قبل، لا تربط نفسك بهم قبل أن تتأكد بأنهم ليسوا من هذه الفئات التي سيندم من ارتبط بها يوم القيامة حيث لا ينفع الندم.

هذا ما يجب أن نهتم بها، وأن نبني عليها، الشباب أنفسهم من يتعرضون كثيراً لجلساء السوء، خاصة إذا كان جليس كريم يقدم موائد الطعام، ويضيئه، يظهر الاهتمام به والاحترام له، في حالة نشوة الشباب، في تلك الفترة التي يريد الشاب أن يرى فيها نفسه أنه محط احترام لآخرين، ويلمس في نفسه أنه رجل، متى ما أحد احترمه من هناك يرتبط به وينشد إليه؛ لأنه لبي فيه رغبة هو يبحث عنها، فسرعان ما ينخدع، وسرعان ما يرتبط نفسه بقرين سوء.

الكبار كذلك قد يكون لي موقف، قد تحصل لي قضية فيقدم طرف من الأطراف خدمة معي، فيصبح لدي صديقاً حميماً، ويصبح لدي - على الرغم مما هو عليه - خليلاً وقريناً، لا أرفض ذلك.

إذا حصل وبغير اختيار منك، وبغير بحث منك أن قدم أحد من الناس إليك
جَمِلاً يمكن أن تكافئه على جميله، يمكن أن ترد إليه إحسانه، لكن اجعل نفسك
بعيداً عنه، لا ترتبط به فيصبح قريباً ويصبح لديك صديقاً، مواقفك موافقه، رأيك
رأيه، وجهتك وجهته، قد يكون من هذا النوع الذي تقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾

فترى أن كل ما قدم لك في الدنيا لا يساوي شيئاً أمام هذه الورطة العظيمة التي
وقعت فيها.

المهم ألا ترى شيئاً فوق نجاتك يوم القيامة، لا ترى شيئاً في الدنيا هنا هو فوق
نجاتك يوم القيامة، كل شيء سوف يؤدي إلى هلاكي يوم القيامة أرفضه هنا في
الدنيا كائناً ما كان.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نكون من أوليائه، ومن أولياء
أوليائه، ومن يحبون فيه ويبغضون فيه، ومن يوالون ويعادون فيه، إنه على كل شيء
قدير.

الْكَبِيرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾^(١).

لأن هذه الآية تكشف اهتماماً كبيراً وندامة شديدة، وحسرة عظيمة عند أهل النار؛ لأن كل من يدخل النار لا يدخل إلا بسبب آخرين، مضلين يضلونه عن دين الله، عن هدي الله؛ ولهذا وجدنا في عدة آيات على مستوى الأمم، وعلى مستوى الأفراد كل يتحسر، ويتندم، ويتحول إلى عدو يبحث عن أضله، ويطلب من الله المزيد من العذاب لمن أضله.

لأن الناس بطبيعتهم، بفطرتهم مجبولون على قبول دين الله، على الاهتداء بهدي الله، وإنما يأتي الضلال من قبل أطراف أخرى، أمة تضل أمة، أو فرد يضل أمة، أو شخص يضل شخصاً من شياطين الجن والإنس.

فبالأكيد أن هذه الآية تدل على أنه تجلّى للناس جميعاً وهم في جهنم، وهم في ساحة المحشر أن من أوصلهم إلى الهاوية إلى المصيبة العظمى هم أطراف أخرى أضلوهم.

وإذا كررنا الحديث حول هذا الموضوع فلأنه موضوع مهم؛ لأنه الشيء الذي

نلمسه لسنوات عديدة، ونحن كنا نتحرك في مجال محاربة ضلال الوهابيين، نتحدث مع الناس حول المضلين، وحول ضلال الوهابيين وغيرهم من اليهود والنصارى، وغيرهم من المضلين.

كنا نلمس بأن هذا هو الموضوع الذي لا يحظى باهتمام كبير، ولا يستثير مشاعر الناس، ولا يستثير غضبهم، ولا يثير اهتمامهم.

وهذه الآية الكريمة تخبرنا بأن الكافرين، كل من دخلوا النار - النار ليست خاصة بالكافرين بالمعنى الذي نعرفه؛ لأن ما أكثر الكافرين بمعنى الرافضين لدين الله، أو الرافضين لمبادئ مهمة من دين الله، أو الرافضين لجملة من هدي الله وأحكامه، كلهم يشملهم اسم الكفر - هؤلاء أصبحوا يبحثون بكل جد واهتمام عمن أضلهم وليس فقط من الإنس بل يريدون من الجن والإنس ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾، هذا يدل على اهتمام، ما هو فقط من أضلوهم من الإنس حتى من الجن فينهم، هاتهم ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾.

وقلنا أكثر من مرة: أن الوقت المناسب للبحث عن المضلين، لمعرفة المضلين، هو هنا في الدنيا، فلماذا نجد أنفسنا لا نكثرث إذا ما قلنا لشخص لا تجالس مع فلانا قد يضللك، هذا إنسان مضل، لا يهتم ولا يبالي ولا يكثرث بالمسألة.

إذا قلنا الطائفة الفلانية قد تضلك، إذا قلنا اليهود والنصارى الله أخبرنا بأنهم يعملون على أن يردونا بعد إيماننا كافرين، على أن يحولونا إلى أولياء لهم. كذلك لا تلمس اهتمام بالشكل المطلوب، واكتراث بالقضية بالشكل المطلوب.

فكل واحد منا، كل واحد منا يجب عليه أن يرجع إلى هذه الآية لتعرف كيف وصل الأمر بهؤلاء إلى أنهم يريدون أن يتعرفوا على من أضلهم من الجن وليس فقط من الإنس، وأي طرف أضلهم حتى وإن لم يكونوا يعرفون اسمه أو يعرفون عنوان الطائفة التي ينتمي إليها، هم يريدون من الله أو يطلبون من الله بأن يريهم.

أما نحن هنا في الدنيا فنحن نقول للناس ونقول لأنفسنا: الوهابيون يريدون أن يضلونا، اليهود والنصارى يريدون أن يضلونا، بالاسم نُعرِّف، قد نقول، وقد يقول غيرنا لشخص أو لفئة معينة: فلان يريد أن يضلكم، فلان قرين سوء قد يضلكم، فلا يكثر الكل بكلام من هذا.

نحن في هذه الأيام نتحدث حول قضية: اليهود والنصارى وما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم من أنهم يريدون أن يحولونا بعد إيماننا إلى كافرين، وأنهم يريدون أن نتخذهم أولياء، أليس هذا هو ما يدور في هذه الأيام، ثم إذا رجعنا إلى هؤلاء المضلين نجدهم كلهم أصحاب إمكانيات هائلة، اليهود، النصارى، الوهابيون كلهم أصحاب إمكانيات هائلة، ولديهم وسائل متعددة: وسائل إعلام، وسائل نشر، دعاية، مروجين، كتّاب، إمكانيات هائلة، لديهم محطات فضائية توصل البث إلى كل منطقة.

فخطورتهم شديدة علينا جداً، وخطورتهم بالغة علينا، فهل ننتظر بأنفسنا إلى أن يأتي يوم القيامة فيحشر الإنسان وإذا به عند الله ممن قد تولّى اليهود والنصارى، أو ممن قد تحول بعد إيمانه إلى كافر، فيقول: ربنا أرنا الذين أضلانا من اليهود والنصارى والوهابيين نجعلهم تحت أقدامنا.

يجب أن نعمل، ونعمل ونحن في الدنيا، وبعد أن قد عرفنا، وعرفنا الله عليهم أنهم مضلون، أن نعمل لأن نجعلهم تحت أقدامنا في هذه الدنيا، ماذا ينفعك أن تجعلهم تحت أقدامك وأنت قد تحولت إلى كتلة من النار، أصبحت أنت من وقود جهنم! هذا لا ينفع.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾^(١).

كلنا جميعاً فيها سواء تكون تحت قدمي أو أكون تحت قدمك لم يعد ينفع، كيف

١. غافر: من الآية ٤٨

نعمل حتى نجعلهم تحت أقدامنا. نحن قلنا كلامهم يجب أن نجعله تحت أقدامنا لا نلتفت إليهم، لا نتأثر بهم، ولا بأوليائهم، ولا بالمرجعين لهم، ولا بكل من له علاقة بهم، لو أن هؤلاء الذين قالوا هذا الكلام «ربنا أرنا الَّذِينَ أَضَلَّانَا»، لو أن لديهم أموال في ذلك اليوم والمال ينفع أليس من المحتمل أن يبذلوا كل ما بحوزتهم من مال في سبيل أن يبعدوا هؤلاء المضلين عنهم، وفي سبيل أن يكونوا تحت أقدامهم.

نحن هنا يجب أن نبذل من أموالنا في مجال مواجهتهم، إنقاذ الناس منهم، إنقاذ أنفسنا أولاً منهم وإنقاذ من أمكن من عباد الله منهم؛ لأن ضلالهم انتشر إلى كل مكان، وبإمكانات هائلة.

فنحن في سبيل إنقاذ أنفسنا منهم وفي سبيل إنقاذ الآخرين منهم يجب أن نعمل بجدية بأنفسنا بأموالنا بالكلمة، بالموقف، بالمال، ننشر الوعي في أوساط الناس. وفي هذا الزمان أصبح الكلمة أو الفلاش أو القصيدة في مواقع التواصل يؤدي وظيفة مهمة، أصبح يقوم مقام مؤسسة، بقيمته المتواضعة يمكن أن يصلح مجموعة من الناس.

فالذي ينبغي علينا هو أن نهتم بهذا الجانب، أن ننشر فكرنا في المجالس والجلسات الخاصة والعامة، نحن نبحث عن الهدى أليس كذلك، ونحن نتعرف على المضلين، ونتعرف على من أضلانا هنا في الدنيا.

إذاً من واجبنا وفضيلة عظيمة لنا أن نكون سباقين إلى أن نعمل أيضاً في إيصال ما عرفناه من الهدى، إيصال ما فيه إنقاذ الآخرين من الضلال، أن نعمل بجهد على إيصاله إليهم، نجمع كما أمكن من الأشخاص الذين يهتمون بالنشر في مواقع التواصل.

اليوم لا نجد في الساحة عملاً بالشكل المطلوب لإنقاذ الناس من الضلال، هل تسمعون من التلفزيون شيئاً، أو من مواقع التواصل، هناك حركات أخرى إما حركة علمية منزوية على نفسها داخل مركز، أو مسجد فقط، أو حركة علمية تعمل في

جانب وتخرب في جانب آخر، ممن ينطلقون لتحذير الناس من الشباب المؤمن والكلام فيهم وفي العلماء الذين ينتمون إليهم، وهذا نفسه جزء من الإضلال.

يجب علينا أن نعمل في إصلاح الناس، ولا نبالي إذا كان هناك من يعارض؛ لأننا كما عودنا أنفسنا على ألا نبالي بمن يعارضنا، فكم قد حصل في الماضي وإلى الآن معارضة طويلة ومستمرة لم نكن نكثر بها. هذا شيء طبيعي قد يحصل لأي إنسان ينطلق في عمل أن يلقي من يعارضه سواء وأنت في طريق الحق أو في طريق الباطل ستلقى من يعارضك، تلقى من يشاكك، تلقى من يتكلم عليك، تلقى من يشوه عملك، من يعمل على الحط من مقدار عملك، بل قد تلقى من يكفرك أو يفسدك، أو.. كم من العبارات تنطلق.

لنصل إلى اهتمام يكون أكثر من اهتمام الكافرين بالنسبة للمضلين، أليس هؤلاء الكافرين حكى الله عنهم بأنهم أصبح لديهم اهتمام بأن يجعلوا المضلين تحت أقدامهم.

فنحن من يجب أن نسعى إلى أن نجعل المضلين تحت أقدامنا، وإن لم يكن بمعنى الكلمة حقيقة؛ فليكونوا منبذين هم وضلالهم، وكل ما يأتي من لديهم لا قيمة له عندنا، أي ولو مجازاً تحت أقدامنا أي: لا قيمة له ولا اعتبار له، ولا نتأثر به ولا نلتفت إليه، ولا نتركه أيضاً يؤثر في الآخرين، وأن يكون كل شخص منا إذا ما سمع من آخر تنبيهاً له على أن يتعد عن فئة ضالة فيقال له: هذه الفئة ستضلك، أو شخص سيضلك أن يهتم بالمسألة.

ولاحظ هنا هم كيف حكى الله عنهم أن اهتمامهم وصل إلى درجة أنهم يريدون أن يعرفوا حتى من أضلهم من الجن وليس من الإنس ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾^(١).

١. فصلت: من الآية ٢٩

نعمة الهداية مسؤولية

إذا كنت ترى نفسك في نعمة أنك تسير على طريق هداية، أنك تتعرف على المضلين، وتعرف إضلالهم، وترى نفسك بأنك بحمد الله أصبحت في طريق الابتعاد عنهم، فإن من واجبك أن تهتم بالآخرين، وهذه هي روحية الأنبياء، وروحية النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، الذي كان حريصاً على هداية الآخرين، حريصاً جداً ومهماً جداً.

يجب أن نتأسى به، وأن نقتبس من أنفاسه الطاهرة هذه الروحانية العالية، أن يكون لديك اهتمام بالآخرين، الآخرون هم مثلنا قد يكون الضلال انطلى عليهم؛ لأنهم لم يعرفوا، ولم يأت أحد يعرفهم، ولم يأت أحد يبين لهم.

فأنت من يجب أن تعطف عليهم، وأن تعمل على إنقاذهم وهدايتهم، وأن تحرص عليهم وتتأسى بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) التي كانت هذه من أبرز الصفات والتي كانت فيه أيضاً صفة مترسخة بشكل عجيب حتى قال الله عنه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾^(١)، تكاد تقتل نفسك أسفاً، تكاد تقتل نفسك ألماً ﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، ألا يكونوا مهتدين، يتألم جداً، يتأسف جداً على الآخرين وهم يعبدون أصناماً، وهم يعبدون أصناماً يهيمه أمرهم، يكاد يقتل نفسه من شدة الألم أن يراهم هكذا على الضلال، ويعرف أين سيكون مصيرهم، وهو يتألم؛ لأنه يجب أن ينقذهم من الضلال حتى لا يكون مصيرهم هو ذلك المصير السيئ جهنم، الإنسان المؤمن الذي لا يحمل هذه الروحانية فليس متأسياً بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو كالتاجر البخيل.

أن تتعلم أو تعرف هدئ حتى وإن لم تكن أنت محسوباً ضمن المتعلمين، ثم لا

١. الشعراء: من الآية ٣

٢. الشعراء: من الآية ٣

يكون لديك اهتمام أن توصل الهدى إلى أقصى دائرة ممكنة، فاعلم بأنك كالتاجر البخيل يجمع الأموال ثم لا يصرف شيئاً لا في سبيل الله، ولا حتى في حاجاته الضرورية.

شرف مسؤولية الايمان

المؤمن يهيمه قضية الآخرين إلى درجة أن يقاتل في سبيلهم كما حكى الله عن المؤمنين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١).

إن الله يريد من المؤمنين حتى أن يصلوا إلى درجة أن يقاتلوا لإنقاذ الآخرين، فكيف لا أبذل من مالي جزءاً بسيطاً قيمة شريط أو شريطين ليصل إلى الآخرين، كيف أبخل بالكلمة التي قد تنقذ شخصاً، كيف أبخل بالنصيحة كيف أبخل بالمشاركة في موقف يكون فيه إنقاذ للآخرين.

المؤمن يهتم بكل شيء، وميدان اهتمامك كلما قويت علاقتك بالله، ميدان اهتمامك هو يتوجه إلى الناس، وإلى الحياة، أما الله سبحانه وتعالى فكلما تعززت علاقتك به لا يمكن أن يصل منك شيء إليه أو تعمل له شيئاً، هو سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى شيء منا، كلما ترسخ الإيمان في قلبك كلما تعززت علاقتك بالله فإن الميدان الذي يعكس إيمانك القوي وعلاقتك القوية بالله هو الناس، ميدان الحياة.

الجهاد في سبيل الله أين ميدانه، هل أن هناك جبلاً جعله الله وسماه سبيله، يمشي- الناس يطلقون الرصاص على هذا الجبل، أو ميدان العمل في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله هو الناس أنفسهم؛ أن تعمل لإنقاذهم لهدايتهم، فإذا ما أحسست في

نفسك بقوة علاقة بالله فلا تظن أن هذا هو كل شيء، وأن هذا هو المطلوب: أن أرى نفسي أكرر ذكر الله سبحانه وتعالى، وأرى قلبي ممتلئاً بحب الله ثم أرتاح لهذه الحالة.

افهم هذه الحالة كل المطلوب من ورائها هو أن تنطلق في ميدان العمل لإنقاذ الآخرين، وهداية الآخرين. أين كان يتوجه إيمان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ألم يتجل كل ذلك في حرصه على الآخرين.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

أليست هذه الآية تتحدث عن اهتماماته الكبير بالآخرين ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، هذه واحدة يشق عليه أي شيء يؤلمكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، أليست هذه أيضاً تتوجه إلى الناس.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

أليست هذه تتوجه إلى الناس، كل اهتمامه، كل نشاطه، كل حركته، متوجهة إلى الآخرين، هو لا يرضى لنفسه فقط أنه أصبح يرى نفسه مهتدياً، وأن قلبه ممتلئ بالإيمان بالله، والحب لله، ومعرفته بالله قوية، ثم يجلس منزوياً على نفسه ويتمتع بهذا الشعور في داخل نفسه فقط، هذا لا يحصل عند أولياء الله أبداً بدءاً من أنبيائه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يرزقنا الرغبة في العمل لما فيه رضاه، وأن يتقبل منا، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

خاتمة:

إن الوعي بالمضلين ومصادر الضلال هو جزء أساسي من النجاة، وهو من أوجب الواجبات التي دعا إليها القرآن الكريم، ومن لم يتحرك من موقع الوعي والموقف في الدنيا، سيجد نفسه يتحسر في الآخرة، حيث لا ينفع الندم. فالموقف اليوم موقف وقاية، وعداوة لله وفي الله، تحفظ الإيمان وتصون الدين.

اللَّهُمَّ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

أسئلة ختامية:

١. ما هو الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه تجاه المضلين في الدنيا؟
٢. كيف يعبر القرآن عن ندم أتباع المضلين في الآخرة؟
٣. ما أهمية التبرؤ من المضلين قبل فوات الأوان؟
٤. كيف يوضح الفصل أن الدين مواقف لا مجاملات؟
٥. ما الفرق بين معرفة المضلين والعمل على مواجهتهم؟
٦. ما علاقة الحرص على الآخرين بروحية النبي (صلى الله عليه وعلى آله)؟
٧. ما المخاطر التي أشار إليها الدرس نتيجة قرناء السوء؟
٨. كيف تعكس العلاقة القوية بالله نفسها في سلوك الإنسان تجاه المجتمع؟
٩. ما الدور الذي يجب أن يلعبه الشاب في نشر الوعي بالهدى؟
١٠. ما هي المعايير التي يجب أن ننطلق منها في تقييم علاقة الإنسان بالآخرين؟

الفصل الحادي عشر

التوبة والرجوع الى الله

الدرس

الثاني والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

هذا الدرس حول دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده في آيات كلماتها من أرق الكلمات وألطفها، منها يستشعر الإنسان رحمة الله الواسعة التي تتجلى في عمله على أن يهدي عباده إلى ما ينقذهم من عذابه الشديد.

قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لِمِنَ السَّاجِدِينَ ٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

«٥٨» بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ «٥٩» وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ «٦٠» وَيُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَازِتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

هذه فيما يقال عنها، عن هذه الآيات هي: من أرق الآيات في القرآن الكريم وألطف العبارات، تأتي بهذا المنطق المتلطف: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

بالمعاصي، بما وقعوا فيه من ضلال، لا يصل بكم استعراض ماضيكم وما أنتم عليه، فترى أن ماضيكم مظلم، وأن أعمالك كانت كلها أو معظمها قبيحة؛ فيتعزز في نفسك اليأس وتظن بأنه: جهنم، جهنم.

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٣).

لا تيأسوا. والشيطان قد يعمل على أن يصل بالإنسان إلى اليأس، فإذا ما أتى إليك وأنت تحدث نفسك بماضيكم وبمواقفك وبتقصيرك، فترى أن أعمالك الحسنة قليلة جداً، وأعمالك السيئة كثيرة جداً، فقد يعمل على أن يوجد لديك حالة من اليأس.. الله يقول: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، من رجاء رحمته، من أن تحظوا برحمته، وتحصلوا على ما يوصلكم إلى مستقر رحمته.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٤).

ما يبعد الإنسان عن رحمة الله هي: الذنوب، ما قد يجعله يقنط من رحمة الله هي: الذنوب، فهنا يقول: كل الذنوب قد جعل لها توبة، من كل الذنوب يمكن أن

١. الزمر ٥٣ - ٦١.

٢. الزمر: من الآية ٥٣.

٣. الزمر: من الآية ٥٣.

٤. الزمر: من الآية ٥٣.

تتخلص ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾.

أيّ ذنب أنت فيه، أيّ ذنب وقعت فيه بإمكانك أن تتخلص منه وتتوب إلى الله منه، ليس هناك ذنب لا تقبل منه توبة، ليس له توبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

هو سبحانه وتعالى يغفر لمن أناب إليه، يتوب على من تاب إليه؛ لأنه غفور وهو رحيم، بهذه العبارة التي تعني المبالغة - كما يقولون - أي: كثير الغفران، عظيم الرحمة.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾^(٢).

أليس هنا يرشد؟ بعد أن دعا عباده حتى أولئك أو هي دعوة في أساسها موجهة إلى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم، أن يقول لهم: أن بإمكانهم أن يتخلصوا مما هم عليه فلا يياسوا من رحمته فإنه غفور رحيم.

ثم وجههم إلى كيف يعملون، وهذا هو في القرآن الكريم من أظهر مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، يحذرهم، ثم يرشدهم، ثم يبين لهم ما يمكن أن يحصلوا عليه من جزاء عظيم لرجوعهم إليه، تتكرر هذه في القرآن الكريم كثيراً؛ ليبين للناس كيف يعملون ليعودوا إليه، كيف يعملون ليحصلوا على ثوابه، كيف يعملون ليحصلوا على رضوانه.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾^(٣).

الإنابة: الرجوع إلى الله، الرجوع بإخلاص.

﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾^(٤).

١. الزمر: من الآية ٥٣

٢. الزمر: من الآية ٥٤

٣. الزمر: من الآية ٥٤

أسلموا أنفسكم له، أخلصوها له، سلموها له، عبّدوها له، سلّم نفسك لله، وأن تسلم نفسك لله يعني: انقطاعك إلى الله سبحانه وتعالى واستعدادك لأن تسير على هديه، أنبيوا: أسلموا وأنتم ما تزالون في فترة يقبل منكم الإنابة ويقبل منكم الإسلام، وينفعكم الإنابة، وينفعكم الإسلام.

التوبة هي عودة إلى الله تعالى

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ﴾^(١).

أما إذا ما جاء العذاب فإن عذاب الله لا أحد يستطيع أن يرده، عذاب الله لا أحد يستطيع أن يدفعه، عذاب الله لا تجد من ينصرك في مواجهته ليحول بينك وبينه.

أن نيب إليك، أن نسلم لك، قد تكون هذه هي حالة نفسية، أستطيع أن أقول عندما أتذكر وضعيتي وأتذكر ما عملت من ذنوب أن أقول: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه بإخلاص وانقطاع إلى الله، وما كان من الأعمال له علاقة بالآخرين أن تنوي التخلص من الآخرين.

ثم أرسخ في نفسي استعدادي الكامل للإسلام لله، هناك منهج تسير عليه، هذه حالة نفسية قد تحصل لأي شخص، لكن ليس إلى هنا وانتهى الموضوع، هذه هي بداية رجوعك إلى الصراط المستقيم، إلى الطريق الذي يوصلك إلى رضوان الله وجنته.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢).

لا تتوب من ذنب ثم تعود إلى الوضعية السابقة، إلى حالة فراغ، أن توطن نفسك

٤. الزمر: من الآية ٥٤

١. الزمر: من الآية ٥٤

٢. الزمر: من الآية ٥٥

على الاستعداد للعودة إلى الله، والإسلام لله، ثم تظل في نفس الوضعية السابقة.

هذه إنما هي بداية لتصحيح وضعيتك للتخلص من الماضي المظلم، يبدأ باستعداد نفسي يتمثل في التوبة، وتوطين النفس على الاستسلام لله سبحانه وتعالى، ثم الانطلاقة العملية، وهي الإتيان لأحسن ما أنزل إليكم من ربكم.

أنت عندما تتوب من ذنب ثم تظل هكذا بوضعيتك السابقة فارغ لا تتوجه توجهاً عملياً أنت معرض لأن تعود إلى الذنب من جديد، ثم ما تدري إلا وقد وقعت في الذنب فتقول: [أستغفر الله العظيم وأتوب إليه]، وتبقى على نفس الوضعية الأولى ثم تدخل في الذنب من جديد وهكذا، حتى يتغلب عليك الشيطان فيكون هو الذي يغلبك في الأخير.

التوبة هي بداية رجوع، هي الخطوة الأولى على طريق العمل الذي يتمثل في إتيان أحسن ما أنزل الله إلى عباده، ولأن هذا هو الذي يوفر لك أمناً من الوقوع في المعاصي من جديد على النحو الأول، وأنت منطلق لاتباع القرآن الكريم، إلى العمل بالقرآن الكريم بهدياته، بإرشاداته، سيعبدك هذا كثيراً جداً عن معاصي الله سواء ما كان منها ذنوب تقترف أو ما كان منها بشكل تقصير وتفريط.

ألسنا عندما نرجع إلى آيات الله نكتشف تقصيراً كبيراً لدينا، حتى أولئك الذين يظنون بأنهم أصبحوا من أولياء الله كم يكتشف من تقصير كبير لديهم، في ميدان العمل في سبيل الله، في ميدان الجهاد في سبيل الله، في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله وإصلاح عباده، ألسنا مقصرين في هذا الشيء، وهذا تقصير رهيب جداً، تقصير كبير جداً، لا تقبل معه - ربما - أي شيء من الطاعات الأخرى.

الإسلام دين مترابط، دين متكامل لا يقبل منك هذا وأنت تارك لهذا ورافض له، يجب أن تتحرك في كل المجالات، أن تتحرك بكل إمكانياتك في كل المجالات؛ لأن الله أنزل إلينا ديناً كاملاً فلماذا يكون تطبيقنا له منقوصاً، لو كان يمكن أن يقبل منا المنقوص لأنزل إلينا جزءاً من الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(١).

فلماذا هذا الدين الكامل ننطلق في مجال تطبيقه تطبيقاً منقوصاً! وهو ربط رضاه بهذا الدين الكامل، ووعدته بالجزاء الحسن في الدنيا وفي الآخرة مرتبط بهذا الدين الكامل.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، كأن هذا مما يوحي أيضاً بأن التوبة نفسها لا يكون لها أثر إذا لم تنطلق أنت في اتباع ما أنزل الله إليك، وهنا يقول الباري تعالى: ﴿مَا أُنْزِلَ﴾، ولم يقل بعض ما أنزل، تصفح آيات القرآن الكريم ستجد ماذا أنزل.

في الوقت الذي أنزلت فيه الصلاة والزكاة التي نحن نعملها، أنزل فيه الجهاد، أنزل فيه وحدة الكلمة، أنزل فيه الاعتصام بحبله جميعاً، أنزل فيه النهي عن التفرق، أنزل فيه الأمر بالإنفاق في سبيل الله، أنزل فيه الأمر بالنصيحة والتواصي بالحق، أنزل فيه أشياء كثيرة أخرى هي أكثر مما نعمل.

أعتقد أن ما نضيعه من الإسلام ونتركه هو أكثر بكثير مما نطبقه - حقيقة - تعال واعمل قائمة بما تحدث عنه القرآن الكريم ودعا عباد الله إليه، ثم انظر كم من الأمور التي نطبقها، وكم من الأمور التي نعرض عنها، مئات الأحكام والإرشادات والتوجيهات التي هي تمثل الدين الكامل لله سبحانه وتعالى.

وعندنا يقال في أصولنا: بأن التوبة يجب أن تكون توبة من كل الذنوب ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

أن تتوب من ذنب واحد وأنت مصر على ذنوب أخرى، ويجب أن نفهم كلامنا: [ذنوب] أن الذنوب ليست فقط تلك التي يتبادر إلى أذهاننا اقتراف معاصي

١. المائدة: من الآية ٣

٢. المائدة: من الآية ٢٧

معينة، التقصير من الذنوب الكبيرة، القعود عن العمل في سبيل الله، عن الإنفاق في سبيله، عن الجهاد في سبيله، عن الاعتصام بحبله، التقصير فيها من الذنوب الكبيرة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

يقال في أصولنا: أن الكبائر: ما توعده الله عليها فهي كبيرة، ألم يتوعد بعذاب عظيم على التفرق والاختلاف، وعدها معصية كبيرة.

فعندنا يقولون: بأن التوبة يجب أن تكون من كل المعاصي فتوبة جزئية من المعصية وأنت مصر على معاصي أخرى، أو أنت في وضعية عصيان باعتبارك مقصراً أيضاً تقصيراً لا مبرر لك فيه، فتوبتك لا تقبل حتى من الأشياء التي نحن متفقون في عرفنا على أنها معاصي.

الناس الآن أصبح لديهم عرف: أن تلك الأشياء التي وجه الله عباده إليها والزمهم بها لم يعد التخلي عنها معاصي، ألسنا نصف بعضنا بعضاً بأننا مؤمنون، ونقول: [فلان من أولياء الله وفلان رجال باهر وفلان كذا] ونحن نعلم جميعاً أننا مقصرون في أعمال كبيرة جداً هي أساس الإسلام ب كله.

لا يصح أن ندعو بعضنا بعضاً باسم الإيمان ونحن في هذه الحالة، لا الكبير ولا لصغير لا لعالم ولا لجاهل، كيف أسميك مؤمناً وأنت تسميني مؤمناً، أسميك ولياً من أولياء الله وأنت تسميني ولياً من أولياء الله ونحن جميعاً نعرف أننا مقصرون في العمل في سبيل الله!! ألسنا قد تعارفنا على نبذ الكتاب، وقد اتفقنا على أن هذه لم تعد ذنباً ولا معصية!

الناس هكذا وصل بهم الأمر كلنا اتفقنا على هذا وقد اتفقنا على أن الأشياء الباقية هي ما نسمي بعضها فيها إذا كان يؤديها باسم [إيمان] فنقول: [سيدي فلان من أولياء الله، الحاج فلان من أولياء الله] ولا تجد سيدي فلان ولا الحاج فلان يعملون في سبيل الله! فلسنا من أوليائه، ولسنا مؤمنين فعلاً.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، ألم يقل هكذا في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

هنا يصح وسنكون صادقين إذا قلت لك: أنت مؤمن. وتقول لي: أنا مؤمن، لكن نحن كاذبون إذا كنا لا نعمل في سبيل الله، ولا نجد في العمل في سبيل الله فتقول لي مؤمناً وأقول لك مؤمناً، هنا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وحدهم، هم هؤلاء الصادقون في إيمانهم، فأنا وأنت كاذبون، أليس كذلك.

بعد أن دعا عباده إلى العودة إليه، العودة هي هذه: أن تنيبوا أن تسلموا أن تتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، ويكرر أن الذنوب سواء ما كانت بشكل معاصي، المعاصي التي نحن معترفون بها ومتفقون عليها، أو من المعاصي التي قد تعارفنا على أنها ليست معاصي، يجب أن نتخلص منها وأن نعود إلى الله وإلا فهناك العذاب الذي كرره في الآية مرتين: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ﴾^(٢).

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣). لاحظ هنا في قول الله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٤).

١. الحجرات: ١٥

٢. الزمر: من الآية ٥٤

٣. الزمر: من الآية ٥٥

٤. الزمر: ٥٥

الحالة التي نحن فيها، ألسنا متفقين مع أنفسنا ومع بعضنا بعض أننا مؤمنون، قد يأتينا العذاب يوم القيامة بغتة ونحن لا نشعر.

لأنه في اتباع القرآن يحصل هكذا من جانبنا، وهذا ما نحن عليه كباراً وصغاراً ليس كذلك، أن جزءاً كبيراً من القرآن الكريم لا نعمل به إذاً فنحن نسير والغطاء على عينيك، فقد لا تفتح عينيك إلا وجهنم أمامك، من حيث لا تشعر.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

ولأن في توجيهات الله داخل القرآن الأحكام الشرعية الهداية من الله سبحانه وتعالى داخل القرآن الكريم مثل الجهاد، الجهاد سماه الإمام علي: «سنام الإسلام»، يرتبط به أشياء كثيرة فهناك حسن وأحسن داخل التشريع نفسه، فالأحسن هو الذي يقودك إلى أن تطبق كلما هو مرتبط به، فمتى ما انطلقت للاهتمام به ستهيئ نفسك والآخرين سيهيئون أنفسهم لأن يطبقوا كلما هي مرتبطة به من هداية الله سبحانه وتعالى من الأعمال والأقوال والسلوك وغيرها، لكن متى ما أهمل الناس هذه المبادئ المهمة الكبيرة، أهملوا كلما وراءها، أو انطلقوا في الصغار بشكل لا يترك أثراً.

الْكَبِيرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

ترابط المنظومة الدينية

من يتأمل في سيرة أهل البيت «عليهم السلام»، يرون أن هناك في الإسلام أشياء، والدين كله مرتبط بها متى ما غابت أصبح الدين كلاً شياً، وأصبحت أعمال الناس كلاً شياً.

سيرى الناس أنفسهم متباينة، قلوبهم يستنكرونها، لا ألفة فيما بينهم، لا إخاء فيما بينهم، لا صدق فيما بينهم، لا وفاء، لا اهتمام بشأن بعضهم بعض، أليست هذه حالة نلمسها في المجتمعات، هي حالة نحن نلمسها، تحصل هذه إذا ما حصل تقصير.

ويدل هذا على أن تلك الأعمال التي تعملها هي لا تقبل منك، ما يدرينا هل صلاتنا تقبل، هل صيامنا يقبل، هل زكاتنا تقبل، ربما أقصى ما يمكن إذا صحت صلاتنا وزكاتنا وصيامنا أننا فقط لا نؤاخذ على أننا تركنا الصلاة وتركنا الزكاة وتركنا الصيام، لكن أن تقبل منا فنعطى ثواباً وجزاءً من الله عليها هذا شيء آخر، فقط لا نؤاخذ بأننا تاركي صلاة.

أنا أصلي لكن صلاتي لا تقبل، في الوقت الذي لا تقبل قد يكون أكثر ما حصل عليه من خلالها هو أنني لا أعذب بأني تارك صلاة، لكن أن تحصل على الثواب الكبير من الصلاة، ألسنا نتزاحم في المساجد جماعات، ونقول الجماعة بخمسة وعشرين صلاة أو أكثر، لا أعتقد بأنها قد تقبل حتى الصلاة الواحدة بالشكل المطلوب، وهي من أشياء كثيرة.

أليس هنا هو ربط التوبة نفسها وقبول التوبة باتباع أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، التوبة من هذا الذنب أو من هذا أو من هذا مرتبطة بالإتباع لأحسن ما أنزل إلينا من الله، وأن ينهنا على هذا ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾، وهذه هي الخطورة.

نحن في مسيرتنا نرى أنفسنا وكأننا نؤدي كل شيء كاملاً، فلسنا نتوقع أننا قد نعذب أليس كذلك، فسيكون العذاب بالنسبة لناس على هذا النحو عندما يرون أنفسهم قد يقعون في العذاب هو يعتبر مفاجئاً بالنسبة لهم، أليس المجرم هو يتوقع أنه سيؤاخذ على أعماله، إذا لم يكن العذاب بالنسبة إليه مفاجئاً السارق أو الذي يعمل معصية سيكون السجن بالنسبة إليه مفاجئاً، هو يعرف من بداية ما يدخل بين أموالك ليسرق أنه في حالة يمكن أن يسجن ولهم حق أن يسجنوه فلن يكون السجن بالنسبة له مفاجئاً، سيكون مفاجئاً لك أن تكون في بيتك فيأتوا ليدعوك ويقولوا جابوب فيسجنوك وأنت لا تدري لماذا، أليس هذا مفاجئاً، بغتة كما يسميها الباري ﴿يَكُنْ﴾.

هكذا قد نكون في وضعية متفقين مع أنفسنا أننا في طريق الجنة، وأننا نعمل بالقرآن لكننا في الواقع كافرين أو تاركين أو رافضين لأشياء مهمة هي من أحسن ما أنزل الله، فلا يفتح الناس أعينهم إلا على شفير جهنم، سيكون هناك العذاب بالنسبة لهم مفاجئاً، سيكون بغتة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، بأنكم كنتم تتجهون إلى طريق جهنم، بأن تلك الذنوب هي قد تؤدي بكم إلى جهنم.

لا يمكن يوم القيامة أن تقول: [والله لا سرق ولا زنت، ولا قتلت نفس محرماً، ولا أكلت حق أحد] أليست هذه هي العبارات المعروفة لدينا، لكن باقي، ارجع إلى القرآن تجد كم باقي أشياء كثيرة.

هل جاهدت في سبيل الله، لا. ألم نقل لك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ

اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ^(١)، هل يمكن أن تضيفها رقم بين هذه: [لا قتلت نفساً، ولا أكلت مال أحد، ولا جاهدت في سبيل الله]. فليس معك جهاد في سبيل الله، هل يمكن تقول: [الحمد لله مصلي وصائم ومزكي وحاج بيت الله] وماذا بعد، هل هناك شيء آخر، هل يمكن أن تقول: ومنفق في سبيل الله، ومجاهد في سبيل الله، وأمر بالمعروف وناهي عن المنكر، ومتعاون على البر والتقوى، ومتوحد مع إخواني وأوصي الآخرين بالحق وبالصبر على الحق، وأقول كلمة الحق.. إلى آخره. أليست أشياء كثيرة وهي غائبة.

فلو قلنا معنا بعض هذه الأمور فالغاية منها هي كلها في خدمة تلك المبادئ الضائعة كلها الصلاة، الزكاة، الحج، الصيام كلها في خدمة المبادئ المهمة التي ركز عليها القرآن والتي أعلاها الجهاد في سبيله والعمل على نشر دينه، ومحاربة أعدائه.

ألم يقل في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، الزكاة كذلك، أليس جزءاً منها في سبيل الله، حتى أولئك الفقراء الذين يعطون من الزكاة، هو لتهيئة المجتمع في داخله، أن لا يكون هناك فئة تعيش مبتعدة نفسياً عن الفئات الأخرى، فالفقير يجد نفسه يأكل مع الغني من أمواله، فليس بينه وبينه بون في داخل أعماق نفسه فهو قريب منه إذاً قريب من أن يتوحد معه؛ ولهذا وجبت الزكاة في العين، في أعيان الأموال، لا تقبل نقداً إلا في حالات خاصة عندما يكون النقد هو الأصلح، وإلا فالواجب في الزكاة أن تكون من العين. لماذا؟

لأجل الفقير الذي يرى المزارع، يرى الأموال، يرى بأنه سيحصل معك من هذا المال، وسيأكل معك من هذه المزرعة، [ويشرب الشاي، ويحصل على الكثير من الأمور معك من ذلك، فيكون الناس في واقعهم كأنهم أسرة واحدة، يعمل على

١. آل عمران: ١٤٢

٢. العنكبوت: من الآية ٤٥

تعزيز الروابط فيما بينهم.

الفقير إذا ما أصبح يرى كل شيء، ويرى أنه لا أحد يعطيه شيئاً، فالزكاة لا يعطى له شيء منها، سيرى نفسه في وضعية بعيدة عن الآخرين جداً، فهو بعيد عنهم بنفسيته، بل قد ينطلق ليسرق أموالهم، ينطلق لينهب، يحسد إذا ما رآك في نعمة فوجبت الزكاة في العين.

فأي فقير يرى الأموال يرى وكأنها له، سيأتي له من هذا، ويأتي له من هذا، فالزكاة من عين ما رأى، فلا يحقد، ولا يحسد، ولا يعادي، ولا يتعدى.. كيف سيسرق وهو يرى بأن بإمكانه أن يأتي له حلالاً من ذلك الشيء، كيف سيتعدى على ثمارك من الحبوب ونحوها وهو يرى بأنك ستوصل إلى بيته زكاة من هذا المال.

فالزكاة نفسها تخدم أو تعزز الروابط الاجتماعية فيما بين الناس، والعلاقات والروابط النفسية لتهيئهم ليكونوا مجتمعاً متوحداً، ولا يكون مجتمعاً قلقاً في داخله مشاكل كثيرة تصرفه عن القضايا الكبيرة، فيكون متهيئاً لأن يكون أمة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير.

هكذا كل الأعمال هذه التي نمارسها إنما هي في واقعها، من غاياتها الكبرى: أن تخدم القضايا المهمة في الإسلام ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

إن هذا يوحى بأن هناك ذنباً نحن لا نشعر بأنها ذنوب قد اتفقنا بأن لا أحد يكلم الثاني بأننا مقصرون، ألم نتفق على هذا، فأصبحنا - فعلاً - نغش بعضنا بعضاً، تعظني، وأعظك ولا أسمع منك، ولا تسمع مني كلمة ترشدني أو ترشدك إلى أن هناك شيء نحن مقصرون فيه.

انتهى الأمر أصبحنا لا نشعر فيأتي العذاب من حيث لا نشعر وإلا فالمذنب الذي يقترب الذنوب المعروفة هو يشعر أنها ذنوب وراءها عقوبة ويستحق عليها عقوبة. من هو ذلك الذي سينطلق ليعمل جريمة من هذه الجرائم وهو يرى أنه لا يستحق عقوبة، وأنه لو جاء أحد يريد أن يعاقبه سيكون مفاجئاً له، المجرم يعرف أنه مستحق بأن يعاقب.

هذا يوحي بأن هناك ذنوباً هي من هذا النوع التي الناس ألعوها من قائمة التذكير لبعضهم بعضاً بأنهم مقصرون، وأنهم بتقصيرهم مقترفون لها.

ثم ماذا يمكن أن يحصل من وراء الذنوب هنا في الدنيا والتقصير هنا في الدنيا، يوم القيامة سيكون يوم ندامة وحسرة للمقصرين للذين أسرفوا على أنفسهم، ولم ينيبوا إلى الله، ولم يسلموا أنفسهم له، ولم يتبعوا أحسن ما أنزل إليهم.

يبدأ يتحدث ماذا يمكن أن يحصل بعد أن قال بالنسبة للعذاب: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

يذكر بحالة الندم؛ ولأن الندم شيء نحن نعرفه في الدنيا. أليس الله يذكرنا بعذاب جهنم! ألم يجعل عذاب جهنم ناراً، ناراً نعرفها. ألسنا نعرف في الدنيا النار، لو أن عذاب جهنم كان عذاباً آخر نحن لا نعرف ما هو ربما ما كان يفيد التذكير لنا به، لكن جعل جهنم عذاباً نحن نعرف جنسه ناراً.

فعندما نخوفنا بالنار نحن نعرف في الدنيا هذه النار، ونحن نعرف أنه لو لم تكن جهنم إلا كهذه النار لكانت كفاية وفوق الكفاية، ولرحمة الله الواسعة بعباده هكذا ينطلق: أن يكون ما يخوفهم به مما جنسه معروف لديهم في الدنيا، خوفنا بالعذاب ثم خوفنا من حالات الندم والحسرة، أليس الإنسان في حياته تحصل له مواقف يتندم، يتحسر، هل ترى نفسك أنت في أثناء الندم وأثناء التحسر كيف تكون.

الحسرة والندامة

يذكرنا أيضاً بأنه: سيحصل هناك ندم شديد، وحسرة شديدة، والتحسر أو الحسرة والندم هي في حد ذاتها عذاب، عذاب نفسي شديد، بل أصبح العذاب النفسي - كما يقولون - من أكثر ما يستخدم في التعذيب في السجون، التعذيب النفسي غير التعذيب الجسدي، تعذيب نفسك بأي طريقة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾^(١)، أي: ومن قبل أن تصل إلى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٢).

أليس هذا تعبيراً عن التحسر عندما يرى نفسه إلى أين وصل به الحال أصبح من أهل جهنم، وجهنم أمامه يراها، هذا الشيء المخيف: أن جهنم تبرز يوم القيامة أمام الناس ويسمعون تغيظها ويسمعون زفيرها، وهو منتظر أن يساق إلى جهنم هو في حالة من العذاب، عذاب التحسر ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾، على ما قصرت ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، في طاعته، لاحظوا هنا لم يقولوا: [في أوامر الله] أنا قصرت فيما له علاقة بالله، فيما كان يمكن أن أحصل من خلاله على رضى الله، وما كان يمكن أن يقي نفسي من هذه النار التي أشاهدها.

لم يقولوا في يوم القيامة: ممن يعمل في هذه الدنيا على أن يتعامل مع الله فيما يتعلق بالواجب فقط، والواجب من منظار ضيق، الذي لا مناص من القيام به على أقل مستوى.

يود أنه تمكن وهو في الدنيا أن يعمل أي عمل فيه رضى الله سبحانه وتعالى، رأى

١. الزمر: من الآية ٥٦

٢. الزمر: من الآية ٥٦

شدة الحسرة والندامة التي هو فيها، ورأى العذاب عذاب جهنم أمامه، هل الإنسان هناك يظهر بمظهر من يكون حدياً جداً، وبعيد جداً في أعمال الطاعات؟ لا. [ليت أني عملت كل ما يمكن أن أعمله في جنب الله وفي طاعته وفي رضاه لأسلم من هذه].

هذه الحالة هي التي تحصل عند كثير من الناس هنا في الدنيا عند بعض من العلماء، عند بعض من المتعلمين، عند بعض من المتدينين يبحث عن الحد الأدنى من الواجب بعد أن يقولون قد أصبح واجباً، ويذهب ليسأل هذا: هل فعلاً هذا قد وجب.

انظر ماذا يقول الناس هنا المتحسرون والمتندمون، تندّم أنه لم يعمل كل ما كان بإمكانه أن يعمل مما فيه الله رضى في هذه الدنيا، واجب مندوب مستحب كيف ما كان؛ هو بعيد عن هذه الطاعات للأسف، إن الإنسان يفكر في أن يقي نفسه منها، هي مما تفكر أن تقي نفسك بأي شيء، ليس شيئاً بسيطاً وهيناً تكون بعيد جداً فيما يقيقك منها.

أنت انظر أن أمامك جهنم، أليست جهنم بالشكل الذي يجعلك تنطلق لتعمل كلها يمكن أن تعمله مما فيه نجاة نفسك منها.

جهنم ليست مما يمكن الفرار منها، فالإنسان لا ينطلق في وقاية نفسه من جهنم من منطلق المبادلة. ليكن سؤالك للعلماء: هل في هذا الله رضى، هذا هو الصحيح، هل إذا أنفقت في مجال كذا هل فيه الله رضى، من الذي سيقول لك: لا. هذا هو السؤال الصحيح.

تختلف أنظار العلماء في هذه، قد يتحدث معك من وجهة نظره، قد لا ينفعك يوم القيامة. قد يكون الأمر ليس كما قال ذلك الشخص، تكون في الواقع ملزماً، إنما أنت الذي تبحث عن مخرج وحيل.

انطلق في سؤالك للعلماء - إذا كنت ترى بأن جهنم شديدة، وأنها تستدعي منك أن تبحث عما فيه نجاة لنفسك - فقل: هل هذا العمل فيه وقاية من النار، هل هذا العمل فيه لله رضى، وستجد الجواب واحداً، وهذا هو الصحيح، سترى الإجابة واحدة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾^(١).

كنت في الدنيا من الساخرين، وما أكثر ما يسخر بعض الناس من أشياء كثيرة هي مما تقي الإنسان من عذاب الله ومن الحسرة والندامة يوم القيامة.

بل إن حالة السخرية هي مما يبعد الإنسان عن الاهتداء، قد يكون هناك من يسخر باجتماع كهذا؛ الساخر لا يهتدي، الساخر يحول بين نفسه وبين مصادر الهداية، وبين مجالس الهداية أليس هنا يتحسر، ويتندم.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾، كنت في الدنيا ممن يسخرون، بالاجتماعات والمجالس التي فيها رضا الله تعالى، والتي تجمع الناس والنخب مثلاً لأخذ المواقف التي فيها هدايتهم.

عرض عدة حالات من حالات الندم والتحسر ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ^(٢).

ليت أن الله هداني، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾، حالة تمنى، ليت أن الله هداني؛ جواب

١. الزمر: ٥٦.

٢. الزمر: ٥٧.

عليه هناك: ﴿بَلْ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾^(١).

ليؤكد الله لعباده بأنه لا يأتي من جانبه تقصير أبداً، بل ولا يخاطبهم بالحد الأدنى، يكرر ويعمل على ترسيخ هدايته، يوضح، يبين، يكرر، يؤكد، يقسم. وليس فقط يحدثنا بالحد الأدنى، أو بالشيء الذي يكفي فقط.

﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، لماذا لم يقل: [لكنت من المؤمنين]، رأى أهوالاً شديدة قد يكون في الدنيا كان مؤمناً بها، مؤمناً بجهنم، أليس الناس مؤمنين بهذه؛ لكن هل هم متقون. ليتني اهتديت وأنا في الدنيا، وليت أن الله هداني، فانطلقت لوقاية نفسي وأنا في الدنيا من أن أصل إلى هذه الحالة السيئة. أي: هذه هي محطة تأمل لنا جميعاً أن يقول ذلك الإنسان - ونعوذ بالله من أن نكون ممن يقولها في يوم القيامة، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أليس في ذلك المقام وهو يتندم يفكر فيما كان يمكن أن يصنع له وقاية من جهنم ومن تلك الحالة السيئة حالة الندم، أو هو قال: [لكنت من المؤمنين]. ربما كان من المؤمنين بمعنى المصدقين باليوم الآخر، وأن هناك جنة ونار، لكن لم يصنع في الدنيا ما يقيه منها، وما أكثر هذه الحالة لدينا، ولهذا يخاطبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بمثل عبارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢).

أليس يخاطبك بأنك مؤمن؛ أنت مؤمن لكن اتق الله، يعني: أنت آمنت فانطلق في أن تصنع لنفسك الوقاية مما توعده الله به المقصرين، مما توعده الله به المجرمين.

نحن آمننا بالله، أليست هذه واحدة، إذاً فلننطلق في أن نعمل، لأن إيماننا بالله أنه ماذا، غفور رحيم وأنه شديد العقاب، أليس كذلك. أن لديه جنة ولديه نار، أنت آمنت فانطلق لتقي نفسك من عذاب الله، أنت آمنت بالنار فانطلق لتقي نفسك من

١. الزمر: من الآية ٥٩

٢. آل عمران: من الآية ١٠٢

النار.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

أو تقول نفس؛ لأن الكلام عن النفس ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي﴾، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، أي: ليت لي كرة: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

عرف أيضاً هناك أن ما يقي من جهنم من العذاب هو: أن يكون من المتقين، وأن يكون من المحسنين، رأى أن الوقاية من العذاب كانت تتجلى في أن يكون على هذا النحو: متقياً لله ومحسناً.

الْكَبِيرُ
اللَّهُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعة على اليهود
النصر للإسلام

التقوى لله تعالى

نحن هنا في الدنيا لو نرجع جميعاً إلى ما به يكون الإنسان متقياً، أنا قد أكون مؤمناً لكن مطلوب مني أن أكون متقياً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَكُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾^(١).

أليست هذه من التقوى، وإلا فيمكن أن تكون أنت من ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقط، فيأتي يوم القيامة وأنت كنت فقط من المصدقين، لكن ليس لديك ما تقى نفسك به من عذاب الله.

كنت وأنت تحت اسم [الإيمان] تنطلق في الأعمال – سواء ما كان بشكل أفعال أو ما كان بشكل تقصير عن أعمال أخرى – أنت تنطلق في طريق جهنم وأنت تحمل اسم إيمان، وتحمل اسم [مؤمن].

﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ما ذكره الله في مواضع كثيرة هي مواضع عملية تتعلق بالجهاد في سبيل الله، وبالإنفاق في سبيله وبالاهتمام بأمر عباده، وبالاهتمام بصورة عامة بأمر دينه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

أليس المجاهدين محسنين. وهنا يقول الله تعالى بلسان من لم يكن من المحسنين:

١. آل عمران: ١٠٢.

٢. العنكبوت: ٦٩.

﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ﴾^(١).

ماذا وراءها، ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ألم يعرض صفات المحسنين، إنفاق في حالات السراء والضراء، وكظم الغيظ، وعفو عن الناس وجهاد في سبيله، أليست هذه من مواصفات الناس الذين يؤهلون أنفسهم فعلاً لأن يكونوا ممن أعدت لهم الجنة، ومن وقوا أنفسهم من عذاب الله من النار ومن هذا التحسر.

أريد أن أقول: أن ما يقوله الله سبحانه وتعالى عن أولئك الناس إنما يقوله بعدما تتجلى حقائق لديهم في المحشر، فكأننا ونحن هنا في الدنيا اطلعنا على ما سيعرض في المحشر يوم القيامة.

تلك الآيات التي قرأناها كيف يتحسر هؤلاء، كيف يلعن هؤلاء المضلين، كلهم يشكون من المضلين، تجلّ لهم الأمر: بأن ما يؤدي بالإنسان إلى النار هو الضلال، وأن الضلال يأتي من أطراف أخرى، هذا يلعن قرينه، وهذا يلعن الأمة الأولى التي كان يدافع عنها ويقدها، وهذا يبحث أين هم ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا﴾، هذا نفس الشيء، تجلت الأمور بشكل واضح، يوم القيامة يوم تتبين فيه الحقائق.

ولم يتركنا الله ونحن في الدنيا عن أن يوضح لنا تلك الحقائق، فعندما يقول هذا الإنسان: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

ولم يقل [من المؤمنين] ولم يقل بعبارات أخرى، عرف بأن كان أكثر ما يؤدي به إلى جهنم أو ما جعله يصل به الأمر إلى أن يكون من أهل جهنم هو: حالات تفريط،

١. آل عمران: من الآية ١٢٣ - ١٣٤

٢. آل عمران: من الآية ١٣٤

تقصير، ابتعد عن أن يصنع لنفسه وقاية، لم ينقصه تصديق بجهنم وهو في الدنيا كان يؤمن بجهنم، نقصه حالة الوقاية من جهنم ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أيضاً رأى الأعمال التي عرضت وأنها هي الأعمال التي يسمى صاحبها بالمحسن أي أعمال إحسان، هي نفسها التي كان لها أثر كبير في الوقاية من جهنم، عندما رأى أولئك نجو من جهنم وساقطهم الملائكة إلى الجنة رأهم نوعية أخرى ممن كانوا مجاهدين، ممن كانوا منفيين، ممن كانوا صابرين، ممن كانوا متقين ومحسنين.

ورأى عنده الكثير ممن سيساقون إلى جهنم أنهم كانوا وهم اسمهم مؤمنون، ولكن لم ينفع اسم [إيمان] وإلا فقد كنا مؤمنين، بمعنى: مصدقين باليوم الآخر وبالنار، لكن أولئك الذين يساقون إلى الجنة متقين محسنين، ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وهو يتحدث عن صفاتهم.

﴿بَلَى﴾^(١). أليس هنا يتمنى، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾^(٢). في الدنيا، آيات كثيرة في القرآن الكريم، ليس هناك أعظم من القرآن الكريم من كل الكتب التي نزلها الله إلى عباده، وليس هناك أعظم منه في مجال البيان للناس، وبيان صادق لا يمكن أن تقول: هذا الحديث قد يكون موضوعاً، أو هذا الحديث قد يكون معارض بأقوى منه، أو عبارات من هذه.

آيات صريحة جاءتك آياتي التي تبين لك كيف تكون من المتقين، وكيف تكون من المحسنين، وكيف تنطلق في العمل فيما يرضي الله فتكون بعيداً عن التفريط في جنب الله، وكيف تكون ممن يحرص على الهدى، وليس ممن يتحول إلى ساخر ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾، لكن أنت الذي كذبت ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾^(٣).

١. الزمر: من الآية ٥٩

٢. الزمر: من الآية ٥٩

٣. الزمر: من الآية ٥٩

هل نحن نقول في القرآن: كذب؟ لا أحد منا يقول: كذب أبداً، لكن في واقعنا كالمكذبين، أعمال مهمة تتوقف عليها نجاتنا لا نكاد نعد أنفسنا لأن نصغي للحديث عنها أو لأن نسمعها، ومتى ما سمعناها نكون محاولين كيف نتخلص منها، تعامل من هو مكذب والأصل هو العمل، وإلا فمجرد التصديق باللسان قد لا ينفع.

هل التصديق بالله سبحانه وتعالى والإيمان بالله بمجرد كلام ينفع، ألم يقل عن أولئك أنهم كفرون به، وهو من حكى عنهم بأنهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١).

أليسوا معترفين بالله، ومؤمنين بالله، ومصدين بوجوده، وأنه إله، الإيمان كله عملي في الإسلام كله، في القرآن كله، الاعتقادات عملية، الإيمان عملي، أما مجرد إيمان لا يتبعه عمل تعتبر كمن ليس بمؤمن.

فإذا كان إيماني بالله لا ينفعني؛ لأنني لم أنطلق في العمل على ما يقتضيه هذا الإيمان فكذلك الإيمان بآيات الله، أو أن الإيمان بآيات الله سيكون أكثر من الإيمان بالله، الإيمان بآياته وأنت لا تنطلق في ميدان العمل بها ستكون كالمكذب بها.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾^(٢).

الإنسان يقف أمام آيات الله موقف الرفض لاعتبارات أخرى، وموقف المستكبر الذي يأنف من أن يلتزم بها في واقعه.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

الكفر أساساً هو رفض، فالذي يرفض في واقعه كمن يرفض في منطقته، الذي

١. الزخرف: من الآية ٨٧

٢. الزمر: من الآية ٥٩

٣. الزمر: من الآية ٥٩

يقول: لا. هذا ليس بنبي، هذا ليس كلام الله، أليس هذا كفر، في الواقع العملي ما الذي يفرق بينه وبين من قال: نعم هذا نبي وهذا كتاب الله، ولكنه لا يعمل بما جاء به النبي ولا يهتدي بهذا النبي، أليسوا في الواقع العملي مستوين.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، نعوذ بالله ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١).

فقد يكون مما يحمل الإنسان على الكذب على الله حالة ترفع من التزام بما هدى إليه الله، كما هو في داخل المسلمين الآن حالات كثيرة من الكذب على الله سبحانه وتعالى، حالات كثيرة من الكذب على الله في الاعتقادات، في الحديث عن الدين، في الحديث عن المواقف التي يجب أن يقفها المسلمون.

وما أكثر ما يحصل من الناس من ضعف الإيمان هذه التساؤلات في حالات المواقف العملية. لا أحد يسأل عن الصلاة، أو يسأل عن الصيام، أو عبادات من هذا النوع، ألسنا كلنا ننطلق في أدائها بسهولة، ولا أحد يذهب ليسأل يبحث إذا وجد له مخرجاً منها، لكن متى ما جاءت أعمال هي الأعمال المهمة التي تتوقف عليها النجاة، هذه الأعمال التي يتمناها هؤلاء: التقوى، الإحسان، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، تبدأ التساؤلات وتبدأ التشكيكات هذه هي من الظلم للنفس، من جهالتي، من جهالتي إذا لم أنطلق على هذا النحو، لماذا أتهرب مما فيه نجاتي من النار، لماذا أحاول أن أتهرب مما فيه الله رضى، هل أن الله عدولي فأنا أريد أن لا أعمل له إلا أقل ما يمكن، أقاصي إلى هذا الحد، هذه حالة غير طبيعية أبداً.

ممكن أن تسأل فقط لتؤكد هل هذا مشروع أو أنه محرم، حرام لا بأس أنت تريد أن تعرف هل هذا العمل حرام باعتباره ليس مشروعاً باعتباره مخالف لشرع الله.

خرج رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو فقاتل وتعرض للآلام، خرج الإمام علي (عليه السلام) فقاتل ثم قتل، فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) فقاتل حتى خذله أعداؤه، ثم قتل هو بالسهم، فخرج الإمام الحسين (عليه السلام) فقاتل حتى قتل. هل كان لدئ أولئك نظرة إلى أنفسهم بأن الإسلام يتمثل في شخصه فتتوقف كل حركة من أجل ألا يلحقه ألم؛ لأنه إذا ما لحقه شيء فالإسلام ضرب بكله. بل كانوا يرون بأن التضحية بأنفسهم هي الخدمة للإسلام وهي الحفاظ على الإسلام.

أصبحت النظرة: أن الحفاظ على شخص العالم ليبقى حياً هي الحفاظ على الإسلام! ليس كذلك، بل على العالم أن ينطلق هو ويتقدم المجاهدين في سبيل الله هو ثم ليقتل هو، هذا هو العمل للحفاظ على الإسلام، هذا هو العمل في خدمة الإسلام.

في قم المقدسة يوجد خارج المدينة جسر معروض عليه ما لا يقل عن سبعين صورة عالم سقطوا شهداء في سبيل الله، ألم يحفظ الإسلام في إيران عندما سقط العلماء شهداء.

أن يأتي عالم فيظن أن الحفاظ على شخصه هو يمثل الحفاظ على الإسلام فهذه نظرة مغلوطة، أن يقول لك أو يقول لي: لا تتحرك لأنك ستؤدي بهذا العالم، أو بذلك العالم إلى أن يقتل، فحافظ عليه حرام حافظ عليه، يعتبر حرام ستقضي على الإسلام! لو أنهم خرجوا وصدعوا بالحق لما وصل العامة إلى ما قد وصلوا إليه من الضلال، ألم ينتشر الوهابيون في كل منطقة، ألسنا الآن نعيش حالة التهويد والتطبيع للمجتمع، حالة الارتداد بعد الإيمان، قد يكون هناك علماء لهم عذرهم فيما بينهم وبين الله، لكن أن تكون قاعدة عامة هي القعود، هي ألا تتحرك من أجل ألا يحصل كذا من أجل ألا يكون كذا، هذا هو الذي يضرب الإسلام.

ولأن الكذب على الله سبحانه وتعالى قد يكون أحياناً فيها هو صد عن مواقف حق، صد عن حالة هي تقوى تقي الإنسان من النار ﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ كتلك

الآية في [سورة آل عمران]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١).

يحصل كذب على الله، ومتى سيحصل لديك الرغبة في أن تدخل في قضية هي في الواقع كذب على الله إلا في مواجهة أعمال أخرى هكذا يحصل في العادة.

من الذي سينطلق تلقائياً من جهة نفسه بغير أي باعث آخر ليكذب على الله، فعندما تظهر دعوات حق، عندما يظهر أعمال حق، عندما يظهر مواقف حق هنا يظهر في الجانب الآخر الكذب على الله.

وقد يكون الكذب على الله بشكل فتوى، فتوى محرمة تصدر ممن يحمل اسم علم، وقد يكون الكذب على الله بعبارة تنطلق من ألسنة الناس للصد عن تلك المواقف الحق؛ فلأنهم صدوا عن مواقف حق فكان صدهم هو مما سود وجه الحياة فتكون وجوههم مسودة.

أليس التاريخ أسوداً، أليس الواقع أسوداً ومظلماً، هكذا من يعملون على أن يبقى هذا الوضع مظلماً تكون وجوههم مسودة ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وربما قد يكون مما يدفع الإنسان إلى أن يكذب على الله في مواجهة موقف أنه في نفسه متكبر ليس مستعداً أن يكون مع هؤلاء أو من أتباع هؤلاء، فيستكبر ويأنف؛ لأنه يعود نفسه أن يكون هو الكبير الذي يمشي الناس وراءه، أن يمشي هو وراء الآخرين من أهل الحق، إذاً هو سيكذب، وإذا كان الكذب لا ينفق إلا بالكذب باسم الدين فهذا هو الكذب على الله، وهذا هو ما يحصل.

﴿وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾^(٢).

١. آل عمران: ١٠٦.

٢. الزمر: من الآية ٦١.

التقوى هي التي تنجي الإنسان ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، بما عملوه مما حقق لهم الفوز ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

إذا فاعمل لأن تكون من هؤلاء، فلنعمل إلى أن نكون من هؤلاء ممن - إن شاء الله - ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فانطلق في عملك من قاعدة: أن في هذا العمل لله رضى، وسترى أنت أن هذا العمل مهم جداً، وسترى كل شيء - تقريباً - واجباً في الأخير، سترى لأهمية هذا في تحقيق هذا الواجب وفي خدمة هذا الواجب سترى الدنيا كلها تصبح تقريباً واجباً، كل شيء واجباً.

الذي ينطلق يفرق بين الأحكام فيقول: [هذا ما قد وجب، وهذا ما قد يلزم] قد يكون ممن ليس لديه اهتمام بقضايا كبيرة فهو ممن لا يعرف قيمة ما يخدم هذه القضايا، لا يعرف قيمة ما يخدم إصلاح وضعية الأمة، ما يخدم إعلاء كلمة الله فيراه لا يلزم، وهذا لا يلزم، وهذا لا يلزم. وانتهت كلها.

لكن متى ما انطلقت ستكون ممن أولئك المتقين الذين حكى الله عنهم في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾^(٢).

اذهب اسأل عنها كل هذه في قائمة المندوبات في قائمة المندوبات كلها، الإنفاق في سبيل الله قالوا: منسوخ بآية الزكاة. وانتهى الموضوع. فالذين ينفقون في السراء والضراء عبارة عن تطوعات فقط يعني مندوبة يريد قليل حسنات، وكظم غيظ، وعفو عن الناس، بينما هي وردت هنا في أبرز صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وستراها أعمالاً مهمة جداً، ثم قد تراها واجبة عليك في حالات كثيرة واجبة عندما تكون أنت لديك اهتمام كبير فتعرف أهمية هذه في خدمة هذا الذي أنت تهتم به.

١. الزمر: من الآية ٦١

٢. آل عمران: من الآية ١٣٤

كيف يقول عن الجنة التي أعدت للمتقين ثم يتحدث عن مندوبات فقط ويترك الواجبات المهمة هناك! لا يأتي بها إلا ليقول لك: المتقون هم أناس عمليون، هم ممن لا يفكر في أن هذا مندوب أو هذا واجب فهم ينطلقون على هذا النحو، والانطلاقة لتحقيق هذه الأشياء الأربعة: الإنفاق في حالة السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس هي من الأسس المهمة في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله سواء تسميها مندوب أو تسميها واجب؛ أنه لا بد - وأنت في حالة العمل لأن تكون من المتقين - لا بد وأنت محدود من المتقين أن تكون متحلياً بها؛ لأنه هكذا وصف المتقين بأنها صفة من صفاتهم اللازمة وليس فقط في النادر، أريأت بها مصدرة بـ [أل] الذين ينفقون في السراء والضراء، الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس كصفة دائمة لديهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الأسئلة التقويمية

١. ما هي دعوة الله لعباده في الآيات التي وردت في بداية الفصل؟
٢. كيف يوجه القرآن الإنسان للتوبة والإنابة إلى الله؟
٣. ما العلاقة بين اليأس من رحمة الله والشيطان؟
٤. لماذا يُعد اتباع أحسن ما أنزل الله شرطاً لقبول التوبة؟
٥. كيف تعالج الآيات ظاهرة التقصير في العمل للدين؟
٦. ما الفرق بين الإيمان والتقوى كما بينه الفصل؟
٧. ما هي صور الحسرة والندم التي يصورها القرآن يوم القيامة؟
٨. كيف يؤثر التكذيب العملي بآيات الله على مصير الإنسان؟
٩. ما دور العلماء والمسؤولية في الوقوف مع الحق كما ورد في الفصل؟
١٠. ما الصفات التي ذكرها القرآن للمتقين الذين أعدت لهم الجنة؟



الفصل الثاني عشر

حكمة القرآن الكريم في سورة السجدة

الدرس

الخامسين والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَشْقَىٰ مَا لَمْ يَكُنِ الْآخِرَةُ مِنَ الْأُولَىٰ شَيْءٌ لَّكُنَّا مِنْ بَاطِلٍ مَبْذُورٍ

﴿الم﴾ (١) تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَيُّذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتُنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا

بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ «١٤»
 إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ «١٥» تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ «١٦» فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ «١٧» أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ «١٨» أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «١٩» وَأَمَّا الَّذِينَ
 فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ
 النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ «٢٠» وَلَنُنذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «٢١» وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ «٢٢».

صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

العبر والدروس في إنزال القرآن الكريم

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١).

تقدم الحديث عن أن كتاب الله القرآن الكريم نزل من عند الله العزيز الحكيم، وذكر فيه أيضاً الاستنكار من أن ينسب إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه افترى هذا القرآن.

ومن يتأمل هذا القرآن سيعرف سواء كان من العرب المتقدمين أم من المتأخرين، سواء كان عربياً أم غير عربي، سيعرف أن هذا القرآن لا يمكن أن يفترى إطلاقاً من عند أي طرف آخر، لا ملك من ملائكة الله سبحانه وتعالى ولا نبي من أنبيائه ولا أي مخلوق من مخلوقاته ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

القرآن كتاب حكيم بشكل يقطع المتأمل له أنه نزل من عند من يعلم السر في السماوات والأرض، من عند الله، وأنه لا يمكن أبداً ولا يمكن إطلاقاً أن يكون هذا القرآن من عند غير الله، إنه الحق ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣).

هو الحق ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾^(٤).

فلم يكن إنزال القرآن من عند الله مجرد ممارسة هواية أن له رغبة كأى رغبة عند أحدنا أن يؤلف كتاباً، ليضع اسمه على الصفحة الأولى وعلى غلاف الكتاب، تأليف فلان بن فلان، هو الحق ونزل بالحق، مقتضى الحكمة أن يكون هناك كتاب، ولا بد أن يكون هناك كتاب يتنزل من عند الله سبحانه وتعالى.

١. السجدة: من الآية ١٠

٢. النساء: من الآية ٨٢

٣. السجدة: من الآية ٣

٤. الإسراء: من الآية ١٠٥

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١).

وإنزال هذا الكتاب أيضاً له مهمة كبرى، إنزاله للحق الذي نزل به، هو ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢)، فهو كتاب لإنذار الناس، إنذارهم ليهتدوا.

ثم تذكر هذه الآيات: أن الله سبحانه وتعالى هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣).

بعد الحديث عن إنزال الكتاب الكريم، يأتي الحديث الذي يدل على ملك الله، أن له الملك له الأمر، هو الذي يدبر هو الذي خلق، خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وهو الذي يدبر شؤون السماوات والأرض، وشؤون الإنسان، فكيف لا ينزل لهذا الإنسان كتاباً يهتدي به.

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٤).

الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وخلق الإنسان أيضاً بالحق، وتديره للسموات والأرض، لشؤون مخلوقاته جميعاً بالحق، هل يمكن أن يترك الإنسان في هذه الدنيا دون أن ينزل له كتاباً يهتدي به.

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٥).

تحدثنا في درس سابق حول قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٦)؛ فلا

١. السجدة: من الآية ٣

٢. السجدة: من الآية ٣

٣. السجدة: من الآية ٤

٤. السجدة: من الآية ٣

٥. السجدة: من الآية ٣

٦. السجدة: من الآية ٤

حاجة لإعادة الموضوع، فالشيء الملاحظ أنه هكذا أحياناً يأتي الحديث عن خلق الله وعن تديره لشؤون خلقه خلق السموات والأرض وما بينهما وتديره لشؤونهما، ثم ينتقل إلى الحديث عن التشريع والهداية، أو يأتي الحديث مسبقاً عن التشريع والهداية، أو عن القرآن الكريم كما هنا، وهو مصدر التشريع ومصدر الهداية من الله سبحانه وتعالى، ثم يتعقبه بالحديث عن تديره لشؤون خلقه كلهم، السموات والأرض وما بينهما، فهو الذي خلق، وهو الذي يدبر، إذا كان هو الذي خلق السماوات والأرض وهو الذي يدبر شؤونهما، هو الذي خلق الإنسان ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

هو أيضاً الذي له الحق أن يدبر شؤون الإنسان، وشؤون الإنسان تختلف نوعاً ما عن شؤون السماوات والأرض والمخلوقات الأخرى الجمادات، تدبر شأن الإنسان يحتاج إلى هداية، يكون في جانب منه بشكل هداية، بشكل إنذار عن طريق كتب تنزل من عند الله سبحانه وتعالى وعن طريق رسله الذين بعثهم.

هذه الجبال وهذه الأشجار هل هي تحتاج إلى نبي أو إلى كتاب، الله هو خلقها، وهو يدبر شؤونها، هو أيضاً خلقنا خلق الإنسان، وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، ألم يقل الله هكذا في آية أخرى.

فإذا كان خلق السماوات والأرض يستتبعه تدبير ممن خلقه، كذلك أنت أيها الإنسان الذي خلقتك وبدأ خلقك من طين لا بد أن يدبر شؤونك وأنت تختلف عن الجبال عن الأشجار، عن المخلوقات الأخرى، تدبر شؤونك في جانب منه هو الجانب الأكبر يتمثل في: هداية من الله: إنذار، تشريع، توجيه، إرشاد، تعليم عن طريق كتب الله، وعن طريق رسله.

هكذا تأتي آيات القرآن الكريم مترابطة وموضوعها قد يكون للسورة الواحدة

١. السجدة: من الآية ٧

موضوعاً واحداً تدور حوله تتمحور آياتها كلها حول ذلك الموضوع، ليس هكذا: آية جنب آية لا علاقة لهذه بهذه.

هو يريد أن يقول لنا - حسب ما نفهم وهو أعلم سبحانه وتعالى، أنه كيف تنتظر أيها الإنسان أن يكون الواقع هكذا: أن الذي خلقك يهلك، هل يمكن أن يهلك! هو خلقك والذي خلقك هو حكيم، هو رب العالمين، وأنت كبقية مخلوقاته، ألا ترى تدبيره لمختلف مخلوقاته ماثلاً أمامك، ألا نرى حركة الشمس والقمر والكواكب، ألا نرى حركة هذه المخلوقات بأكملها، ألا نرى أن كل يوم هو في شأن، كل يوم هو في شأن، ذلك التدبير الواسع جداً للمخلوقات على هذا النحو: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)، ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢).

تدبير واسع جداً، وشؤون واسعة جداً، في اليوم الواحد يدبر الله فيه من الأمور ما لا يستطيع الناس أن يدبروا مثله إلا في ألف سنة، لماذا وأنت المخلوق المستخلف في هذا العالم، لماذا وأنت من خلقت على أحسن تقويم، لماذا وأنت من أنيطت بك مهام كبيرة وواسعة ومسؤوليات عظيمة جداً، تريد أن تنفر وحدك من بين كل المخلوقات الأخرى التي الله خلقها ويدبر شؤونها إلا أنت وحدك وأنت المخلوق الأساسي وأنت المخلوق الرئيسي، وأنت العنصر المهم في هذا العالم، أتستنكر من الله أن يدبر شأنك، أتستغرب أن ينزل كتباً إليك وأن يبعث رسلاً إليك، لماذا؟!.

يجب أن ترى نفسك أيها الإنسان باعتبار أنك المخلوق الرئيسي في هذا الكون، في هذا العالم، الذي سُخر له هذا العالم بأكمله، أن تنظر إلى نفسك بأنك أحوج إلى ربك

١. السجدة: ٥

٢. الحج: من الآية ٤٧

من أي مخلوق آخر في أن يتولى تدبير شؤونك ويهديك، الَّذِي «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»^(١).

هل يمكن أن يهملك! بل تريد منه أن يهملك، إنه يدبر شؤون تلك المخلوقات الصغيرة، تلك النملة وتلك الفراشة وتلك الشجرة، المخلوقات الصغيرة هو الذي يدبر أمرها، وهي مسؤوليتها محدودة ومهمتها محدودة ووجودها محدود.

أنت أيها الإنسان تريد أن تنفر من ربك ألا يدبر شأنك، وإذا ما أردت أن يدبر شأنك فإنما تريد أن يتجه إلى الجانب الخدمي فقط، أريد منه أن يمنحني أولاداً، أن يرزقني أولاداً أن يرزقني أموالاً، أن ينزل لي مطراً، أن ينبت لي أشجاراً، أن يجعلها تثمر، أن يبارك لي في مالي، أن يبارك لي، هذا الذي أريده، أليس هذا التدبير الذي يريده الناس.

لماذا هذا الجانب فقط، وهذا الجانب إنما هو ملحق للجانب المهم الواسع جداً في حياتك، وهذا التدبير الذي تريده من إلهك هو سيأتي تلقائياً إذا ما اهتديت بهديه، إذا ما سلمت نفسك له أن يدبر شأنك بالشكل الآخر الذي أنت تنفر منه وهو جانب الإنذار، وجانب الهداية، جانب الإرشاد، جانب التوجيه، جانب التعليم، أليس هذا هو الجانب الذي يهرب منه الناس.

تأملوا في هذه - مما يدلنا على غرابة موقفنا من الله سبحانه وتعالى - نحن جميعاً بني البشر مسلمين بأن التدبير هو الله، لكن نريد منه فقط أن يدبر شؤون المخلوقات من حولنا، أما شأننا نحن وهو الشأن الواسع، شأن جانب الهداية، رسم المنهجية في الحياة، الخطة التي نسير عليها في حياتنا، فنحن نتهرب من الله ولا نتركه هو أن يكون هو الذي يختص بوضعها لنا، أليس الناس هم من ينطلقون الآن ليصيغوا الدساتير والقوانين لأنفسهم ويصيغوا التشريعات لأنفسهم، هم يريدون أن يتولوا

هذا الجانب هم، وهذا هو الجانب المهم، هذا هو الجانب الأكبر.

كيف تنظر إلى الله هذه النظرة الغربية، تريد منه أن يدبر شؤون المخلوقات من حولك ثم لا يتدخل في شؤونك كما يقال الآن: [الدين لا علاقة له بالحياة] أليس هذا ما يقال؟ علماء الدين لا علاقة لهم بالحياة.. لا علاقة لهم بشؤون الأمة.. لا علاقة لهم بحكم الأمة.. أليس هذا هو إبعاد للدين، إبعاد لهداية الله، إبعاد لله عن أن يتولى شؤون الإنسان؟ كيف لا يتولى شأنك وأنت أنت المخلوق في هذه الدنيا الذي إذا استقمت ستستقيم الحياة كلها، وإذا فسدت ستفسد الحياة كلها ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي﴾، من؟ البقر، أو الحمير، أو الطيور، أو مَنْ؟ مَنْ مِنَ المخلوقات هذه الكثيرة جداً في هذا العالم الذي ظهر الفساد في البر والبحر على يده؟ إنهم النَّاسُ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١).

جحد الانسان لله

اعلم بأنك أنت المخلوق الذي لا بد من أن تسلم كل شؤونك لإهلك ليديرها هو تعالى، أم أنك ترى نفسك أكبر من خلق السماوات والأرض؟! ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٢)، إذا كان الله هو الذي يدبر شؤون السماوات والأرض وهي أكبر من خلقك، ثم هي كلها مسخرة لك، كل ما فيها، ثم استقامتها، أو فسادها مرتبط بك، فإنك من يجب أن يتوجه التدبير الرئيسي إليه، وأن يتوجه التدبير على أوسع نطاق إليه، لتهتدي، لتستقيم، فإذا ما استقمت تستقيم الحياة كلها، حياتك أنت وحياة المخلوقات كلها من حولك، سينطلق كل شيء من حولك يؤدي مهمته على النحو الذي رسم له.

أليس هذا موقفاً غريباً منا جميعاً، من الناس جميعاً بما فيهم المسلمون، المؤمنون

١. الروم: من الآية ٤١

٢. غافر: من الآية ٥٧

بهذا القرآن العظيم، أليسوا هم الآن من يصيغون لأنفسهم دساتير وقوانين، أليسوا هم من أبعد أنفسهم عن الله فيما يتعلق بالجانب المهم، جانب الهداية، جانب التشريع، جانب الإرشاد، جانب الإنذار، ثم هم من نزلوا قاعدة: [لا علاقة للدين بالحياة] [لا علاقة للدين بالدولة او السياسة].

نحن سنضع شخصاً منا هو الذي يدبر شؤوننا، وهو الذي سيشرع لنا، أنتم وقرآنكم ابقوا هناك بعيداً داخل مساجدكم، داخل بيوتكم، على علماء الدين أن يتعدوا هناك، نحن سنتولى تدبير شأن الأمة، ونحن سنضع الدساتير، ونحن سنصيغ القوانين، ونحن أعرف بمتطلبات العصر، ونحن أعرف بالمصالح لأمتنا ووطننا.

هكذا يقول الناس المؤمنون بالقرآن الكريم! وفي بقية الأمور يطلبون من الله أن يدبرها، أنزل لنا مطراً، أنبت لنا شجراً، اعمل لنا كذا وكذا إلى آخره، أليس هذا من الجحود بالله سبحانه وتعالى، أليس هذا من التكر لله سبحانه وتعالى، أليس معنى هذا أن يتحول الله - كما قلنا أكثر من مرة - إلى مجرد عامل معنا، لا بأس دبر الأشياء تلك من أجل توفر ذلك لنا لأن ما باستطاعتنا انبات الشجر لأنفسنا، لكن قيمتها وتصريف قيمتها، نحن الذين سنتولاه.

أليس هناك الملايين من الدولارات، الملايين تمشي في الإفساد في الأرض، ومن أين جاءت هذه الملايين، جاءت من البترول الذي خلقه الله وأودعه للناس في الأرض، جاء من مختلف المصادر التي هي أساساً من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، من المعادن، من الثمار، من مختلف وسائل الإنتاج التي هي من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

فنحن قلنا لله: حقول البترول نحن نؤمن بأنها منك، هذه المزارع الكبيرة هي منك ونريد منك أن ترعاها، لكن فيما يتعلق بتصريف منتجاتها نحن الذين سنصرفها كما نشاء، أولسنا نحن المسلمين فيما يتعلق بالزكاة او الخمس ننظر هذه النظرة.

نقول لله في واقعنا أنت أنبت لنا ما فوق الأرض واحفظ لنا ما تحتها، فمتى ما أصبحت نقوداً في أيدينا أعرضنا بوجوهنا عنه، هل هذا صحيح. ومتى ما قال لنا الله تعالى: ﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾، قلنا لماذا نعطي الزكاة، نحاول أن نتهرب منها، والزكاة كم هي ١٠٪ أو ٥٪ أو ٢،٥٪ نسبة بسيطة جداً، والخمس كذلك يقول لنا: أنفقوا في سبيلي، نقول: لا. ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(١). قتل الإنسان ما أجحده، ما أبعده عن معرفة ربه ﴿ظَلُمٌ كَفَّارٌ﴾^(٢). كما وصفه الله في القرآن الكريم.

كلنا نحن بني البشر: يهود ونصارى، ووثنيين، ومسلمين نظرنا إلى الله تقريباً واحدة، أليس هناك حكومات متعددة داخل البلاد الإسلامية هل هي تعمل بالقرآن، وهل تسير على نهج القرآن قطعاً لا.

هي من أبعدت نفسها وأبعدت شعوبها عن تدبير الله، وكما أسلفنا: أن تدبير الله للإنسان يختلف عن تدبيره للمخلوقات الأخرى، تدبيره لنا يتمثل جانب كبير منه جداً في جانب الهداية، توجيهات، وإرشادات، وتشريعات، أليس هذا هو الجانب الأكثر الذي نحتاج إليه، ومما يشهد على أن هذا هو الجانب الأكثر: أن كل الشعوب من مختلف أجناس البشر كلهم ينطلقون لوضع تشريعات لأنفسهم، لأنهم يشعرون أنهم بحاجة إلى وضع دساتير ووضع قوانين ووضع لوائح، أليس هذا هو الذي يحصل، أي بنو البشر مسلمون على أنهم بحاجة ماسة إلى تشريعات تنظم شؤونهم، تكون هي في واقعها تدبيراً لشأنهم الواسع، بل تتردد الكلمات ونسمعها كثيراً: أنه لا يستقيم وضع الشعب إلا إذا مشى على وفق القانون، أن نلتزم جميعاً بالدستور، ما هذا الذي يحصل من توجيهات الرئيس، وتوجيهات الملك، وتوجيهات أي زعيم في أي بلد آخر، يوجه بالالتزام بالقانون، الالتزام بالدستور من أجل استقرار اقتصادي، من أجل التنمية، من أجل استقرار سياسي، من أجل

١. عبس: ١٧

٢. إبراهيم: من الآية ٣٤

سعادة الأمة.

وهذا هو ما سيكون شاهداً علينا بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه ما من شيء مما وجهنا الله إليه ومما طلبه منا إلا ونحن نشهد على أنفسنا بأننا بحاجة ماسة إليه، هذا واحد من الشواهد.

كلنا بنو البشر مجمعون على أننا بحاجة إلى تشريعات، ودساتير، ولوائح، وأنظمة على مستوى الشعب الواحد، ثم على مستوى المجموعة الواحدة الآسيوية أو العربية، ثم على مستوى الدول كلها، القانون الدولي أليس هذا حاصل.

هناك حتى قوانين دولية تنظم شؤون الدول كدول، ألسنا نشهد على أنفسنا أننا بحاجة إلى هذا الجانب، وأن هذا الجانب، هو الجانب المهم الذي تستقيم به الحياة في كل مجالاتها.

إذاً فنحن شهدنا على أنفسنا بما يريد الله منا أن نعترف به له، فلماذا ننكره إذا كان من جانب الله ونراه ضرورياً إذا ما كان من جانبنا. الله الذي يدبر الشؤون لمخلوقاته الواسعة على هذا النحو الواسع: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).

نتنكر له أن يدبر شأننا، هذا الذي نرى أنه ضروري.

الْكَبِيرُ
اللَّهُ

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. السجدة: من الآية ٥

الانسان عاجز عن التدبير

هذه من الشواهد، تشهد على الإنسان مواقفه في الحياة، تشهد على الإنسان ما هو مسلّم به في الحياة أنه لماذا تسلم بهذا فيما يتعلق بنفسك إذا ما كان من جانبك ضروري، أن يأتي من جانب الله. لا تقبله، تشهد على الإنسان مواقفه، تشهد على الإنسان ضرورياته التي يعترف بها في الحياة، يشهد على الإنسان لسانه، يشهد عليه جلده، تشهد عليه أيديه وأرجله، وما أكثر الشواهد.

ألم يتضح لنا هذا الموضوع الآن، أننا وضعنا أنفسنا بديلاً عن الله في الجانب المهم، وأننا كفرنا بالله أن يدبر شأننا هو، وتدبير شأننا هو المهم في الحياة كلها؛ لأن شأن الإنسان هو الذي إذا استقام فاستقام الإنسان ستستقيم الحياة كلها.

لو أن المسألة بالنسبة لنا أن نقول: لسنا بحاجة إلى تدبير شأن إطلاقاً لكانت القضية أهون.. لكننا من نشهد على أنفسنا بأننا بحاجة إلى أنظمة ووساير ولوائح وقوانين.. إذاً فلماذا لا نرجع إلى الله، أليس الله هو أعلم بنا وأعلم بهذا الكون كله من رجال القانون؟ من القانونيين، من الاقتصاديين، من فلاسفة القانون، من فلاسفة الاقتصاد، من فلاسفة النظم السياسية.

أليس الله هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، وهو الذي خلقنا وبدأ

خلقنا من طين كما قال هنا: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(١).

الذي أحسن كل شيء خلقه أليس بإمكانه أن يدبر شؤون ما خلقه على أحسن تقويم، بل هو الذي يستطيع وهو وحده، وحده الذي يستطيع أن يدبر شؤون مخلوقاته بما فيها الإنسان وهو المخلوق المهم على أحسن تقويم، وكيف لا يعرف أن يدبر شؤونك وهو الذي خلقك وبدأ خلقك من طين، آدم «الطِّين»؛ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾^(٢).

فالذي خلقنا على هذا النحو ورأينا أنفسنا وعلمنا من خلال ما نشاهده في قضية التوالد أننا نمر بمراحل متعددة، فإذا ما استكملنا قوتنا، متى ما اتجهنا إلى الحياة، أليس الإنسان عندما يبلغ يتجه نظره إلى الحياة كلها يريد هذا، ويريد هذا، ويبعد هذا، ويقرب هذا، ويجمع هذا، ويفرق هذا، يلتفت إلى الحياة كلها.

في هذه المرحلة بعد أن كنت في جميع مراحل حياتك السابقة تخضع لتدبير الله من يوم أن كنت ماء مهينا في رحم أمك فلما اشتد ساعدك وأصبحت نفسك تنظر إلى الحياة بنظرها الواسعة وبمجالاتها الواسعة، قلت لربك هذا لا يستطيع أن يدبر شأني، لا علاقة للدين بالحياة، الدين هو دين الله، أليس كذلك، دين الله هو هدايته، أي لا علاقة لله بالحياة.

ولأن الإيمان بأن التدبير لشؤون الإنسان كلها، ولشؤون الحياة كلها بما فيها جانب الهداية، الدين هذا هو للحياة كلها، هو للحياة بكل شؤونها، هو لحركة الإنسان في هذه الحياة في كل مجالاتها، وعلى أوسع نطاق في كل مجال من مجالاتها، الإيمان بهذا الجانب مهم جداً.

أن الله قال للمؤمنين: أنهم فيما إذا أطاعوا المشركين وهم يجادلونهم ﴿وَإِنْ

١. السجدة: من الآية ٧

٢. السجدة: ٨

الشياطينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ^(١).

فيما يتعلق بقضية الميتة، عندما كان العرب يأكلون الميتة، فجاء الإسلام فحرمها، ولم يبيح إلا ما ذكيتكم كما قال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾^(٢).

قالوا: كيف ما قتل الله محرماً وما نقتله نحن حلالاً، أليست هذه شبهة منمقة، تبدو منمقة، قال الله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾^(٣).

على هذا النحو: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٤).

أنت أطعتهم في حكم واحد فيما يتعلق بالموقف من الميتة، هل يحل الأكل منها أم لا وفي الفارق فيما بينها وبين الذبيحة المذكاة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

التشريع لله وحده

يجب أن نكفر بكل تشريع ليس من قبل الله، هذا هو ما يجب على الإنسان أن يؤمن بأن التشريع هو لله وحده، أن الهداية هي لله وحده، من الله وحده ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(٥).

كما قال هو، وأن يكفر الإنسان بكل تشريع من عند غير الله، هذا ما لا بد منه، وألا نكرر دائماً كلمة: [قانون قوانين].

بعض الشعوب التي اتجهت لصياغة تشريعاتها بشكل قوانين، أصبحت كلمة:

١. الأنعام: من الآية ١٢١

٢. المائدة: من الآية ٣

٣. الأنعام: من الآية ١٢١

٤. الأنعام: من الآية ١٢١

٥. الليل: ١٢

[قانون] هي البديل عن كلمة: [شريعة الله]، عن كلمة: [دين الله]، مثلما يحصل في مصر وبلدان أخرى، يجب ان نروض أنفسنا على استخدام كلمة شريعة الله خير وأبقى وهكذا.

يجب أن يكون حديث الناس كله بالشكل الذي يوحى بالارتباط بشرع الله وهديه ودينه، كلمة: قانون وقوانين ودستور هي توحى للإنسان بمنهجية أخرى وبمصدر آخر لتنظيم شؤون الحياة غير الشريعة، حتى وإن كانت كما يقال بشكل تقنين لأحكام الشريعة، لكن لماذا لا نستخدم كلمة: [دين الله شريعة الله] أو أن شريعة الله، ودين الله هي قاصرة عن أن تحتوي أو تشتمل على ما تشتمل عليه القوانين. هذا ما يوحى به ترديدنا الكثير لكلمة [قانون ودساتير] ونحوها، وهذا هو ما يمهد لإبعاد الناس عن القرآن، لإبعاد الناس عن الإسلام، لإبعاد الناس عن شريعة الله، لإبعاد الناس عن دين الله.

نروض قليلاً على الابتعاد عن الله تعالى وشرعه في أذهاننا على الارتباط بالقانون والقوانين، فإذا ما قيل لنا في يوم من الأيام: هذا القرآن إرهابي، نرى أنفسنا لا نحتاج إلى القرآن في أي شيء، كنا نقرأه فقط على أمواتنا.. كنا نقرأ منه آيات قصار في صلاتنا، لا بأس سنقرأها في صلاتنا، في الأخير نرى أنفسنا لا حاجة بنا إلى هذا القرآن، الدساتير فيها الكفاية، القوانين فيها الكفاية، هذا كله من عملية ترويض الأمة من جانب أعداء الله على إبعادهم عن الدين قليلاً.

كما يعملون بالحج، الله تعالى قال لنبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١).

وعندما يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾.

هو يعلم أن تلك المشاعر، ومن يفدوا على تلك المشاعر سيكون فيها لهم سعة،

اتساع.

في الأخير إذا ما أبعد القرآن هناك قوانين ودساتير بديلة عنه، الحج مثلاً إذا ما خفض العدد يكون مقبولاً جداً؛ لأنه روضنا أنفسنا، وروضتنا حكوماتنا المباركة الجاهلة التي لا تعرف عن اليهود شيئاً، التي لا يهتمها أمر الدين ولا أمر الأمة.

يكونون قد عودونا قليلاً ثم أحياناً يقولون: السنة هذه اتركوها للمصريين، والشعب الفلاني والشعب الفلاني السنة هذه يؤجل، أو السنة هذه احتمال يكون هناك وباء ينتشر يؤجل، وهكذا حتى يموت الحج في أنفسنا، حتى يضع من ذاكرتنا.

ثم يأتي مجنون! مجنون ويعتدي على [البيت] ويفجره، كما يحصل في [القدس]، أليس يحصل شبيه بهذا، مختل عقلياً يعمل تفجيرات أو يحرق أو يطلق النار على مصليين داخل المسجد وسيظهر مجانين كثيرون، وفجروا الكعبة فجروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، باحثون مجانين ينبشون قبر رسول الله (صلوات الله عليه وآله)، ثم نحن نكون قد أبعدنا.

متى ستكون أنت من [سنة عشر مليوناً] يصبح العدد المسموح به هو ثلاثة آلاف شخص، متى ستوقع أنك ستحج هذا حصل مثله في بلدان الاتحاد السوفيتي، حصل أيام حكم الشيوعيين في تلك البلدان.. راجع قوائم البلدان التي تحج، تجد أن تلك البلاد كانت من أقل الحجاج عدداً، بلدان الاتحاد السوفيتي وهي بلدان واسعة جداً.

هكذا يتنكر الإنسان لله الذي أحسن كل شيء خلقه والذي بدأ خلق الإنسان من طين، والذي خلقه ونقله في أطوار خلقه من حالة إلى حالة، ثم يتنكر لله ويكفر بكل تشريعاته، ويبعد نفسه عن كل هدايته.

فالذي خلق الإنسان في هذه الدنيا، وخلق هذه الدنيا، وخلق هذا العالم بكله له

غاية، وله نهاية، وللناس جميعاً يوم يرجعون فيه إلى الله.

لكن هذا الإنسان الجاهل الذي لم يعلم هذا التدبير الواسع من قبل الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، وتدبير شؤونها الواسعة التي تدل على قدرته العظيمة، حكمته العظيمة، علمه الواسع.

تسال شبيه بالكفر

الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين يقول هو فيما بعد: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١).

إذا متنا وأصبحنا تراباً وضعنا في الأرض وتلاشنا إنا لفي خلق جديد؟ بعيد أن نبعث من جديد، كيف يمكن؟ ألم يقل لك: ألم تعلم أنت أن الله بدأ خلقك من طين وأنه خلقك وخلق أولادك، أليس الإنسان يعلم أن أولاده مخلوقون من ماء مهين، هو يعلم ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾^(٢).

المسألة ليست مسألة غامضة، أو أن الأدلة عليها ليست كافية، فيكون هذا التساؤل وجيهاً نوعاً ما، إنه جحود إنه كفر إنه كلام الذي لا يريد أن يصدق بالقضية، لا يريد أن يؤمن بها، هو رافض لها، لا يريد أن يقبل الإيمان بها، وإلا فهي واضحة جداً، أدلتها فوق الكفاية، أدلتها تدمغ، تدمغ كل مدارك الإنسان ومشاعره ووجدانه.

الَّذِي ﴿بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، ألا يستطيع أن يعيد خلقه من جديد، بلى،

١. السجدة: من الآية ١٠

٢. السجدة: ١٠

يستطيع أن يعيده من جديد، ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

أليس قولهم: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أليس كفراً، لأنه استبعاد هنا، ليس استفهام، وليس سؤالاً، هل نحن سنبعث من جديد، هذا سؤال يمكن أن يجيب عليه، يجيب عليه القرآن يجيب عليه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ممكن أن يجيب عليه، لكنهم تلفظوا به بشكل استغراب واستنكار واستبعاد ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي: أنهم لا يريدون أن يؤمنوا لا أن القضية هذه لا براهين عليها كافية لا أدلة عليها دامغة، هذه حالة تحصل عند الناس في ذلك الزمان بما يتعلق بالبعث، وتحصل عند كثير منا نحن المسلمون في قضايا متعددة.

مثلاً [كيف يأمرنا الله باتباعهم وهم ناس مثلنا، ما هو الفرق بيننا وبينهم] أليس هكذا يقال؟ استفهام على هذا النحو. بل أنت في واقعك لا تريد أن تؤمن بالقضية لا أن الأدلة عليها ليست كافية، بل أنت لا تريد أن تؤمن بهذه القضية، أنت رافض لها ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

أنت بالإيمان بهذه القضية لا تريد أن تقبله، لا تريد أن يتسرب إلى أعماق نفسك، وهذه هي من الحالات الخطيرة عند الإنسان، الحالات الخطيرة أن يحدد موقفاً مسبقاً لديه، يجعله معانداً متمرداً، يدفع كل شيء مهما كانت أدلته واضحة وقوية وجلية.

هذه توجهنا نحن إلى أن يكون الإنسان في واقعه منفتحاً على هداية الله، ومُسَلِّماً نفسه لله أن يتقبل منه، وسترئ كل شيء أمامك، سترئ أدلته كافية وفوق الكافية، في كل شأن من شؤون الدين، متى ما آمنت بهذه.

لكن إذا اتخذت هذا الموقف المسبق كما اتخذته هؤلاء ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

فهم يصرحون برفضهم لكن بأسلوب آخر، بأسلوب الاستبعاد وكأن القضية لا دليل عليها، هو نفس الأسلوب الذي يقوله شخص [كيف يأمرنا الله باتباع أشخاص مثلنا نراهم مثلنا، ليس بيننا نحن وإياهم فرق] أليس هكذا تحصل بعبارات نفس الاستفهام. أنا رافض لا أريد أن أؤمن بهذه القضية ولا أرغب أن أتقبلها، فأقدم رفضي لها بصيغة استبعاد بالشكل الذي يوحى بأنه لا دليل عليها.

أدلة البعث كثيرة جدا في القرآن الكريم منها مثلاً:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾^(١).

أليست هذه أدلة على أن من خلق هذه قادر على بعث عباده يوم القيامة؛ لكن انظر ماذا قالوا في مقابل تلك الأدلة الدامغة لما كان واقعهم أنهم كفرون من الأساس، أي رافضون لا يريدون أن يؤمنوا بها ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، هكذا يقول الإنسان الكافر في نفسه، الرافض في نفسه أمام أي قضية من القضايا مهما كانت جليلة، مهما كانت واضحة. هكذا يقول لكنه لا ينفعه هذا القول، أنظر ماذا قال بعد؟ مما يؤكد لنا ما قلناه أنهم عندما قالوا: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، إنهم يستبعدون ذلك لكن ليس استبعاد من لا يعرف الأدلة أو استبعاد قضية باعتبار أنه لا أدلة عليها، إنما استبعاد من هو جاحد ورافض في نفسه.

١. السجدة: من الآية ٧-٩

الموت بداية البعث الى الله تعالى

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم﴾^(١)

قل لهؤلاء: هناك بعث لا بد منه، وبعث هذه تفاصيله أمامكم وهذه بدايته، أنتم حتى هذا الموت الذي ترونه يومياً لبعضكم بعض ليس شيئاً تلقائياً أو شأناً يأتي مصادفة من شؤون الحياة، إنه هو قضية موكلة إلى طرف آخر من عبادنا ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾^(٢).

لتعرفوا أنكم ستبعثون رغماً عنكم، أن بداية الرجوع إلى الله ستكون من الموت، الموت هو بداية الرجوع إلى الله، فقل لهم: إنهم سيساقون إلى الله رغماً عنهم، وأنه من أول حادثة ومن أول خطوة يساقون بها إلى الله هي خطوة نحن نتبناها، ملك موكل من عندنا يتوفاكم؛ لتعرفوا بأن جحودكم هذا لا يمكن أن يغني عنكم شيئاً.

وهكذا الحق الذي تحاول أن تتهرب منه تهربك منه لا يعفيك عن المسؤولية أمامه، تهربك منه لا يعفيك عن آثاره، لا يعفيك عن آثار تهربك منه كعاصي ترتكب جريمة في تهربك منه. عندما أرفض هل أرى نفسي بأنني أبعدت هذه القضية وكل آثارها عني لا. إن البعث حق، ولا بد منه وإذا كنتم هكذا تقولون بسخرية واستبعاد، وإذا كنتم في الواقع إنما تنطلقون من واقع الكفر في أنفسكم فإنها قضية لا بد أن تقع، لا بد أن تحدث عليكم أنتم شخصياً، وهكذا هي مقدماتها من الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ رَبُّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

١. السجدة: من الآية ١١

٢. السجدة: من الآية ١١

٣. السجدة: ١١

الموت هو الخطوة الأولى في الرجوع إلى الله في العالم الآخر.

والموت نحن نجده هنا في القرآن الكريم وبمناسبة ذكره هنا ليس من الوسائل التي يأتي التخويف بها للناس، ليس من وسائل التخويف إطلاقاً داخل القرآن الكريم؛ ولهذا لا تجد الحديث عن الموت إلا خاطفاً وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر؛ لأنه اليوم الشديد الأهوال، هو ما يجب أن نخافه، هو ما يكون الحديث عنه هو الذي يصنع الخوف في النفوس، هو الذي يملأ القلوب خوفاً ورعباً، أما الموت نفسه إنما هو الخطوة الأولى، وهو قضية عادية، قضية عادية، هو بداية الرجوع إلى الله.

ليس هو في حد ذاته ما يجب أن يخيف باعتباره حدثاً، ليكون خوفك هو من الرجوع إلى الله إلى اليوم الآخر، في اليوم الآخر يوم القيامة. جاء الكلام عن اليوم الآخر في القرآن مكرر جداً، بعض السور تكون من أولها إلى آخرها عن التخويف باليوم الآخر، هل ورد تخويف بالموت داخل القرآن الكريم، لم يرد.

الموت لا خوف فيه

ليعرف أولئك الذين يتحدثون مع الناس ويرشدون الناس أنهم كم يغلطون، كم يرتكبون من خطأ جسيم عندما يتحدثون مع الناس عن تخويفهم بالموت نفسه، ثم يذكرون لهم أهوال القبر وعذاب القبر وكلاماً في النعش وكلاماً طويلاً، طويلاً عريضاً كله يحول الموت إلى شبح خفيف. أن هذا أسلوب يترك أثراً سيئاً جداً جداً يتخالف مع منهجية القرآن، ويخالف ما يريد القرآن منا.

إنه الذي يربي هذه الأمة تربية جهادية، الذي يربيك لتكون مجاهداً، هل ينطلق

ليخوفك من الموت نفسه، وهو يريد منك أن تستبسل وأن تبذل نفسك في سبيل الله، لا يمكن هذا حتى ولا لقائد عسكري أن يعمل به، الموت هو بداية اللقاء مع الله تعالى، فلا خوف فيه بل فيه الفرح للمؤمنين.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الآثار السيئة للخوف من الموت

الإنسان إذا تربى على الخوف من الموت وقيل له: إن الموت كذا وكذا، وعلى النعش كذا وكذا، والقبر مليء كذا وكذا إلى آخره يخاف مهما كان متعبدا ينشد إلى الحياة ويخاف أن يواجهه، أن يدخل في مواجهة لا يريد أن يموت؛ لأنه أصبح خائفا من شبح الموت.

التربية القرآنية هي التربية التي أخرجت الامام علي «عليه السلام» الذي كان يقول: «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»، لكنه كان وهو يتذكر اليوم الآخر، كان يتخشب جسمه خوفا من الله، وخوفاً من اليوم الآخر، وهكذا حكى عنهم في قضية إنفاقهم وإطعامهم اليتيم والمسكين والأسير. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(١).

الموت لا وجود له في القرآن الكريم إلا كحديث عن قضية هي أول خطوة إلى العالم الآخر، والقبر إنما هو غرفة كأي غرفة في بيتك.

عندما آتي أنا وكم رشد وبنظريتي القاصرة، ونظرتي القاصرة أريد أن أطلع ناس أراهم سيكون وأراهم خائفين ويتجهون إلى الطاعات ونوع من الطاعات المعينة، ويبتعدون عن المعاصي فأقول هؤلاء أولياء الله. تستطيع أن تتج ناس من هذه

النوعية لكنك لو تدري كم جنيت عليهم، قد تراهم [أطياب] وتراهم فعلاً يبتعدون عن المعاصي وترى مظهرهم مظهر أولياء الله لكنهم من النوعية التي لا تقدم ولا تؤخر.

ذلك الرجل الذي كان ينطلق في الميدان ميدان الجهاد بكل قوة وبكل هدوء، ولا خوف ولا ذرة من الخوف في نفسه، هو من كان يقول: ((والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت عليّ «لأننا آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»)).

إذا كنت تريد أن تصنع خوفاً في نفوس الناس، وخشية من الله، خوفاً وخشية إيجابية لا سلبية معها إطلاقاً، ركز على ما ركز عليه القرآن الكريم على اليوم الآخر على الحديث عن اليوم الآخر عن تفاصيله، عن أهواله، عن شدائده، عن النار، عن الجنة، وهذا هو ما ظهر جلياً في القرآن الكريم أنه من أهم الوسائل لإيصال الخوف من الله والخشية من الله في قلوب الناس، حينها ستري أن تلك الأهوال الشديدة تلك النار الشديدة تهون عليك نفسك أن تبذلها ولو عدة مرات في الحياة وتسلم تلك الأهوال، تأمن أثناء تلك الأهوال، وتأمن من تلك النار الشديدة، وأن ذلك النعيم العظيم وذلك المقام الرفيع يجدر بك أن تستهين بنفسك فتبذلها عدة مرات في الحياة من أجل أن تصل إليه.

أوليس الناس هنا في الدنيا يستهينون بأنفسهم على [مشرب] على قطعة أرض قطعة أرض مزروعة أو [عرصة] منزل، مستعد أن يقاتل فيقتل، ويتهدد بأنه لا يمكن أن تدخل لها من طرف - كما يقول البعض - : [إلا على رقبتى هذه] أليس هذا استبسال، لأنه يرى هذه القطعة جديرة بأن يبذل من أجلها نفسه.

انظر إلى الجنة سترها جديرة بأن تبذل من أجلها نفسك عدة مرات فتحيا من جديد ثم تقتل من جديد ولو في كل معركة.

هنا في الدنيا أليس الناس يخافون، وقد يكون بعض المواقف تخيف الإنسان فيواجهها ولو بأن يبذل نفسه من أجل أن يأمن ذلك الجانب، ستجد جهنم بالشكل

الذي ترى أنه يجب عليك أن تبذل نفسك ولو عدة مرات من أجل أن تنجى من جهنم. هذا هو أسلوب القرآن الحكيم؛ لأنه من الناحية التربوية من الناحية المنهجية تربوياً غير صحيح أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(١).

ثم ينطلق رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ليخوف الناس من الموت وهو أعظم مجاهد، وأعظم محرض على الجهاد بأسلوبه القوي بعباراته الجزلة بمعانيه الصحيحة، بتربيته المستقيمة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان رجلاً قرآنياً يعرف منهجية القرآن لا يخالفه، لا يتعداه ولا خطوة واحدة، ثم يأتي ليخوف الناس من القبر ومن الموت ومن، حتى يجعلهم ينكمشون ويخافون، هل هذا منسجم مع التوجيهات للتضحية في القرآن، لا.

إذا كنت تريد أن تعرف المسألة جلياً فانظر إلى القادة العسكريين وهم يعملون على رفع معنويات الجيش أثناء المواجهة، اسمع البيانات العسكرية لتعرف كيف أننا نحن ونحن بشر أن هذه قضية مسلمة لدينا.

أنت قد تقول لأولادك إذا ما كنت في خصومة مع آخرين تنطلق لتشجعهم على التضحية، أليس كذلك؟ هل ستنتطلق وأنت تتحدث عن خصومة حادة مع طرف آخر قد تصل إلى درجة المواجهة ثم تجمع أولادك في غرفة في بيتك وتحديثهم عن القبر وعن منكر ونكير، وعن النعش وعن كذا. هل يمكن هذا، لا يمكن [أنتم رجال وليست إلاميته] أليس هكذا يقولون؟ يشجعهم على الاستبسال وعلى التضحية. من هو ذلك الأحمق الذي يمكن أن يعمل هذا مرة في حياته فيجمع

١. التوبة: من الآية ١١١

أولاده ومعه خصم آخر ثم يحدثهم عن منكر ونكير، والقبر وضغطاته وأشياء كثيرة طويلة عريضة.

هل يمكن أن يحصل هكذا منا نحن الناس، فكيف يمكن أن يحصل ممن نزل القرآن الكريم، وهو الذي يعلم بخصائص النفس البشرية، وهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، هل يمكن أن يصدر من رسول الله، الله اصطفاه، الله أكمله، هو نفسه يتبع ما يوحى إليه، وهو يعرف هذا القرآن بأبعاده، بعمقه، بغاياته البعيدة، فهو لا يمكن أن يصدر منه كلمة واحدة، أو موقف واحد؛ لأنه معلم الأمة ومربي الأمة، وهادي للأمة. لا يمكن أن يحصل من جانبه شيء يتعارض مع منهجية القرآن ولو على بعد ألف كيلو، ولو على بعد هناك.

القبر حفرة ترقد فيها، ويهال عليك التراب، لا تشعر بشيء، وبعض العلماء استنكر فعلا واستعبد وأنكر قضية [منكر ونكير]، يقال للكفار وهو جدير بأن يعذب في القبر ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(١). والله ما يدري من يوم ما قبض ملك الموت روحه لما بعث بعد آلاف السنين، مرت كلا شيء.

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٢).

أليسوا يقولون هكذا يوم القيامة ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، لو كان القبر مزعجا لفرحوا أن يبعثوا، سموه [مرقداً] وهم كافرون، ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾^(٣).

أخرجوا الآن هذا هو اليوم الشديد، هناك سيقول الكافرون: ﴿هَذَا يَوْمٌ

١. المؤمنون: من الآية ١١٣

٢. يس: من الآية ٥٢

٣. يس: من الآية ٥٢

عَسْر^(١).

ألم يقولوا للقبر مرقدًا، وقالوا ليوم القيامة: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، يوم شديد يوم شديد الأهوال.

ونحن بالعكس نتحدث عن القبر، وعن منكر ونكير، وعن الموت بتفاصيل كثيرة نجعله هو اليوم العسر، سيتشبث أحدنا بالحياة لا يريد أن يموت في سبيل الله، ولو كان في موته إعلاء كلمة الله في الدنيا كلها.

فلنرجع إلى القرآن الكريم، نبحث عن الخشية من الله، ها هي في القرآن الكريم على أعلى درجاتها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

أنت تريد الخوف من الله، وتريد تخاف من أعمالك، تخاف من عقوبة أعمالك ارجع إلى القرآن الكريم سترى عقوبات الأعمال ماثلة أمامك في الدنيا وفي الآخرة فتخاف، أما أن تخوف نفسك لتبتعد عن معاصي معينة سترى نفسك بعيدا عن أن تقوم بأعمال مهمة تركها هي المعصية الكبيرة، تركها هو الذي يجعل تلك الطاعات لا قيمة لها.

لا موت مع الشهادة

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾^(٣).

ألغى قائمة الموت تماماً لا تسموهم أمواتاً ليس هناك موت، ألم يكن إلغاء الموت بالنسبة لهم من أجل ماذا. من أجل أن يندفعوا إلى الشهادة، أن يستبسلوا في سبيل

١. القمر: من الآية ٨

٢. الحشر: من الآية ٢١

٣. البقرة: من الآية ١٥٤

الله، ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

كذلك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

لماذا حياة، لماذا يقول لا تسميه ميتاً، لماذا يقول لا تظن أنه حتى ميت، ألغي الموت ب كله من قائمة المجاهدين، ب كله لماذا؟ لأنه حتى أن يبقى شبح الموت أو اسم الموت ماثلاً أمامهم قد يكون غير منطقي وغير أسلوب بل سيلغى الموت ب كله أمام المجاهدين، فلا هو من يموت، ولا هو من يصح أن يقول له الآخرون ميت، لا تحسبهم أمواتاً ولا تسميهم أمواتاً، هم أحياء.

فهل يمكن أن يأتي من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كلام آخر يخوف الناس بالموت الذي ألغي داخل قائمة المجاهدين.

فالإنسان لا يموت كما يموت الآخرون هذا إذا قتل في سبيل الله، وكان شهيداً في سبيل الله لماذا؟ لأن هذا هو الذي سيدفع بالإنسان إلى التضحية، أما أن أخوفه من الموت وأنا أريد أن يكون مجاهداً أن يخوف هذه الأمة الإسلامية وخصوصاً في عالمنا العربي من الموت وهم من كانوا يستبسلون في ميادين القتال مع بعضهم بعض، فجاء الإسلام فحولهم جنباء، أليسوا الآن جنباء، من أين جنبوا، وقد كانوا هم سابقاً كانت تحركهم قصيدة من الشعر، كان بيت من أبيات شاعرهم تحركهم للاستبسال فيقاتلون على عقال بغير، أو على فرس، أو على ناقة، هل الإسلام هو الذي جنبهم، أم الموغظون والمرشدون، أم المحرفون للدين، أم المقدمون للدين بصورة مغلوطة.

ألسنا الآن كعرب أجبن من أولئك البدو قبل الإسلام!! هل أن الإسلام هو الذي جنبى علينا فأصبحنا جنباء أذلاء أم من قدموا الإسلام بشكل آخر لنا.

١. البقرة: من الآية ١٥٤

٢. آل عمران: ١٦٩

إنه فعلاً عندما جئنا نتلقى الإسلام من آخرين قدموه بشكل مغلوط هو الذي ترك فينا هذا الأثر السيئ في كل المجالات.

لو أخذنا الدين من القرآن الكريم ومن أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم لما عشنا أذلاء أبداً، ولا يوماً واحداً، ولو صار المسلمون بكلهم كشعب واحد من الشعوب الموجودة لكانوا هم من يقهرون العالم، وكانوا هم من يوصلون هذا الدين إلى الأمم كلها.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

﴿الآخِسْرِينَ أَعْمَالًا﴾

ما يجب ان يخافه الانسان هو ان لا تكون مصداقاً لهذه الآيات قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، ذلك الهول الشديد ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، خاشعون، أذلاء، يقولون لله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾^(٢).

الآن اتضح لدينا كل شيء وأصبحنا موقنين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٣).

أولئك المجرمون الذين كانوا يستبعدون البعث، أولئك الناس الذين كانوا يرفضون أن يتولى الله هو هداية عباده، وأن يكون التقدير له في شأن عباده فيرفضون دينه، ويقولون لا علاقة له بالحياة.

هم مجرمون سينكسون رؤوسهم بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

١ . السجدة: من الآية ١٢

٢ . السجدة: من الآية ١٢

٣ . السجدة: من الآية ١٢

ماذا يعني أبصرنا وسمعنا، ألم يبصروا في الدنيا ويسمعوا، بل أليسوا هم من كانوا في الدنيا يرون أنفسهم أكثر إبصاراً من الدين نفسه، فيتجهون لصياغة القوانين لأنفسهم والدساتير لأنفسهم، يقولون (لأننا نحن أعرف أليسوا) يقولون (نحن أعرف بمتطلبات العصر وبشؤون الحياة، ونحن نريد أن نلحق بركاب الآخرين الذين لا يعرف هَذَا).

ألم يدعوا لأنفسهم بأنهم أكثر بصراً وبصيرة من الدين! لكنهم سيرون أنهم كانوا عمياً في هذه الدنيا، وسيحشرون عمياً بين يدي الله فيقولون ربنا أما الآن، الآن أبصرنا فعلاً. عرفنا بأن هناك يوم آخر، عرفنا أن هناك قيامة، عرفنا أن هناك جزاء على الأعمال، أيقنا بهذه.

وكيف لا يوقنون وهم يعايشونها، وهامهم ناكسوا رؤوسهم، منكسون لرؤوسهم أمام الله بخشوع وتذلل وتلطف وترحم ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾، عندما يرجع هؤلاء ليعملوا صالحاً كما يقولون، ألم يدعوا بأنهم في الدنيا قد عملوا صالحاً بل أن الصلاح هو ما عملوه، ألم يكونوا يدعون في الدنيا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١).

ألم يكونوا يدعون هكذا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

والآخرون ألم يدعوا هم المقتنون الحكومات المجالس التشريعية مجالس النواب، ألم يدعوا لأنفسهم بأنهم هم الذين يحسنون الأعمال وأنهم أحسن عمل وهم يشرعون وهم يضعون الدساتير ويصيغون القوانين.

١. الكهف: ١٠٤.

٢. الكهف: من الآية ١٠٥.

ما هو العمل الذي قلتم بأنكم إذا رجعتم إلى الدنيا ستعملونه ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾.

قد عملتم في الدنيا دساتير وقوانين، وكنتم تقولون: بأنها هي العمل الصالح، وتلزمون الآخرين بها، ولا تتحدثون عن شرع الله ولا دينه ولا كتابه، ألم تدعوا لأنفسكم بأنكم كنتم وحدكم الذين تعملون أصلح الأعمال، سيتجلى هناك يوم القيامة، كما تجلى في الدنيا أيضاً أن العمل الصالح هو السير على هدي الله، في كل مناحي الحياة، في كل شؤون الحياة، في جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وفي كل المجالات التي أصبحت الآن عبارات تردد معروفة، ألم نسمع عبارة [في كل المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية] أليست هذه العبارة تتكرر، يقولون: شؤون الحياة كلها وشؤون الإنسان كله، قد وضعنا التشريعات التي تكفل له إذا ما سار عليها أن تكون كل هذه المجالات صحيحة ومستقيمة.

اكتشفوا أنفسهم بأن كل ما كانوا يعملونه في الدنيا خطأ، وكان ضلالاً، أليست هذه هي الخسارة، هي الخسارة العظيمة.

نعمة هداية الله لنا

في الدنيا قدم هدي الله لعباده بالشكل الكافي وزيادة على الكفاية، ليس فقط بالشكل الكافي بل زيادة على الكفاية مرات ومرات. ما كلنا نسمع الآن بأن لدى الدولة الفلانية ما يكفي لتدمير العالم عدة مرات الكرة الأرضية عدة مرات، فإن دين الله قدم للناس وهدي الله قدم للناس بما فيه كفاية وزيادة على الكفاية عدة مرات لسكان هذا العالم كله.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(١).

أليست هذه العبارة عبارة الخاضع، عبارة الخاشع، عبارة المتأدب؟ عبارة من عرف أن الله ربه؟ هو الذي قال له هنا: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

أنت لا تريد أن تعترف به أنه رب العالمين إلا عندما تقف بين يديه ذلك الموقف الذي لا ينفعك إطلاقاً ﴿ربنا﴾، عندما يقولون: ﴿ربنا﴾، هي تخرج من أعماق أنفسهم، قلها هنا في الدنيا، آمن هنا في الدنيا برب العالمين على هذا النحو، وأبصر واسمع فقد نزل في كتابه، وقد هداك بما يمكن أن تبصر وتسمع على أفضل شيء في كل مجالات الحياة.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٣).

الدنيا أصبحت مطلوبة للعمل الصالح، ألم تكرر مثل هذه في القرآن أكثر من مرة أنهم يطالبون الله ويتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا هذه الدنيا التي عاشوا فيها سنيماً طويلة، كما قال لهم في آية أخرى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾^(٤).

أنت الآن في الدنيا أنتم الآن جميعاً في الدنيا يا بني آدم فأبصروا واسمعوا واعملوا صالحاً هنا، تطالب أن ترجع إلى الدنيا لتعمل صالحاً كما تقول، ها أنت الآن في الدنيا اعمل صالحاً وماذا يمكن أن يقدم لك فيما لو عدت إلى الدنيا، هل هناك ما يمكن أن يقدم لك غير هذا، غير ما قدمه لك الآن من الهداية، هل سيقدم للإنسان

١. السجدة: من الآية ١٢

٢. السجدة: ٢

٣. السجدة: من الآية ١٢

٤. فاطر: من الآية ٣٧

شيء آخر فيما لو عاد إلى الدنيا، أم أنه اكتشف في الآخرة شيئاً آخر من وسائل الهداية بواسطتها أيقن وأبصر وسمع، إنما عندما العذاب، رأى [الصميل، جهنم].

النفسية القائمة لدينا الآن في الدنيا أمام المخاطر الشديدة علينا كأمة، والخطورة العظيمة على ديننا كدين نؤمن به ونعتز به، أليس هناك خطورة محدقة، أليس هناك تهديدات صريحة، لكن هؤلاء كانوا أسلافنا على هذا النحو لا يبصرون ولا يسمعون إلا يوم القيامة، نحن هكذا، وإذا كنا هكذا في الدنيا فسنكون هكذا في الآخرة.

فيجب أن نفهم إذا كنا في الدنيا هي طبيعة تترسخ لدينا إنها النفسية التي تقدم بها على الله، النفسية التي روضتها هنا في الدنيا ألا تؤمن بخطورة شيء إلا إذا أحست بالضربة القاضية حينئذ سيصرخ، إنها النفسية التي تقدم بها على الله، إنها النسيان ستأتي الآية: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(١).

لا نلتفت، لا نبصر ولا نسمع، نحن نعاني من هذه الحالة في الدنيا هنا، لاحظوا كيف أنها حالة خطيرة، ألا يبصر الإنسان ولا يسمع إلا متى ما أهدق به الخطر، هذه حالة خطيرة، أوليس هي النفسية، وهي الحالة السائدة في أوساط هذه الأمة، وعلى العرب بالذات.

يهددنا اليهود ويهددنا النصارى ونرى ضرباتهم، ونرى عجزنا أمام ضرباتهم ونرى واقعنا أمام واقعهم، ثم أيضاً على الرغم من هذا كله لا نبصر، ولا نسمع، ماذا سنقول بعد، نرجع إلى أين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا﴾، سيكون رجوعنا عندما نضرب كما يرجع عرفات كما يرجع الفلسطينيون، أليسوا يرجعون إلى أمريكا، يريدون السلام منها ويستجدون السلام منها، بل كل زعماء العرب هكذا، يرجعون إلى أمريكا، ويسمونهم راعية السلام، وهي الشيطان الأكبر،

١. السجدة: من الآية ١٤

وهي المثيرة للحروب في العالم.

صالحات الدنيا هي صالحات الآخرة

يجب أن نبصر ونسمع في الدنيا أمام الأخطار المحدقة بنا وبديننا في الدنيا، إذا ربينا أنفسنا على هذا الشعور المهم والجيد والبناء ستقدم على الله ونحن مبصرون، سامعون في الدنيا، وسنبصر ونسمع هنا في الدنيا، ما هو نعيم، ما هو أمن، ما هو شرف لنا، ما هو نعيم دائم في الآخرة الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى.

أما الذي لا يبصر ولا يسمع في الدنيا فهو كما قال الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(١).

كنت بصير بشؤني الخاصة ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا﴾^(٢).

كنت تتعمى عنها لا تبصر ولا تسمع، أليس كذلك؟

﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٣).

وكذلك يقول في آية أخرى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤).

لاحظوا كيف يأتي القرآن الكريم يربط بين الشقاء في الدنيا والشقاء في الآخرة، بين العمى في الدنيا والعمى في الآخرة.

لنفهم أنه إذا لم نبصر ونحن في الدنيا لن نبصر في الآخرة، إلا وجهنم أمام أعيننا ونقول هذا القول ونعوذ بالله من أن نكون ممن يقول هذا القول: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

١. طه: ١٢٥.

٢. طه: من الآية ١٢٦.

٣. طه: من الآية ١٢٦.

٤. الإسراء: ٧٢.

وَسَمِعْنَا فَارَجَعْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ».

أليست هذه العبارة خطيرة جدا، كل واحد منا يتمنى ألا يقولها، ويطلب من الله ألا يكون ممن يقولها، شيء خطير جدا. يربط بين العمل في الدنيا وبين العمل في الآخرة بين الشقاء في الدنيا وبين الشقاء في الآخرة.

الشيء الذي يغيب عن أذهاننا كثيرا ونحن نرشد الناس، ونحن نُعلم الناس ونحن نحمل اسم عالم، أو نحمل اسم عابد أو نحن نقرأ القرآن على الآخرين، أو نُعلم القرآن للآخرين، لا نفهم هذا الربط المهم، الآن نحن نحاول كمسلمين أن نبصر ونسمع، لنرى واقعنا نرى ما نحن عليه، نرى ما يجب أن نعمله، نرى ما ينبغي أن ننطلق فيه، هكذا نشعر بالندم هنا في الدنيا، أليس هؤلاء ندموا عندما قالوا: «فَارَجَعْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا»، على ماذا ندموا، عرفوا أن الأعمال الصالحة هي التي ضاعت فضيعوا أنفسهم بضياعها، عرفوا أن تلك الأعمال الكثيرة التي كانوا يجهدون أنفسهم فيها وهي أعمال باطلة لم يعد لها قيمة، هي سبب الندامة، أليسوا هنا تمنوا أعمالاً صالحة.

الأعمال الصالحة هي نجاتك في الدنيا، هي نجاتك في الآخرة، عملت صالحا لأنه يصلح حياتي ويصلح آخرتي، وسميت أعمال صالحة، صالحة في ماذا، صالحة في الحياة مصلحة في الحياة لنا، ومصلحة في الآخرة لنا ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١).

وما أكثر كلمة: صالحات.

١. الشعراء: من الآية ٢٢٧

اتجاهات الاعمال تحدد الصالح من الطالح

قد يكون إنفاقك ألف دينار يسمى عمل صالح، وإنفاق خمسة آلاف في مجال آخر يسمى عمل باطل، ما الفارق؟ هل مجرد العطاء هو الذي يسمى: صالحاً، إذاً فلتكن الخمسة آلاف هي الصالحة والاف هي العمل الباطل، المجالات التي تتجه في أعمالك نحوها هي التي تحدد أيها صالح وأيها غير صالح، مجالات أعمالك وإلا فكل الناس يعملون.

أليس أهل الباطل يتحركون ويسهرون ويتعبون، أليس أهل الباطل ينفقون الأموال الكثيرة أكثر مما ينفق أهل الحق، هناك إنفاق هناك ألم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾^(١).

إن تكونوا تنفقون فهم ينفقون كما تنفقون، إن تكونوا تتعبون فهم يتعبون كما تتعبون، وهكذا، الأعمال شكليتها واحدة لكن هناك أعمال صالحة غاياتها، منطلقاتها هي التي تجعلها صالحة فيما إذا كانت تسير على هدي الله.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾^(٢).

أليس يتحدث عن الهدي في الحج، عمل صالح؛ لأنه في مصلحتك أنت، وكل ما تبذله من أجل نصر دينك والدفاع عن دينك إنه في مصلحتك أنت في مصلحة البشرية كلها؛ لأن صلاح البشرية صلاح الأمة كله مرتبط بالدين واستقامته، وأن تطبق أحكامه، وأن يسود هديه في هذه الدنيا، هذه هي الأعمال الصالحة، وهي ما يكتشفها المجرمون فيما بعد، وهي ما سيكتشفها كل من أضاعها في هذه الدنيا، سيرى أن تلك الأعمال الصالحة هي نوعية معينة من الأعمال.

١. النساء: من الآية ١٠٤

٢. الحج: من الآية ٣٧

أو لم يكن المجرمون هم من ينفقون كثيرا، كانوا ينفقون كثيرا، رأوا أن إنفاقهم ذلك كله لم يكن عملا صالحاً أبداً، هم من كانوا يتعبون كثيرا من أجل الوصول إلى أهداف معينة، من أجل تحقيق أشياء معينة لديهم اكتشفوها أنها لم تكن أعمالاً صالحة، أليس هذا هو ما سيحصل، أي أنهم لم يكونوا في الدنيا ليس لديهم أي عمل، كان هناك أعمال، ليست الدنيا كلها مليئة بالبشر العاملين، كلهم عاملون كلهم يتحركون، أليس كذلك.

الناس كلهم يتحركون وكلهم يعملون، من هو الذي هو نائم في هذه الدنيا، لكن هناك أعمال صالحة هي ضائعة، هي التي سنكتشف أنها كانت هي المهمة في الدنيا، وأنها هي التي كانت نجاتنا متوقفة عليها، هذا ما سيكتشفه الناس.

فلماذا لا نعمل على اكتشاف الأعمال الصالحة الآن في الدنيا، كل خطاب القرآن هو ليوحى لنا إذاً هنا في الدنيا فاعملوا كذا، إذاً هنا في الدنيا أبصروا واسمعوا، إذاً هنا في الدنيا اكتشفوا الأعمال الصالحة لتنتقلوا في أدائها، ليس مجرد إخبار عما سيحصل من أولئك لمجرد قصة؛ إنه يقول لنا: أبصروا واسمعوا وابحثوا عن الأعمال الصالحة وأنتم هنا في الدنيا حتى لا تكونوا ممن يقول هذا القول في اليوم الآخر ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾،

يقين مثل الشمس.

كتاب الله مصدر اليقين

القرآن يصنع اليقين، أحداث الحياة والنظرة إليها من خلال القرآن تصنع اليقين، الإمام علي صلوات الله عليه وعلى اله الذي حصل على اليقين من خلال الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ومن خلال القرآن الكريم، كان يقول: ((والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا، وعندما يقول أعمالاً صالحة وعندما يقولون: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، هل يعني ذلك أن الله قصر معنا هنا في الدنيا فلم يبين الأعمال الصالحة،

أو قصر في هدايته للناس هنا في الدنيا فلم يكن بين أيديهم ما يوصلهم إلى درجة اليقين، وإنما في القيامة هناك أبان لهم الأعمال الصالحة، وهناك أوصلهم إلى درجة اليقين، لو كان الأمر هكذا ما جاز على الله سبحانه وتعالى أن يقصر هنا في الدنيا في هديه للناس، وفي بين الله تعالى طرق الأعمال الصالحة، لكنهم لا يمكنهم أن يفهموها، ثم يأتي يوم القيامة فيقولون لم تصل إلينا، ونحن لم نعلم بها، ولم يكن في هديك ما يرشدنا إليها، أليست هذه حجة للناس على الله، سنقول بالتأكيد لكن نحن لم نرشد إليها، ونحن لم نعلمها في الدنيا إطلاقاً.

هل ممكن ان يقول شخص لله تعالى يوم القيامة على شيبيل المثال: لماذا تأتي هنا في يوم القيامة وتوضح لنا الأشياء بشكل واضح وجلي جداً! وفي الدنيا كان هناك تقصير من جانبك في كتبك ومن جانب رسلك - حاشا لله تعالى ذلك - لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، هنا في الدنيا بين، وكلمنا في القرآن الكريم عدة مرات أنه بيان، كتاب مبين، ألسنا نسمع هذه الفقرة تتكرر كثيرا في القرآن الكريم، ومن أين تحصل على درجة اليقين في الأشياء، أليس من التبيين، لكن أنت الذي علمت نفسك ألا توقن إلا عندما تضرب في رأسك عندما تحس بالضربة توقن، وهكذا نحن في الدنيا وهؤلاء أسلافنا كعرب الذين حكى الله عنهم أنهم قد يقولون هكذا، هم من لم يوقنوا ولم يسمحوا لأنفسهم أن يتغلغل إلى أعماقها اليقين من خلال التبيين الواضح، لم يوقنوا إلا عندما ضربوا في رؤوسهم، فأصبحت رؤوسهم منكسة ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾. فاليقين هنا موجود في الدنيا في أعلى درجاته.

والإمام علي (عليه السلام) هو الشاهد في كل شيء لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وللقرآن «والله لو كشف لي الغطاء - أي القيامة ورأيت جنة ونار ورأيت كل شيء - ما ازددت يقيناً».

اليقين توفر لدي من خلال القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)

هو الشاهد لرسول الله ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(١).
 الرسول صلوات الله عليه واله هو كان على بينة من ربه وهو يتحرك، ويبلغ،
 ويرى ويعلم، ويتلو ويتبعه شاهد منه.
 الإمام علي هو كان الشاهد الوحيد، الشاهد الكامل في كل مناحي التبليغ
 للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).
 أنه لم يحصل من جانبه تقصير، والرسول هو كان يتحرك بحركة القرآن.
 والقرآن هو متوفر بين أيدينا، لكننا نحن من لا نسمح لأنفسنا أن نوقن، وهكذا
 نحن في الدنيا، وسيكون من هذه نفسيته في الدنيا سيكون هكذا في الآخرة.
 ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، في الآخرة تجل كل شيء... لكنه هنا في الدنيا تجل كل شيء.

الله أكبر

الموت لأمريكا
 الموت لإسرائيل
 اللعنة على اليهود
 النصر للإسلام

١. هود: من الآية ١٧

قوانين الله في كتابه الكريم

الحديث عن الجنة والنار بالشكل التفصيلي، الحديث عن النار، عن عذابها وشدته، عن طعامها، عن شرابها، عن لباس أهلها، عن صراخهم فيها، ألم يتحدث عنه القرآن في أجلى صورة، وبطريقة فنية عجيبة تكاد أن ترى ذلك المشهد من خلال حديثه عنه، فتوقن، الجنة كذلك، أهوال القيامة، أهوال ذلك اليوم كذلك جاءت بالتفصيل داخل القرآن الكريم، لكن أنت من لا تصغي لهذا القرآن ابتداء من أن تفهم أنه من عند الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا تكرر كثيرا في القرآن ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، من الله.

أنظر إلى القرآن الكريم أنه من الله، وتعرف على الله سترى كلمات هذا القرآن مهمة وتراها كاملة، وترى فيها البيان، وترى فيها التوضيح الذي يوصل إلى درجة اليقين في كل شيء، ولكن لا أتعامل معه على أنه خطاب من الله هذا ما يحصل لدى الكثير منا.

تأتي ورقة خطاب من الرئيس أمر إلى أهل منطقة فيتعاملون مع تلك الورقة بكل جد واهتمام ويجمعون ويتشاورون كيف يعملون من أجل تنفيذها، أو من أجل درء الخطر والتهديد الذي فيها عن أنفسهم.

لكننا هنا بالنسبة للقرآن الكريم لا يحرك فينا شعرة ولا نتجمع لنعرف كيف ننفذ ما فيه حتى ندرأ عن أنفسنا الخطورة التي تحدث عنها وهو يختلف عن أوامر الآخرين.

قد يأتيك أمر من الرئيس فيه تهديد مبهم وأنت الذي ستفكر وتبحث عن كيف تدفع عن نفسك ذلك الخطر، أما القرآن فقد تولى هو لأنه من الله الرحمن الرحيم، الحديث عن الخطر ثم إرشادك إلى كيف تقي نفسك منه، ثم يعطيك جائزة عظيمة وأنت تتحرك في درء ذلك الخطر عن نفسك في الدنيا هنا وفي الآخرة، أليس هذا هو أكمل من أي بيانات أخرى أو من أي أوامر أخرى تأتينا من عند الآخرين.

تلك البيانات وتلك الأوامر التي تهز مشاعرنا وتجعلنا نجتمع ونتشاور كيف نصنع وكيف نعمل في تنفيذها، أو في الدرع عن أنفسنا خطورتها والتهديد الذي فيها، لو يقول لك شخص: [اترك هذه الورقة، ستقول هذا أمر من الرئيس وليس كلام فارغ]، أليس أي شخص سيقول هكذا، هل نحن نقول هذه العبارة مع القرآن الكريم هَذَا ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

هل نحن نقول هذه، بل ندرسه دَرَّوْسَه، لا نستشعر من أين نزل ولا ماذا يريد، فتلوه تلاوة لا تقدم لأنفسنا على المستوى العملي شيء.

﴿هُدًى لِّلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ حَرَامٍ كَرَامَةٍ لِّلْإِنسَانِ﴾

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٢).

ماذا كان ينتظر أولئك الناس، ما هو الهدى الذي كانوا ينتظرونه، أن يساقوا سوقاً رغماً عنهم وقسراً إلى كل قضية فيها أجر كبير لهم، إلى كل عمل فيه مصلحة لهم، إلى كل عمل فيه درء للعذاب عن أنفسهم، أن يساقوا سوقاً بالعصا، يمسك الإنسان

١. الواقعة: ٨٠.

٢. السجدة: من الآية ١٣.

بمقدمة رأسه فيساق بالقوة رغماً عنه إلى الصلاة، ثم يساق رغماً عنه إلى ميادين الجهاد، ثم ترفع يده رغماً عنه كذلك ويضرب رغماً عنه، يضرب بها الآخرين رغماً عنه، هل كنت تنتظر حركة من هذا النوع.

هذا ما لا يمكن، لقد جاء الهدى على أعلى مستوياته، وجاء الهدى في أبين آياته وأحكامها وأكثرها تفصيلاً ووضوحاً، كان بالإمكان أن نهديك هذا النوع من الهدى، كما يفسرون هذه الآية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

يقولون على طريقة القسر والإلجاء، أن يمسكك بإذنك إلى المسجد ويضعك بين الماء تتوضأ رغماً عنك، ويرفعك وتصلي رغماً عنك، وأربعة أو خمسة ملائكة بأيديهم سياط يضربونك ووراءك أينما ذهبت.

لكن هذا ليس هدئ، أنت حينئذ لست إنساناً، إنك إنسان لك درجتك ولك كرامتك، ماذا سيكون الإنسان حينئذ إذا كان على هذا النحو، ماذا يقال له، قد يقال له: حمار!! هل كنت تريد في الدنيا هذه أن تساق كما يساق الحمار.

إن الله قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١).

حملك في البر على هذه الدواب، وهداك هداية توفر لك الكرامة وفيها كرامتك، وتحركك فيها وأنت تطبق أي شيء منها هو كرامة لك وعز لك، في حياتك وأنت تتناول طعامك وشرابك بشكل تكون فيه مكرماً، أنت واقف منتصب القامة تصل بطعامك عن طريق يدك إلى فمك، لكن تلك الحيوانات الأخرى التي سخرت لك هي من تتناول طعامها بفمها.

هل كنت تنتظر أن تساق في هذه الدنيا كما تساق تلك الحيوانات التي كرمناك بأن جعلناك نُحْمَل عليها ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، لو كنا نريد أن

١. الإسراء: من الآية ٧٠

نساق كتلك الحيوانات التي نسوقها في البر؛ هل كنت تنتظر من الله أن يسوقك كما تسوق أنت الحمار الذي تركبه، وهو يقول لك: إنما سخر ذلك الحمار لك، تكريماً لك، وأنه من مصاديق تكريمه لك أن سخر لك تلك الحيوانات.

إذاً فالهدى هو في متناولك على أعلى درجاته بالشكل الذي يتناسب مع تكريمك، ولكنك من أهنت نفسك، من أصبحت في واقعك كما قال الله عنك: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١).

أنت تريد أن تتهرب من التكريم حتى في وسيلة الهداية لك، وأنت من ترفض أن تتناول طعامك وشرابك على غير طريقة التكريم، أما الهدى من الله وهو أكرم من طعامك وشرابك فتريد أن يقدم لك على غير شكل التكريم.

الله جعلنا نتناول طعامنا وشرابنا بطريق مشرفة وكريمة، لكننا نريد أن يعطينا الأهم من الشراب والطعام بشكل مهين! أن يجعل أربعة من ملائكته مع كل شخص منا، وبأيديهم السياط والحبال فيسوقون كل واحد منا كما يساق الحمار، كيف سيقول لك الملك وهو يسوقك بالسوط، تفضل أو كما تقول للحمار، أنت تقول للحمار تفضل اخرج، أو تفضل ادخل، أو تقول بعبارات أخرى لا تعني أكثر من عبارات الدفع والسوق.

العبودية لله كرامة للإنسان

يجب أن نفهم تكريم الله لنا، وأن تكريمه لنا في هدايته، وأن من الحكمة أن تقدم هدايته لنا بالشكل الذي يتناسب مع تكريمنا؛ أما أن يكرمنا فيما يتعلق بتناول الطعام والشراب ثم لا تكون الهداية بالشكل الذي فيها تكريم لنا وعن طريقة أنفسنا، نحن نعقل، نفهم، نوقن، نشق، نصدق، ننطلق نتلمس آثار الكرامة في كل جانب من

١. الفرقان: من الآية ٤٤

جوانب هدايته لنا، أليس هذا بوسعنا.

وسترى كيف سيصل الناس وتصل أنت إلى العزة، أليست العزة هي للمؤمنين،
إذاً فكنت ممن يقترح على الله أن يكون أولياؤه كالحمير!
إذا كنت تنتظر هداية من ذلك النوع القسر والإلجاء هو يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

العزة للمؤمنين، هل ستكون العزة لأولياء الله أن يساقوا كما يساق الحمير عن
طريق ملكين أو ثلاثة بعد كل شخص منهم، ليست هذه عزة.

أو لم يحرم الإسلام التعذيب للإنسان حتى وإن كان كافراً! التعذيب في السجون
محرم وفي القوانين الدولية أيضاً، من ضمن بنود حقوق الإنسان القائمة التي فيها
تنظيم لحقوق الإنسان ورعاية حقوقه كقانون دولي، تحريم تعذيبه في السجون؛ لأنه
يتنافى مع كرامته، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾، هل تريد أن ترى هدى من هذا
النوع الذي كنت تقترحه على الله سبحانه وتعالى، وهو الشيء الذي لا يمكن أن
يعمله، انظر إلى السجون إلى التعذيب هناك هدى بوسائل التعذيب.

أليس السجن يحاول فيك أن يهديك لأن تطيع السلطة، بتلك الطريقة بتعذيبك
بالقيود وبالكهرباء وبوسائل أخرى، هل ذلك تكريم للسجين، أو أنه إهانة ممن
يفعله.

الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تكون هدايته للآخرين على هذا النحو؛ لأنه
الكريم وهو العزيز هو من يريد أن يكون أولياؤه كرماء وأغزاء.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾، يجب أن نفهم هذه: أن الله قد هدانا وشاء
هدايتنا لكن على الشكل الذي فيه كرامتنا، حتى وهو يعبدنا لنفسه سبحانه وتعالى

١. المنافقون: من الآية ٨

يقول لنا: أن تعبيد أنفسنا له هو حربيتها، هو كرامتها، هو عزتها، وقد وضع في الحياة في الحاضر والماضي من الحياة أمام كل جيل الشواهد، الشواهد على أن العبودية لله هي الكرامة وهي العزة، وهو سبحانه وتعالى يعبدك لنفسه ليس كأى ملك آخر يحاول أن يطوعك لنفسه، هنا إذلال.. هنا إهانة.. هنا قهر. أما من جانب الله سبحانه وتعالى فهو تكريم وعزة وتكريم الله لنا وعزته لنا تمثلت في هدايته على هذا النحو الذي قدمه لنا.

ثم انظر في القرآن الكريم تجد أن خطابه معك على الشكل الذي يراعي تكريمك، يراعي كرامتك حتى وهو يوجهك إلى أن تنفق في سبيله، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾^(١). ويقول: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^(٢).

يتحدث مع الناس بمنطق لطيف، وبأسلوب رحيم، وبأسلوب يجعل الإنسان أمام الله، كم الفرق بيننا وبين الله، من نحن في واقع أنفسنا بالنسبة لله سبحانه وتعالى، لا مقارنة لكنه كرمنا وهو يتحدث معنا بنحو يوحي بتكريمه لنا.

نحن من نرى أنفسنا أذلاء أمام أشخاص يذلون أنفسهم لأمريكا وإسرائيل، نبدو أعزاء أمام الله سبحانه وتعالى، ونبدو كباراً في مواجهة الله سبحانه وتعالى، نبدو كباراً ونتحدى ونرفض وكم هو الفارق بين الله وبين أولئك الذين نذل أنفسنا لهم، ونطوع أنفسنا لهم، أليس الفارق كبيراً! أليسوا هم في واقعهم إنما هم عبيد أذلاء لله، وقد يكون الكثير منهم في قائمة ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٣).

فنذل أنفسنا لمن هم أضل من الأنعام ولا نذل أنفسنا لله سبحانه وتعالى،

١. البقرة: من الآية ٢٤٥

٢. الزمر: من الآية ١٦

٣. الفرقان: من الآية ٤٤

وتذليل أنفسنا له هي الكرامة، هي العزة.

اتباع هدى الله هو الفوز بالدنيا النجاة من جهنم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

هناك في الوسط أشياء كثيرة جدا بين ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾، وبين ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾، لا تعني العبارة بأنه كان بإمكانني أن أهدي كل شخص، ولكن سبق مني يمين أن أعذبهم وسأعذبهم، ليست القضية على هذا النحو.

لقد هدى الهداية الكافية، وتوعد هنا في الدنيا أولئك الذين قدم إليهم هداية ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾^(٣).

ألم يكرر حديثه مع الناس وهو يهديهم، وفي نفس الوقت قال إذا ما سرتهم في طريق الشيطان إذا ما اتبعتم الشيطان فإني قد أقسمت ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

من تبع الشيطان ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥).

أقسم أن يملأ جهنم من أين، من تبع الشيطان، ممن أعرض عن الهدى، ممن أعرض عن ذكر الله، ممن رفض الإذعان والتسليم لله سبحانه وتعالى.

سبق القول في الدنيا، أنه سيملاً جهنم ممن يتبعون الشيطان وقد علمنا طريقة الشيطان وحذرنا من الشيطان، ألم يقل إنه لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ

١. السجدة: ١٣.

٢. الأنفال: من الآية ٢٤.

٣. النساء: من الآية ٥٩.

٤. السجدة: من الآية ١٣.

٥. الأعراف: من الآية ١٨.

لَكُمْ عَذُوبًا فَاتَّخِذُوهُ عَذُوبًا إِنَّهَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١).

لقد سبق كل شيء منه، وعده هو لا يمكن أن يتخلف، وسيرى هؤلاء أيضا الذين وقفوا منكسين لرؤوسهم ويقولون هذا الكلام سيرون أنفسهم عندما يساقون إلى جهنم أنه لا عذر لهم إطلاقا، وأنهم جديرون بأن يساقوا إلى جهنم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٢).

﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٣).

ليست كلمة زلة مني وضحت في الدنيا كل شيء، وهادي كان شاملا لكل شيء وعلى أيين ما يمكن أن يكون الخطاب معكم أنتم من كنتم تتناسون، إذا ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، يومكم هذا - يوم القيامة - إِنَّا نَسِينَاكُمْ كنتم في الدنيا ناسين لهذا اليوم لا تحسبون حسابه ينذركم المنذرون عن خطورة هذا اليوم، ويبينون لكم طريق النجاة في ذلك اليوم، فكنتم تنسون كل شيء، وتتناسون كل شيء، إذا فذوقوا أثر نسيانكم ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾، وإن كنتم تنكسون رؤوسكم بين يدي وتقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، لا سماع لكلامكم هذا، أنتم منسيون أنتم متروكون؛ لأنكم أنتم من نسيتم أنفسكم، هكذا يعني الكلام من الله سبحانه وتعالى فيما نفهم.

﴿فَذُوقُوا﴾

يقول لمن، لأولئك الذين هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾، يقول لهم: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا

١. فاطر: ٦.

٢. الأنعام: من الآية ٣٠.

٣. السجدة: من الآية ١٤.

عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^(١).

بأعمالكم أنتم يا من تقولون نريد أن نرجع فنعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل، كنتم تعملون الأعمال السيئة، وكانت قائمة الأعمال الصالحة أمامكم واضحة، فكنتم من تنصرفون عنها، وتذوبون في تلك الأعمال الباطلة القبيحة الشريرة التي أوصلتكم إلى هذه العاقبة السيئة، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

الله لا يظلم أحداً، لا يظلم الناس مثقال ذرة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا العذاب هو بأعمالكم أنتم، وأعمالكم التي كنتم تنطلقون فيها بكل جرأة.

سبب عزوف الناس عن اتباع الحق

أوليس الناس في هذه الدنيا في الباطل ينطلقون في الأعمال الباطلة برغبة، وينفقون أموالهم في الباطل، ويتحركون في الباطل، بل يلومون من يتحرك بالحق أليس كذلك؛ هل أحد هنا في الدنيا يكره الناس على الباطل، هم من ينطلقون في أعمال الباطل برغبتهم وبشوقهم ويبدلون من أجله نفوسهم وأموالهم.

هذه آثار أعمالك تلك التي كنت في الدنيا لا تكره عليها من جانب أحد، وكنت في الدنيا أيضاً قد حذرت من عواقبها.

إذاً هي تلك الأعمال التي أضعتها، التي لم تكن تنساق إليها إلا كرهاً ومجاملة، لم تكن تنطلق فيها إلا بتثاقل، إلا بتحيل وتملص، هي الأعمال التي ستطالب بها يوم القيامة.

١. السجدة: ١٤

٢. السجدة: من الآية ١٤

أوليس الناس هنا في الدنيا كل من تحرك ليرشد الناس لينذر الناس تلمس من الناس تثاقل نحو الأعمال الصالحة، يتثاقلون وتباطئون، بينما هو يقول إن المفترض هو أن الناس يتسابقون نحو الأعمال الصالحة، ويسارعون إليها.

أليس الناس ينطلقون في الأعمال الباطلة دون توجيه ودون إرشاد، بل يكتفي الشيطان وأولياء الشيطان بوسوسة وأنت ستنتقل أوتوماتيكياً وبكل رغبة.

الشيطان يوسوس لكن الله هنا يصدر آياته ويملاًها إنذاراً، ويملاًها هداية، وتكرر على مسامع عباده دائماً، فلا ينطلقون، لا ينطلقون في أداء الأعمال التي ترشد إليها كما ينطلقون في الأعمال التي يوسوس لها الشيطان وسوسة.

المنافقون أليسوا يؤثرون في الناس أكثر مما يؤثر المصلحون، لأننا نحن لم نتهيب من الأعمال الباطلة، ولم نروض أنفسنا على الرغبة في الأعمال الصالحة، وعلى الانطلاق فيها من خلال معرفتنا لآثار هذه، وآثار تلك فننتقل في الأعمال الباطلة ونتثاقل في الأعمال الصالحة، ثم يوم القيامة ستكتشف المسألة أننا سندوق وبال أعمالنا.

هل ستبقى لأحد منا حجة على الله سبحانه وتعالى إذا ما قيل له: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾! سترى نفسك أنت تقول [والله فعلاً، فقد كنا نطلق في هذه الأعمال التي جرتنا إلى هذه العاقبة السيئة ولا نرضى نتوقف، ولا نسمع من ينذرنا، ولا نتوقف إذا ما انطلق أحد من الناس يحذرنا عواقبها، ولا نقبل على الأعمال الصالحة التي نحن الآن نبحث عنها].

﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، سترى أنت نفسك أنه لا حجة لك على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه قال لك: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ومن منا سيرى نفسه أنه كان في الدنيا يكره على الباطل، ثقلت عليك الأعمال فليل لك: ذق بما كنت تعمل تلك الأعمال التي كنت تنطلق فيها برغبتك واختيارك، وتنساق من تلقاء نفسك، هل سترى أن لك عذراً، وأنت من كنت تعمل تلك الأعمال على هذا

النحو.

لا تتصور بأنها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أنني كنت في الدنيا أكره على هذه الأعمال، لو كنت تكره لما حسبت عليك، وليس هذا ملغي في التشريع، أن ما أكرهت عليه، كثير من الأشياء التي تكره عليها لا تؤاخذ عليها، كثير من الأشياء تكره عليها لا تعد نافذة لو أكرهت على أن تبيع مبيعاً معيناً، أو أكرهت على أن تطلق زوجتك، لا ينفذ، أليس هذا من رحمة الله.

إذاً فهذه الأعمال بما كنتم تعملون، هي الأعمال التي كنا لا أحد يوقفنا عن الانطلاق فيها، ولا نصغي لأحد يطلب منا أن نرفضها وأن نتركها، وأن ننطلق في الأعمال الصالحة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا هنا في الدنيا، أن يجعلنا ممن يبصرون ويسمعون، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن ينجيننا من جهنم، وأن ينجي كل واحد منا من أن يكون ممن يقول هذه الكلمة: ﴿رَبَّنَا أَبْصِرْنَا وَاسْمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، وأن يزيدنا يقيناً في الدنيا، وبصيرة في الدنيا، ونحن ما نزال في هذه الدنيا نستطيع أن نعمل، ونستطيع أن ننطلق على هداه، إنه على كل شيء قدير.

الأنبياء

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الأسئلة التقويمية

١. ما هو المفهوم المركزي الذي يناقشه هذا الفصل؟
٢. كيف تم عرض دور الله سبحانه وتعالى في تربية الإنسان في هذا الفصل؟
٣. ما هي الآيات التي استند إليها الشرح؟
٤. كيف تناول الكراس مفهوم الخوف من الله والثقة به؟
٥. ما الفرق بين من يخاف الله ومن يخاف من دون الله؟
٦. ما هو تأثير الإيمان على سلوك الإنسان العملي كما بينه الفصل؟
٧. كيف وظف المؤلف الآيات القرآنية لتوضيح مواقفه؟
٨. ما هي أبرز الموجهات الأخلاقية التي تناولها الفصل؟
٩. كيف تحدث الكراس عن دور الرسول في الهداية؟
١٠. ما أهم الاستنتاجات التربوية التي يمكن أن نخرج بها من هذا الفصل؟

الفصل الثالث عشر

تأملات عملية من سورة السجدة

الدرس

الأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾^(١).

مُقَدِّمَةٌ

كلامنا حول الآيات سواء هذه أو غيرها، ليس على نمط التفسير، إنما هو كلام أشبه شيء بالاستيحاء من الآيات أو تأملات عملية نستفيد منها من هذه الآيات المباركة أو غيرها.

القرآن هو كتاب للحياة كلها، وكل أحداث الحياة لا يخلو حدث منها عن أن يكون للقرآن نظرة إليه وموقف منه، ونحن نريد - إن شاء الله - جميعاً أن نحیی القرآن في أنفسنا، فإذا ما عدنا إلى تلاوته - كما هو المعتاد - سواء في شهر رمضان أو

١ . السجدة: من الآية ١٥

في غيره تكون تلاوتنا له تلاوة إيجابية، نتأمل، نتدبر، نستفيد من آياته، ولا شك أن أي حديث حول آيات القرآن الكريم ما يزال حديثاً قاصراً وناقصاً، لا أحد يستطيع مهما بلغ في العلم والمعرفة أن يحيط علماً بعمق القرآن الكريم؛ لأن كثيراً مما يمكن أن يعطيه القرآن، مما هو من مكنون أسرارهِ، إنما يساعد على كشفه وتحليله، المواقف، والمتغيرات والأحداث.

ما روضت عليه نفسك بالدنيا هو ما ستعيشه بالآخرة

قراءة كتاب الله بتأمل، وقراءة أحداث الحياة بتأمل، وقراءة النفوس، وسلوكيات الناس بتأمل هي ما يساعد الإنسان على أن يهتدي، على أن يسترشد، على أن يستفيد من خلال القرآن الكريم.

بعد تلك الآيات العظيمة من أول السورة من [سورة السجدة] والتي تحدثنا حولها بالدروس السابقة بمقدار ما نفهم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

آيات الله هي: أعلام على حقائق، هي حقائق ثابتة، وسميت آيات: لأنها أعلام على حقائق، حقائق في واقع النفوس، حقائق في الحياة، حقائق في مجالات الهداية كلها، حقائق تتحدث عما سيحدث يوم القيامة، أنها أشياء لا بد أن تحصل، وأن هناك من سيقول: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٢).

والآيات القرآنية هداياتها واسعة جداً، تهدي في عدة اتجاهات؛ كما فهمنا من أن قول الله تعالى حاكياً عن أولئك الذين سيقولون وهم منكسون لرؤوسهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

١. السجدة: ١٥.

٢. السجدة: من الآية ١٢.

أنها تكشف حقيقة نحن عليها في واقعنا في الدنيا هذه.

أولئك الناس - وهم أكثرنا - الذين لا يؤمنون بالخطورة ولا يعملون الاحتياطات اللازمة، ويعدون العدة لمواجهة الخطر، وإنما يسوفون ويتناسون حتى يداهمهم الخطر.

قلنا أيضاً: أن هذه إذا كانت طبيعة لدينا، إذا كانت حالة نفسية ثابتة لدينا فهي خطيرة جداً علينا؛ لأنها لن تكون في الدنيا، بل ستكون في الآخرة أيضاً، من هذه حالته، من هذا واقعه هكذا: لا يهتم بالإعداد للخطر المحتمل فإنه أيضاً لن يهتم، ولن يعد للخطر المتيقن.

نحن نقول كلمتين؛ في الدنيا نقول أمام الخطورة المحتملة: [عسى أن الباري سيهلكهم]، ونقول أمام الخطورة المتيقنة: [الله غفور رحيم] أليست حالة واحدة.

يجب أن نروض أنفسنا هنا، نفسيتك في الدنيا هي النفسية التي ستحشر بها يوم القيامة، ستحشر أنت وأنت أنت، كما لو قمت من مرقدك الصباح، النفسية التي كنت عليها هي التي ستبعث عليها يوم القيامة [لا غيرها] [الله غفور رحيم] تأتي وأنت لم تعد لها عدة فتكون خلة كبيرة جداً، [الله غفور رحيم] سيأتي يوم القيامة وترى بأنه كان موضع الرحمة والغفران هنا في الدنيا أن تتسبب هنا في الدنيا، فيرى الناس أنفسهم بأنه لا كلمة [الله غفور رحيم] هي التي ستنفعهم.

خوف اليهود من الدين الحق

وقلنا: هؤلاء هم كانوا عرباً، هم عرب الذين سيقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، نتحدث عن مجرمين، ممن يقولون: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١).

هذه حالة كانت عند العرب القدامى وما تزال قائمة فينا، ولكن يبدو أنها تعمقت وترسخت أكثر وأكثر مما كان لدى الماضين.

ونجد لهذه أثرها السيئ في مجال المقارنة بين واقعنا نحن وواقع أعدائنا من اليهود والنصارى، تراهم لا يفكرون هذا التفكير إطلاقاً، يضعون الخطط وينطلقون في الأعمال التي تحول دون أن يداهمهم خطر محتمل ولو بعد مائتي سنة؛ لهذا فاقونا، ولهذا ضربونا.

القرآن يعتبرونه مشكلة لديهم، الإسلام يعتبرونه مشكلة لديهم، يشكل خطورة بالغة؛ لأنه فيما إذا رجعت هذه الأمة إلى الإسلام تلتزم بدينها، وإلى القرآن الكريم تعمل به، وتهتدي به فإنه فعلاً ستصبح هذه الأمة قوية جداً، لا تستطيع تلك الدول مهما كان لديها من أسلحة، مهما كان لديها من إمكانيات أن تقهر هذه الأمة.

فهم يعملون جاهدين من زمان من مئات السنين، بل بلغ بهم الحال في بعض مراحل التاريخ في اسبانيا بعد أن ضربوا المسلمين هناك، أرغموهم في الأخير على تغيير أسمائهم، وأسماء أبنائهم، تغيير الأسماء الإسلامية إلى أسماء أخرى أوروبية، من نحو [جورج] ونحوها، أسماء أخرى؛ لأنه حتى المفردات الإسلامية، المفردات العربية، المفردات القرآنية، الألفاظ، هم يرون أنها تترك شعوراً، أو أثراً أحياناً قد

١ . السجدة: من الآية ١٠

يكون أثر لا شعوري، وأن هذا يبذر بذرة ارتباط داخل أعماق النفس، فتهيئ الإنسان للاستجابة في أي زمن، فهذه خطوة؛ يغير الاسم، تغير المصطلحات مهما أمكن كما وجدنا من تغيير كلمة: [جهاد] ونحوها.

لماذا يعملون هم على أن تضيع كلمة: [جهاد] من أوساط المسلمين ونحن المسلمون نرى أنفسنا نقرأها كثيراً في القرآن الكريم ولا نتأثر.

هم يرون أنه وإن كنت الآن تقرأها ولا تتأثر بها، لكن تكرارها على مسامعك سيترك أثراً ولو كان أثراً لا شعورياً، أقل ما يمكن أن يترك هذا هو: أن يكون هذا المبدأ مقبولا لديك، متى ما جاء من يحركك، ومتى ما وجدت الإمكانات بين يديك، أليس كذلك، أليس هذا ما نجده في أنفسنا أحياناً متى ما وجدنا من يتكلم معنا، أو وجدنا من يتحدث عن واقعنا، أو وجدنا من يعمل على إحياء هذا المبدأ في نفوسنا.

هذه الخطوة: هم لم يكتفوا بأن يقولوا: ها هم الآن يقرؤون القرآن ولم يتأثروا به أو ربما أنت لا تتأثر به، تموت وأنت غير متأثر به، لكن ابنك ما زال وابنك أيضاً سيقراً القرآن وسيجد فيه الكلمات هذه: [جهاد.. جهاد.. جهاد.. الخ.

حتى الربط بالأعلام أيضاً عندهم قضية خطيرة؛ ولهذا رأينا نحن وأنتم جميعاً أنه كيف غيب الحديث عن الإمام علي وأهل البيت «عليه السلام» في المناهج الدراسية، وغيب الحديث عنهم في وسائل الإعلام، وغيب الحديث عن آثارهم عن طريق الثقافة، ولم تبد وزارة الثقافة في أي بلد، اهتماماً بالآثار آثار أعلام أهل البيت «عليه السلام»، لأن الربط بالأعلام أيضاً مهم جداً، إذا ما رسخ في أنفسنا عظمة علم من أعلام الإسلام المتكاملين والكاملين فعلاً، فلو كان مجرد اسم يتردد على ألسنتنا لكن قد يأتي من يجعل هذا الاسم فاعلاً ومؤثراً.

كان الإمام الحسين (صلوات الله عليه) يتردد كثيراً في أيام عاشوراء، وفي غير عاشوراء في أوساط الشيعة الجعفرية كثيراً ويبكون، ويلطمون، لكن كانت كلها

مظاهر عاطفية، فجاء الإمام الخميني قدس سره الشريف فاستطاع أن يجعلها ذات تأثير كبير، إحياء عاشوراء، الحديث عن الحسين (عليه السلام) لدرجة أنه قال: «كل ما لدينا من عاشوراء».

إذاً ذلك الاسم الذي تردد مئات السنين في أجواء عاطفية بحتة، لم يربط به جهاد، ولم يربط به اتخاذ موقف، ولم يربط به عمل لرفع معنويات الأمة، لاتخاذ موقف ما من أعداء الأمة وأعداء الدين، ألم يصبح فاعلاً. عندما جاء من يجعل له حيوية في نفوس الناس.

وهكذا الآن في جنوب لبنان في أوساط [حزب الله] يصرخون باسم الحسين (عليه السلام)، بل أصبحوا يتذوقون عاشوراء بشكل آخر يختلف عما كانوا عليه يوم كانوا يتحدثون عن عاشوراء من الجانب العاطفي فقط، وأصبحوا يستلهمون من كربلاء ومن عاشوراء، ومن الحسين الأشياء الكثيرة جداً، التي تدفع بهم وبشبابهم إلى ميادين الجهاد.

الحسين (عليه السلام) الذي عاش مئات السنين داخل الطائفة الاثنا عشرية جامداً في نفوسهم، ألم يفعل في مرحلة من التاريخ، واستطاع أن يحرك أمة. وهما نحن نرى إيران أليست إيران تشكل عقبة أمام الغرب فيما ننظر إليها نحن وفيما نفهم، أن الغرب ينظر لإيران شيئاً، ولبقية العرب المسلمين شيئاً آخر.

ونرى كلنا كيف افتى السيد السيستاني دام ظله في فتوى الجهاد الكفائي من حرم الامام الحسين (عليه السلام) ليتشكل الحشد الشعبي ويقوم بدور بطولي حسيني في دحر المخطط الأمريكي لتقسيم العراق.

صناعة القدوات الاصطناعية المزيفة

وهكذا رأينا كيف أنه في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى شخصيات أخرى تقدم للأمة، ويتحدثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد، في المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان. هذه الشخصيات عند من يفهم واقع الأمة الآن أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكمون تقريباً في كل شيء، في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الشخصيات - كالسياسي وعبد الله ابن الحسين وعبد الله ابن زاير ومحمد ابن سلمان - لا تصنع شيئاً؛ لأنه ليس باستطاعته أن يحركك، ليس فيه ما يحركك، إنما هي - كما يقال -: [نمور من ورق] فيعمل الأمريكي ومن هو في دائرته، لنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدم ولا تؤخر، ولو تكرّر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئاً في النفوس؛ لأنه عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى تلك الشخصية لتستلهم منه شيئاً تجده فارغاً لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك.

لكن أعلاماً كالإمام علي «عليه السلام»، كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد الشهيد، والامام الهادي، والقاسم، وغيرهم «عليهم السلام»، ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان، أو التفت الأمة لتستلهم منهم شيئاً سترى ما يشدها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام.

هكذا يفكر أولئك الناس، وهم ينظرون إلى القرآن، أو ينظرون إلى أعلام الإسلام أنه قد يكون هذا الاسم، وقد يكون هذا الكتاب وإن لم يكن له أثر الآن، وإن كنا نرى هذه الأمة قد ضربناها ضربة قاضية، لكن ما يزال هذا يشكل خطورة ولو بعد حين، فيجب أن نعمل على إقصائه بأي وسيلة. وهذا هو ما يوجب علينا أن يكون لنا موقف وأقل موقف هو: أن نصرخ بهذا الشعار:

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

ذلك لأنه لو سكتنا هل سيسكتون أولئك، لن يسكتوا، إذا ما سكتنا سيقولون أيضاً: هذه المدرسة أيضاً إرهابية، هذا الكتاب إرهابي.

قد نتوقع ببساطة تفكيرنا أنه إذا سكتنا - أفضل نسكت - قد نتوقع أنهم سيسكتون، السكوت سيدفعهم إلى أن يعملوا للحصول على تنازلات كثيرة أخرى، ويعملوا ليصلوا إلى ضرب أشياء أخرى، لن يسكتوا، يجب أن نفهم هذا: لن يسكتوا ولن يتوقفوا إلا متى ما تحركنا نحن وصرخنا في وجوههم، سيسكتون وسيتوقفون، أما إذا سكتنا فالخطورة هنا، الخطورة البالغة هنا.

بعض الناس قد يقول: نسكت [لا نكلف على أنفسنا] إن السكوت هو الخطورة، لو كان السكوت هو من ذهب - كما يقولون - لما تحدث القرآن الكريم عن الجهاد، عن التضحية، عن الاستبسال، عن إنفاق الأموال، عن التواصي بالحق. أليس القرآن كله حركة وكلام، أم أنه صمت وجمود، كله حركة وكله كلام.

فعلا قد يكون السكوت من ذهب ليذهب كل شيء، إذا ما سكتنا سيذهب ديننا وستذهب كرامتنا ونذهب - ونعوذ بالله - إلى الجحيم في الأخير، يذهب الناس إلى الجحيم.

بعد حين سينطلقون فعلاً ليتخذوا القرار الملزم بإيقاف هذا الصوت، بإغلاق هذه المؤسسة، بسحب هذا الكتاب من الأسواق، بإغلاق هذا المسجد، بنفي هذا الشخص، وهكذا، ثم لن يتوقفوا أيضاً حتى يكون في الأخير من يؤمن بالفكرة هو إرهابي؛ لأنه احتمال وأنت تؤمن بالفكرة وإن كنت في حالة استضعاف، وأنت ساكت ربما تتكلم مع أحد من الناس فتؤثر عليه، وربما هذا الشخص الذي تؤثر عليه قد يصادف زمناً يكون هناك قابلية لكلامه أن يؤثر في الآخرين.

هذا الهاجس لديهم: مواجهة كل خطر محتمل ولو بعد حين، وإن كانت نسبة خطورته عليهم بأقل من ١٪.

لاحظوا هناك أمثلة تشهد على من كان ينظر هذه النظرة أنه سيظل يعمل هذا العمل باستمرار وسنرى من أبناء وطننا من مسلمين مناله موقف من عقيدتك الفلانية، يظل مبايناً لك، يظل يظلمك، لا يعمل على توفير أي شيء لك.

كما نحن بالنسبة للإمامة؛ لأنهم يعرفون أن الإمامة كعقيدة ما تزال في بطون كتبنا ما تزال قضية تؤمن بها وندين الله بها، باعتبارها عقيدة دينية لدينا، على الرغم من أنهم قد نصوا في الدستور: بأن الدستور يسمح بحرية الاعتقاد، وهم يعلمون أنه لا وجود للإمامة، ليس هناك إمام، ليس هناك حتى إمكانيات عند هؤلاء الناس الذين ما يزالون يعتقدون هذه العقيدة.

أليس ياسر عرفات يسجن في بيته، هل هناك أحد من العرب يتعاطف معه من الزعماء أنفسهم - لأنهم عادة يتعاطفون مع بعضهم بعض - لا أحد يتعاطف معه، هو من داخل غرفته يحاول أن يتصل بالأمريكيين أو بواسطة أشخاص من وزراء حكومته يتصل بالأمريكيين بحثاً عن السلام، لا يبحث عن السلام من قبل زملائه

العرب؛ لأنه يعرف أنهم من هذه النوعية، لا يهتمون بشيء! وأن الموقف في الأخير لمن سكت في الماضي حتى داهمه الخطر، ماذا سيكون موقفه، هو أن يسكت أثناء مواجهة الخطر، بل سيكون أكثر التزاما بالصمت.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

المؤمن يبحث عن رضى الله

نحن ننسى أيضاً أننا كمسلمين إذا ما فرطنا فإننا سنُضرب من جهتين مع بعض: نضرب من جهة أعدائنا، ونضرب من جهة ربنا أيضاً، والخطورة البالغة هنا، يضرب الناس بخزي، وذلة، وشتات، وتباين للنفوس، ويضرب على قلوبهم، يضرب الله قلوب بعضهم ببعض، والأعداء من هناك يشتغلون في أوساطهم يضربونهم، هنا من جانب الله كعقوبة، ومن جانب أولئك لأغراض أخرى، من منطلق العداوة.

والله عندما يضرب الناس هو حذرهم في كتابه، وهو ما كان حديثنا في الدروس السابقة حوله، الوعيد في الدنيا، يجب أن نفهم هذه: أن الخطورة البالغة على كل تقصير يحصل من جانبنا في الدنيا هنا.

إذاً فيجب أن نكون ممن قال الله عنهم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾^(١).

مطلوب هنا أن يؤمن الناس بآيات الله، إنها حقائق ثابتة في كل ما تناولناه، في كل ما تحدثنا عنه، لكن نوعية من الناس هم وحدهم من يؤمنون بها هم أولئك ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

الإنسان المؤمن قد يعتريه - أحياناً - ذهول عن أهمية بعض الأشياء، قد يكون

١. السجدة: من الآية ١٥

٢. السجدة: من الآية ١٥

غير مستشعر: أن هناك واجباً يجب أن يؤديه، أن هناك عملاً يجب أن يشترك فيه، أن هناك موقفاً يجب أن يتبناه ويشترك مع الآخرين فيه، هو مؤمن من هذه النوعية، موطن نفسه على أن يعمل وينطلق في كل عمل فيه الله رضى؛ لأنه ساجد لله، خاضع لله، وخاشع لله فمتى ما ذكرته بآية من آيات الله تقبلها تفاعل معها استجاب لها؛ لأنه خاشع لله خاضع لله.

وهو أيضاً يرى كل شيء من جانب الله - بما فيها آياته - يراها كلها نعمة عليه فهو يسبح الله، ينزهه، ويقدسه، ويثني عليه ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، ليسوا من أولئك - وهم الكثير فينا - الذي يرى نفسه أنه قد تورط وهو في عمل صالح، لكن هذا العمل هو من النوع الشاق الشائك، الخطير نوعاً ما، فيرى نفسه أنه في مشكلة.

بل البعض قد يرى ذلك الشخص الذي يتحدث مع الناس من هذا القبيل أيضاً أنه أصبح مشكلة وأصبح حملاً، وهذه - أيضاً - روحية كانت موجودة عند العرب الأوائل، وما زالت هذه الروحية قائمة؛ ولهذا كان يأتي الله سبحانه وتعالى وسط آيات الجهاد والابتلاء والمصائب والمشاق التي تأتي أثناء الصراع؛ يقول لهم ليمسح ذلك التفكير الخاطيء، ذلك الشعور السيئ قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

عبر من ثورة الامام الخميني قدس سره الشريف

تجدونها في [سورة آل عمران] متوسطة للحديث عن المشاكل، وعن الصراع والمصائب، بعدما تحدث عن قضية [أحد] وما حصل في أحد؛ لأن هناك كثير من الناس ضعاف الإيمان، من ينظر إلى الشخص الذي يدفعه إلى الموقف الصحيح الذي فيه نجاته في الدنيا والآخرة، يرى أنه بلوى، مصيبة ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾^(١).

كما كان يقول أولئك: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.

تشاء منا [مشاكل.. نحن لا نريد مشاكل.. ولا نريد مصائب.. ولا نريد ندخل في شيء.. وكل واحد يريد أن يذهب إلى عمله!!]

لو كانت القضية ممكنة فإن الله أرحم الراحمين هو من كان يمكن أن يوجهنا إلى هذا الشيء الذي نردده على أنفسنا: [لستم بحاجة إلى هذا الشيء.. ويمكن أن تجلسوا ولا تتعرضوا للشيء، واسكتوا، ومن بيتك إلى مسجدك، صدق الله العظيم!!].

أما كان بالإمكان أن يكون هكذا ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

ألم يقل هكذا، تحركوا؛ ليمسح أي نظرة من هذا الشعور الخاطيء الذي يأتي عند ضعف الإيمان، متى ما حصل شيء فيه مشاق، حتى وإن كان ذلك الشخص الذي يقوده هو رسول الله، يعتبرونه مشكلة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾^(٣).

١. يس: من الآية ١٨

٢. التوبة: من الآية ٤١

٣. آل عمران: من الآية ١٦٤

يجب أن تعتبره نعمة، إن هذه المواقف نعمة، وهذا الرجل نعمة عليكم، إنه منَّة من الله عليكم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

ولأنها هي النقطة الخطيرة جداً التي يتجه الأعداء إليها، كانت إذاعات متعددة - كما يقال - أكثر من أربعة عشر إذاعة، ومحطات تلفزيونية كثيرة تتجه إلى داخل إيران أيام الإمام الخميني تحاول: توشي للناس بما يبعدهم عن ذلك القائد العظيم [مشاكل، وإيران بدأت تدخل في أزمات اقتصادية بسبب هذا الشخص، والدماء الكثيرة سفكت من أبناء هذا الشعب؛ لأنهم انطلقوا وراء ذلك الشخص، هو شر، هو مشاكل، مصائب، بلاوي أحداث] إلى آخره.

لكنه هو من كان قد سبق إلى توعيتهم توعية من نوعية مهمة، الإمام الخميني، من أين جاء له ذلك، من القرآن الكريم، أي توعية للأمة من غير القرآن الكريم ستكون فاشلة، فكانت تلك الإذاعات تهذي دائماً ولا يظهر لها أي أثر، كان يقول لهم: أولئك الذين يتحدثون معكم أليسوا أعداءكم! قالوا: نعم، قال: إذاً لا تصدقوهم، هل يمكن لعدوك أن ينصحك، كل كلامه هو من أجل أن يثبطك؛ لأنه يخافك، إذاً لا تصدقه.

قطع المجال، وسد الأبواب في وجوه أي تأثير لإعلام الآخرين من الذين وقفوا ضد الثورة الإسلامية، المؤمن نفسه إذا ما ذكر بآيات الله، سواء تذكره موقفاً هو لديه معرفة نوعاً ما عنه، لكن آيات الله من خلال تذكيره بها سيظهر له أكثر وأهمية أن يكون له عمل، أن يكون له موقف أن ينطلق بجدية.

وعندما يقول تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾^(٢).

أولئك الذين يخرون لله سجداً هم من يرفعون رأس الأمة، ليس معنى أن آيات

١. آل عمران: من الآية ١٦٤

٢. السجدة: من الآية ١٥

الله هي تنكس الناس، وأن آيات الله هي التي تضع الناس فيخرون إلى الأرض؛ الناس الذين يخرون إلى الأرض سجداً لله خشوعاً لله وخضوعاً لله لا يستكبرون أبداً.. هم أولئك الذين يعلون كلمة الله، هم أولئك الذين يعلون رأس الأمة، هم الذين يعلون الدين ويظهرونه فوق الأديان كلها، هم هؤلاء ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١). هم من سينطلقون انطلاقاً فاعلة.

لأنه ما هو الذي ينقصنا نحن ونحن نجمد، ونحن لا نتكلم سواء من كان منا باسم عالم، أو متعلم، أو عابد، أو أي لقب يحمله: أستاذ، أو نحوه، فلأننا لم نصل إلى هذه الدرجة بعد: الخشوع الكامل لله الذي لا يحصل إلا من خلال معرفته بشكل جيد، التسبيح لله بألسنتنا وقلوبنا، الثناء على الله هذا هو ما ينقصنا، أن هذه ليست حالة مترسخة في أعماق أنفسنا، فإذا ما ترسخت في نفوس الناس تراهم أمة قابلة للنهوض، تجتمع كلمتهم بسهولة، يتحركون بمسارعة.

ألم نتحدث سابقاً عن بعض آيات حول صفات المتقين أنهم يسارعون ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾^(٢).

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٣).

قلنا في ذلك الدرس: أن هذه الآيات في [سورة آل عمران] من عند قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

إلى آخر الصفحة فيها من الحديث عن المتقين مطبوعة كلها بطابع المسارعة حتى في صيغها، نحن نرى أنفسنا نتثاقل الآن، أليس كذلك.

١. السجدة: ١٥.

٢. البقرة: من الآية ١٤٨.

٣. آل عمران: من الآية ١٣٣.

نتحدث جميعا عندما نجلس هنا، أو نجلس في المدرسة، وقد يقول البعض: أنه يود أن يكون هناك من يسمع هذا الحديث، لكن هل انطلقنا بجدية ومسارعة إلى أن نعمل العمل الكثير الذي يجعل الآخرين يسمعون هذا الحديث الذي قد تراه حديثا مناسباً أن يسمعه الآخرون، حالة التثاقل، التباطؤ، وهي حالة سيئة عواقبها سيئة، ما تزال ماثلة، لماذا؟ لسنا بعد ممن وصل إلى هذه الدرجة: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾. لعظم تأثيرها في نفوسهم ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يستنكفون أمام أي شيء من آيات الله يسمعون.

أهمية الذكر والتذكير

وأحيانا قد يكون موقف الإنسان موقف المستكبر، لكنه يبحث عن أي تبرير لموقفه، وهو يقعد أو وهو يعارض عملا مثل هذا يراه الآخرون أنه عمل فيه إرضاء لله، وفيه نصر لدينه، أو يعبر عن موقف ما في مواجهة أعدائه ينطلق للتبريرات يعملها؛ لأنه في واقعه مستكبر، كلام سمعه من صغير وهو يحمل لقبا أكبر من لقب هذا، علامة مثلا، أو شيخ، أو فلان. فهو إذا ما قبل؛ لأن معنى ﴿ذُكِّرُوا﴾، من طرف آخر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾، ذكروا من طرف آخر ذكرهم بها، والله سبحانه وتعالى يعتبر للتذكير أهميته من أي طرف كان ولو من صغير ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا﴾^(١).

أمر يقل هكذا في القرآن ﴿رَجُلَانِ﴾، مؤمن آل فرعون، ذلك الرجل العظيم يصدر

كلامه وكلام أولئك الرجال كما يصدر كلام الأنبياء «عليهم السلام» في صفحات القرآن الكريم ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^١، وهكذا يتحدث كلام طويل في [سورة غافر] قريباً من صفحة أو أكثر.

المؤمن لا يستكبر إذا ما ذكر من صغير أو ذكر من طرف آخر يراه وضيعاً، يراه دونه في المراتب الاجتماعية، يراه دونه فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، أنا تاجر وهذا فقير، أنا من أعيان القبيلة وهذا مواطن عادي، أنا علامة وهذا ما يزال طالب علم، وهكذا كلمة: رجلان ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾، تجعل للتذكير قيمته من رجل يحمل اسم رجل أقل شيء فيه، لم يقل قال عالمان، قال أستاذان، قال شيخان، قال الملا من أصحاب موسى، أو عبارة من هذه، ألم يقل القرآن رجلان، يعتد بكلام الرجل مهما كان، يعتد بتذكير الرجلين مهما كان مقامهما.

ولأنه عادة يأتي التذكير بآيات الله في مقامات عملية، والأعمال – عادة – تكون شاقة على كثير من الكبار من الوجهاء وأصحاب المكانة الاجتماعية؛ لأنه ينظر إلى وضعيته وضعية محترمة لا يريد أن يخرج منها؛ ولهذا تجد في القرآن الكريم الكثير من أخبار من كانوا يعارضون الأنبياء «عليهم السلام» معارضة شديدة هم الملا الذين استكبروا من قومه، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾^٢، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾^٣. ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾، يرد كثيراً في [سورة الأنبياء] وغيرها، ومن كانوا ينطلقون أنصار الدين الله وفي أول المستجيبين لدعوة الرسل والمجاهدين بين أيدي الرسل من هم، كانوا هم المستضعفين، المواطنين العاديين، الناس العاديين، هم من كانوا ينطلقون ويستجيبون.

المؤمن إذا ذكر بآيات الله من أي طرف كان يتقبل، ويكون للتذكير قيمته، ويشكر

١. غافر: من الآية ٢٨

٢. الأعراف: من الآية ٦٦

٣. الأعراف: من الآية ١٠٩

من ذكره، ويعتبر أنه أسدى إليه جميلاً، نصحه، ذكره، عمل على إنقاذه، يعني: أنه عمل على إنقاذه، لكن لا يكون للتذكير قيمته عند كثير من يواجهون تذكيرك من الوجهاء إذا كان لديهم استكبار في أنفسهم، ألسنا نرى أننا بحاجة إلى أن نقول لأولئك الكبار، ونرى بأننا لو قلنا لهم: لو انطلق علماء، وانطلق مشايخ، وانطلق وجهاء ووقفوا هذا الموقف، أو قالوا هذا [الشعار]، أو عموماً هذا [الشعار]، لرأينا أنه سيكون أكثر فاعلية وأكثر تأثيراً.

الاعمال الكبيرة تأتي من المستضعفين

لكن أولئك الذين تعتقد أنهم أكثر تأثيراً هم من في أوساطهم عراقيل تمنعهم عن أن يستجيبوا لك، فانطلق انطلاقة الأنبياء «عليه السلام» تحدث مع الناس جميعاً وعلى صعيد واحد ولا تحتقر أحداً، تحدث حتى مع ذلك الشخص الذي ترى بأنه فيما لو قبل مني هذا الكلام ماذا يمكن أن يعمل، الذين يعملون الأعمال الكبيرة هم صغار الناس، هم المستضعفون، الموعودون بالنصر الإلهي هم من؟ المستضعفون، الذين تتحرك رسالات الله لإنقاذهم من هم؟ المستضعفون، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١).

أنت لا تجلس دائماً ترى نفسك صغيراً، أو ترى الآخرين صغاراً، أو ترى تجمعاتهم تستقلها تحتقرها؛ لأنه ليس فيها شخصيات فلان وفلان. أولئك هم من لا يتحرك لك الواحد منهم إلا في الوقت الذي قد يمكنك أن تحرك مئة شخص من الآخرين. وهو إذا ما تحرك قد لا يكون له تأثير كتأثير الأشخاص الصغار، الذين آمنوا وانطلقوا بفاعلية، أولئك الكبار هم من لديهم اعتبارات معينة يحافظون عليها، من ينظر إليك وأنت تذكره أنك تحت، أنك دونه فلا يكاد يسمع منك، ولا يكاد

يستفيد منك، حتى ولو دخل كلامك إلى أعماق نفسه سيتجاهلك، يتجاهلك، هو لا يريد أن يجلسك بأنه تأثر من قبلك، ممكن يتأثر بطرف آخر، يريد يرى واحد أكبر منك يتأثر به.

ولهذا تجد كيف أن القرآن الكريم يحكي لنا أنه كان يعرض من بعض الناس على عدد من الأنبياء «عليه السلام» من قبل الكبار [الملاء] أن اطرده أولئك الناس من مجلسك، الضعاف هؤلاء الضعاف المساكين اطردهم من مجلسك ونحن سنؤمن، قالوا النوح وقالوا غيره من الأنبياء، وقالوا لمحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الله وقف مع أولئك، لا يمكن إطلاقاً أن تطرد ولا شخصا واحداً من ضعاف الناس وإن كان مقابل أن يؤمن مائة شخص من هؤلاء الكبار، و[سورة عبس] تحكي لنا السخرية من أولئك: لا تهتم بهم، التفت إلى هذا المسكين الأعمى هو يريد أن يستفيد منك ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى﴾^(١).

إن أحب أن يؤمن كما يؤمن الناس.. فهذا دين الله للناس وليس للملاء الذين استكبروا، هذا دين للناس جميعاً، ومن انطلق فيه وتحرك فيه فهو كبير، هو كبير عند الله سبحانه وتعالى.

الله لا ينظر إلى رأس ماله، ولا ينظر إلى مكانته الاجتماعية، ولا ينظر إلى الطبقة أو الفئة التي هو منها، استجاب هو كبير عند الله مكرم عند الله، في مصاف أوليائه، لم يسمح الله أبداً لأنبيائه أن يطردهوا أحداً.

وأنت تتحرك في هذا الميدان كما يتحرك الآخرون في الميدان الثقافي، لا تربط مشاعرك أبداً بالكبار، لا يكن همك أن يدخل هؤلاء الكبار، ولو بواسطة أن نقدم تنازلات لهم، أن نسلمهم زمام أمورنا، أن نمجدهم، أن نشجعهم، نفرح - في هذا الوقت - ونفرح، ونفرح، هذا هو الخلل الكبير؛ لأن من دخل بإملات وشروط

هو ذلك الذي يريد أن تكون حركة الناس على وفق ما يريد وبالشكل الذي يراعي مشاعره ومصالحه.

أما أولئك الصغار من الناس الذين هم صغار في نظر الآخرين، هم من ينطلقون وليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، يريدون أن يسخروا هذا العمل الثقافي، أو الاجتماعي، أو الجهادي، لمصالحهم.

الصغار تكون عادة نفوسهم طاهرة أكثر من الكبار، صغار الناس - إن صح التعبير - أي الناس العاديون عوام الناس، وهذه هي كانت نظرة الإمام علي (عليه السلام) كان يقول: «وإنما قوام الدين العامة من الناس»

وقال تعالى لنبيه الكريم ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١).

الْعَمْرُ

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

عبر ودروس من قوم نبي الله نوح عليه السلام

لاحظنا أخطاء حصلت في الماضي في عملنا الثقافي، وكم سمعنا من زملائنا من محاولات - بحسن نية - قد توقعنا في أخطاء أيضا، ورأينا الآخرين هم يتحركون باسم الدين يغلطون أيضاً وهم يحاولون أن يسكتوا عن هذه من أجل أن نكسب فلاناً، ونتمشى مع هذا من أجل أن نكسبه، ومن أجل نكسب هذا الحزب، ونكسب هذا الشيخ، ونكسب هذا الشخص، هم ما عرفوا أنهم في الأخير إنما سخروا هذا الدين الذي يتحركون باسمه لأولئك الكبار.

تحرك في أوساط الناس الذين لا يريدون منك أن تسخر دينك لهم، ليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، لا يستجيبون إلا بقدر ما يكون عملك - كيفما كان - في مصالحهم، هؤلاء هم الذين سينصرون الإسلام، الإسلام يريد نوعية من هذه، هؤلاء من سيستجيبون لله استجابة كاملة؛ لأنهم ليس لديهم المشاعر التي يمكن أن تجعلهم مستكبرين.

﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١)، ليس لديهم ما يحملهم على الاستكبار، هؤلاء هم القريبون جداً، هؤلاء هم من كانوا أنصار الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكل أولياء الله في كل زمان، وراجعوا القرآن الكريم ﴿قَالَ الْمَلَأُ

١. السجدة: من الآية ١٥

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ»^(١).

تجد أن نوحا «عليه السلام» في الأخير الذي لبث في قومه تسعمائة وخمسين عاما شكّا من أولئك الكبار «وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا»^(٢).

كان أولئك الناس مرتبطين بكبارهم، والكبار عادة تكون لديهم قائمة طويلة عريضة من الأشياء في نفوسهم، لا يريدون أن يستجيبوا، وإن عرفوا الحق ولا يدعون الآخرين من أتباعهم أن ينطلقوا في الاستجابة للحق؛ لأنهم كما يقال في زماننا هذا: [سيأخذون أصحابك أي اعوانك]، يتواصلون فيما بينهم الملاء هنا والملاء هناك: [انتبه اشتد في مواجهة هذا وإلا سيأخذ عليك أصحابك]، هذه الادعاءات قديمة من ذلك الزمان.

عندما ربط الصغار أنفسهم بالكبار ألّ يضلوا! وتسعمائة وخمسين سنة لم يهتد فيها إلا القليل القليل «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ»^(٣)، وسعتهم [سفينة] ووسعت أيضا حيوانات أخرى من كل جنس، بعد تسعمائة وخمسين سنة، إن تلك الآيات تقول لنا: لا تربطوا أنفسكم أبداً بالمستكبرين، أو بمن يتوقع أن يكون لديهم قائمة في نفوسهم طويلة عريضة، وسيستكبرون إذا ما وجدوا أن الاستجابة ستؤثر على مضمون تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم من المصالح المادية والمعنوية.

ضلت أمة لأنها ارتبطت بكبار من هذا النوع، لكن كبيرا ينزل معي، وندخل سويا في هذا الدين الذي هو دين للكبير والصغير، والواجب فيه على الكبير والصغير، لنكن فيه كبارا أمام الله جميعا عندما نكون من أوليائه يكرمنا، بل نرى أنفسنا صغارا أمام عظمة الله جميعا، ونرى داخل هذا الدين أيضا عزتنا والحفاظ على

١. الأعراف: من الآية ٧٥

٢. نوح: من الآية ٢١

٣. هود: من الآية ٤٠

كرامة بعضنا بعض، والحفاظ أيضا على المقامات حتى المقامات المعنوية والاجتماعية للبعض الآخر.

متى ما دخلت معنا هنا بدون إملاءات، وسلمت نفسك لله، وانطلقت كانطلاقتنا حينئذ ستحظى باحترام كبير من جانبنا، لكن أما أن يكون كبرك هو الذي يدفعك إلى أن تحول بيننا وبين الاهتداء كما حال أولئك الملأ بين قوم نوح (عليه السلام) وبين الاهتداء على مدى تسعمائة وخمسين سنة، حتى قيل إنه كان يوصي الرجل منهم أولاده بعد عمر طويل مائتين سنة، أو أربعمئة سنة، يوصي أولاده أن لا يستجيبوا لنوح!، يكبر أولاده فيوصوا أولادهم قبيل الموت أن لا يستمعوا لنوح؛ لأنه بقي زمانا طويلا معهم.

لا تربط نفسك بكبار من هؤلاء ولا تربط عملك الثقافي بكبار من هؤلاء، ولا تربط عملك الجهادي بكبار من هذا النوع، ليشارك الكبار والصغار ويدخلوا سويا من هذا الباب، ومتى ما دخلنا سويا من هذا الباب فنحن من سيقدر بعضنا بعضا أكثر تقديرا مما يتطلبه أولئك الكبار منا، وهو التقدير الذي يريدون أن نضحي بديننا في مقابله، نقول ستحظون بتقديرنا وسنحظى جميعا بتقدير بعضنا بعض وإجلال بعضنا بعض إلى درجة الأخوة الإيمانية هل هناك أرقى منها.

لا يبنى الإسلام مع المتكبرين

وهكذا كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ينطلق في مسجده ويتحدث مع الناس سويا بعبارات واحدة وكلاما واحدا يوجه للجميع، لكن انظر إلى علماء آخرين ممن يؤمنون بشرعية هذا، حكم هذا ممن يؤمنون بضرورة أن يتمشى مع هذا، كيف تجد خطابه هنا يختلف عن خطابه مع الآخرين، كيف يقدم الدين مشكل ومنوع على حسب أمزجة هؤلاء الكبار، وعندما نسمع في هذه الآية: **﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**؛ كأنها تقول لنا: ليكن اتجاهكم إلى أولئك الناس الذين أنتم لا تتوقعون

أن في أنفسهم ما يدفعهم إلى الاستكبار، فهم من سيبنون صرح الأمة لبنات ولحدة بعد واحدة، كل شخص منهم قابل أن يكون لبنة في هذا الصرح.

لكن ذلك هو لا يقبل إلا أن يكون اللبنة العليا، قبل أن يكون هناك لبنات تريد أن تضعه لا يرضى، لا يقبل، لا يقبل أن يكون ضمن اللبنات الأولى، دعه هناك لبنة بمفرده، ليبني صرح الأمة من اللبنات التي تقبل.

والله تحدث في القرآن الكريم عن البنيان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(١).

من أين تتجمع هذه اللبنات في البنيان المرصوص إلا من أولئك الذين لا يستكبرون.

أما اللبنة التي تستكبر فهي لا تقبل، لا تقبل أبداً أن تكون هنا، بل قد لا تقبل أن تكون لبنة عند لبنة أخرى، يريد أن يكون لبنة لوحده، وستراه لبنة لحالها ليس لها أثر، ليست أكثر من إضافة ثقل على بقية اللبنات الأخرى، بعض الناس لا يقبل أن يكون لبنة مع هذا ومع هذا في مصف واحد.

يريد أن يكون لبنة هناك، فأنت تراه يريد أن يكون لبنة لحاله، يريد أن يتربع فوق ذلك البنيان أو في ذلك الموضع الذي لا يفيد ذلك البنيان، متى ما أكمل الناس بناء طابق وبقيت حجر ووضعت هناك فوق كل الناس يرون بأنها لا تأثير لها، لكن الحجر التي تحتها ضمن أحجار أخرى في الصفة من الأحجار هي حجر لها قيمتها.. ليس كذلك.

هؤلاء يريدون أن يكونوا لبنات لحالها، فليكونوا لبنات هناك، وليبنى الصرح من أولئك الذين يقبلون، ليروا أنفسهم - هم في الأخير - لبنات لحالها بعيدة لا وزن

لها، ولا قيمة لها، أليس هذا ما حصل، أولئك المستكبرون الذين كانوا يقولون لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله): اطرّد أولئك الضعاف، تغيرت الأوضاع وإذا بهم يرون الضعاف يجمّون على صدورهم في بدر ويحتزون رؤوسهم.

هكذا الأحداث كلها تنبئنا، وآيات القرآن أيضا تنبئنا بأنه لا تطمع في الكبار بالشكل الذي تضحى بعملك من أجل أن ينضموا إلى صفك، أو يقبلوا أن يكونوا من يتحركون ضمن هذا العمل.

رأينا آخرين ممن يعملون مع [مشائخ]، تجد ذلك الشيخ في واقعه لم يتغير ولم يتبدل إلى الأفضل هو هو، ولديه مركز في بيته مركز أو قريبا منه مركز يدعمه من المراكز الأخرى، أو لديه داعية من أولئك الدعاة، ما يزال هو هو الأول، لم يتغير فيه شيء، أولئك يفرحون بأنهم كسبوه وهو يرى نفسه أنه كسبهم هو، وأنه يريد من خلاصهم أن يلمع وجهه أمام الآخرين، ليقولوا أصبح من أولياء الله.

تراه هو ما يزال في مكره وخداعه، وإثارة المشاكل بين الناس، وظلم هذا وظلم هذا، تراه لا يصبغ نفسه بصبغة المتقين ولا يتأثر حتى بأولئك الذين يفتح لهم مجلساً في بيته لا يتأثر بهم، لكن عندما تقول لهم: ما بالكم، يقولون: نريد أن نكسب هذا، ونكسب هؤلاء.

ويرون أنفسهم في الأخير أنهم أصبحوا أصحاب عمل مهم؛ لأنهم كسبوا هذا وهذا، وهم لا يدرون أنهم في الواقع إنما كسبهم أولئك الأشرار، هم الذين كسبهم، وأن هؤلاء المساكين الذين ينطلقون - وقد يكون بحسن نية - هم من ضحوا بالدين وقدموه بالشكل الذي يخدم أولئك الأشرار، يلمعون أنفسهم أمام الآخرين فيحصلون على ما يحافظ على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية.

ضرورة الانفاق لإعلاء كلمة الله تعالى

إذاً فلنأخذ العبرة من قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(١)؛ لأن صفة الخشوع لله هي الصفة الرئيسية لديهم ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

وهم من ينطلقون في العبادة أيضاً، هم أنفسهم من قد يكون التذكير لمرة واحدة يكفي أن ينطلقوا، ليسوا ممن يحتاج دائماً إلى تذكير مستمر، وإلا فيريد أن يرجع إلى طريقته التي قد ألفها، هؤلاء يقول عنهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣).

هؤلاء من يكون لآيات الله إذا ذكروا بها الأثر الكبير في نفوسهم، هم ليسوا مسارعين إلى النوم تتعد جنوبهم، وعندما تتعد جنوبهم عن النوم ليس في مجال متابعة حلقات التلفزيون المفسدة، ولا في مجال متابعة القنوات الفضائية.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، وهم في عبادة الله يتعبدون لله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وهم عندما ينطلقون في هذه العبادة - التي قد يراها الكثير سهلة لأنها لا تكلفه شيئاً - هم ممن ينطلقون حتى في المجالات الأخرى التي تشق على الكثير ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

لكن هؤلاء المؤمنون مؤمنون بمعنى الكلمة، يتعبدون لله وينطلقون أيضاً في مجال الإنفاق في سبيله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وبالعبرة التي توحى: أن هذا لديهم سلوك مستمر وعادة ثابتة ليس فقط أحياناً، هم ممن يبحثون عن المجالات التي

١. السجدة: من الآية ١٥

٢. السجدة: من الآية ١٥

٣. السجدة: ١٦

تنصر دين الله لينفقوا فيها، هم من يبحثون عن مجالات البر التي يرضى الله الإنفاق فيها فينفقون فيها.

العبارة جاءت بشكل يوحى بهذا: الاستمرار ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، هم حتى ربما ليسوا من أولئك الذين يحتاجون إلى كلام خاص حول موضوع الإنفاق يتكرر دائماً على مسامعهم، ينطلقون هم بمجرد أن عرفوا، ولو مر واحدة أن الإنفاق في هذا المجال هو من أعظم الطاعات لله، ومن أعظم القرب إلى الله، ومن أعظم الأعمال التي يحصل بها الإنسان على رضى الله سبحانه وتعالى فينطلقون بصورة مستمرة على حسب قدراتهم وحسب استطاعتهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

وتجد الإنفاق في سبيل الله تعالى يتحدث الله عنه في كثير من الآيات مقترنا بأفضل الأعمال، ومقترنا بأفضل الحالات، إذا ما تحدث عن مشاعر المتقين فالإنفاق واحد مما يعكس أن هناك مشاعر طيبة لديهم وإيماناً متكاملًا، أو تحدث عن عمل يقومون به هو خير الأعمال كالصلاة يقول: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

يتحدث عن حالات نفسية لديهم هم هكذا، يتحدث عن أعمال ينطلقون فيها هي من خير الأعمال هم هكذا ينفقون أيضاً في سبيل الله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

في آيات كثيرة تجد في القرآن الكريم كيف أن الإنفاق في سبيل الله، أو الإنفاق هكذا بصورة عامة، والمؤمن هو من يعرف مواطن البر التي يكون الله رضى أن ينفق فيها، وأعظم مواطن البر للإنفاق هو: الإنفاق في سبيل الله، لنصر دينه، وإعلاء كلمته. خاصة في ظروف كهذه، بل قد يصبح من أوجب الواجبات فعلاً، من أوجب الواجبات فيصبح ربما أوجب من الزكاة في ظروف كهذه.

وهناك من يعرف قيمة الإنفاق وأثره. يقال إن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) عندما اتجه للعودة إلى إيران في أيام انتصار الثورة الإسلامية عاد في طائرة خاصة استأجرها له أحد التجار من الشيعة من فرنسا إلى طهران، فيستأجرها من ماله الخاص، وكم كان أثر إنفاق ذلك الرجل، ألم يكن أثراً عظيماً، أهدى للأمة قائداً

عظيما يعيش بينها في زخم انتصاراتها، يمكنه من العودة فيعود بطائرة خاصة، حتى ولو تعرضت تلك الطائرة لأي شيء، وضع تأميناً - كما يقال - تأمين على الطائرة نفسها، فيما لو تعرضت لخطورة، هذا تاجر دين وتاجر دنيا، تاجر واعى، تاجر يعرف كيف يضع ماله في أفضل المواضع.

وكذلك يقول الامام الخامنئي قدس سره ان الانفاق جب ان يكون في موارد النقص التي تحتاجها الامة، اما الانفاق المعتاد الذي لا يسد نقص حاصل في الامة فهو اسراف، فلو انفقت في بناء مسجد وفي المدينة الكثير من المساجد ويوجد أهمية لبناء مدرسة مثلاً، فبناء المدرسة يسمى إنفاق في سبيل الله وغيره اسراف، وهكذا في الاعمال الثقافية بدل الاعمال الخيرية إذا لزم الامر.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الله تعالى يجازي المنفقين بالأجر الكبير

تحدثنا في الدرس السابق عن أهمية الانفاق الواعي، فهؤلاء لعظم مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، وقيمة أعمالهم الكبيرة عند الله سبحانه وتعالى يقول عن جزائهم العظيم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(١).

مما تقر به أعينهم من الفضل الكبير والثواب العظيم والدرجات العالية عند الله سبحانه وتعالى.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وهكذا تأتي المكانة العظيمة عند الله، يأتي النعيم العظيم من عند الله سبحانه وتعالى جزاء على الأعمال ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، كما قال لأولئك الذين قيل لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾^(٣).

ألم يقل لهم: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

هنا استحق هؤلاء برحمة الله سبحانه وتعالى وتكريمه لهم أن يمنحهم ذلك المقام الرفيع، وذلك الثواب العظيم الذي قال عنه - مما يدل على عظمه -: ﴿فَلَا تَعْلَمُ

١. السجدة: ١٧.

٢. السجدة: ١٧.

٣. السجدة: من الآية ١٤.

٤. السجدة: من الآية ١٤.

نَفْسٌ»، لا نفس ملك من ملائكة الله ولا نبي من أنبياء الله عِظَم ما وعدوا به من الثواب العظيم، والمكان الرفيع عند الله سبحانه وتعالى ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وأنت تجد هذه الأعمال التي كان ثوابها على هذا النحو العظيم هي من الأعمال التي بإمكان الناس أن يتناولونها، إذا ما ذكروا بآيات الله يزدادون إيماناً، يخشعون لله، يخضعون لله، لا يستكبرون، ينطلقون في العبادة، وكلها أعمال مما بإمكان الناس أن يتناولونها، وكلها مما بإمكاننا أن نروض أنفسنا على أدائها والقيام بها.

لا يبدو أن داخل هذه الأعمال، خاصة في قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، وقبلها، أيضاً ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ أنهم ينطلقون في أعمال هي مما هي مصنفة عند الفقهاء في قائمة المندوبات والمستحبات، هم ينطلقون في هذه الأعمال سواء كانت واجبة، أو مستحبة، أو مندوبة، المهم أنها أعمال ترضي الله سبحانه وتعالى، وهم يبحثون عما يحصلون من خلاله على رضوان الله، وعلى ما وعد به أوليائه.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، نحن نصلي صلاة المغرب قبل أن نرى أنفسنا في حالة نحن نميل إلى المضاجع ولكن جنوبنا تبتعد عنها، نلزمها أو نرغمها على الابتعاد عنها، ونصلي العشاء كذلك في حالة كهذه، والمغرب والعشاء هي الفريضة الواجبة داخل الليل، لكن هناك عبادة أخرى ينطلقون فيها سواء كانت بشكل صلوات أو ذكر لله سبحانه وتعالى أو تعلم، أو عملاً حركة أثناء الليل، عند هذا، وعند هذا، يدفعهم إلى أن يقوموا بالعمل الذي يجب أن يشتركوا فيه مع الآخرين، أو أن يتعاونوا في مشروع ما، فيه مصلحة للمسلمين، هم ليسوا مستعجلين إلى النوم، لهم أعمال هي من قائمة العبادات والطاعات لله سبحانه وتعالى وهي واسعة جداً. وهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١).

خوفاً من الله، خوفاً من أنفسنا أن تكون عاقبتنا بالشكل الذي توعد الله به

العاصين له، أما الله ذاته سبحانه وتعالى فهو ليس فيه ما يخيفك، أنت لا تخشى أن يتغير مزاجه فيضربك أو يعتدي عليك، كما يحصل من ملوك الدنيا فقد يضربون أقرب المقرين إليهم، ألم يقتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني، ألم يحصل أحداث كهذه في بلاط كثير من الخلفاء، والرؤساء، والزعماء.

خف من نفسك أنت، أما الله فعلا سيضربك إذا ما اقترفت أنت ما تستوجب به أن يضربك بعقوبته في الدنيا أو في الآخرة. والمؤمنون يطمعون أيضاً في رضوان الله، وحالة الطمع هذه هي ما يفتقدها الكثير من الناس، خاصة من ربوا أنفسهم على قواعد تربيته على الحد الأدنى فقط من الدين.

المؤمن بين الخوف والرجاء

المؤمن بطبيعته بمعرفته الله بمعرفته للمقام الرفيع الذي وعد الله به أوليائه هو من يطمع في هذا، من يطمع في رضوان الله، من يطمع في القرب من الله، من يطمع فيما وعد الله به أوليائه، حالة الطمع هي قليلة ونادرة فينا، ولهذا نحتاج إلى كلام كثير مع بعضنا بعض لننطلق، وعندما ننطلق ببطيء، وبثاقل، لا يبدو أن هناك حالة من الطمع في نفوسنا في الحصول على ما يرضي الله سبحانه وتعالى، ليس لدينا بتعبير واضح طمع فيما عند الله كطمعنا في هذه الدنيا ومظاهرها، والأشياء المادية الكثيرة فيها.

هذا جزاء عظيم، وقبله أيضاً عقاب شديد وأليم، ألم يتحدث عن أولئك ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وهنا يقول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾، وهو يتحدث عن أوليائه هؤلاء، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. لأنه هكذا الحال عند الله سبحانه وتعالى وفي حكمه، وحكمته وعدله.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١).

كلها استحققت بأعمال هي لأولئك ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقيل لهؤلاء العظماء: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

إنها أعمال انطلقت من أبرار، وأعمال أخرى انطلقت من فجار، وهؤلاء ليسوا في ميزان الله سواء، ولا يمكن أن يكون هناك تسوية بينهم ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٤).

وهذه آية تصرخ في وجوه أولئك الذين يقدمون عقيدة ينسبونها إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) تقضي بالتسوية بين المجرمين أهل الكبائر، وبين المؤمنين، فيحضون جميعاً بالجنة، وبالقرب من الله، وبدخول الجنة التي جعلها الله خاصة لأوليائه وأعدت للمتقين من عباده أليست هذه تسوية.

إنسان هنا يعمل في الدنيا الكبائر بعد الكبائر من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وظلم الناس، والتحريف للدين، والصد عن سبيل الله، ثم يقال له: لا تخف ستلقى رسول الله هناك وهو من سيشفع لك، ولأمثالك من أهل الكبائر، فترى أنت نفسك أنت من كنت في هذه الدنيا تعاني من كبائر ذلك الشخص وأنت من ظلمت، وأنت من سفك دمك، وأنت من انتهك عرضك، وأنت من صبرت وتحملت العناء في سبيل الله، وفي الدفاع عن دينه، وكان العناء كله من قبل أولئك أصحاب الكبائر، فترى نفسك أنت وهم سواء تدخلون من باب واحد، والملائكة يدخلون عليكم وعليهم من كل باب سلام عليكم بما.... ، كيف سيقولون

١. السجدة: ١٨.

٢. السجدة: من الآية ١٤

٣. السجدة: من الآية ١٧

٤. السجدة: ١٨.

لأولئك! بما صبرتم؟! غير صحيح، كيف يمكن أن يقول الملك وهو يتذكر ماذا يقول: سلام عليكم بما ارتكبتم الكبائر فنعم عقبى الدار.

تحية الملائكة نفسها التي ذكرها الله لأهل الجنة هي من النوع الذي يصرخ أيضا في وجه أولئك الذين يتحدثون عن تلك العقيدة السيئة إنهم يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(١).

ما هو الصبر الذي تحمله أولئك المجرمون في هذه الدنيا، صبر على ماذا، صبر على طاعة الله، أم استرسال وراء الشهوات وراء المطامع، وكل ما طلع في رأسه نفذه، ولتكن الضحية مالك أو دمك أو عرضك أو الدين ب كله، ما هو الصبر الذي صبروه.

هذه تسوية، ستكون تسوية الملائكة أنفسهم لا يقبلون هذه التسوية هم ماذا سيقولون لأولئك إذا دخلوا على أحدهم من باب فيما لو افترض ودخلوا الجنة، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ماذا سيقولون لهم، التحية التي ذكرها الله لأوليائه هي هذه التحية التي يقولها الملائكة، ولو كان هناك تحية أخرى للمجرمين ربما لقالها لنا، لكن أليس الملك هو نفسه من سيستحي عندما يدخل أن يقول: سلام عليك بماذا! ولا يجد ما يمكن أن يكون لائقا أن يجعله تحية لذلك، إن قال: بما أجرمت، فمن الذي يعتبر التحية له بالإجرام أنها تقدير، عندما تقول لشخص - ولو كان ظالما - سلام عليك يا عدو الله، أليس سيعتبر هذه سبة، سلام عليك يا مجرم، سلام عليك يا صاحب الكبائر، هل سيعدها سبة أم يعتبرها تحية، سيعتبرها سبة حتى وإن كان مجرما.

والملائكة هم يحبون لا يجدون ما يحبون به أولئك؛ لأن أولئك لن يكون لهم وجود في الجنة على النحو الذي ذكره هؤلاء، يرتكبون الكبائر لا يتخلصون منها، لا

١. الرعد: من الآية ٢٤

يتوبون إلى الله منها، لا ينطلقون في الأعمال الصالحة بعدها، لا يصلحون ما أفسدوا هؤلاء لن يكونوا من أهل الجنة إلا إذا تابوا على هذا النحو؛ لأنه ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

رسول الله محمد صلوات الله عليه لا يشفع للمجرمين

إذا أين حديث: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من هذه الآية، وأمثالها، يتبخر مثل هذا الكلام، ولا يمكن أن يكون من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، على النحو الذي يروونه، ويذكرونه، لأن رسول الله كان هو من يلتزم بالوحي، كان هو من يتحرك في مواقفه، كان من يحكم منطقته كتاب الله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١).

لا يمكن لرسول الله صلوات الله عليه واله أن يأتي إلى الناس ليقول لهم الكلام الذي يجعل المؤمن والفاسق سوياً يدخلون الجنة، ويحظون بذلك المقام الرفيع، والقرآن الكريم هو يقول في جانب آخر: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢).

هكذا يوجد الكثير من الآيات القرآنية حول هذا الموضوع مصرحة بأنه لن يكون جزاؤهم سوياً، ولن يكون التعامل معهم سوياً، بل سيكون على هذا النحو: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

هنا يقول: عملوا الصالحات، هل الكبائر من الأعمال الصالحة، ومن الذي يحول

١. الأنعام: من الآية ٥٠

٢. الحشر: ٢٠

٣. السجدة: ١٩

دون الأعمال الصالحة أن يكون لها وجود في هذه الحياة إلا من، إلا أهل الكبائر! من الذي يعارض الأعمال الصالحة أن تتحرك في واقع الناس وفي أنفسهم إلا من، إلا أهل الكبائر.

هم من ينطلقون إلى نفسيتك أنت يغزونها بثقافتهم حتى لا ينطلق منك عمل صالح؛ ليكون ما ينطلق منك من أعمال فيما بعد أعمال فساد وإفساد؛ لأنهم لا ينسجم معهم، مع مصالحهم مع مقامهم، مع نفسياتهم الخبيثة إلا أن يكون المجتمع خبيثاً كخبثهم، وتكون النفوس فاسدة، وتكون الأعمال فاسدة، حينئذ يكون المجتمع منسجماً معهم، وحينئذ سيكون المجتمع قابلاً لهم.

أما الأعمال الصالحة فهي الغريم هي الخصم وأصحابها الذين يريدون أن يتحركوا، يريدون أن ينطلقوا ليدفعوا الناس إلى أعمال صالحة هم من يعدون في قائمة أولئك، يعدون ماذا، مفسدين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢).

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

هذه نفسها ترد على من يقول: إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وحاشاه من أن يقول: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].

١. البقرة: ١١ - ١٢

٢. السجدة: من الآية ١٩

تأثير الأفكار المغلوطة على التربية الجهادية

وقلنا في درس سابق: بأن هذه العقيدة سيلمس أولئك الذين رفعوها ودعوا إليها سيلمسون هم بأيديهم سوء آثارها بشكل هزيمة ممن يعبئونهم ممن يركونهم ممن يتحدثون معهم؛ لأنه ليس هناك ما يخيفك من جهنم، فهذه هي أيضاً في أثرها التربوي مما يخالف منهجية القرآن التي تقوم على تربية الأمة تربية جهادية، فكيف يعمل على تربية الأمة تربية جهادية من خلال الآيات الكثيرة في القرآن الكريم ثم يأتي هناك بعقيدة يكون أثرها في الأخير ما يضرب آثار هذه التربية! أليس هذا من الاختلاف، القرآن هو من عند الله ولا يمكن أن يكون فيه اختلاف، لو كان من عند غيره كان بالإمكان أن يكون فيه اختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ضيافة وإكرام أيضاً بما كانوا يعملون بأعمالهم ليكرر على مسامعنا أهمية الأعمال وأي أعمال هذه؟ هي الأعمال الصالحة ومن الذي يرسم لنا، ويخطط لنا بنود قائمة الأعمال الصالحة، إنه الله سبحانه وتعالى فيما يهديننا إليه في كتابه وعلى لسان رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذه هي الأعمال الصالحة.

فإذا ما وقف الآخرون منك وقالوا: لا، العمل الصالح هو أن تسكت؛ لتحافظ على مصالح فلان أو فلان، لتحافظ على مصالح الدولة الفلانية، أو يوهمونك أن سكوتك حفاظ على مصلحة الشعب وأنت ترى أن السكوت هو عمل سيء، وباطل وإنما يريدون منك أن تضحى بالدين من أجل مصالح الآخرين سترى

١. النساء: من الآية ٨٢

٢. السجدة: ١٩

أمامك قائمة من الأعمال هم يخطونها بأيديهم ثم يقولون لك: التزم بها إنها أعمال
صالحة؛ من منطلق الحفاظ على مصلحة كذا.. الخ.

الأعمال الصالحة هي التي تضمنها القرآن الكريم ودعانا إليها، ودعانا إليها
الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ودعانا أهل البيت «عليه السلام» إليها هي الأعمال
الصالحة.

هول ما يجري على الفاسقون في النار

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾^(١)، يؤكد بأنه ليس هناك تسوية بين المؤمنين
والفاسقين ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾، مرجعهم، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا
فِيهَا﴾^(٢).

وعندما يقول: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، أليس هذا يوحي ويدل أيضاً على
أنهم في حالة رهبة، في شدة عظيمة يحاولون الخروج من جهنم، لكنها تلك التي قال
الله عنها: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾^(٣). مغلقة أبوابها ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾^(٤). ﴿عَمَدٍ﴾، من
الحديد ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾، توثق وصد أبوابها، وكلما حاول أولئك وهم يتحركون لمحاولة
الخروج من جهنم ضربوا أيضاً بمقامع من حديد ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٥).

هم أولئك الذين كانوا هنا في الدنيا، كلما أراد أنبياء الله أن يخرجوهم من ذلك
الواقع المظلم أصروا على البقاء فيه.

١. السجدة: من الآية ٢٠

٢. السجدة: من الآية ٢٠

٣. البلد: ٢٠

٤. الهزلة: ٩

٥. السجدة: من الآية ٢٠

من كانوا إذا جاء من يعمل على إخراجهم من الظلمات إلى النور أصروا على البقاء في الظلمات، أصروا على البقاء في الشر لا يريدون أن يخرجوا إلى النور، لا يريدون أن يخرجوا إلى ميدان الأعمال الصالحة، إذًا فهم من سيحاولون أن يخرجوا من جهنم ثم لا يمكن أن يخرجوا، وكلما حاولوا وجدوا الأبواب أمامهم مؤصدة، ووجدوا خزانة جهنم أمامهم يضربونهم بمقامع من حديد.

أنت تريد أن تخرج من جهنم، أخرج هنا في الدنيا من تلك الأعمال التي قد تؤدي بك إلى جهنم فتحاول الخروج فلا يمكنك الخروج ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾^(١).

تكذبون بصريح قولكم، أو تكذبون برفضكم في واقعكم، وقد يكون المكذبون في واقعهم أكثر بكثير من المكذبين بمنطقهم؛ ف﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

هذه الآية تنص على أنها سنة إلهية، أن الأعمال السيئة في هذه الدنيا يحصل من ورائها الإنسان على نوع من العذاب، وكلمة عذاب شاملة في هذه الآية، أو عامة في هذه الآية، تحدث كثيراً في آيات أخرى عن أنواع كثيرة من العذاب التي يلقيها الناس على أعمالهم السيئة هنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ لأنه رحيم سبحانه وتعالى، عندما يذكرنا بما نخوفنا من جهنم؛ لأنه يريد أن لا نقع فيها، عندما يضع عقوبات هنا في الدنيا عسى أن تردعنا هذه العقوبات عما يوصلنا إلى العقوبة الخطيرة، العقوبة الدائمة، جهنم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

إنها من رحمة الله أيضاً أن يوجد عقوبات هنا للناس في الدنيا على أعمالهم؛ لأنه هكذا قال: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ﴾، الأقرب هنا في الدنيا قبل عذاب

١. السجدة: من الآية ٢٠

٢. السجدة: ٢١

الآخرة ﴿ذُنُوبَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾، الذي هو جهنم، أي يدوقون العذاب هنا فيما بينهم وبين العذاب الموعود جهنم، عسى أن يرجعوا، عسى أن يحسوا بوطأة العذاب، ويستشعروا أنه عقوبة فيدفعهم ذلك إلى العودة إلى الله في المقام الذي تنفع فيه العودة إليه فيرجعون إليه.

ارتباط الدنيا والاخرة

هذا هو الوعيد في هذه الدنيا الذي ألغي من أفكارنا، من أذهاننا الذي فهمناه فهمًا مغلوطًا، أنه واقع الحياة، وأنه طبيعة الحياة، وأنه هكذا على هذا النحو جبلت الدنيا حتى أصبحنا لا نتذكر، أو لا نقيّم الحالة التي نحن فيها: أنها ربما قد تكون عقوبة، فتتذكر حينئذ أن علينا أن نرجع إلى الله ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ذُوَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ولأن آيات الله سبحانه وتعالى هي بالشكل المهم لها قيمتها الكبرى التي تستطيع أن تترك آثاراً كبيرة في نفوس الناس، وتستطيع أن تبين لهم الكثير من الحقائق في واقع حياتهم، وأن تدفعهم إلى الأعمال الصالحة، ليكونوا في مصاف المؤمنين، الخاشعين لله، المسبحين بحمده، الذين لا يستكبرون، يكون واقع من يعرض عنها، واقع الخسارة العظيمة، الظلم العظيم لنفسه، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾^(١).

آيات ربه، هي آيات، وهي آيات من ربه الرحيم به الرؤوف به، ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(٢).

أعرض عنها لا أنها هي غير قادرة على أن تؤثر في نفسه، إنما هو الذي يعمل على أن يعرض عنها.

١. السجدة: من الآية ٢٢

٢. السجدة: من الآية ٢٢

ومن أظلم من هذا؟! من أظلم منه لنفسه؟! من أظلم منه في موقفه السيئ أمام ربه المنعم عليه، الرحيم به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾^(١).

نسي ما قد قدم، ونسي ما هو فيه من سوء الحال وهو يعرض، أن هذا من أسوأ ما تقدمه يده ليلقي آثاره السيئة في الحياة، ويلقى العقوبة العظيمة عليه يوم القيامة ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّقِمُونَ﴾^(٢).

هو مجرم، ولأنه ليس هناك وسيلة أخرى أبلغ وأعظم وأكثر تأثيراً في نفسه من هذه الآيات التي أعرض عنها فواقعه إذاً مجرم هو مجرم والمجرم هو ذلك الذي لا يستحق إلا الانتقام منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّقِمُونَ﴾، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن عباده الذين قال عنهم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

الأكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. الكهف: من الآية ٥٧

٢. السجدة: من الآية ٢٢

٣. السجدة: ١٧

الأسئلة التقويمية

١. ما الفكرة العامة التي تناولها الفصل؟
٢. كيف فسر الكاتب العلاقة بين التوبة والنجاة؟
٣. ما أهمية الاتكال على الله كما ورد في الفصل؟
٤. كيف عرض الفصل صورًا من التذكير بالموت والحساب؟
٥. ما هي الوسائل التي يحث عليها الفصل لبناء الإيمان؟
٦. كيف ربط المؤلف بين القرآن وواقع الناس؟
٧. ما الفرق بين المؤمن الحقيقي والمنافق كما ورد في الفصل؟
٨. ما أبرز الآيات التي فُسرَت أو استُشهد بها؟
٩. ما وظيفة الرسول في تبليغ الرسالة كما أوضحها الفصل؟
١٠. ما النتائج التي تترتب على الإعراض عن هدي الله؟



الْفَضْلُ الرَّابِعُ عَشْرُ

أثار الأعمال في الدنيا والآخرة

الوعد والوعيد

الدرس

الرابع والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبر من قصة نبي الله آدم (عليه السلام)

كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، كل إنسان يصدر منه عمل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

آثار الأعمال، آثار عملك كإنسان كفرد، آثار عمل الأمة، آثار عمل المجتمع أي مجتمع كان، عمل الإنسان كإنسان، وعمل المجتمع كمجتمع، عمل الأمة كأمة كله مرصود، وكله له آثاره هنا في الدنيا، له عواقبه هنا في الدنيا، كما له آثاره الطيبة أو عواقبه الوخيمة في الآخرة أيضاً.

نحن نقرأ في كتاب الله الكريم: قصة أبينا آدم (عليه السلام) - أول إنسان - أكل من

شجرة نواه الله عنها، فلم يسلم من آثار مخالفته لنهي الله، أكل منها فشقي هو وزوجته، وأُخرجا من الجنة، ونُزعت عنهما ملابسهما، وقال الله لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

أكل من شجرة نواه الله عنها فناله في الدنيا آثار مخالفته لنهي الله، عمله ذلك الذي يبدو عملاً بسيطاً، أكل من شجرة يقال: إنها شجرة البر، أو شجرة العنب، أو شجرة التين، فشقي.

تكررت هذه القصة في القرآن الكريم كثيراً، ويقال أيضاً: إنها تكررت في كتب الله القديمة أيضاً؛ لأن فيها عبرة مهمة، فيها درس عظيم لنا - نحن بنو آدم - أن نعرف أن كل أعمالنا هنا في الدنيا نحن ننال جزاءها، أو نمودجا من جزاءها، ومن عواقبها الوخيمة هنا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا هو الشيء الطبيعي، وهو الشيء الصحيح.

الله الذي خلق الإنسان وهو يعلم أن الإنسان يخاف من العاجل أكثر مما يخاف من الآجل، ويجب العاجل أكثر مما يجب الآجل ﴿كَأَلَّا بَلَّ تُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٢).

من الطبيعي: أن الله سبحانه وتعالى الذي عمل كل شيء من أجل أن يدفع بهذا الإنسان إلى صراطه المستقيم، أن يجعل هنا في الدنيا وعداً ووعداً.

إذا كان الإنسان هو ممن يجب العاجلة فإن الله أيضاً يعجل جزاء طيباً لأعماله الصالحة هنا في الدنيا، إضافة إلى ما وعده به في الآخرة من النعيم والجزاء العظيم، وهو أيضاً ينيله عقوبة أعماله هنا في الدنيا؛ ليخاف من المعصية، ليخاف من التقصير، ليخاف من التفريط، كما أنال أبانا آدم (عليه السلام) عاقبة أكله من تلك الشجرة.

١. الأعراف: من الآية ٢٢

٢. القيامة: ٢١

أولست معصية تبدو بسيطة، تاب عليه فيما يتعلق بالإثم، فيما يتعلق بالجزاء الأخروي، لكن كان لا بد أن ينال جزاءه فيما يتعلق بالأثر لمعصيته في هذه الدنيا؛ ليفهم أبناؤه: أن كل معصية تصدر منهم سواء من الفرد، أو معصية مجتمع، أو معصية أمة، المعاصي تختلف: هناك معاصي لأفراد، ومعصية مجتمع بأكمله، ومعصية أمة.

ويقال: أنه أيضاً هكذا يكون الحساب يوم القيامة يحاسب الناس كأفراد، ثم يحاسبون كمجاميع، ويحاسبون كأمم ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^(١).
بقائدهم الذي كانوا يعتزون إليه في الدنيا، يا أتباع فلان، يا أصحاب فلان.

معرفة الوعد والوعيد

قضية مهمة جداً: أن نعرف أن هناك وعداً ووعيداً في الدنيا، إضافة إلى الوعد والوعيد في الآخرة، أن جهلنا بهذه النقطة، جهلنا بأن هناك وعيداً على كل عمل نقترفه، على كل طاعة نقصر فيها، على كل واجب نفرط فيه، على كل أمر إلهي لا نستجيب له، أن هناك وعيداً.

تقصيرنا في فهمنا لهذه القضية هو ما جعلنا نجعل وضعيتنا التي نحن فيها؛ لنعرف أن ما نحن فيه هو عقوبة لتفريط حدث منا، لتفريط حصل منا فيما يتعلق بأوامر الله سبحانه وتعالى، جهلنا هذا حتى آل الأمر إلى أن أصبحنا نتعبد الله سبحانه وتعالى بالبقاء على وضعية هي في واقعها عقوبة! والعقوبة أساساً هي للازدجار، ليرتدع الإنسان، ليخاف.

فلماذا نظل في حالة هي عقوبة على تفريطنا، ثم نقول لأنفسنا: هكذا حال الدنيا! الدنيا هكذا يكون حالها، يكون فيها بلاوي مصائب، وأهل الحق يكونون هكذا

١. الإسراء: من الآية ٧١

مستضعفين، مستذلين، مساكين، وهكذا. فنحمل المسؤولية الله، أو نحمل المسؤولية الدنيا!

الأشاعرة يقولون: هذا كله من الله هكذا؛ لأنه ملك يعمل ما يريد، حسناً هل هذه عقوبة فلنفهمها إذا كانت من الله إذا فهي عقوبة، أو هي ماذا؟ أو كان هذا هو حال الدنيا، هل أن الدنيا بطبيعتها هي تنتج هذه الأوضاع، أو أن الدنيا هي مرتبطة بالله تعالى، الله هو الذي يدبر أمورها، ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(١).

فهل هو الذي طبع هذه الدنيا على أن تكون على هذا النحو المزعج، أن يعيش فيها أولياؤه أذلاء مستضعفين أن يعيش فيها أولياؤه مقهورين مغلوبين على أمرهم، أن يعيش فيها الحق الذي أراد أن يحكم هو عباده في هذه الدنيا أن يعيش فيها ضائعاً غائباً، وأن يكون الباطل هو الذي يسود ويعاني الناس الأمرين من سيادة الباطل وانتشار الفساد، هل هو الذي طبع الدنيا على هذا النحو، حاشى لله.

الله هو الذي خلق كل شيء على أجمل ما يمكن أن يكون ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(٢)، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣)، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٤)، ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(٥).

١. هود: من الآية ١٢٣

٢. السجدة: من الآية ٧

٣. هود: من الآية ٧

٤. الإسراء: من الآية ٩

٥. الزمر: من الآية ٢٣

كل عمل من جانب الله كله أحسن.

نسبنا أن ننظر إلى واقعنا هل هو واقع خزي أم واقع عزة! - لو سألنا أنفسنا - ما هو! أليس واقع خزي، أن يهددنا رئيس أمريكا، يتهدد العالم الإسلامي بكله حكومات وشعوبا، أن يمتد تهديده إلى أن يصل إلى حكام المسلمين فينطلقون هم يهددون المسلمين بتهديداته: [توقفوا عن أن تقولوا كلمة تجرح مشاعر اليهود والنصارى].

إذا كان هذا هو واقع خزي فإن الله ذكر الكثير في القرآن الكريم: أن ذلك إنما يحصل للعاصين، إنما يحصل للمفرطين، ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

بل أصبحت المقاييس معكوسة، والفهم مغلوطا: الناس الذين ينظرون إلى وضعيتهم في هذه الدنيا وضعية شقاء، وخزي، وذلة، بعد أن جعلوا أن هذا هو الشيء الذي طبعت به الدنيا من قبل خالقها، أو من أي جهة كان: أن هذه مرحلة مؤقتة فلنصبر عليها، وسنحصل على الرفعة، والعزة، والنعيم، والمكانة العظيمة في الجنة، وفي الآخرة!

مع أن الله يربط في القرآن الكريم: ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

تكررت أكثر من مرة يتحدث عن العقوبات في الدنيا، ويتحدث عن الوضعية السيئة في الدنيا أنها تنذر بمثلها وأعظم منها في الآخرة، فمن أين جاء لنا نحن هذا. أو عندما نرى أنفسنا تحت أقدام اليهود والنصارى: أن الصبر على ذلك هو نفسه

١. البقرة: من الآية ١١٤

الوسيلة لأن نحظى بالعزة والرفعة في الآخرة! لا. بل أقرب ما يمكن أن يكون الأمر هو: أن الله ربط بين الشقاء في الدنيا والشقاء في الآخرة، فإذا كنت شقياً في الدنيا فاحذر أنك قد تكون شقياً فعلاً في الآخرة، إذا كانت هذه الأمة تعيش ذليلة، مقهورة مهزومة، تعيش في حالة خزي في الدنيا، فلتحذر أن ذلك ينذر بأن وراء ذلك عذاباً عظيماً في الآخرة ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(١).

لاحظوا الربط: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(٢).

ثم ماذا، ثم ندخله يوم القيامة الجنة، ربط بين الشقاء في الدنيا، بين ضنك المعيشة وبين الشقاء في الآخرة ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾^(٣).

من أين جاء هذا الفهم لكثير من المرشدين، لكثير من علمائنا أيضاً، أن نتظر بعد الخزي في الدنيا، بعد الذل في الدنيا، بعد الشقاء في الدنيا، وهو شقاء ليس في إطار عمله في سبيل الله، بل لا يسمى ذلك شقاء عناء ليس في مجال عمله في سبيل الله له، وفي ميادين العمل لله، خزي وذل وشقاء، ومعيشة ضنك، هكذا بدون مقابل في الدنيا، لا من أجل جهد بذلناه في سبيل الله، ولا من أجل مواقف عظيمة وقفناها ضد أعداء الله.

بل لا يحصل وأنت تقف المواقف ضد أعداء الله، لا يحصل ضدك ما تعتبره خزيًا وإن كان - من وجهة نظر الآخرين - إذلاً لأك، وخزيًا لك، وأنت تعاني من أجل الحق فهذا ليس خزيًا، أنت من ينظر إليك أعداؤك حتى وأنت في زنازينهم في

١. طه: ١٢٣.

٢. طه: من الآية ١٢٤.

٣. طه: من الآية ١٢٤.

السجون ينظرون إليك كبيراً، وعظيماً وقوياً، وتكون كذلك عند نفسك قوياً، وعظيماً، وكبيراً. اليس هذا.

الشقاء الذي نحن فيه، الخزي الذي نحن عليه كمسلمين، المعيشة الضنكى، التي نحن نعاني منها مقابل ماذا هي، هل هناك شيء، إنها هي التي تأتي لمن أعرض عن ذكر الله ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

فلماذا يأتي الكثير فيقولون: [إن شاء الله بعد هذه الحياة نصير إلى الجنة، هذه دنيا نصبر على هذه الحالة وهي أياما وتنتهي ثم ندخل الجنة!] لماذا لا تتأملون الربط الخطير جداً بين الشقاء في الدنيا وبين الشقاء في الآخرة ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِحَشْرَتِي أَعْمَى وَقَدْ﴾^(١). كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٢)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾^(٣).

أي: وهكذا يكون ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾، شقاء في الدنيا، وعمى، وعذاباً، وخزياً في الآخرة.

تكرر في آيات كثيرة في القرآن الكريم، الحديث عن الوعيد يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، يكون هنا في الدنيا بأشكال متعددة، عقوبات تأتي بأشكال متعددة منها ما هي عقوبات معنوية، ومنها ما هي عقوبات مادية، ومنها ما هي آلام نفسية، ومنها ما يتمثل بقسوة في القلوب، لها أشكالها الكثيرة.

أنواع العذاب في الدنيا له أشكاله الكثيرة تعرض له القرآن الكريم ليخوفنا بها، من الذي فهمنا هذا الفهم المغلوط: أن الدنيا طبعت على هذا النحو، والمؤمن هو من يرضى بالحالة التي هو عليها، والتي الدنيا عليها، فكلما ازداد الوضع سوءاً كلما رأى

١. طه: ١٢٦.

٢. طه: من الآية ١٢٧.

٣. طه: من الآية ١٢٧.

نفسه أقرب إلى الله، وكلما رأى نفسه أقرب إلى الجنة، من أين جاء هذا الفهم، وليس الربط واضحاً في هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

الربط واضح.

ولأهمية هذا الموضوع، ولنفهم المسألة فهما صحيحاً - إن شاء الله - نحاول أن نستعرض الكثير من آيات القرآن الكريم التي تدل على: أن الإنسان هنا يلقي جزاء أعماله، ينال جزاءً من العقوبات على أعماله في هذه الدنيا ومن أول معصية حصلت.

لاحظوا من أول حادث وقع مخالفة لأمر الله من جانب بني آدم والذي كان على يد أبينا آدم (عليه السلام) حين أكل من الشجرة ألریشق! شقي فعلاً، لكننا نقرأ هذه الآية، ونقرأ [قصة آدم] ونمر عليها، وإذا ما جاء أحد المفسرين كان همه هو أن يبحث عن كيف يخرج من هذه القصة دون أن يلحق آدم إثم، يحاول أن يحافظ على آدم ألا يلحقه إثم فمعصيته حصلت على جهة التأويل، أو أنه كان ناسياً، أو ربما أنه نهي عن جنس الشجرة، ولم ينه عن شجرة بعينها مخصصة!

ولكن الله قال في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ﴾. - هذه - ﴿الشَّجَرَةَ﴾^(١).

نهأما عن أكل شجرة معينة، وحذرهما من الشيطان أنه عدو لهما، وأنه سيعمل على أن يحملهما على الأكل من هذه الشجرة فليكونا متيقظين. جاء إبليس ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(٢).

زَيْن لهما المسألة حتى أَكَلَا مِنْهَا ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا

١. البقرة: من الآية ٣٥

٢. الأعراف: من الآية ٢٢

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ^(١).

لم يتعقل بعض المفسرين قضية «يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا»^(٢).

أنه فعلاً ملابسهما نزعتهما، يخرج من الجنة ولا يحمل حتى خيط، يخرج من ذلك النعيم، من الجنة في الدنيا هنا وليس جنة الآخرة، جنة في الدنيا كانت قد أعدت لهما ليقميا فيها وليأكلا فيها رغداً من حيث شاءا - كما قال الله - ، وفيها ما يحتاجون إليه، فيها ملابسهما، فيها كل شيء، حتى إذا أكلا من تلك الشجرة طُرِدَا من الجنة، وخرجا إلى الحياة ليسيرا في الحياة هذه في الحصول على معيشتها على النحو الذي نحن نعمله: زراعة، وحرث، وأعمال كثيرة حتى يحصل على قوته، ونزعتهما عنهما ملابسهما، حتى الملابس لا تبقى لهما «وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ».

ليسترا عورتيهما ولو بالورق. أليست هذه أول معصية، تحدث نتيجتها في الدنيا على من اقترفها أن يشقى، وأن تنزع عنه حتى ملابسه فيخرج من الجنة، فشقي فعلاً، وتعب في الحياة، هذه أول معصية.

وتكررت في القرآن الكريم؛ لأن فيها عبرة مهمة، ودرساً مهماً، كذلك تكرر في القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا النوع التي تبين: أن الناس يحصل لهم في هذه الدنيا عقوبات أعمالهم.

نحن كطلاب علم إذا ما اتجهنا لمرشد الناس دون أن نذكرهم دون أن نرشدهم وفق منهجية القرآن؛ فسنكون نحن من يصرف الناس عن القرآن، ويصرف الناس عما يريد القرآن منهم أن يفهموه في مجال التذكير بالله، في مجال التخويف من الله.

نحن نخوف الناس بجهنم، لكن الإنسان بطبيعته يخاف العاجل أكثر من الآجل، يتوقف عن عمل يكون فيه نجاته من جهنم لخوفه من سجن في الدنيا، يقترب عملاً

١. الأعراف: من الآية ٢٢

٢. الأعراف: من الآية ٢٧

سيئاً سواء يتمثل بعمل يرتكبه، أو قعود عن حق ينصره، فيكون قعوده ذلك مما يؤدي به إلى جهنم لماذا، خوفاً من سجن في الدنيا، أليس هذا هو ما يحصل.

ما الذي يقعد بالكثير من الناس قعوداً قد يؤدي بهم إلى جهنم إلا خوفهم من ماذا، خوفهم من الوعيد العاجل، وأي مقارنة بين الوعيد العاجل الذي تخافه من جانب هذه الدولة، أو من جانب ذلك الشخص، سجن، أو أن تفقد مصلحة معينة تخاف على مصلحتك، تخاف من سجن، تخاف من تعذيب في سجن؛ فتتوقف ولا تحسب حساب جهنم، أليس هذا هو ما يحصل عند الكثير من الناس.

الله الحكيم، الله الذي يعلم النفس البشرية ليريدع هذا الأسلوب، ليريدع الإنسان دون أن يضع له في الدنيا هنا ما يجب أن يخاف منه فيكون أمامه دائماً ما يخيفه من التفریط، وما يخيفه من ارتكاب المعصية: عقوبات في الدنيا، وعقوبات في الآخرة ينفع فيك الخوف من الآجل، وإلا فأمامك ما تخاف منه في العاجل.

بركات وثمرات طاعة الله تعالى

وهكذا عمل أيضاً في جانب الهداية، في جانب الترغيب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

أليس كذلك؟ ماذا يعني هذا؟ إيمان وتقوى سيكون مما نناله في هذه الدنيا هو أشياء مما نحب، أشياء مما نرغب إليه؛ لأننا نحب العاجلة فستكون هناك أرزاق مبسطة، يكون هناك رغد من العيش، وهذا هو ما يهم كل إنسان: قضية العيش، المعيشة ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

هذا وعدا من الله ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

١. الأعراف: من الآية ٩٦

٢. الأعراف: من الآية ٩٦

ما معنى: أخذناهم، أن يحدث نقص في البركات. عبارة: أخذناهم أخذ، أي أخذ
كان: نقص في البركات، أو خزي في الدنيا، أو ذلة، كم أنواع العقوبات من جانب
الله كثيرة جداً ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

نرى الان الكثير من الثمرات والبركات قد اختفت، مثل شحة المياه فلقد كانت
مياه الأودية والجبال تتدفق في كل مكان، وكان الناس لا يرون أنفسهم بحاجة إلى أن
يجفروا الآبار، وكانت الأمطار كل أسبوع، كل ثاني أسبوع، كل شهر، كل ثاني شهر،
وهكذا والأودية والروافد يتدفق فيها الماء، لا أحد يحتاج إلى أن يسقي، الأنهار ممتلئة،
لكن نرى عكس ذلك اليوم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(١).

ويأتي الآخرون ليحللوا لنا الأشياء سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة
تحليلات لا تذكرنا بالعودة إلى الله، [اقتصادوا في استعمال الماء، وهذا ما تجمع منذ
آلاف السنين، اقتصادوا في استخدام الماء].

فنفكر كيف نقتصد في استخدام الماء، بل الماء هو الذي اقتصد من تلقاء نفسه، لم
نعد بحاجة إلى أن ننظم استهلاك استخدام المياه، الماء هو الذي فرض علينا وضعية
معينة فخفض من مستوى الأشجار التي نزرعها، ومن مستوى المساحة التي
نزرعها، بل خفض من مستوى عدد المزارعين أيضا فالكثير منهم هجروا مزارعهم
وغادروا وتركوا المضخات وتركوا الآبار، وتركوا الأشجار حطاما.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

هل أولئك الذين يتجهون لبناء سدود لنا هم من سيأتون بماء معين، السدود على
من تعتمد، أليست معتمدة على الأمطار، والأمطار هي من، من الذي ينزل من

السماء ماء، هو الله، إذاً السدود نفسها ستلحق باطن الأرض، فحينها لا من باطن الأرض ولا من السمااء ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وكم كرر في القرآن للناس أن يفهموا: أن معاناتهم في الدنيا هي بسبب إعراضهم عن ذكر الله.

لكن لا حكوماتنا تذكرنا بهذا، ولا كثير ممن ينطلقون لإرشادنا على منابرنا يذكروننا بهذا، ويرسمون لنا كيفية العودة إلى الله، أو متى ما انطلقوا ليذكرونا بالعودة إلى الله، بحثوا عن الأشياء السهلة وتركوا القضايا المهمة التي هي وراء كل مصيبة، التي تقصيرنا فيها هي وراء كل مصيبة نعاني منها، يوجهوننا للأشياء البسيطة التي لا تثير هذه السلطة ولا تثير أولئك الآخرين، ولا تكلف هذا، ولا تشق على هذا.

اعلان الحرب من الله تعالى

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

ماذا يعني هذا، عقوبة في الدنيا أليس كذلك؟ بل حرب الله سبحانه وتعالى سيتجه إلى طرف يحارب عباده إذا لم يدعوا الربا، إذا لم يذروا الربا. ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾.

وحرب الله إذا ما دخل في حرب مع الناس له جنود السماوات والأرض، يحاربك من كل جهة، من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، يحاربك في نفسك، يحاربك في داخل أسرتك، يحاربك في سيارتك، يحاربك في مضختك، يحاربك في مزرعتك، يحاربك داخل مصنعك، يحاربك في كل شيء.

١. البقرة: من الآية ٢٧٩

في [اليابان] نفسه التي هي من الدول المصنعة الكبرى، يقال إن الغلاء في [طوكيو] نفسها في العاصمة وصل ببعض البلدان الضعيفة أو الصغيرة أنها لم تستطع أن تستأجر لأنفسها سفارات داخل طوكيو وإنما خارج، غلاء شديد في كل بقعة في العالم، وعندنا أليس هناك غلاء، وكل سنة ترتفع الأسعار. من أين جاء هذا، والمعيشة تتدنى، ألرأ الأشياء تصغر، ألرأ تصغر علب الحليب، تحول إلى قراطيس صغيرة، وغيرها الكثير من المنتجات صغرت، صغرت أليس كذلك.

وكما يقال بأنه: في آخر الزمان لا تجد درهماً حلالاً، فالنقود التي في جيوبنا من أين تأتي، من البنوك، البنوك هي من تتعامل بالربا، تتعامل في الداخل وتتعامل في الخارج بالربا، كل ما نأكل مصبوغ بالربا، كل النقود التي في جيوبنا مصبوغة بالربا كيف نعمل.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

دور اليهود في نشر الربا

تأملوا جيداً لنرى الحرب التي يشنها الله على الناس؛ لأنهم استساغوا الربا، المسلمون أنفسهم استساغوا الربا، وهذا من آثار عمل اليهود، اليهود بخبثهم، اليهود هم المعروفون بالربا من مئات السنين، لكن بطريقتهم الخبيثة بالإضلال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّالَّةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

لكن هكذا بطريقتهم الخبيثة حتى يصبح الربا مستساغاً في أوساط المسلمين، ومستساغاً في التعامل بين تجار المسلمين وفي بنوك أموال المسلمين، ويصبح طبيعياً ولا حتى الاستنكار الكثير من جانب علمائنا، من جانبنا كطلاب علم أيضاً، لم يعد هناك قضية تدفعنا على الاهتمام أن نستنكرها، والربا شديد جداً، الربا من أكبر الجرائم.

أوليس شيئاً مرتبطاً بالجانب الاقتصادي، هذا مما يؤكد أن الإسلام يهتم جداً فيما يتعلق بالمسلمين بالجانب الاقتصادي لعباد الله، بالجانب الاقتصادي للمسلمين.

الربا أضراره كثيرة جداً، في واقع الحياة بالنسبة للمسلمين يؤدي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم.

جاء الإسلام ليقضي على الربا، ويضع بدلاً عنه أجراً عظيماً على القرض، القرض المشروع الذي لست ملزماً فيه بأن تدفع فوائد إضافية، رأس المال تردده، أقرضك مائة ألف تعيد إليه مائة ألف، فجعل القرض بمثابة صدقة كل يوم إلى أجله المحدد، ثم إذا أضفت أجلاً لصاحبك باعتباره معسراً يعتبر بمثابة صدقتين في اليوم الواحد

عن كل يوم.

القرض جعل الله عليه أجراً كبيراً لينطلق المؤمن لمساعدة أخيه، لإعطائه رأس مال ليستطيع أن يتحرك فيتجر أو يزرع، وهو يرى نفسه ليس ملزماً بأكثر من رأس المال.

الفوائد تكفل الله بها هو للمقرضين، لكن الربا قد ترى الفائدة نسبة بسيطة ٥٪ أو ٥, ٢٪ أو حتى ١٪ فإذا بك ترى نفسك بعد سنين قد تصبح الفوائد نفسها أكثر من المبلغ، وترى نفسك مرهقاً وأنت تعمل على أن تتخلص من الفوائد الإضافية، أما رأس المال فهو ذاك ما يزال قائماً وما يزال ينتج ما يزال يحملك إضافات كل سنة.

من الذي سيعمل ودا أو يرى جميلاً لذلك الشخص أو لذلك البنك الذي أقرضه على هذا النحو ألسنته ستلغنه، وترى نفسك في حالة أنه أرهقك بهذا التعامل لكن ذلك الذي يقرضك قرضاً حسناً، قرضاً لا ربا فيه سترى له الجميل، وترعى له الجميل، وتقدر له ما عمل وترتبط به، فيكون ذلك من أهم الروابط فيما بين المسلمين وهم يعطفون على بعضهم بعض، أما الربا فإنه هو الذي يحطم العلاقات فيما بين المسلمين ناهيك عما يؤدي إليه من تكديس الأموال في فئة محدودة كما هو ظاهر، وتكديس الأموال في فئة محدودة وهي من تستطيع أن تتغلب على كل شيء، ثم تتحكم في الموقف والقرار السياسي للأمة.

الربا شديد حتى ورد في الحديث «لدرهم من ربا أعظم عند الله من خمسة وثلاثين زنية، أهونها أن تزني بأهلك عند الكعبة درهم واحد من ربا، لماذا، لأن الجانب الاقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة أعدائهم، في أن يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم وبمسئوليتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشر دينه في الأرض كلها.

الإنسان إذا كانت معيشتة صعبة، المجتمع إذا كانت معيشتة قلقة يكاد هذا هو ما يصرفه حتى أن يرجع هو نفسياً إلى الله، منشغل بكيف يوفر لأهله القوت، كيف

يوفر لأسرته حاجياتهم، ولا يفكر بأن يستمع إلى مواعظ إلى أن يهتدي إلى أن يحضر- إلى مجلس علم، أو يحضر إلى مدرسة يستفيد منها. بل تأتي لتعظه وذهنه مشغول، ذهنه مشغول، تأتي الأمة في زمن كزماننا هذا فترى أعداءها يهددوننا وترى الضربات داخلها هنا وهناك ثم ننظر إلى أنفسنا فإذا بنا لا نستطيع أن نقف على أقدامنا، الجانب الاقتصادي لنا منهيار.

لأهمية المال في بناء الأمة، وفي أن تنطلق الأمة في مواجهة أعدائها وأن تنطلق الأمة في القيام بمسئوليتها، ولأثر الربا السيء فيما يتعلق بهذا الجانب، الله تعالى قال: إنه سيحارب.

أليس هذا أقصى ما يمكنك أن تصل إليه مع الطرف الآخر الذي بينك وبينه خلاف حول قضية ما، يدل على أن هذا الشيء مهم لديك، هذه القضية لا أتسامح فيها أبداً، هل يسمعها أصحاب البنوك؟ هل يسمعها التجار؟ هل يسمعها الناس جميعاً؟ هل يرون آثارها في أنفسهم وفي الحياة؟ آثار الحرب الإلهية؟ نحن نرى آثار الحرب الإلهية في كل شيء.

﴿فَازْبُوا﴾، إيدان أي: إعلام ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

أليست المعيشة كل عام تكون أصعب، والبركات كل عام أقل، والنفوس كل عام أشد تبايناً، والقلوب أشد اكتظاماً وأشد ضيقاً، الصدور تضيق، النفوس تتباين، المعيشة تشتد، والمنتجات تتدنئ.

المرابون الذين تفقههم اليهود والذين استساغوا الربا على أيدي اليهود، هكذا يعمل اليهود يضلوننا من حيث لا نشعر، يضربوننا من حيث لا نشعر، يفسدوننا من حيث لا نشعر، يدوسوننا بأقدامهم ونحن لا نحس بشيء. هذا هو ما يحصل.

كيف لو بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من جديد إلى هذه الحياة ورأى أمتة هذه المنتشرة في متخلف بقاع العالم تأكل ربا وتتعامل بالربا، كيف سيكون

شعوره أمام هذه الأمة، سينظر هل ربما أن القرآن غير موجود، ربما هم لم يطلعوا على آية كهذه، ثم يرى أن القرآن أيضاً ما يزال داخل بيوت أعضاء المجالس الإدارية للبنوك، أو مجموعة من التجار أصحاب بنك يتعاملون بالربا، المصاحف داخل بيوتهم وهم من يبنون أيضاً حجرات خاصة للصلاة في بعض البنوك، وفيها مجموعة من المصاحف داخل مبنى البنك، يحصل هذا في بعض البنوك.

تأثير الربا على نفسية المؤمن

أين نحن من آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

وقد أصبح الربا عندنا مستساغاً. وأصبح شيئاً مألوفاً لدينا، هذا هو الترويض من قبل اليهود الذين يروضوننا شيئاً، فشيئاً، فشيئاً إلى أن يصبح كل فساد من جانبهم مستساغاً، ويلطموننا لكمة بعد لكمة، صغيرة، ثم أكبر منها ثم أكبر ثم أكبر حتى تصبح الركلة بالقدم مقبولة ومستساغة، خبثهم شديد.

لاحظوا كيف يسировون على هذه الطريقة حتى في فلسطين، الانتفاضة من يوم ما بدأت اثنين شهداء، ثلاثة، واحد، أربعة، يومياً، وهكذا.. لا يأتي بعدد يثير الآخرين، ولا يتوقف، وهم يعرفون بأنه اثنين كل يوم ثلاثة كل يوم كم سيطلع في السنة، وكم وصل إلى حد الآن قتلى الانتفاضة داخل فلسطين كم، تقريباً أكثر من ثلاثة آلاف شخص، ونرى الآن كيف لم يحرك ساكن أي من العرب حول طوفان الأقصى- إلا المتتمين لمحور المقاومة، مع هول الاحداث الدامية التي حصلت من العدو الإسرائيلي.

ومن هنا نعرف: كيف أن اقتراف الأمة لمعصية من هذا القبيل كالربا أن الأمة ستنال عقوبة من الله على ارتكابها، هذا هو وعيد وجانب من الوعيد في الدنيا.

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ألم يذكر هنا وعيداً في الدنيا وفي الآخرة؟ ما بال المرشدين دائماً لا يتحدثون عن الوعيد في الدنيا وهو جانب مهم في تخويف الإنسان من معصيته جانب مهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾^(٢).

أنت ذاهب - وأنت تريد أن تؤثر في نفسيات الناس - على منهاج هدي الله، تجد أن الله يخوفهم في الدنيا من عقوبات أعمالهم فخوفهم بها، واذكر لهم ماذا ستكون هذه العقوبات، وكيف ستكون، وعلى أي نحو ستكون؛ لأن الناس هكذا يخافون العاجلة أكثر مما يخافون الآجل، فسيدفعهم خوفهم من العاجل إلى أن لا يقعوا في العقوبة الآجلة، أليس هذا من رحمة الله، إذا خفنا عقوبات في الدنيا سيدفعنا خوفاً من العقوبات في الدنيا إلى أن نحذر من تلك المعاصي التي تؤدي إليها وبالتالي سنسلم العقوبة الشديدة في الآخرة وهي جهنم.

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾^(٣).

يؤمن ببعض من الكتاب ويكفر ببعض، كما نحن المسلمون في واقعنا عليه، نأخذ الصلاة من الكتاب ونترك الجهاد! نأخذ الحج ونترك وحدة الكلمة! نأخذ جزءاً

١. البقرة: من الآية ٨٥

٢. البقرة: من الآية ١٢٠

٣. البقرة: من الآية ٨٥

بسيطاً من داخل القرآن الكريم ونترك الجزء الأكبر! بل المجتهد هو همه من داخل القرآن خمسمائة آية على أكثر تقدير ويترك الآلاف من الآيات الأخرى لمجرد التعبّد بتلاوتها

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

حسناً كيف هو الكفر ببعض، هل أن أهل الكتاب يقولون: إن نصف التوراة من الله، ونصفه الآخر ليس منه، يقولون: هي كلها من الله، نحن نقول أيضاً: القرآن كله من الله، ونحن في واقعنا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ماذا يعني كفرنا ببعض الآخر، إنه رفضنا، رفضنا له، ابتعادنا عن تطبيقه، نسياننا حتى عن تصنيفنا له بأنه جزء من ديننا، وأن عليه تتوقف نجاتنا.. هكذا نصبح في واقعنا كافرين ببعض وإن لم نكن ننكر أن هذا البعض هو من الله.

من الذي ينكر أن هذه الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

هي من الله، هل أحد ينكرها، حتى ولا المرابون أنفسهم لا ينكرونها، لكن أليسوا عندما ينطلقون في التعامل بالربا كافرين ببعض الكتاب: رافضين، والرفض هو: كفر، هكذا يقول عن العقوبة في الدنيا: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

الخزي هل هو سهل، الخزي يجب أن يزعجنا كلمة: ﴿خزي﴾، يجب أن ينزعج الإنسان إذا ما سمع كلمة خزي في الدنيا، وليس الناس قد يقاتل بعضهم بعض؛ لأن ذلك الشخص جاء على لسانه كلمة تمس عرضه، أو يكون الكلام الذي قاله فيه أو نسبه إليه يعني أن ينسب إليه مما يجعله يخزي فينفعل ويغضب ويقاتل.

١. البقرة: من الآية ٨٥

الخزي شديد، أوليس واقع هذه الأمة هو واقع خزي، من أين جاء هذا الخزي، هكذا؛ لأنه حصل إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض، والبعض الذي كفروا به، أو أصبحت الأمة في واقعها كافرة به هو الجزء المهم والأكثر أهمية.

المساجد قد ملئت الدنيا، مساجد والمصلون يملئونها أفواجا، حتى المرابون يصلون أيضاً، نحن نصلي ونبني مساجد ونحن نطبع القرآن الكريم، ونعمل أعمالاً أخرى لكن هناك أعمالاً نتركها هي المهمة وهي المهمة التي لا تقبل الصلاة إلا بها ولا تعطي الصلاة ثمرتها إلا معها وبالتوجه إلى أدائها. فالخزي الذي الأمة فيه يعني ذلك أنه كان بسبب كفرهم ببعض الكتاب الذي تمثل بصورة رفض لأشياء مهمة جاءت في هذا الكتاب لمرنته إليها.

إذا فليس الخزي هو من الطبيعة التي جبلت عليها الدنيا من يوم خلقها الله، وإنما بسبب ما يحصل من جانبنا نحن من تقصير في أداء جوانب مهمة من هدي الله، ورفضنا في عملنا وفي واقعنا للعمل بأشياء كثيرة مما تضمنتها آيات الله في كتابه.

فإذا ما قيمنا وضعيتنا فوجدنا أن وضعية الأمة هي في حالة خزي، ومن الذي يستطيع أن يقول أن الأمة ليست في حالة خزي، اسمع التلفزيون سترى كيف مواقف الخزي، كيف الكلمات المخزية تنطلق من الكبار، وكيف الوقوف المخزي يحصل من يجب عليهم أن يتحركوا في أوساط الأمة؛ لإنقاذها، ولتبين كتاب الله لها انظر كيف هي المواقف المخزية للأمة بشكل عام أمام التهديدات التي تأتي من قبل أعدائها، انظر كيف السكوت المخزي أمام ما يحدث من ضربات في كل جوانبها، وداخل كل بقعة، انظر كيف الحياة المخزية أن يصبح عيشنا تحت رحمة أعدائنا، وقوتنا من تحت أيدي أعدائنا.

إذا فهمنا أننا في حالة خزي، وفهمنا أن الخزي إنما يأتي إذا ما انطلقنا نحن على هذا النحو: نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، حينها سيكون فهمنا لواقعنا وفهمنا بأن هذه نتيجة لتقصيرنا سيدفعنا ذلك إلى أن نصحح وضعيتنا ونرجع إلى الله رجوعاً

عمليا صحيحا.

الفهم الخاطئ للدين

لكن إذا فهمنا أن هكذا الدنيا، وأن علينا أن نصبر وإن كنا نعرف أن هذا خزي، هذا حال الدنيا والمسلمون هكذا يكونون مستضعفين، وإذا قلنا نحن أهل الحق وجدنا أنفسنا مستضعفين أكثر قالوا هذا هو الدليل على أننا على حق، أن أهل الحق هم يكونون عادة مستضعفين أكثر، ومساكين، وأذلاء، ومقهورين، إذاً فيصبح الخزي علامة أنك محق، كلما كنت في خزي أكبر كلما كان ذلك يعني: أنك على الحق أكثر وأكثر.

لكننا هنا القرآن الكريم يقول: ﴿أَفَتَوَمَّنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ثم يأتي الربط الذي تراه كثيراً في القرآن الكريم بين الحالتين، لا تتوقع بعد الخزي في الدنيا رفعة في الآخرة، توقع بعد الخزي في الدنيا عذاباً عظيماً في الآخرة نعوذ بالله ﴿خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

هكذا يجب أن نفهم، وهكذا نرد على من ينطلق ليعلمنا: أن هكذا الحياة خزي وراءه رفعة في الآخرة، غير صحيح. القرآن في أكثر من آية يربط على هذا النحو.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٢)، بدلوا كلمة، قال: ﴿وَقُولُوا

١. البقرة: من الآية ٨٥

٢. البقرة: ٥٩

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾^(٢).

حِطَّةٌ بما تعنيه: حط عنا ذنوبنا، حط عنا سيئاتنا، ما أعجبهم أن يقولوا هذه الكلمة بطيبة نفس وغىروها [حنطة] أو بعبارة أخرى، ألم يزدوا [نوناً] على ﴿حِطَّةٌ﴾، هذا النون ماذا أدى إليه؟ أصبح ما قالوه تبديلاً بإضافة نون كما يقول بعض المفسرون أنهم قالوا: حنطة. ولم يقولوا: حطة. أصبح النون هنا لذيذاً، النون أصبح له طعماً لذيذاً.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.

فما الذي حصل ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٣).

استحقوا رجزاً من السماء، أي سماء هي سماء جهنم أم سماء الدنيا؟ رجزاً من السماء: عذاباً من السماء، والكلمة تعني: عذاب بأي نوع كان من أنواع العذاب ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤).

زيادة نون جعلت اللفظة التي أمروا بها أصبحوا بها مبدلين للقول الذي أمروا بأن يقولوه عندما يدخلون الباب، أصبحوا مستحقين أن ينالوا عقوبة إضافة نون إلى حطة فيأتي بعد النون هذه رجز من السماء، ويحكم عليهم بأنهم قد فسقوا ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، ويأتي بحرف [الفاء] الذي يفيد سرعة حصول هذا وترتبه بتعاقب: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا﴾.

[الفاء] تفيد التعاقب السريع أيضاً، ﴿فَأَنزَلْنَا﴾.

١. البقرة: من الآية ٥٨

٢. البقرة: من الآية ٥٨

٣. البقرة: من الآية ٥٩

٤. البقرة: من الآية ٥٩

تختلف عن [ثم] لم يقل [ثم أنزلنا] هذا قد يوحي بأنه بعد فترة، تحصل عقوبة بسرعة كما قال: ﴿فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتِمُهُمَا﴾^(١).

في آدم وحواء سريعاً.

هذه قضية يجب أن نتنبه لها: أن الناس متى ما كانوا مقصرين، فليفهموا أن العقوبة المكتوبة جزاء لذلك التقصير تأتي سريعاً، ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾^(٢).

وقد تكون العقوبة أيضاً بشكل تشريعات شاقة ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣). كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه^(٤).

وهكذا فقال إنه عندما شرع حرم عليهم طيبات أحلت لهم، أليس هذا فيه عذاب؟ نوع من العذاب ولم يعدهم برفع هذا التحريم عنهم إلا إذا آمنوا برسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، كما قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

كان هناك إصر: أثقال جاءت بشكل تشريعات لأنهم كانوا يتمردون، فيستحقون عقوبات.

وقد تأتي العقوبة بشكل شيء معنوي يتجه إلى القلوب كما قال الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل، وبنو إسرائيل في تاريخهم الطويل داخله عبر لنا ولم يحك عن أولئك! يقول ما يحصل لأولئك سيحصل لنا نحن، القرآن ليس كتاباً تاريخياً

١. طه: من الآية ١٢١

٢. النساء: من الآية ١٦٠

٣. النساء: من الآية ١٦١

٤. الأعراف: من الآية ١٥٧

يتحدث عن قصص للتسلية، ولأن تاريخ بني إسرائيل هو رصيد مهم حافل بالعبر والدروس قدمه لنا، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(١).

هكذا الإنسان قد يقترف معاصي، أو قد يعرض عن هدى، أو قد يقصر في عمل مما عليه أن يعمل فتكون النتيجة هو أن يقسو قلبه، وقسوة القلب ليست قضية هينة، قسوة القلب ماذا وراءها، وراءها كل الشقاء في الدنيا، وراءها جهنم، بل عندما يقسو قلبك بسبب معصية واحدة معينة ستنتقل أنت إلى المعاصي؛ لأنك قد خذلت من جانب الله ولم تعد تحظى برعايته، ستنتقل أنت في معاصي كبيرة، ومعاصي كثيرة تضل وتزداد ضلالا، وتتحول إلى إنسان يحمل نفسا خبيثة يراكم الخبث داخلها.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

١. المائدة: من الآية ١٣

الدرس السادس والأربعون

قساوة القلب

قسيت قلوبهم فانطلقوا يحرفون الكلم عن مواضعه، وحصل أن نسوا حظاً كثيراً مما ذكروا به، ثم كما قال الله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(١).

خيانة، خداع، مكر، إذا ما قسى القلب انطلق الإنسان شراً في هذه الحياة، انطلق إلى عمل المعاصي بكل جرأة، بلغ بهم الحال إلى أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فيفترون على الله الكذب؛ لأن قلوبهم قد قست.. لماذا؟ وبماذا قست؟

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾؛ لأنهم لم يفوا بالميثاق الذي بينهم وبين الله، لأنهم لم يفوا بالمواثيق التي بينهم وبين الآخرين، فنقض الميثاق معصية تأتي بعده هذه العقوبة: أن يقسو القلب.

ثم يقول سبحانه وتعالى في آية أخرى بعد أن طلب نبي الله موسى من قومه أن يدخلوا القرية التي كتب الله لهم أن يدخلوها - القصة مهمة جداً -:

﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ

١. المائة: من الآية ١٣

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا^(١).

أليست هذه معصية؟ رفضوا! ما الذي حصل من عقوبة في الدنيا؟

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢).

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

بعد هذا جاء بالعقوبة عليهم في الدنيا: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

أليس هذا وعيداً في الدنيا حصل لبني إسرائيل؟ تاهوا أربعين سنة في صحراء [سينا] لا يبنون مساكن ولا يزرعون.. بالآلاف تائهين مثلنا نحن، نحن الآن في حالة تيه، لكن تيهنا تيه فكري، تيه ثقافي نرى المشاكل، ونرى المصائب من كل جهة ولا ندري ماذا نصنع، ويصل الحال بنا في حالة تيهنا أنه متى ما أحد قال لنا: هذا حل أو قولوا هكذا.. سخرنا منه، ماذا سيجدي هذا؟! لا.. دعنا هكذا. دعنا نتيه. ألسنا في حالة تيه؟

حتى تتأكد أننا في حالة تيه - كلنا نحن المسلمين - انظر إلى وسائل الإعلام في التلفزيون تتحدث عما يعمل الأمريكان وعما يعمل اليهود في كل منطقة وعما يعمل النصارى، ثم انظر هل هناك حديث عن حل، أو حديث عن موقف إسلامي أو موقف عربي؟ لا.. تائهين، فقط يهمننا أن نسمع، أن يقال حتى كلمة واحدة قولوها قد ربما تزعج أولئك قد تزعجهم أو تقلقهم قليلا، يكون موقفا لا بأس لا بأس أقل قليل [ماذا يعمل هذا؟ لا. دعنا هكذا نتلذذ بالتيه. دعنا هكذا راضينا بهذه الحالة.. ملطام هنا وملطام هنا. وإذا أحد انطلق قلنا له: اسكت. وإذا أحد يريد أن ينبهنا على

١. المائدة: المائدة: من الآية ٢٤ من الآية ٢٤

٢. المائدة: من الآية ٢٦

٣. المائدة: ٢٦

أن يكون لنا موقف أو أن يقول شيئاً أن نصرخ في وجه هؤلاء الأعداء لنزع عيهم لنقلقهم. قالوا: لا.. اسكت.. دعنا].

هكذا التيه، بنو إسرائيل تاهوا أربعين سنة؛ لأنهم امتنعوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم في ذلك الزمان، بل قالوا تلك العبارة القليلة الأدب: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

ولاحظوا.. كيف أنه لم يكن هناك إلا رجلين إضافة إلى نبي الله موسى وهارون دفعوا بهم إلى أن يشجعونهم لدخول هذه الأرض التي كتب الله لهم، رجلين فقط، الأغلبية كلهم ليسوا حول هذا الموضوع، لكن لم يكن كلام أولئك الرجلين كلاماً كان مهماً عند الله سبحانه وتعالى فسطره في كتابه وخلد ذكره. رجلين، وحتى رجل واحد لم يسطر كلام رجل واحد مؤمن آل فرعون؟ ويأتي بصفحة كاملة لمؤمن آل فرعون في [سورة غافر] لأنه لا عبرة بالمجاميع التي لا تقول شيئاً مهما كانت ثقافتهم مهما كانت مكانتهم، مهما كانت قدراتهم، وأن رجلاً واحداً ينطلق ليرشد الأمة له قيمته العظيمة عند الله، وهو حجة على الأمة.

لسنا بحاجة إلى أن نتنظر إجماعاً كما قد يقول البعض ينتظر العلماء كلهم أن يقولوا، والعلماء كلهم أن يقفوا والعلماء كلهم أن يتحركوا. أليس هذا هو ما يدور عند البعض؟ المهم هو: أن يكون هناك من يقول ولو رجل واحد، كمؤمن آل فرعون أن يكون هناك من يقول ولو رجلان فقط كما حصل لقوم موسى هنا: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾. يخافون الله ويخافون عقوبته، عقوبة عدم الاستجابة والتفريط في الاستجابة لنبي الله.

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾.

أنعم عليهما بالإيمان، بالوعي، بالفهم، بالتقوى، بالاهتداء.
وضعوا لهم خطة: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

لأنه كما في الأثر (ما غزي قوم في عقر دورهم إلا ذلوا)، اهجموا عليهم الباب فإذا دخلتموه فهم سينهزمون نفسياً وسيضعفون ويتفرقون وستغلبونهم. أليسوا هنا وجهوا لخطئة حكيمة؟

نبي الله موسى أمرهم بأن يدخلوا هذه الأرض، وهذان الرجلان تحدثا عن خطئة عندما وجدوهم يتهربون من الدخول ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

توكلوا على الله وادخلوا وستغلبون.. ألم يذكر الله كلام الرجلين كما ذكر كلام موسى، ألم يسطر كلام الرجلين هنا مع كلام موسى، وكلام مؤمن آل فرعون مع كلام موسى في المقام الآخر أيضاً؟ لأن الكلمة لها أهميتها، الكلمة التي توجه، الكلمة التي ترشد، الكلمة التي تضع خططا عملية، للحفاظ على الأمة ولبناء الأمة، ولتكون الأمة ملتزمة بدينها لها أهميتها.

ألم يضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٢٥)؟ وإن لم تكن إلا من رجل واحد لا تنتظر الجميع أن يقولوا، لا تنتظر الكل أن يقولوا من العلماء، أو من المثقفين، لا تنتظر للحكام للزعماء جميعاً أن يقفوا. انظر إلى من يتحرك، انظر إلى من يقف فتحرك معه وقف معه، ألم يسطر كلام الرجلين على أساس أنه كلام مطلوب من بني إسرائيل أن يتجهوا على أساسه وأن يعملوا به؟ لو كانت خطة خاطئة لما سطرت ولما دونت، ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾.

هذه خطة عملية عسكرية ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

هذه خطة صحيحة سطرت؛ لأنه أصبح مطلوباً من بني إسرائيل أن يسيروا

١. إبراهيم: من الآية ٢٥

عليها؛ فكانت لها قيمتها وإن لم تصدر من أعيان ونقباء بني إسرائيل جميعاً، وإنما أتت من رجلين. وقد يكونا رجلين من أوسط الناس من أطرف الناس، لم يذكر أنهما كانا من الملاء، كما يقول عن الملاء من كبار الناس، أو من أعيان الناس أو من نقباء بني إسرائيل رجلين لكن رجلين فاهمين، أنعم الله عليهما بالإيمان أنعم عليهما بالهدى.

الله كأنه يقول لنا: لو أنهم نفذوا كلام هذين الرجلين لما تاهوا أربعين سنة. ألم يتيهوا أربعين سنة عندما امتنعوا عن تنفيذ طلب نبي الله موسى أن يدخلوا وعن الدخول بعد وضع الخطة من قبل الرجلين، فتاهوا أربعين سنة؟ وكأن هذا يقول للكثير من الناس الذين يقولون: [سنتنظر للعلماء جميعاً أن يقولوا أو نتنظر زعماء العرب جميعاً حتى يتحركوا، أو المشايخ جميعاً حتى يقولوا] انظر إلى أي رجل أو رجلين يقولون كلاماً صحيحاً يؤدي إلى موقف صحيح وتأكد بأنه مطلب من الله كما كان هنا كلام الرجلين مطلب لله من بني إسرائيل أن يسيروا عليه وإلا لما سطره في كتابه مع كلام نبيه موسى.

وهذه قضية مهمة؛ لأن الكثير قد يدخل في نفسه ريب وشك نحن هنا نقول: [الموت لأمریکا والموت لإسرائيل لكن هناك مدينة علمية هناك مجاميع من العلماء لا يتكلمون بها. هل كان هذان الرجلان - اللذان حكى الله عنهما من بني إسرائيل - هل كانا قمة بني إسرائيل؟ أو أن هناك الباقي الكثير ممن هم رافضون وممن هم ساكتون ألم يكن في بني إسرائيل علماء؟ على أقل تقدير ممن يسمعون موسى وهو يتكلم وهو يرشد وهو يوجه فيعلمون ما يقول.. ألم يكن فيهم علماء ووجهاء؟ لكنهم كانوا ساكتين أو كان موقفهم كموقف الآخرين ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾.

هل كان مقامهم بالشكل الذي لم يلحظه الله؟ فيقول: [ما دام قد جلس أعيان بني إسرائيل وسكتوا أو كان هذا هو رأيهم فما قيمة كلام الرجلين، لا شيء]. لا.. اعتدّ بكلام الرجلين وجعل له قيمته، وجعله كلاماً عظيماً، وجعل أولئك لا شيء،

الذين قعدوا من علمائهم من وجهائهم، من عبادهم، رجلين فقط والباقي ماذا؟ إما أن يكونوا ساكتين أو يكونوا ممن يقولون: ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾؛ لنعرف أنه في كل زمان هل سيكون الله مع أولئك الذين يسكتون من علماء وعباد ووجهاء وزعماء؟ أو أنه سيكون مع رجل أو رجلين من هنا، أو هناك ينطلقون ليضعوا خططاً عملية للأمة تسير عليها، وخططاً لتوعية الأمة ولإرشاد الأمة.

أنت عندما تقول: [لو كان هذا عملاً صحيحاً لكان العلماء في المقدمة] أنت في ذهنتك تتصور وكأن الله هو مع المجاميع الأخرى الجالسة والساکتة أليس كذلك؟ تتخيل وكأنه هو مع أولئك، وهذا هو شاذ هناك.

رجلان الله كان معهما وأثنى عليهما، وجعل الخطة التي قالوها خطة حكيمة مطلوبة من بني إسرائيل ولم يعتد بالعلماء، ولا بالأعيان، ولا بالعباد، ولا بالوجهاء الآخرين من بني إسرائيل.. هل اعتد بهم؟ لا.. بل تاهوا كما تاه الآخرون، وتحملوا أوزار قعودهم وسكوتهم، سواء كانوا هم ممن قال: ﴿فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

الكلمة القبيحة هذه.. أو قالها آخرون فمشت.

إذا ما جاءت كلمة سيئة من أطراف الناس وسكت أولئك الذين يجب عليهم أن يقفوا ضدها فكأنها هي كلمة تعبر عن موقف المجتمع كله؛ لأنه هاهنا قال يحكي عن بني إسرائيل

قالوا: قالوا.. وكم تحت [الواو] في كلمة

قالوا: تفهم وكأنه ما عدا الرجلين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾.

فهل تتوقع بأن الذين قالوا هذه العبارة هم من علماء بني إسرائيل وعباد بني

إسرائيل، قد لا يكون البعض ممن قال هذه العبارة، قد يتحاشى عالم من علمائهم، أو عابد من عبادهم أن يقول هذه العبارة، لكنها قيلت ونحن علماء وعباد ووجهاء وأعيان سكتنا، فكانت هي الموقف الذي يعبر عن الجميع.

ففي هذه النقطة عبرة لنا نحن.. لا ننتظر للعلماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للزعماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للمشايخ أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للأئمة أن تتحرك كلها، تحرك بحركة رجل أو رجلين يقف مواقف صحيحة وستلمس أنت أن ذلك موقفاً صحيحاً، وأقل ما يمكن أن تلمسه: أن هذا الموقف له جدوائيته وينفع فيكفي هذا. شيء أفضل من لا شيء أليس كذلك؟.

ثم إذا ما عرفنا بأنه يقال: إن عملاً كهذا خطير، إذاً فاعرف أنه عمل خطير أيضاً يعني: عظيم له قيمته.

إذا قيل لك بأن هذا عمل خطير عليكم، ماذا يعني هذا؟ أليس ذلك يعني: أن عملك له قيمته وله أثره البالغ على أعداء الله؟ إذاً هو ما تريده. أو أننا نريد أن نبحث عن أعمال لا تضر بالآخرين! هل هذا معقول؟ كيف بإمكانك أن تقف في مواجهة أعداء الله وبأعمال لا تكون خطيرة ولا تضر بالآخرين! ما هو العمل هذا؟ ربما النوم، النوم هو لن يضر بالآخرين لكن سيضر بك.. أليس كذلك؟

إذا ما انطلقنا في عمل معين، فقليل لنا: هذا عمل خطير، فجلسنا، انطلقنا في عمل آخر، فقليل: هذا خطير، جلسنا، أي أننا نريد أن نبحث عن عمل نقف معه ضد أعداء الله لكن لا نريد أن يكون خطيراً علينا، فإذا لم يكن خطيراً علينا يعني أنه ليس شديد النكاية بأعداء الله.. أليس كذلك؟

فهذا يسمى جهاد ماذا يمكن أن نسماه؟ جهاد من نوع لين، أو جهاد انتساب كطلاب الجامعة، يدرس في الجامعة عن بعد، متى ما قيل لك: عملك هذا خطير فإنه شهادة أن عملك هذا مؤثر ضد أعداء الله.

فإذا كنت مجاهداً ويهملك أن تبحث عن الأعمال التي ترضي الله، والتي تكون مؤثرة ضد أعداء الله فإنه متى ما قيل لك: إن عملك هذا خطير، فهو شهادة أنك على النهج الصحيح في مواجهة أعداء الله، وهو شاهد أيضاً على أن عليك أن تبحث أكثر وأكثر عن ما يشكل أكثر خطورة عليهم، وإن كان أيضاً أكثر خطورة عليك؛ لأنه أحياناً - وهذا هو ما نجهله جميعاً - ننظر إلى الخطورة التي تحدث من وراء ذلك العمل من جانب الآخرين، ولكننا لا ننظر إلى خطورة القعود وما توعد الله على القعود وعلى السكوت من عقوبات أقلها الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا نخاف من ذلك أليست هذه هي الخطورة البالغة التي يجب أن نخافها؟ أليس هذا هو الخطر الحقيقي الذي يجب أن نخافه؟ فحينئذ قارن بين سكوتك وبين عملك أيهما سيكون أخطر عليك من جانب من؟ الخطورة من جانبه أشد والعقوبة من جانبه أعظم وهو الله. هل سكوتي أو انطلاقي في العمل أيهما أخطر علي؟ من جانب الله سبحانه وتعالى؟ ستجد أن السكوت هو الذي يشكل خطراً عظيماً عليك.

نظرة خاطئة، نظرة لا تلتفت إلى جانب الوعيد لا في الدنيا ولا في الآخرة، متى ما انطلق الناس في عمل فقيل لهم: هذا خطير، اتجهت أذهانهم وأنظارهم إلى ذلك الخطر المحتمل من جانب جهة داخلية، أو خارجية وجعلوه كل شيء وارتعدت فرائصهم، واضطربت قلوبهم.

إذا كان الناس على هذا النحو فسيكونون هم من قال الله عنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^(١).

آمنّا: لكن إذا الدنيا سلامات: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾^(٢).

١. العنكبوت: من الآية ١٠

٢. العنكبوت: من الآية ١٠

وجعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها، ثم لا يعد يرفع له رأساً، ولا يعد يرفع له يداً ولا تنطلق من فمه كلمة. [ألم نقل لكم أن هذا عمل خطير، ألم نقل لكم اتركوا هذا العمل.. ما رضيتُم؟] أليس هكذا يقول الناس؟.

أنت قل للآخرين قل لهم ما قال الله في كتابه من وعيد لمن يقعدون لمن يتخاذلون، لمن يسكتون وما وعدهم به من أجر عظيم، ومن جزاء حسن في الدنيا وفي الآخرة، إذا ما انطلقوا يعملون ذلك الجزاء العظيم الذي يجعل كل خطر من جانب الآخرين لا شيء، كلم الناس بهذا، ذكر الناس بهذا، الذي يقول لك: عملك هذا خطير، قل له: لكن أنت سكوتك أيضاً هو خطير، وتعال نجلس معا أنا وأنت، نعرض سكوتك ونعرض عملي على كتاب اللهن، فننظر أيهما أشد خطراً، وحينها سنسلم أنا وأنت، ونحن مستعدون إلى أن نقف، إلى أن نمتنع، إذا كان عملي هو أكثر خطراً عليّ من جانب الله سألتزم بكلامك، وإن كان سكوتك هو الأكثر خطراً فإنه يجب عليك أن تتحرك بحركتي، لماذا لا تقول للآخرين هكذا؟ من يقولون: (اسكتوا كلامكم خطير، عملكم هذا خطير).... لماذا لا تقول لهم هذا؟ نحن ننسى.

ألم أقل قبل يومين في شرح كلام زين العابدين: «وبلغ بإيماني أكمل الإيمان»، أننا بحاجة إلى أن نكون جنوداً لله، نعي كيف نتحدث مع الآخرين، نعي كيف نخاطب الآخرين. من هو ذلك الذي قد يقول مثل هذا الكلام إذا ما انطلق شخص آخر ليثبطه عن عمل - قد يكون القليل منا - ونحن ما تزال أعمالنا بسيطة، فإذا ما انطلق أحد يثبطه عن عمل تاه بفكره وسكت، من سيقول لك عملك هذا خطير قل له: سكوتك أنت أيضاً خطير عليك أمام الله.

الخطورة البالغة هي في سكوتك؛ خطورة عليك وخطورة على الأمة وخطورة على الدين. لكن عملي قد يكون فيه خطورة على شخصي فقط وهو بناء للأمة وهو نصر للدين. فأيهما أشد خطورة ذلك الذي هو ضرب للدين وللأمة وللإنسان نفسه، أم هذا الذي قد يكون لشخصك لكنه نصر للأمة، ونصر للدين، وفوز لك

في الدنيا والآخرة؟

يجب أن نصل نحن في وعينا إلى أن نعرف كيف نتحدث مع الآخرين عندما ينطلقون ليشبطونا عن أي عمل، وما زالت أعمال الناس بسيطة، لنكون جنداً من جنود الله لا يستطيع أحد أن يوقفنا أبداً لا بتضليله، ولا بإرجافه، ولا بأي أسلوب كان.

كلام الرجلين - ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾.

- يدل على أن المجاميع الأخرى كانت متخاذلة أليس كذلك؟ أنها كانت متخاذلة. لم يقل هنا حتى قال عالمان أو قال كبيران، بل ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾.

وأنت انظر كما قلت سابقاً ستجد إذ كنت تفترض أن هناك مجاميع من العلماء والعباد داخل بني إسرائيل.. أين هم؟ أليسوا في ذلك الجانب الآخر المتخاذل؟ خذ عبرة من هذا، خذ عبرة من هذا أنه هكذا في كل زمان، والتاريخ يشهد أنه في كل زمان ليس العلماء جميعاً يتحركون، ولا الوجهاء جميعاً يتحركون، ولا المؤمنون جميعاً يتحركون، ولا كل من يمتلك فيما ينطق ويتحدث.. هذا هو الشيء المعروف من خلال القرآن الكريم ومن خلال التاريخ، تاريخ الأمة.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

أليس هذا وعيدا يبدأ من الدنيا وينتهي بالآخرة على نمط واحد؟ خزي في الدنيا يكون وراءه عذاب عظيم.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١).

ألم يسخط عليهم في الدنيا؟ ألم يلعنهم في الدنيا؟ اللعنة في الدنيا ماذا تعني؟ طردا من رحمة الله، ورحمة الله عندما تأتي لتتلمس الكثير الكثير من مظاهرها تجد كم هي خسارة كبيرة جدا عليك أو على أمة من الأمم أن يلعنها الله، طرد من رحمة الله، لم يعد يحظى برحمة من قبل الله، تطرد من عالم التوفيق والألطاف، من عالم العناية والرعاية الإلهية؛ فتصبح فريسة للشيطان، فريسة للمضلين، تصبح إنسانا شريراً تنطلق كما انطلق الشيطان.

ألم يلعن الله الشيطان بعد تلك المعصية التي اقترفها عندما استكبر عن السجود لآدم؟ بعد أن لعن ماذا حصل؟ ألم يتعزز لديه الضلال والإضلال والخبث حتى أصبح شيطانا لعيناً، رجيماً، أصبح رمزاً للشر، أصبح رمزاً للفساد، أصبح رمزاً للضلال، أصبح رمزاً للباطل؛ لأن الله لعنه، وأمة إذا لعنها الله تخذل، وتذل، وتقهقر وتهان.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، وما تزال اللعنة قائمة عليهم.. لكن لماذا نراهم هكذا أقوى منا ونرى أنفسنا نحن المسلمين تحت أقدامهم؟ لماذا؟ لأننا لو أتينا إلى دراسة واقعنا نحن، وإلى عظم الجريمة التي ارتكبتها نحن المسلمين لوجدنا أنفسنا أننا قد طردنا أكثر منهم ولعنا

أكثر منهم. حقيقة هذه.

هل أن اللعنة رفعت عن بني إسرائيل؟ فلماذا رأينا أنفسنا تحت أقدامهم؟ إلا لأن هذه الأمة فيما اقترفته من جرائم في إعراضها الكبير عن دين الله، في تخليها عن مسؤوليتها وهي آخر الأمم، والمسؤولة عن إصلاح الأمم الأخرى جميعاً، عن النهوض بهذا الدين، عن أن تقطع أيدي اليهود والنصارى الذين قد لعنوا. أصبحت وضعية هذه الأمة أسوأ بكثير من وضعية بني إسرائيل التي لعنوا بها فكأن الأمة في لعنة أشد من لعنة بني إسرائيل.

إذا ما غلبك ضعيف فلماذا يعني ذلك؟ ألا يعني أنك أضعف منه، إذا ما أذلك ذليل ماذا يعني ذلك؟ أليس هذا يعني أنك أذل منه؟ هكذا.. أو نقول بأن هناك ربما اللعنة قد ارتفعت عن بني إسرائيل؟ هل أن بني إسرائيل اتجهوا إلى الأفضل؟ أم أنهم ازدادوا سوءاً وازدادوا ضللاً وإضلالاً، وحركة في الدنيا بالإفساد؟ فأصبحوا مستحقين لللعنة أكثر وأكثر، لكن وستلعن أمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يلعن أشخاصاً لألوانهم، أو لأسمائهم، أو لمواقعهم في هذه الدنيا، إنما لأعمالهم فكما لعنت بنو إسرائيل لأعمالهم ستلعن أمة أي أمة كانت، إذا ما اقترفت تلك الأعمال أو أسوأ منها، وستكون اللعنة عليها أشد وأعظم إذا ما اقترفت أعظم مما اقترفه بنو إسرائيل.

تعالوا إلى هذه الآية: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أين هم اليهود الذين هم كافرون بالتوراة بأنها ليست من الله أو كافرون بالله كإله؟ هل هناك أحد؟ هم ما يزالون إلى الآن يطبعون التوراة ويهتمون بالتوراة، لكن الكفر ذلك الرفض، الرفض الذي هو موجود لدينا ولديهم، لعنوا لماذا لعنوا على لسان داوود وعيسى بن مريم؟ ﴿ذَلِكَ﴾.

وتجد كلمة: ﴿ذَلِكَ﴾. أمامك في كل مقام و ﴿ذَلِكَ﴾، تعني تعليلاً.. لأنهم كذا. والله لا هوادة بينه وبين أحد من عباده.

إذا ما انطلق منك ما استحق به الآخر اللعنة فستلعن كمثله ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

لعنوا بماذا؟ ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

هل أن الآخرين إذا ما عصوا واعتدوا لن يلعنوا؟ سيلعنون، وإن كانوا من أهل
بيت رسول الله سيلعنون، بل الحديث عن بني إسرائيل هو عبرة لأهل البيت
أنفسهم، أنهم لا يعتمدون على مسألة أن الله فضلهم في هذه الأمة، فيركنون على هذه
وحدها، هو فضل قبلهم بني إسرائيل، لكن التفضيل إذا ما حصل معه عصيان، إذا
ما حصل معه تفريط، إذا ما حصل معه واقع هو في نفس الوقت يعتبر كفراً من
حيث أنه رفض لشيء من كتاب الله، مما هو منوط بهم وهم ورثته، فسيلعن أولئك
الفضلاء كما لعن أولئك الفضلاء، هذا شيء لا شك فيه ولا هوادة بين الله وبين
أحد، وهو الذي يقول هنا: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

لأنهم عصوا؛ لأنهم اعتدوا، وإلا فليس لي موقف منهم أن اسمهم [بنو
إسرائيل] أو أن اسمهم [يهود] أو أنهم من سكان المنطقة الفلانية، لا.

هو فضلهم هو اصطفاهم، جعل فيهم النبوة والكتاب، والحكمة، والملك،
وآتاهم ما لم يرؤت أحدا من العالمين. لكن عندما حصل منهم عصيان، وعندما حصل
منهم اعتداء، عندما كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا ينهون الآخرين عن منكر
يفعلونه، وعندما انطلقوا يتولون الذين كفروا.

هل هنا في واقعنا من هذا النوع أم لا؟ هناك عصيان هناك اعتداء، هناك قعود عن
النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، هناك تولي للكافرين، هناك تولي للظالمين، أليس
هذا الذي هو موجود في الأمة هذه وبشكل ربما أكثر وأسوأ مما هو عند بني
إسرائيل، ويعتبر أسوأ اعتبارياً أيضاً من حيث أن هذه الأمة كان المفترض منها هي
أن تنطلق لتصحيح وضعيتها، فتكون هي التي تنشر هذا الدين في العالم كله، فكانت
المعصية والاعتداء والتولي، بما أنه أيضاً قعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

بما أنه معصية في نفسه هو أيضا معصية من جانب أمة جعلها تتخلى عن مسئوليتها الدينية، وعن مسئوليتها في قيادة الأمم الأخرى، وهداية الأمم الأخرى فكانت الجريمة هنا أكبر، لهذا رأينا أنفسنا - نحن كمسلمين - تحت أقدام من لعنوا أي: أن واقع هذه الأمة خطير وسيء جداً.

فكيف يقال: بأنه ليس هناك حاجة إلى أن نتحدث عن كيف نعرف وضعيتنا، وكيف نعي واقعنا، وكيف ننطلق إلى أي عمل مهما كان لنعمل على إرضاء ربنا حتى يفك عنا تلك اللعنة التي هي في واقعها أعظم من اللعنة التي وقعت على بني إسرائيل؟! ألا يجدر بنا أن نبحث عن أي عمل كان ولو بشكل صرخة نعلنها وشعار نردده نعبر فيه عن موقف.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(١).

هذه عبارة مؤلمة جداً ﴿لَبِئْسَ﴾.

مهدة جداً ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٢).

أمر يقل الله في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(٣).

ما أسوأ ما قدمه هؤلاء لأنفسهم عندما كانوا على هذا النحو: عصاة، معتدين، لا يتناهون عن منكر فعلوه، يتولون الكافرين ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(٤).

وهناك نتحدث بأنه لعنهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

١. المائدة: من الآية ٨٠

٢. المائدة: من الآية ٨٠

٣. الحشر: من الآية ١٨

٤. المائدة: من الآية ٨٠

في الدنيا وكيف ستحظى أمة بتأييد الله أو نصره، كيف ستحظى برعايته وعنايته إذا كان قد سخط عليها ﴿وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١).

أليس هناك في أوساطنا تولى لليهود والنصارى وللكافرين؟ أي دولة أي زعيم لا علاقة له بالكافرين وباليهود والنصارى علاقات صداقة حميمة، واتفاقيات اقتصادية، اتفاقيات دفاع مشترك، اتفاقيات ثقافية، اتفاقيات تجارية، اتفاقيات تبادل خبرات حتى في المجال التربوي، صداقة حميمة قائمة بين من يفترض منهم أن يكونوا هم من يقفون في وجه أولئك من أعداء الله الكافرين واليهود والنصارى.

ونحن نتولى أيضاً ولكن بأسلوب آخر إما على طريق التدريب نتولى من يتولى، أو تولى مباشر، وقد يصل الناس إلى التولى المباشر من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون فيكون الناس حينئذ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢).

لو كنا نحن المسلمين، مؤمنون بالله وبالنبي محمد، وبكتاب الله القرآن الكريم ما اتخذنا اليهود والنصارى أولياء، بل لوقفنا ضدهم، ولطهرنا الأرض من فسادهم ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(٤).

أليست هذه عقوبة؟

١. المائدة: من الآية ٨٠

٢. المائدة: من الآية ٨١

٣. المائدة: من الآية ٨١

٤. البقرة: من الآية ٥٥

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١).

ويقول أيضا عن بني إسرائيل: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(٢)، هكذا تجد ذلك هذا يعني: أن الحديث عن بني إسرائيل قدم لنا عبرة نحن: أنه إذا لم تكن بعيدين عما كانوا عليه فسيكون واقعنا كواقعهم وسيكون موقف الله منا كموقفه منهم، وتعامله معنا كتعامله معهم، هم أبناء نبيه إبراهيم، خليله إبراهيم، هم من فضلهم، من آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، فإذا كان قد أوصلهم إلى هذه الحالة، فهل سيرحم آخرين وصلوا إلى هذه الحالة نفسها؟ اقترفوا ما اقترف أولئك، هل سيرحمهم؟ إن كان سيرحم ويتغاضى عن أحد فإن أولئك أبناء خليله إبراهيم ومن جعلهم ورثة كتابه، ومن جعل فيهم النبوات طيلة التاريخ تاريخ النبوات، لكانوا هم الجديرين بأن لا يلعنهم، وألا يؤاخذهم، وألا يضرب عليهم الذلة والمسكنة.

هل العرب يرون مقامهم بالنسبة لله أعظم من مقام بني إسرائيل؟ بنو إسرائيل بلغ بهم الحال عندما لمسوا مقامهم العظيم الذي وضعهم الله فيه أن قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٣).

العرب أنفسهم هل يرون لأنفسهم ذلك المقام عند الله، أنه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وجعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكا، وفضلهم على العالمين بأشياء كثيرة جدا؟ لا.. العرب في واقعهم لم يحظوا بما حظي به بنو إسرائيل، لكنهم شرفوا، شرفوا بأن كان نبي الله عربي منهم سيد الأنبياء، وخاتم الأنبياء (صلوات الله عليه وعلى آله، وشرفوا بأن كان القرآن الكريم بلغتهم، وشرفوا بأن كانوا هم الأمة التي

١. البقرة: من الآية ٥٥

٢. البقرة: من الآية ٦١

٣. المائدة: من الآية ١٨

أراد الله أن تنطلق هي لتحمل هذه الرسالة العظيمة إلى العالم كله، فكان هذا الشرف هو الذي سيأخذ كل الشرف الذي أعطيه بنو إسرائيل، وسيكون العرب بكتابهم الكريم الذي جاء بلغتهم مهيمناً على كل الكتب سيكونون هم مهيمين على كل الأمم.

ألم يكن هذا مقاماً عظيماً جداً أعطوه في لحظة واحدة؟ يوم بعث الله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) في لحظة واحدة، في يوم واحد أعطي العرب هذا الشرف العظيم، ولكنهم رفضوه وتنكروا له، وتخلفوا عنه، وتخلوا عنه، فاستحقوا أن نرى واقعا فيهم هو أسوأ من الواقع الذي فيه من قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله من بني إسرائيل، ماذا يعني هذا؟ أن جريمتنا أعظم من جريمة بني إسرائيل، أن تخلينا عن هذه المسؤولية هي نفسها الذي أتاح الفرصة لبني إسرائيل أن يسعوا في الأرض فساداً، وأن يشمل فسادهم الدنيا بأكملها.

قضية مهمة أن نتعرف على واقعنا، كما أكرر كثيراً لنجد جميعاً علماء ومتعلمين ومسلمين ومؤمنين نخاف الله جميعاً في ديانا وآخرتنا، أن واقعنا من سيئاً إلى أسوأ ما يمكن أن نتصور، لننتقل في تصحيح وضعيتنا.

نعود إلى بني إسرائيل، ونعود إلى واقعنا، ولا نخرج من القرآن فقط باللعنة لبني إسرائيل، تذكر كلمة ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾^(٢).

﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمُسْكِنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٣)، مرتين

١. البقرة: من الآية ٦١

٢. البقرة: من البقرة: من الآية ١٦١ الآية ٢٧٥

٣. البقرة: ٦٥

تكررت ﴿ذَلِكَ﴾، يعني للتعليل لهذا استحقوا أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة وعندما يقول: ﴿ذَلِكَ﴾، هو الخطاب لمن؟ يخاطبنا بالكلام نحن المسلمون، نحن أبناء هذه الأمة يخاطبنا بأنه هكذا حصل عليكم، حصل عليهم هذا، سيحصل عليكم مثله وأعظم منه إذا ما كنتم على هذا النحو الذي كان عليه بنو إسرائيل أو أعظم مما كان عليه بنو إسرائيل.

ثم يقول أيضاً: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

أليست هذه عقوبة في الدنيا.

وهكذا يجب أن نفهم، يجب أن نطلع على وعيد الله في الدنيا، على المعاصي والتفريط لنخاف منها، لنحسب لها ألف حساب، ليدفعنا ذلك إلى فهم واقعنا، وتقييم واقعنا. حتى نفهم أننا في حالة عقوبة على تفريطنا أو أننا في حالة جزاء حسن على طاعة عملناها لترضى بهذا وتشكر الله عليه، أو تخاف من ذلك فتنتقل عن الوضعية التي أنت عليها لنسلم الخزي في الدنيا ونسلم العذاب في الآخرة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينجينا من الخزي في الدنيا، ومن عقوباته في الدنيا، ومن الخزي والعذاب في الآخرة إنه على كل شيء قدير.

الله أكبر

الموت وأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الأسئلة التقييمية

١. ما هو المحور الأساسي الذي ركز عليه الفصل؟
٢. كيف يتمثل مفهوم الثقة بالله في حياة المؤمن؟
٣. ما أثر التمسك بالقرآن في سلوك الإنسان؟
٤. كيف وصف الفصل مكر أعداء الأمة وخططهم؟
٥. ما هو دور الإنسان المؤمن في مواجهة الباطل؟
٦. كيف فسر الفصل الآيات التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله؟
٧. ما العلاقة بين التوكل على الله والنصر؟
٨. كيف يعزز القرآن مشاعر الصمود والثبات في نفوس المؤمنين؟
٩. ما الصفات التي ركز عليها الفصل لبناء الشخصية الإيمانية؟
١٠. ما أهمية فهم الواقع من منطلق القرآن كما ورد في الفصل؟



الفصل الخامس عشر عشر

عبر ودروس من دعاء مكارم الاخلاق للأمام السجاد (عليه السلام)

الدرس

السابع والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخوف من نار جهنم أولى من كل خوف

قال (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغْلَظُ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدَتْ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَارٍ نَوْرُهَا ظُلْمَةٌ وَهَيْئُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَارٍ تَذُرُّ الْعِظَامَ رَمِيًّا، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيمًا، وَمِنْ نَارٍ لَا تَبْقَى عَلَى مَنْ نَضَرَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تَرْحَمُ مَنْ اسْتَعْظَفَهَا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسَلَمَ إِلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحْرَ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَابِهَا الْفَاعِرَةِ أَفْوَاهُهَا، وَحَيَاتِهَا الصَّالِقَةِ بَأْنْيَاهَا، وَشَرَايِهَا الَّذِي يَقْطَعُ أُمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا وَآخَرَ عَنْهَا»

جهنم كما وصفها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في آيات كثيرة هي أشد من أي عذاب يتوعدنا به أي أحد من الجن أو الإنس، هي نار كما قال (عليه السلام): «تغلظ الله بها على من عصاه وتوعد بها من صدف عن رضاه»، الكل هنا في الدنيا يخضع لأمريكا، ويخضع للدول الكبرى في بلدان أوروبا، والكل هنا في المنطقة العربية خضعوا لإسرائيل خوفاً من أن تلك الدول تمتلك [قنابل ذرية]، وتمتلك [صواريخ

بعيدة المدى تحمل رؤوساً نووية]، كل ما لديهم لا يساوي يوماً واحداً في جهنم.

لو صب الأمريكيون كل ما لديهم من قوة عليك وحدك أنت لما ساوى ذلك كله يوماً واحداً في نار جهنم؛ لأنك هنا بأول ضربة، بأول شظية ستموت، ثم لا تحس بأي شيء بعد ذلك، ولو صبوا عليك كل أسلحتهم، ولو افترضنا أيضاً أنك ستبقى حياً وصوار يخهم توجه إليك، وقنابلهم توجه إليك أيضاً حتى آخر قطعة يمتلكونها لكان ذلك أيضاً لا يساوي ساعة واحدة في قعر جهنم.

التخويف بنار جهنم في القرآن الكريم، التخويف بنار جهنم الذي تكرر كثيراً في آيات الله في القرآن الكريم، هو جدير بأن نتأمله جيداً كلنا، وأن نتدبر تلك الآيات.

حينئذ سيجد كل من تأملها، ومن تدبرها بأن كل شيء في هذه الدنيا من مصائبها، من شوائدها، وكل شيء مما يتوعدك به الآخرون، وكل ما تراه عندما يستعرضون أسلحتهم في الأيام الوطنية، ستراه كله ليس بشيء، ليس شيئاً بمعنى الكلمة فعلاً أمام هذه النار التي تغلظ الله بها على من عصاه، وتوعد بها من صدف عن رضاه، حينئذ تجد نفسك أنه ليس هناك ما يجب أن يخيفك، ليس في هذه الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه أبداً، فلا الموت، ولا [قنابل]، ولا [صواريخ]، مهما كانت فتاكة، مهما كانت عظيمة الدمار.

المؤمنون بحاجة ماسة إلى أن يتدبروا كتاب الله، نتدبره بشكل جيد، وبفهم صحيح، ووعي، نتدبر الآية ونلاحظ ونحن نتدبرها ما لدى الآخرين كلهم ممن نخافهم في هذه الدنيا، أو يريدون أن نخافهم. حينئذ سينطلق المؤمن، ينطلق وهو يرى أن كل عمل يعمل في هذه الدنيا أمام كل التهديدات إنما هو عمل يحقق لنفسه به الأمن من هذه النار العظيمة، من نار جهنم.

صفات نار جهنم

نار جهنم أكد القرآن على أنها حقيقة، وتناول الحديث عنها وصفها كاملاً: وصف شدة تسعرها، والتهابها، وصف وقودها، وطعامها، وشرابها، ولباس أهلها فيها. بل نقل كثيراً من الكلمات التي يقولها أولئك الذين يتقلبون بين طبقاتها: تحسّرهم، صراخهم تألمهم، تأسفهم على تفريطهم في هذه الدنيا.

بل لو نعقل ونفهم، أن كل ما يتوعدنا به الآخرون في هذه الدنيا، لا يساوي الحسرات والندم الذي قد يتعرض له الإنسان يوم القيامة إذا قدم على الله وهو ممن عصاه، وصدف عن رضاه، تلك الحسرات، وذلك الندم الشديد يقول الله - وهو ينقل لنا صورة من مشاهد ذلك الندم الذي سيحصل للعاصين - يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾^(١).

يعض أنامله من الألم، من الندم، من الحسرة: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٢).

أليست هذه كلها عبارات حسرة وندم؟ ندم يقطع القلوب، يعض المجرم، يعض الظالم على يديه بعضها من شدة الأسف، والألم، من الحسرة والندم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾^(٣).

الجزاء الحسن وهو الجنة، والحساب اليسير، والأمن من كل خوف يوم القيامة

١. الفرقان: من الآية ٢٧

٢. الفرقان: من الآية ٢٩

٣. الرعد: من الآية ١٨

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾^(١).

الذين لم يستجيبوا لله، وأين موضع الاستجابة، هنا في الدنيا، وما هو الذي دعانا إليه، هو القرآن الكريم، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تلك دعوة الله التي يريد منا أن نستجيب لها، نستجيب لها هنا في الدنيا، والذين لم يستجيبوا لله، أعرضوا عن ذكره، انطلقوا في معاصيه، انطلقوا وراء هذه الدنيا لينشغلوا بها، ليؤثروها على الآخرة، ليبيعوا دينهم بالقليل القليل منها.

هؤلاء عندما يقدمون على الله سبحانه وتعالى، سيتمنى كل واحد منهم لو أن له ما في الأرض جميعا ومثله معه لسلمه راضيا، ومسارعا إلى تسليمه، لو كان يقبل منه ليفدي به نفسه من عذاب جهنم.

هذه عبرة للكثير من عباد الله، ممن يشتد طمعه، ويقوده جشعه، إلى أن يأخذ شيئا من هذه الدنيا حراما، أو يقبل شيئا منها مقابل أن يدخل في موقف باطل، أو يؤيد باطلا، أو يقف عن نصر حق، ليفهم هنا وهو في الدنيا أنه لو كان له الأرض كلها وما فيها، وله أيضا مثلها أضعافا لكان مسارعا إلى أن يفدي نفسه به يوم القيامة. لماذا؟ لأنه سيرى من العذاب الشديد، يرى جهنم أمامه، وهو يعلم أنه سيساق إليها، وأنه سيخلد فيها حينئذ يهون أمامه كل شيء.

تلك القطعة من الأرض، ذلك المبلغ من المال الذي باع به دينه، لم يعد شيئا، يتحسر منه يوم القيامة، ويرى نفسه في موقع أنه لو كان له مثل هذه الأرض، وليس فقط تلك القطعة، أو ذلك المبلغ، أو ذلك المنصب الذي باع به دينه، بل لو كانت له الأرض كلها وما فيها ومثلها معها لافتدى به يوم القيامة من سوء العذاب.

مصير من لم يستجيب لهدى الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ السُّوءُ الْحِسَابِ﴾.

أولئك الذين لم يستجيبوا لله ﴿هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ﴾^(١).

ما الذي يمنع الناس عن أن يستجيبوا لدعوة الله في هذه الدنيا، أليس رغبة فيما لدى الآخرين، أو خوفاً مما لديهم، سواء خوفاً من سجونهم، أو وسائل تعذيبهم، أو خوفاً من قنابلهم وصواريخهم. أليس هذا هو ما يمنع الناس في الدنيا، لكن هذه الآية تعرض لنا: أن الذين يستجيبون لله، وعدهم الله بالجنة، والجنة هي كما ورد في الحديث: «أن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها؛ لأن أي نعيم هنا في الدنيا ستفارقه مهما عظم، ومهما كثر.

بل قد يحدث لك هنا في الدنيا وأنت تملك الكثير، الكثير من وسائل الترف والراحة، فيعرض لك أمراض تحول بينك وبين أن تتمتع بما بين يديك، فترى الآخرين من حولك يتمتعون بكل ما لديك وأنت لا تستطيع أن تذوق من هذا، ولا أن تقرب هذا، من شتى الأصناف التي تمتلكها، تلك الأصناف التي بعت بها دينك، تلك الأصناف التي أحبطت بها ذمتك، وأهلكت بها نفسك. إذاً فليس شيء هنا في الدنيا من النعيم، ولا من وسائل الترفيه ما يمكن أن تقارن بينه وبين موضع سوط في الجنة.

فإذا كان الإنسان يسارع هنا في الدنيا من أجل أشياء يريد أن يحصل عليها، وهو لا يبالي أحلال كانت أم حرام، ولا يبالي في ذلك الموقف الذي دخل فيه من أجل الحصول عليها حق، أم باطل، لماذا لا يسارع إلى الاستجابة إلى الله ليحصل على ذلك المقام الرفيع؟ على ذلك النعيم العظيم، النعيم الأبدي، النعيم الذي فيه كما ورد في الحديث عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)

«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

كذلك الذين لم يستجيبوا لله خوفاً من الآخرين علينا أن نعود جميعاً إلى الحديث

١. الرعد: من الآية ١٨

عن جهنم، وإلى التأمل في أوصاف جهنم لنعرف أنها هي التي يجب أن نخاف منها، وأن نحذرهما، فلننطلق في الاستجابة لله مهما كانت مكلفة، ومهما كانت صعبة وشديدة علينا في الدنيا.

طعام وشراب اهل النار

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾^(١).

الصيد: يقال بأنه عصارة أهل النار، القيح، الصيد: كل فضلات أجسامهم المحترقة الملتهبة، هي شراب المجرم في جهنم.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(٢).

ألم يتحدث هنا حتى عن أبواب جهنم؟ وتحدث حتى عن مغاليقها، مصافقها، وتحدث عن زبانياتها، تحدث عن كل شيء فيها، فأين تفكيرنا؟ أين نظرنا لأنفسنا ولمصالحنا؟ أليس هذا هو الذي ينبغي أن نخاف منه.

والأولى بأن يكون أشد قوة، وأعظم قوة في مقام الاستجابة لله هم من يحملون العلم، هم من هم متعلمون، ومن يحملون العلم؛ لأنهم هم من يعرفون جهنم أكثر من غيرهم، مع أن جهنم أوصافها في متناول الناس جميعا، كل من يقرأون كتاب الله.

فلماذا يخاف العالم، ولماذا يبحث عن كيف يحصل على مبرر لعوده عن هذا

١. ابراهيم: ١٧

٢. الحجر: ٤٤

العمل، ليعود عن أن يقول كلمة الحق، ليعود عن أن يقف في وجه الباطل، ما الذي ينبغي أن تخاف منه، ليس هناك في الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه في مواجهة هذا الخوف العظيم، وهذا العذاب الأليم في جهنم.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾.

وكان هذه الأبواب هي أبواب لدركاتها أيضاً، كل طبقة أو كل مقام في جهنم له فئة من الناس، وله باب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

يدخل منه من هو من أهل ذلك الدرك، سبعة أبواب سواء اعتبرت في سور واحد وكل باب ينفذ إلى درك من دركات جهنم، وكلها سيئة، وكلها ورطة عظيمة أن تدخل من باب جهنم ثم يوصد عليك، ثم إذا حاولت أن تخرج يتلقاك زبائنها بمقامع من حديد يضربونك فتعود، سبعة أبواب لسبعة دركات.

المنافقون في الدرك الأسفل من النار

ووجدنا القرآن الكريم ينص على أن فئة هي محسوبة ضمن المسلمين هم سيكونون في الدرك الأسفل من النار، هم المنافقون، في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أحبث عباد الله، لأنهم أسوأ البشر، لأنهم أرجس وألعن البشر جميعاً، قال الله عنهم لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾^(١).

المنافقون هم فئة تعمل في أوساط المسلمين تثبطهم عن نصر دين الله، تخوفهم، ترعبهم، ترجف قلوبهم، تشيع الشائعات التي تقلق نفوسهم، تشيع الشائعات التي ترعب قلوبهم. المنافقون في كتاب الله الكريم تحدث عنهم أسوأ مما تحدث عن اليهود، والنصارى، والمجوس، والكافرين، إذا كانت جهنم لها سبعة أبواب، ودركاتها متفاوتة في الشدة، فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

١. المنافقون: من الآية ٤

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١).

ألم يتحدث أيضا عن الشراب في جهنم؟ شراب جهنم ثم أيضا يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يكونون نظيفين من كل شيء فوق أجسامهم.

اللَّهُ أَكْبَرُ

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

لباس اهل النار

ثوب المجرم فيها كما قال الله في آية أخرى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(١).

وهنا يصب من فوق رأس المجرم الحميم، ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾^(٢)، يذاب ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾^(٣)، ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

إذا أنت في الدنيا هنا تغتسل بالماء الساخن يتحملة جسمك من أجل أن تزيل الوسخ عن جسمك، أما ذلك الحميم في جهنم، فإنها تذيب الجلد كله، ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾، يذاب به ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤). ثيابهم من نار [تفصيل] قطعت لهم ثياب تفصيل على كل شخص مقاسه.

كأنه يقول للشباب، طبعاً الشباب يكونون حريصين جداً على ثياب التفصيل من أجل أن يبدو جميلاً أمام الآخرين، يعرض عن ذكر الله، وهو يعرض عن مجالس الإرشاد، عن مجالس الهداية، يعرض عن كتاب الله، يعيش في أجواء من العشق، والحب، واتباع الشهوات، فهو من يبحث عن ثياب تفصيل ليبدو شكله جميلاً،

١. إبراهيم: ٥٠.

٢. الحج: من الآية ٢٠.

٣. الحج: من الآية ٢٠.

٤. الحج: ٢٢.

فيعرف أنه قد يكون من أولئك الذين تفصل لهم ثياب في جهنم، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾.

ما هذا يعني تفصيل. في موضع آخر قال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾.

لم ينس القرآن الكريم أن يتحدث حتى ثياب أهل النار، كل شيء ذكره.

هذه التفاصيل قارن بينها وبين أن تطلع على تقرير عن مختلف الأسلحة التي تمتلكها أمريكا مثلا، أو إسرائيل [صواريخ بعيدة المدى] [صواريخ تحمل رؤوسا نووية] قنابل [هيدروجينية] [قنابل ذرية] قنابل كذا، وأسلحة متعددة. أليست كلها من تفاصيل ما يمتلكون من وسائل التعذيب للآخرين.

قارن بينها وبين التفاصيل التي عرضت في القرآن الكريم عن جهنم، ستجد أن هذه هي قد ما يتمناها أهل جهنم، يتمنون في جهنم أن يكون عذابهم من نوع ما تمتلكه أمريكا من أسلحة، وسيعتبرونه حينئذ تخفيفا عظيما، ويشكرون الله، ويشكرون زبانية جهنم، أن قدموا لهم هذا العذاب الخفيف، اللطيف، البسيط، ويسلمون ذلك العذاب الشديد في جهنم.

لا شك أن من هو في جهنم ويقال له سنعذبك بما كان لدى الأمريكيين في الدنيا لرآه هينا، لرآه هينا، وهو هذه الأشياء التي نخاف منها في الدنيا، تصنعه أمريكا، وتراه في التلفزيون عندما ينطلق الصاروخ هذا، أو ترى نماذج من أسلحتهم، أو ترى عروضاً عسكرية من عساكرهم هم أو أي دولة أخرى، فتخاف، أو يكلمونك عن فرق من الجنود تتدرب تدريبا خاصا [كمندوز] أو من يتدربون في معسكرات العمليات الخاصة.

أولئك ليسوا بشيء أمام خزنة جهنم، خزنة جهنم مدربون تدريبا عاليا على تعذيب الناس، ملائكة غلاظ شداد كما قال الله عنهم:

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾^(١).

وبأيديهم مقامع من حديد تلتهب نارا، كلما حاولت أن تقترب من باب من أبواب جهنم يضربونك بها، هؤلاء هم من يجب أن تخاف منهم، لا أن تخاف من جنود العمليات الخاصة أو من جنود [الكمندوز] أو من أي جندي آخر، باستطاعتك أن تقتله، باستطاعتك أن تضربه كما يضربك، وليس بيده كتلك المقامع التي بيد زبانية جهنم.

ألم تتعود الدول على أن تعرض أمام شعوبها فرق من الجنود، تدربوا تدريبا خاصا، ليرعبوا الناس بهم، ارجع إلى القرآن الكريم واستعرض الفرق الخاصة المدربة في جهنم.

فمن الذي يجب أن تخاف منه زبانية جهنم، أم جنود العمليات الخاصة و[الكمندوز] وغيرها من الفرق الأخرى.

حال اهل النار

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٢).

قد تسجن في الدنيا في سجن ولا ترى أنك في كل ساعة تسعى إلى باب السجن لتحاول أن تخرج منه، قد تكون في زنزانة، أو في غرفة فتستقر فيها لكن هنا نار ملتهبة، نار شديدة، جسمك كله يلتهب نارا وتشرب صديداً، وتشرب حميماً، فيقطع أمعاءك، يأتي الفرق داخل جهنم من زبانياتها يصبون فوق رأسك الحميم؛ لأنه هنا يقول: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٣).

١. التحريم: من الآية ٦

٢. الحج: من الآية ٢٢

٣. الحج: من الآية ١٩

أنت لا تحاول في جهنم أن تغرف من مائها الساخن وتصبه عليك لكن هناك من
يمسكك ويصب الحميم من فوق رأسك [يُصَبُّ، فعل مبني للمجهول] أي أن
هناك طرفاً آخر هو يصب الحميم من فوق رأسك.

هناك داخلها ملائكة غلاظ شداد، يمسكك ويصب من فوق رأسك الحميم،
ويشربك الصديد رغماً عنك ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ﴾^(١).

في السجون هنا في الدنيا يقدمون لك طعاماً ويقدمون لك شراباً، أجواء الزنزانة،
أجواء السجن كلها باردة، بل قد ترى نفسك بحاجة إلى لحاف، وأنت لا تحاول في
كل لحظة أن تتجه نحو باب السجن لتخرج منه.

يتمنى الإنسان لو كانت جهنم مثل هذه السجون لرآها أهلها نعمة كبيرة أن
تكون جهنم وإن كانوا خالدين فيها أبداً وهي من نوع سجون الدنيا، وفيها وسائل
التعذيب التي في السجون هنا في الدنيا كانت هينة، هنا أهل جهنم يسعى كل واحد
منهم يتجه نحو بابها، يريد أن يخرج، هذا نفسه عذاب، يحاول حتى يصل نحو الباب
فيجد أبواباً مؤصدة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٢). مغلقة محكمة الإغلاق ﴿فِي عَمَدٍ
مُمَدَّدَةٍ﴾^(٣).

من ورائها عمد: أعمدة من الحديد، من الجانب هذا إلى الجانب هذا، لا يستطيع
أبداً أن يحركها، لا يستطيع أهلها أبداً أن يفتحوها، وهناك بجانب الأبواب من
زبانيته الغلاظ الشداد من يضربونهم بمقامع من حديد.

أليس هذا هو تعذيب رهيب؟ حالة من الغم الشديد؟ وهل هو شهر؟ هل هو
سنة؟ لنقول لأنفسنا نحن عندما نفكر في أي عمل فتظهر أمام أذهاننا قائمة من

١. إبراهيم: من الآية ١٧

٢. البلد: ٢٠

٣. الهزلة: ٩

السجون، لقد ترى أطول عقوبة أن تسجن عشرين سنة في سجن عادي، أما جهنم فليست سنة ولا سنتين، ولا مائة سنة، ولا ألف سنة، ولا مليار سنة، مليارات السنين لا تنتهي وهذا هو الشيء الذي يرعب الإنسان، والذي يجب أن نخاف منه جميعاً: الخلود في جهنم.

قالوا إنه لو قيل لأهل جهنم أنكم ستبقون فيها وفي الأرض ما بين السماوات والأرض مليء بحبات الخردل، وفي كل سنة يأتي طائر يأخذ حبة واحدة منها - حبات الخردل حبات صغيرة قد تكون كحبات الدخن أو أصغر - وما بين السماوات والأرض ممتلئ بحبات خردل، ويقال لهم ستبقون حتى تنتهي هذه الحبات الخردل لفرحوا، وتصور أنت كم سيتسع مثل هذا المجلس من حبات الخردل؟ كم مليارات! تصور أنت كم يتسع هذا الفضاء ما بين السماوات والأرض من حبات الخردل، وفي كل سنة فقط في كل سنة يأخذ طائر حبة واحدة، لفرحوا؛ لأنهم حينئذ سيعلمون أن هناك نهاية، أن هناك نهاية لهذا العذاب وليكن مليارات، مليارات السنين.

الخلود في جهنم

أليس هذا الشيء مزعجاً شيء مرعب جداً، إذا قيل للواحد منا: أنت ستسجن ثلاث سنين، قد يخرج من دين الله ويكفر بالإسلام خوفاً من أن يسجن ثلاث سنين، وقد يتخلف عن أي عمل هو مما ينجيه من جهنم خوفاً من أن يسجن سنة واحدة، أما جهنم فالخلود فيها في حد ذاته هو الشيء الذي يجب أن يزعج كل إنسان مسلم. وتكرر الحديث عن الخلود فيها: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(١)، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

تكرر كثيراً. والخلود في جهنم، الزيدية هم الطائفة - أعتقد - الوحيدة الذين

١. النساء: من الآية ١٦٩

يؤمنون بما نص عليه القرآن الكريم من خلود أهل النار في النار، أما الآخرون فهم من حاولوا - لأن القضية مزعجة جداً - من حاولوا أن يبحثوا عن أي مخلص، عن أي مخرج من الخلود في جهنم ليطمئنوا أنفسهم نوعاً ما.

فإذا كان اتباع أهل البيت (عليه السلام) منسجمين مع القرآن الكريم، مع تصريحات آيات القرآن الكريم بالخلود في جهنم، وهم من يجادلون الآخرين. ألسنا نحن من نجادل الآخرين، نقول: أبداً، لا، ليس هناك شفاعة للمجرمين، أبداً ليس هناك أحد سيخرج من جهنم. ألسنا من نجادل الآخرين، ولكننا لو رأينا أنفسنا وواقعنا لرأينا أنفسنا أحوج الناس إلى جزء من هذه العقيدة لو كانت صحيحة، ولو وجدنا أنفسنا نحن من يجب أن نخاف، ومن نكون أكثر الطوائف الإسلامية جهاداً في سبيل الله خوفاً من جهنم، وعملاً على إعلاء كلمة الله، ووقوفاً في وجوه أعداء الله.

﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

هل لجهنم عين ترى بها أولئك، أم أنه تصوير، أنها لما كانت هي محط غضب الله فإنها هي من تتلهف شوقاً إلى أن تلتهم أعداء الله فكأنها هي التي تبحث عنهم ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾^(١)، تستعر، تلتهب لشدة غيظها وغيظها على أعداء الله.

﴿تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾.

صوت هو صوت المتغيظ الذي يمتلئ غيظاً على الطرف الآخر، وزفير، الزفير: هو صوت الإنسان عندما يخرج الهواء من فمه قوياً، والشهيق هو عودة النفس بقوة إلى الداخل.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّرِينَ﴾^(١).

مصنفين بالقيود، هناك العذاب، هناك الحسرات ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(٢).

واثبورا، واهلاكا، معناه دعوا بالهلاك. يرون أنفسهم في أماكن مضيقة من جهنم وهم مقيدون تتحول قيودهم إلى نار، وأجسادهم إلى نار، وعن أيانهم، وعن شمائلهم، ومن فوقهم، ومن تحتهم طبقات من النار، يدعون هنالك بالثبور [واثبوراه] معناها: واهلاكا. يعني: ما أسوأ ما نحن فيه. نعوذ بالله.

ويقول أيضا سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ- عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾^(٣).

يصرخون صراخا شديدا، صراخ الألم، صراخ الحسرة ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾.

ماذا يقال لهم؟

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ﴾^(٤).

العمر الذي يكفي أن يتذكر فيه منكم من أراد أن يتذكر فيعمل فيه الأعمال الصالحة التي أنتم الآن تطلبونها، هناك في الدنيا عمرتم طويلا أعمارا طويلة وهي أعمار كانت كافية، تكفي من كان منكم يريد أن يتذكر فيعرف أن الأعمال الصالحة هي الوسيلة لنجاته من جهنم فينطلق فيها.

١. الفرقان: من الآية ١٣

٢. الفرقان: من الآية ١٣

٣. فاطر: من الآية ٣٧

٤. فاطر: من الآية ٣٧

من يتذكر فيما قدم إليه من تذكير الله من القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(١).

جاءكم من ينذركم في الدنيا ﴿فَذُوقُوا﴾^(٢).

لا خروج، ولا تخفيف، ولا رحمة، ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٣).

لن تجدوا هناك من ينصركم.

لا موت في جهنم

نار جهنم

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا﴾.

فيكون الموت راحة، الموت الذي يخاف الناس منه هنا في الدنيا فيقعد، لا يقول كلمة الحق خوفاً من الموت، لا يقف موقف الحق خوفاً من أن يموت، مع أنها احتمالات كم في التاريخ من شواهد لأبطال قاتلوا واستبسلوا، وتعرضوا للموت، وخاضوا غمار الموت، ولم ينلهم شيء، ماتوا على فراشهم، وهم من كانوا يريدون أن يموتوا في ميادين القتال، أي أن الموت هنا محتمل، في المواقف، في ميادين الجهاد هو ما يزال احتمالاً فقط.

من هو ذلك الذي يقطع بأنه سيموت حتماً إذا ما قال كلمة حق، أن هناك من سيميته لا شك، إذا وقف موقفاً صحيحاً، من هو ذلك من الناس الذي يمكن أن يقطع بهذا، وعلى الرغم من ذلك من أنها مجرد احتمالات نخاف، نقعد، ونتواصى بالخنوع، ونتواصى بالذل بدلاً من التواصي بالحق والتواصي بالصبر عليه.

١. فاطر: من الآية ٣٧

٢. فاطر: من الآية ٣٧

٣. فاطر: من الآية ٣٧

هناك في جهنم - هذا الموت الذي يخاف الناس منه في الدنيا فيصل بهم الخوف منه إلى دركات جهنم وإلى هذا العذاب الشديد - سيصبح نعمة كبرى يتمنونها لو كان بالإمكان أن يحصلوا عليها.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(١).

يتمنى أهل جهنم أن يموتوا، يتمنون أن يموتوا، وحينئذ سيرون الموت ولو كانت سكراته شديدة، ومزعجة، أقسى أنواع الموت لديهم لرأوها نعمة، لرأوها نعمة كبيرة؛ لأنهم سيصلون إلى حالة لا يحسون معها بألم ذلك العذاب الشديد جهنم، فهم لا يقضى عليهم فيموتوا، فيكون الموت راحة لهم، لو كان يمكن أن يموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، لا يخفف لحظة واحدة، لا يخفف يوماً واحداً.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٢).

يقول أهل النار لمالك خازن جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾.

يوماً واحداً من العذاب، ولا يوم واحد، يوم واحد في مليار سنة على الأقل، لا يقبل ولا يوم واحد.

أليس هذا هو ما يخيف الإنسان، أليس كل شيء في هذه الدنيا مما يخوفنا به الآخرون يبدو هيناً، ويبدو نعمة عند أهل النار، لو كان بالإمكان أن يكون عذابهم كمثله، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(٣).

لأن الله لا يظلم أحداً؛ لأنهم هم من كانوا في الدنيا كافرين بنعم الله، كافرين بآيات الله، صادين عن سبيله، غير مستجيبين له، هكذا يكون جزاؤنا لكل كفور.

١. النبأ: من الآية ٤٠

٢. غافر: من الآية ٤٩

٣. فاطر: من الآية ٣٦

نحن هنا نسمع في هذه الآيات؛ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

وكأنه فقط أولئك الكافرون أما نحن من قد أسلمنا - ولو انطلقنا في أعمال كأعمال الكافرين - فإننا بعيدون عن هذا التهديد، وعن هذا الوعيد. هل هذا صحيح أم لا؟ ليس صحيحاً أنه فقط من يحملون اسم كافر هم وحدهم من سيعذبون؛ لأن الكافر لا يعذب على اسمه، لأن اسمه كافر! يعذب على أعماله أعمال يعملها: إعراض عن دين الله، صد عن سبيل الله، عمل في سبيل الطاغوت.

أو لم يكن في المسلمين من كانت أعمالهم أسوأ من أعمال أولئك الكافرين، بلى هناك في المسلمين من يظلم، في المسلمين من يصد عن سبيل الله، في المسلمين من يقتل القائمين بالقسط من عباد الله. فهل أن الله سبحانه وتعالى إنما يعذب أولئك على أعمالهم لأن اسمهم كافرين.

أما أنت متى حملت اسم إسلام فلن تعذب، سيصبح الحال حينئذ يصبح الإسلام عبارة عن رخصة للمجرمين، أنت تريد أن تحصل على ترخيص لترتكب كل الجرائم ثم لا تعذب؟ إذا قل: [لا إله إلا الله محمد رسول الله]. يصبح الإسلام هكذا، ويصبح الكافرون كل واحد منهم أحق. أنت لم تسلم لأنك لا تريد أن تبتعد عن هذه الأعمال التي أنت عليها. أسلم إذاً وبإمكانك أن تستمر عليها، ثم عندما تقدم في يوم القيامة سيسفك لك محمد، وتدخل الجنة. يصبح الإسلام حينئذ وسيلة أمن للمجرمين، وبطاقة ترخيص للمجرمين.

فبدلاً من أن تكون مجرماً، تتهدد بهذا التهديد الشديد، ويواجهك المسلمون بالاحتقار، ويواجهونك بسيوفهم في الدنيا، كن مجرماً محترماً، أسلم لتكن مجرماً محترماً.

ليس هذا هو إسلام من يقولون بأن الشفاعة لأهل الكبائر، الإنسان هو

الإنسان، رغباته، شهواته، مطامعه، هو، سواء كان يهودياً، أو نصرانياً، أو وثنياً كافراً، أو مسلماً.

أنظر إلى واقع الناس في هذه الدنيا الآن، في هذا الزمان، أليس البشر- فيها من طوائف كثيرة، اليهودي والنصراني، والوثني، والمسلم، والمسلمون باختلاف طوائفهم، انظر إلى واقعهم كناس رغباتهم واحدة، شهواتهم واحدة، مطامعهم واحدة، الإنسان هو الإنسان، الجرائم التي تنطلق منك وأنت كافر هي نفسها إذا ما سرت وراء شهواتك هي نفسها التي ستنتقل منك وأنت مسلم، تنطلق من اليهودي، والنصراني بشكل واحد سواء.

إذاً فلماذا مجرمون يعذبون، ومجرمون لا يعذبون؛ لأنهم يحملون أسماء مختلفة، هل هناك بين الله وبين أحد قرابة؟ أو الله سبحانه وتعالى يداهن أحداً، أو يكيل بمكيالين، كما نقول عن أمريكا؟ الناس هنا يقولون عن أمريكا: أنها تكيل بمكيالين.

إذا ما انطلق الإسرائيلي ليقتل الفلسطيني لا تلتفت إليه، ولا تدينه، وإذا ما اتجه الفلسطيني ليقاوم ويدافع عن نفسه المحتل لأرضه قالوا: إرهابي. قالوا: هذا كيل بمكيالين، لماذا لا تعاملهم سواء على الأقل؟ فتقول: هذا عنف، وهذا عنف، وهذا إرهاب، وهذا إرهاب.

حينئذ ستصبح القضية هكذا: أن الله سيكيل مع الناس بمكيالين، فمجرمون ينطلقون في شتى الجرائم، وكبارها، يظلمون عباد الله، ويصدون عن سبيل الله، ويحرفون دينه، وينشرون الفساد في أرضه، ويهتكون أعراض عباده ثم سيشفع لهم محمد.

الكافر ماذا يعمل إذا؟! هل هناك نوع آخر لدئ الكافر؟ إنما يعمل هكذا عندما نقول: إن الزنا محرم، هو محرم، لكن لماذا يعذب عليه الكافر ولا يعذب عليه من اقترفه ممن يحمل اسم إسلام؟ أليست عملية واحدة؟ وجريمة واحدة عند اليهودي، والنصراني، والكافر والمسلم؟ هي فاحشة. الظلم هو نفسه. ليس هناك نوع من

الظلم لا يمكن أن يصدر من الكافر، أو لا يمكن أن يصدر من المسلم، الأعمال واحدة التي نريد أن نفهمها: أن الناس كل الناس على اختلاف العناوين اتجاهاتهم واحدة، وجرائمهم، ومطامعهم، وشهواتهم، ومقاصدهم واحدة.. فلماذا ناس يعذبون وناس لا يعذبون على جرائمهم؟ يصبح الدين حينئذ بدلاً من أن يكون ديناً للحياة، بدلاً من أن يكون ديناً لمكافحة الجريمة، بدلاً من أن يكون ديناً كما قال الله عنه: ليزكي النفوس، ليطهرها يصبح عبارة عن رخصة لكل من يريد أن يستمر في إجرامه.

فبدلاً من أن تبقى مستحقاً للعذاب الشديد، أسلم. والإسلام مجرد قول، ثم ابقَ على أعمالك، وحينئذ لا جهنم، وحينئذ ستدخل الجنة مع المؤمنين، وسيشفع لك محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ألَمْ يصبح الإسلام حينئذ عبارة عن رخصة، ألَمْ يصبح ديناً بدلاً من أن يكافح الجريمة يشجع عليها، بدلاً من أن يخوف النفوس؛ ليزكيها، ليطهرها بتشريعاته وهديه، هو من يؤمن تلك النفوس لتغرق في مستنقع الرذيلة والجريمة.

الْعَمْرُ

الموت لأمریکا
الموت لإسرائیل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الله سبحانه وتعالى في القرآن تحدث عن بني إسرائيل بأن كثيراً من جرائمهم بما فيها قتل الأنبياء، وبيع الدين، وبما فيها استحلال أموال الآخرين عندما يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ﴾^(١).

قال عما يدفعهم إلى ذلك هو: أنهم يعتقدون أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة. أي: أن هذه العقيدة تشجع على الجريمة، وتعمل على أن تغرق النفوس في مستنقع الجريمة والرديلة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

المرعيل بأن عقيدة هذه هي وراء الجريمة، وهي عقيدة تدفعك إلى الإجماع. إذاً، فليست من دين الله لهذا قال: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

خدعوا أنفسهم بالكذب، وفعلاً لا تزال عقيدة قائمة عند اليهود إلى الآن.

بعض الناس قد يسأل هل يرى اليهود أنهم إلى النار، يرى أن النار لن تمسه إلا أياماً معدودة، فكل ما يعمل [شارون أو نتن ياهو] لو رأى نفسه مجرماً، لو رأى نفسه مستحقاً أن يدخل النار، فهو عندما يدخلها قد يبقى فقط سبعة أيام مقابل سبعة آلاف سنة هي عمر الدنيا، أو على أكثر قول لديهم سيبقى الواحد منهم أربعين يوماً في جهنم على عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، ويخرج، وحينئذ لا يكثرث بما

١. آل عمران: من الآية ٧٥

٢. آل عمران: ٢٤

يرتكب في الدنيا.

هي العقيدة التي كانت وراء ظلمنا نحن المسلمين من داخل المسلمين أنفسهم على أيدي الجبابة من الطواغيت، الخلفاء، الملوك، والحكام، والرؤساء، والسلاطين بمختلف العصور، وهناك من علماء السوء من يؤمنهم أن محمداً (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله)؛ سيشفع لهم مهما كانوا مجرمين، فينطلقون لظلم الناس لتسفك دماؤهم، وينطلقون للصد عن دين الله، وينطلقون فيه وهم آمنون من جهنم، أنهم لن يدخلوا جهنم.

واليهودي يرى أنه سيدخل جهنم وسيبقى أياماً معدودة، وأما صاحبنا فإنه يرى أنه لن تمسه النار إطلاقاً. اليهود قالوا: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ».

أما نحن المسلمون فقناهم في هذا القول، فقلنا: ولا أياماً معدودة، ولا لحظة واحدة، سيأخذ بيدك محمد ويمنحك وسام الشرف، شفاعته، فتدخل مع أولئك المؤمنين الجنة! أليس هذا قول أبعد من قول اليهود؟ أليست عقيدة أسوأ من عقيدة اليهود، هي نفسها وراء ظلم الكثير من الخلفاء والملوك، والرؤساء في كل عصر من العصور، هناك من أمنهم.

القرآن الكريم تنزلت كثير من آياته في مكة، وعندما تسمع كلمة: [كفر] وكلمة: [شرك] فلأن من في الساحة وهو يخاطبهم، ويعمل على أن ينقلهم من الوضعية التي هم فيها، هم مشركون، كافرون، فتأتي العبارات على هذا النحو، ولأن الله يريد من عباده - وهو الشيء البديهي لو فهمناه - أنه عندما ترون هذا الوعيد الشديد لأولئك فهل تفترضون أننا نريد أن ننقلهم من اسم ليحملوا اسماً آخر، ثم ليقبوا على ما هم عليه، وحينئذ فلا يعذبون!

عندما ترى الآيات الكثيرة تتهدد الكافر، انظر لماذا الكافر، هل لأن اسمه كافر [ك ف ر] أم لأنه على حالة هي تحول بينه وبين أن يتقبل هدى الله، لماذا المشرك، ولماذا تلك الهجمة الشديدة على أشخاص يعبدون أحجاراً وهم يعلمون، والله يعلم،

ورسوله يعلم أن تلك الحجر لا تستطيع أن تعارض الله، ولا أن تكون ندا لله، ولا أن تكون كفواً لله، ولا أن تنازع الله في ملكه، لماذا هذه المهجمة.

لأن هذا الشخص الذي يعبدها ولا يؤمن بالله كإله واحد، هو نفسه لن يكون لديه قابلية أن يتقبل هدي الله، سيبقى معرضاً عن تقبل هدي.

إضافة إلى أنه قول باطل، تأثيره على صاحبه أنه إذا أنا لست مؤمناً بوحداية الله، فلن أؤمن برسوله، ولن أؤمن بكتابه، وحينئذ يكون واقعي أنني معرض عن هدي الله، بل سينطلق ذلك المشرك إلى ميادين القتال للصد عن سبيل الله.

فالمشكلة الأساسية في الشرك بالنسبة لصاحبها: هو أنه على وضعية تجعله معرضاً عن هدي الله، وصادا عن سبيله، فهل الإعراض عن دين الله وهديه، والصد عن سبيله غير مسموح هنا ومسموح هنا، هو نفسه يصدر ممن يحمل اسم إسلام. الكثيرون يصدون عن سبيل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾^(١).

أليسوا علماء دين، أم مشركون! علماء دين، ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

فأولئك الذين يقولون: [هذا تهديد للكافرين لاحظ هو يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾].

ويقول: ﴿إِنَّ الْمُشْرِكِينَ﴾، نحن لسنا كفارا ولا مشركين [أنت تعتبر أن مجرد تغيير الاسم هو كل شيء، إن الله ينظر إلى الأعمال، وليس إلى مجرد الأسماء، ينظر إلى الأعمال، وينظر إلى القلوب، نقول: هؤلاء الكافرون ما هي المشكلة لديهم، انهم صادون عن سبيل الله.

١. التوبة: من الآية ٣٤

٢. التوبة: من الآية ٣٤

الله تعالى لا يعتب بالمسميات، القرآن الكريم - عندما تتأملوا آياته - تعرض بالتفصيل لأعمال المشركين، ألم يقل في بعضها:

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(١).

ألم يقل في بعضها أنهم ﴿يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

ألم يقل في بعضها أنهم ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾^(٣).

هو يتعرض بالتفصيل لأعمال الكافرين، ولأعمال المشركين، وأنها هي الأعمال الممقوتة.

وإنما مسألة الشرك هي نفسها وراء أن يكونوا على هذه الحالة، فيتوجه الكلام كثيرا إلى الشرك ليقطعه من نفوسهم، لتصبح تلك النفوس قابلة لأن تهتدي بهدي الله، ولأن تبعد عن الصد عن سبيله، ولأن تلتزم بدينه، فيقلع الشرك من قلوبهم، يقلع الشرك من أذهانهم، وتقاليدهم وأفكارهم، لآثاره؛ لأنه معلوم عن الله سبحانه وتعالى أنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وكل هديه يتوجه إلينا نحن؛ لأننا نحن المحتاجون إليه، يتوجه إلى أنفسنا، ولأن كل عمل باطل هو فساد علينا نحن، هو ضد مصالحنا نحن.

فعندما يأتي ليتحدث عن الشرك والكفر، ليس لأنه أصبح يخاف من ذلك الصنم، أو أنه إذا تجمع الآلاف حول ذلك الصنم سينازعه هذا الصنم في ملكه؛ إنما ليبعد هؤلاء عن عقيدة جعلتهم يبتعدون عن هدي الله، وجعلتهم ينطلقون في الصد عن سبيله، وجعلتهم بعيدين عن التخلق بالأخلاق التي أراد أن يتخلق بها عباده الذين يسировون على هديه.

١. فصلت: من الآية ٧

٢. الأعراف: من الآية ٤٥

٣. النساء: من الآية ٧٦

إذا فكل من صد عن سبيل الله، كل من ابتعد عن دين الله، كل من أعرض عن هدي الله، وإن كان يحمل اسم مسلم، حكمه حكم أولئك. وهذه قضية مفروغ منها في القرآن الكريم؛ مفروغ منها؛ لأنه من غير الطبيعي، ومن غير المقبول أن تفترض أن المسألة إنما هي مجرد تغيير اسم، فتقول: أولئك فقط لأن اسمهم [كافرين] أما نحن فلو انطلقنا في نفس الأعمال التي تصدر منهم فإننا قد أصبحنا مؤمنين من عذاب الله، هذا شيء غير طبيعي.

البشر كلهم عبيد لله تعالى، وهو رب العالمين جميعاً، ولن يكيل بمكيالين معهم، لن يعذب هذا المجرم على أعمال هي نفسها التي لا يعذب عليها شخصاً آخر صدرت منه، وحالته وموقفه حالة هذا الشخص الآخر. لا يمكن، إلا إذا كان هناك توبة.

والتوبة ألر يتوجه الأمر بالتوبة إلى المسلمين، لو أن المسألة هكذا مفروغ منها أن الكلام كله حول الكافرين حول المشركين أما نحن فقد أسلمنا لما كنا بحاجة إلى توبة إذاً فلماذا التوبة، التوبة لا بد منها؛ لأنك أنت أيها المسلم فيما لو اقترفت عملاً من أعمال أولئك ستعذب فهذه هي التوبة هي فرصة للعودة إلى الله تعالى.

معنى التوبة

والتوبة معناها: الإقلاع عن المعصية، الرجوع إلى الله، الندم على ما صدر من الإنسان من تقصير، من تفريط في جنب الله، من تقصير في الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، ما حدث منه من معاصي لا بد أن يتوب منها، وإذا لم يتب فلا فرق بينه وبين ذلك الشخص الآخر.

ألر يقل عن المنافقين: أنهم في الدرك الأسفل من النار؟ ولا تصدقوا أن المنافقين هم كلهم من يبطن الكفر ويظهر الإسلام. بل إن في المنافقين من ذكر الله عنهم بأنهم في واقعهم معترفون، مؤمنون كإيمان أي واحد منا بأن الله هو رب العالمين، وهو

الإله وحده، وأن القرآن من عنده، وأن محمدا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)،
أمر يقل هو: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١).

أمر يقل هكذا. يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بل هم يخافون؛ لأنهم يعلمون
أن الله عليم بذات الصدور، فهو يعلم ما يسرونه في أنفسهم فيخافون أن تنزل
سورة تفضحهم، أي هم مؤمنون بالقرآن أنه من عند الله، ومؤمنون بأن هذا الرجل
هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الذي ينزل عليه القرآن، ومع هذا قال
الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٢).

قد يكون هناك فئة، فئة قليلة من المنافقين هم من قد يقال عنهم أنهم في واقعهم
مبطنون للكفر، أي هم غير مؤمنين بالله، ولا مؤمنين بكتابه، ولا مؤمنين برسوله،
إنما ألبأتهم الظروف إلى أن يتلونوا خوفا على أنفسهم، هذه النوعية من المنافقين إنما
تكون في فترات محدودة، في الفترة التي تكون الغلبة فيها لجانب الإسلام، لجانب
الحق فيرى الكفار أنفسهم مضطرين إلى أن يتمظهروا بالإسلام من أجل أن يأمّنوا
على أنفسهم وأموالهم.

لكن تجد المنافقين هم من كانوا كثيرين في المدينة، وهم من أهل المدينة، ومن غير
أهل المدينة، وهم من قال عنهم أنهم مذبحين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا هم مع
المؤمنين ولا هم كفار مع الكافرين. هم يتلونون يظهر نفسه للكافرين وكأنه معهم،
ومتى ما كانت الغلبة للمسلمين أظهر نفسه أنه معهم وتلق لهم، وأظهر أنه واحد
منهم، يقول عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

بل وجدنا القرآن الكريم يتوعد بالعذاب الشديد، بالعذاب العظيم لمن قتل مؤمناً

١. التوبة: من الآية ٦٤

٢. النساء: من الآية ١٤٥

٣. النساء: من الآية ١٤٥

متعمداً، يتوعد بالخلود في النار لمن لم يلتزم بحدود الله في المواريث في [سورة النساء] يتوعد، والمواريث تخاطب من؟ أليست خطاباً للمسلمين؟ يتوعد بالعذاب، والخلود في جهنم لمن لا يقف عند حدود الله ويلتزم بما حده الله سبحانه وتعالى في قضية المواريث وحدها خلي عنك أشياء كثيرة أخرى.

هل من المعقول أن يكون الصد عن دين الله مسموح للإنسان الذي يحمل اسم إسلام، وهل معقول أن يكون الإعراض عن هدي الله مسموح لمن يحمل اسم إسلام، ستصبح كلمة: [لا إله إلا الله محمد رسول الله] عبارة عن بطاقة تضعها في جيبك، ثم تنطلق إلى أسوأ مما كان عليه المشركون والكافرون في أعمالهم.

وعندما تقرأ في بعض التفاسير فيقول لك: هذه الآيات هي تتحدث عن كافرين، هي تتحدث عن مشركين فهي آيات تعني أولئك، أما نحن فلا، نحن حملنا اسم إسلام وسيشفع لنا رسول الله فاعرف أن هذا غرور، وأن هذا خداع، وسيكون واقع من يعتقدون هذه العقيدة كما حكى الله عن بني إسرائيل: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

هذه افتراءات افتروها أناس سابقون وقدموها لنا ونحن قبلناها منهم، وبالطبع لا ينفق شيء من الباطل إلا إذا ما حمل اسم [دين] وقدم إلينا باسم [دين] فيقال: عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)! ويكون ذلك الحديث في بطون المجاميع الحديثية التي يعتبرونها هي مجاميع السنة، ألم يقدم الباطل باسم دين، ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

١. آل عمران: من الآية ٢٤

عبر من جهنم

متى ما اشتدت حرارة الشمس وهي من فوقنا وبعيدة جدا عنا ألسنا نهرب لنبحث عن الظل، أو تحمل (شمسية) أو أي شيء تقى به نفسك من حرارة الشمس، أما في جهنم ليس هناك ما تقى نفسك منه، حتى ما يبدو أمامك وأنت في جهنم وكأنه ظل هناك هو ظل خادع هو حميم، هو نار. يقال إنه حتى في جهنم يتجمع دخان وبتراء وكأنه ظلال، فينطلق وإذا كله نار، ذلك الذي يراه على شكل ظلال كله نار.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾^(١).

فهذا هو الذي يجب أن نخافه، يخوف الله وهو إلهنا، وهو ربنا، وهو الرحيم بنا؛ لأنه لا يريد أن تقع في هذا العذاب.

لاحظوا كيف يعمل ملوك الدنيا الذين لا رحمة لديهم، هم من يريدون أن يعذبونا، وليس أن يبعدونا عن العذاب فهم يخادعوننا حتى تقع في العذاب المهين.

عندما يأتي الأمريكيون إلى العالم الاسلامي فيقولون: نحن نريد أن نساعدكم على مكافحة الإرهاب، الإرهاب أنتم ستعانون منه، وهم يريدون أن يتمكنوا، ليسيظروا علينا ويذلونا، فيوقعونا في الخزي وفي العذاب المهين.

أليست أمريكا دولة ولها رئيس، قل هو ملك ذلك الشعب، هكذا يعمل على أن يخادعك ليوقعك في العذاب المهين تحت وطأة قدمه.

أما الله ربنا سبحانه وتعالى فهو الذي هو على كل شيء قدير فإنه رحيم بنا يعمل على أن يخوفنا من عذابه من أجل أن نبتعد مما يؤدي بنا إلى عذابه، هذا هو عمل

١. الزمر: من الآية ١٦

الناصح، عمل الرحيم بعباده.

ولذلك تجد أهل النار في الأخير يرون أن الله سبحانه وتعالى لم يكن من جانبه أي تقصير، وأن كل من يدخل جهنم سيرى نفسه جديرا فعلا بأن يعذب فيها، وأن يصرخ بمليء فيه فيها، أما الله فلا تقصير عنده، سيعرف أن رحمته عرضت عليه في الدنيا، ويعلم أن الله خوفه في الدنيا، وأنه الذي كان يعرض عن تخويف الله، وأنه الذي كان يخاف ما لدى الآخرين أكثر مما عند الله، وهذه هي الحماقة أن نخاف ما عند الآخرين ولا نخاف ما عند الله.

الله أكبر

الموت لأمریکا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

استغراب خزنة النار من الناس

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(١).

نعوذ بالله، كل واحد منا يفكر فيما لو كان واحدا من أولئك الذي سيساقون إلى جهم كيف ستكون نفسيته، وكيف ستكون حسرته، وكيف ستكون آلامه ومشاعره.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(٢).

لأنهم يدفعون دفعا إليها كما قال الله: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا﴾^(٣).

لا يريدون أن يذهبوا، فتدفعهم الملائكة رغما عنهم وتقودهم في السلاسل فيسحبون على وجوههم إلى نار جهم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٤).
جاهزة لاستقبالهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾.

خزنتها يستغربون من الناس، ويندهشون من الناس: ما الذي أدى بكم إلى جهم، ما بالكم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٥).

١. الزمر: ٧١.

٢. الطور: ١٣.

٣. الزمر: من الآية ٧١.

٤. الزمر: من الآية ٧١.

٥. الزمر: من الآية ٧١.

والله قد جاءتنا الرسل وجاءنا المنذرون وكنا نسمع آيات الله ولكننا كنا معرضين عنها ولا نحسب لها أي حساب.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾^(١)، الملائكة أنفسهم يندهشون من أهل جهنم وعندما يرون الملايين تساق إلى جهنم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾^(٢).

تلك الآيات التي تهديكم، تلك الآيات التي فيها ما يبعدكم عن أن تصلوا إلى جهنم، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٣).

أليس هذا حاصل في القرآن في كثير من الآيات الكريمة، سور بأكملها تتحدث عن اليوم الآخر، سور القرآن مليئة بالحديث بالإنذار لعباد الله من اليوم الآخر، بالآيات التي تهدي الناس إلى ما يبعدهم من سوء الحساب ومن عذاب جهنم في اليوم الآخر، أليس هذا في القرآن كثير، أليس القرآن في كل بيت؟ فلماذا لا نخاف؟ ولماذا نخاف الآخرين؟ بمجرد ورقة واحدة، أو واحد من زبانياتهم يخيفنا، ولا نخاف من أي شيء من كل ما نسمع الحديث عنه في كتاب الله الكريم، الذي بين أيدينا وفي كل بيت من بيوتنا.

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾^(٥).

ما دام وقد جاءكم رسل يتلون عليكم آيات ربكم، وقد أنذرتكم لقاء يومكم هذا، إذاً ما بقي هناك أي عذر لكم، ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى

١. الزمر: من الآية ٧١

٢. الزمر: من الآية ٧١

٣. الزمر: من الآية ٧١

٤. الزمر: من الآية ٧١

٥. الزمر: من الآية ٧٢

الْمُتَكَبِّرِينَ^(١).

الندامة والحسرة للكافرين، ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ﴾^(٢)، هل هناك سبيل إلى أن نرجع إلى الدنيا، يبحثون عن الخروج من جهنم بأي وسيلة، ولو بوعد أنهم سيعودون إلى الدنيا ثم ينطلقون في الأعمال الصالحة، ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ﴾.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، كأن هذا في القيامة وهم في المحشر؛ ينظرون إلى جهنم؛ لأن جهنم تبرز يوم القيامة كما قال الله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

فيرونها وهي تلتهب وتستعر، ويسمعون صوتها، زفيرها، وشهيقها، يتساءلون: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ﴾، هل هناك ما يبعدنا عن هذه النار.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ﴾. مطأطئين رؤوسهم ومستكينين، ﴿مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، إلى جهنم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾^(٣).

المؤمنون وهم يرون أولئك الذين كانوا في الدنيا كبارا، الذين كانوا في الدنيا معرضين عن دين الله ويسخرون من عباد الله سيرون أنهم في خسارة عظيمة، وهم يرونهم في وضع سيء، هكذا خاشعين من الذل ينظرون إلى جهنم نظرات مخيفة، نظرات شزر: لا يحاول أن يملأ عينه من رؤيتها، لا يحاول من شدة الخوف، هناك يتجلى من هو الخاسر، تجلت الخسارة على أفطح ما يمكن أن تتصور:

﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ - حَقِيقَةُ هُمْ - الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا

١. الزمر: من الآية ٧٢.

٢. الشورى: من الآية ٤٤.

٣. الشورى: من الآية ٤٥.

ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

لأنه هنا لاحظوا في الدنيا قد يرى أي شخص من المنافقين إذا ما تعرض الناس لأي شيء فرأوهم مثلاً يقادون إلى السجون أليسوا هم من يسخرون، أليسوا هم من يرون أولئك المؤمنين خاسرين، المنافقون، الجاهلون الذين لا يعرفون من هو الخاسر الحقيقي، يرونك وأنت في السجن، وأنت تعمل في سبيل الله، يرونك وأنت تطارد فيعتبرون أنفسهم أنهم حكماء وأذكىء أنهم آمنون في بيوتهم، وأن أولئك خاسرون.

الخاسر الحقيقي هو الكافر

هم ينظرون إلى ما يتعرض له المؤمنون أنه خسارة، لكن الخسارة الحقيقية التي هم فيها، الخسارة الحقيقية التي سيلقونها هم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أما من رأونا أننا خسرنا أنفسنا وأهلنا في الدنيا فليست خسارة، لو خسرت بيتك، لو خسرت أهلك وأولادك فطردت من بينهم فإن هذه ليست خسارة في سبيل الله، وقد يصل بك الأمر إلى أن تخسر نفسك وأهلك وأولادك ولكن في ذل وفي استكانة على أيدي أعداء الله وفي وضعية لا فضل لك فيها؛ لأنك كنت من قعدت، كنت من سكت وأمن توانيت حتى وصل الأمر بك إلى أن تخرج من بيتك غصبا عنك، ثم لا فضل لك عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أولسنا نرى الفلسطينيين يخرجون من بيوتهم؟ وتدمر بيوتهم ويطردون من بين أهلهم، من قبل من، من قبل أعدائهم، وأعداء الأمة اليهود، وهكذا يصل الأمر بالناس إلى هذه الدرجة.

فمن يقول: أنه يريد أن يحافظ على نفسه وأهله وبيته وماله قد يخرج منها رغماً

عنه، ثم لا يكون خروجه منها في سبيل الله بل حسرة وندامة، وتحت وطأة أقدام أعداء الله، أما المؤمن المجاهد الصابر الذي يعمل في سبيل الله فلو خسر نفسه ولو خسر أهله وبيته وماله فإنه ليس خاسراً، هو من سيقول فيما بعد عندما تتجلى له الأمور، وهو يرى أولئك الذين يرون أنفسهم في الدنيا أنهم كانوا أذكاء لم يتعرضوا - في مرحلة مؤقتة فقط وليس على الإطلاق - لم يتعرضوا لما تعرضت له أنت في سبيل الله، ستراهم أنت يوم القيامة ثم ترى أن كل ما نالك في الدنيا ليس خسارة، إن الخاسرين الحقيقيين هم أولئك الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وليس نحن، وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

قد يأتي الشيطان ليقول لك عندما تتعرض لحالة كهذه وأنت مجاهد في سبيل الله، فيوحي لك بأنك في خسارة، وأنت أوقعت نفسك في ورطة وخسارة، يوم القيامة سيتضح لك الأمر إذا ما حاولت أن تدفع الشيطان عنك، وأن تعود إلى صوابك وترى نفسك أنك في مقام تتعرض فيه للريح عند الله يوم القيامة، سترى أنت أولئك هم الخاسرون حقيقة وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

لهذا قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لأن الكثير من المؤمنين هم من يصنفون عند الآخرين خاسرين: تخسر دراستك، تخسر شهادتك، تخسر بيعك وشراءك، خسرت مالك، خسرت بيتك، هكذا يتعرض المؤمنون للكلام الكثير من قبل الآخرين فيصفون كل ما يتعرضون له بأنه خسارة، ويصفونك بأنك أحمق وأنت تنطلق في عمل ما، أو تقول كلمة حق بشكل صريح، يعتبرونك أنك أحمق؛ لأنك تعرض نفسك للخسارة، فهؤلاء المؤمنون الذين تحملوا في الدنيا ما يقال ضدهم وصبروا واستقاموا هم من ستتجلى لهم الأمور يوم القيامة فيقولون للآخرين، ويقولون لأنفسهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حينئذ والله صبح، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ - هم أولئك - الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ونحن نراهم يسحبون على وجوههم في السلاسل والأغلال إلى جهنم، أليست هذه هي الخسارة

الحقيقية؟؟.

قد يراك أحد الناس - كما حصل فعلا في بلادنا وحصل في مناطق أخرى - فيرون أحدا من الناس من هذا الصف وهو يقاد به إلى السجن فيرون أنفسهم في ربح أنهم رأوا أولئك.. ومن هم أولئك؟ هم في الواقع الذين لم يتعرضوا لأي أذى أو ضرر من جانبهم، لأن المؤمن هو من لا يضر الآخرين، وهذه هي من الأشياء التي تعتبر مما تدهش الإنسان أمام المنافقين: أن المنافق يحمل غيظا وحقدا على المؤمنين، وهو يتأكد في قرارة نفسه أنه غير خائف منهم لا على نفسه ولا على ماله، هو لا يتوقع منهم أن ينهبوا ماله، هو لا يخاف أي شيء من ضررهم وأذاهم ولكنك تراه يفرح ويرتاح والمؤمنون يقادون إلى السجن.

وقد يرى الإنسان نفسه وهو في حالة كهذه في ألم شديد، لكن أنت عد إلى كتاب الله لتعرف أن المواقف ستتغير، وأن هناك في القيامة سيتجلى من هو الخاسر الحقيقي، ومن هو الراجح الحقيقي.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

أليست هذه هي الخسارة؟ أم خسارة المؤمن في هذه الدنيا التي يفرح بها الآخرون، وأنهم أوقعوه فيها، بتقاريرهم، بوشايتهم بنفاقهم بكذبهم.

هكذا يقول الله لنا سبحانه وتعالى؛ ليعلمنا كيف تكون مشاعرنا، وما هي المشاعر التي نحملها ونحن في أي مرحلة صعبة، وأنت في مواجهة أي خطر ينالك أو يحدق بك، لا تعد شيئا في هذه الدنيا ينالك في سبيل الله خسارة، وهذه هي قاعدة عامة وثابتة، وسنة من سنن الله سبحانه وتعالى: أن من يعمل لدينه وفي سبيله، وينطلق في رضاه، ليس هناك أمامه أي خسارة على الإطلاق، لا خسارة مادية، ولا خسارة معنوية أبدا.

لاحظوا، عندما يدعو الله الناس للإِنفاق في سبيله أَلَمْ يَعدَهم بأنَّه سيخلف عليهم ما أنفقوا، ليفهمنا أنَّ العمل في دينه ليس فيه خسارة أبداً، والنظرة المغلوطة لدينا هي هذه: أنَّ كل من يفكر أنَّ ينطلق في الأعمال في سبيل الله بنفسه وماله يخيل إليه أنَّه سيقع في الكثير من الخسارة، سيحتاج أن يعطي كذا، سيحتاج أن ناله كذا فيرى نفسه يتعرض للخسارة! إن الله في القرآن الكريم أوضح لنا بأنَّه ليس في العمل في سبيله أي خسارة أبداً.

فأنت إن أنفقت يخلف عليك أضعاف ما أنفقت، وأنت عندما تكون تعمل في سبيله فينالكَ شيء من الأَمْر كله سيكتب لك عملاً صالحاً، ذلك الأَمْر الذي قد ينالك على أيدي أعدائك الذين لم تعمل في سبيل ضربهم قد ينالك الكثير من الأَمْر ثم لا يكتب لك شيء. أما إذا كنت في سبيل الله فإن كل حركة من حركاتك، وأي مصيبة تنالك، وأي مشقة مهما كانت بسيطة كلها تكتب لك عمل صالح، وأن يكتب لك عمل صالح مضاعف الأجر حينها ستجد بأن كل ما ينالك ليس وراءه خسارة.

الضعف امام اليهود هو الخسارة

إن الخسارة هي أن يكسر عظام الإنسان على أيدي اليهود وهو بعد لم يعمل ضدهم شيئاً، هذه هي الخسارة، إن الخسارة هي أن يدمر بيتك على أيدي أعداء الله وأنت ممن كنت لا تعمل ضدهم شيئاً، هذه هي الخسارة. حينها سيكون كل ما نالك عقوبة، والعقوبة لا أجر عليها، لا أجر معها. أليست هذه هي الخسارة الحقيقية، لكن ليحصل مثل هذا، أو أكثر منه، أو أقل منه في سبيل الله لن يكون خسارة؛ لأنَّه يكتب لك عمل صالح، مضاعف الأجر عند الله ثم وبناء على هذه القاعدة الإلهية أنه لو وصل الأَمْر إلى أن تضحي بنفسك أَلَمْ تنفق نفسك حينئذ في سبيل الله؟ يقول لك: لن تخسر أبداً حتى روحك وستعود حياً، أَلَمْ يقض بهذا للشهداء؟

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

لأنك من بذلت نفسك في سبيله، وعلى أنه لا خسارة في التعامل معه سيعيد لك روحك، وتعيش حيا ترزق بكامل مشاعرك، وتفرح، وتستبشر- بما أنت عليه، وبمسيرة الآخرين من يسرون على نهجك، أنهم يسرون على طريق حق، وعلى صراط مستقيم، وأن من سيلحق بعدك من إخوانك سينال ما نلت أنت من التعظيم، ومن الحياة في ذلك العالم، حياة مليئة بالفرح والسرور، هل هناك خسارة. بل أليس الناس يموتون، هذه هي الخسارة أن تموت ثم لا يكون في موتك إيجابية بالنسبة لك، ليس في موتك أي استثمار لك، وهذه هي الخسارة الحقيقية.

هكذا يعلمنا الله: بأن كل من ينطلق في سبيله لن يخسر أبدا، وأن الخسارة هي خسارة أولئك الذين قد يكون واقعهم يؤدي بهم إلى أن يخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. ومن يهربون من الموت في الدنيا، هم من يموتون حقيقة، هم من يضيعون في التربة حقيقة، أما الشهداء فإنهم لا يموتون. أوليس كذلك.

فكل من يخاف من الموت هو الخاسر، هو الذي يريد أن يموت، هو من سيكون موته لا قيمة له، إذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله، وأن تقتل شهيدا في سبيله.

الشهادة في سبيل الله هي الكرامة العظيمة، وربما قد تكون أنت من قد عشت في الدنيا عشرات السنين ومتعت بما متعت في الدنيا، حاول أن تستثمر موتك، لا تبحث عن الحيل، لا تبحث عن المبررات، إنك من يجب لمثله أن ينطلق ليحظى بهذه الكرامة؛ لأن - في العادة - الإنسان لا يبحث عن المبررات وعن الحيل ليقعد، أو

١. البقرة: ١٥٤.

٢. آل عمران: ١٦٩.

لينطلق ليصنف أعمال الآخرين بأنها أعمال حمقاء، أو أنها باطلة كله: الخوف من الموت، هل أنت تخاف من الموت؟ هل أنت تكره الموت؟ حاول أن تعيش حيا، حاول أن تكون ممن قال الله لنا ومنعنا عن أن نسميهم أمواتا، الموت ملغي من قائمتهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ ليسوا أمواتا إنهم أحياء، ﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ﴿بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾.

إن الحماسة هي هذه، وهذه هي الخسارة: أن يتهرب الإنسان عن الربح العظيم في الدنيا وفي الآخرة، يتهرب عن الحياة، أليس الشهيد حيا؟ أنت تتهرب عن الحياة خوفا من الموت. وهذا من أغرب الأشياء، أنا أخاف من الموت فلا يدري الإنسان وإذا به قد وقع في الموت الحقيقي، الغيبوبة المطلقة إلى يوم الدين، أما الشهيد فهي لحظة، قد تكون لحظة ربا قد لا تكون إلا دقائق معدودة، وقد لا يكون فعلا هناك فاصل، فهو حي، وحياة يراها أفضل من الحياة التي كان فيها.

إذا تأملنا كل شيء وعلى أساس أن دين الله كله ربح، هو ليس فيه خسارة في أي مجال من المجالات. حتى وأنت عندما تنطلق كطالب علم، يقول طلاب العلم أنهم يريدون أن يعرفوا الحق، وأنه تفرغ لطلب العلم من أجل أن يعرف الحق، ويعرف كيف دين الله؟ إن هناك أعمال هي نفسها وسيلة من وسائل الهداية المهمة لتعرف الحق في كل شيء، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

لا تفكر أن العلم هو كل ذلك الذي يعطيك أستاذك، أو كل ذلك الذي تحصل عليه من داخل الكتاب، انطلق في الأعمال التي هي أعمال إحسان كبير عند الله

١. العنكبوت: ٦٩.

٢. القصص: ١٤.

لتكون ممن يعطيه هذا الجزاء العظيم، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ^(١)﴾، ﴿آتَيْنَاهُ^(٢)﴾.

ولم يقل أوتي من أي طرف آخر ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ^(٣)﴾.

وهكذا كسنة ثابتة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(٤)﴾.

المحسنين، وأرقى درجات الإحسان هي الدرجة التي قال الله عن أصحابها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ^(٥)﴾.

ألم يعد الجهاد هنا هو الإحسان الحقيقي؟

فطالب العلم الذي يرى نفسه بأنه في طاعة الله وهو هناك، يرى مجاميع كهذه يضيعون أوقاتهم - من وجهة نظره - وهم يستمعون للمحاضرات، أو ينطلقون في أعمال ويشغلون أنفسهم عن أن يبقوا في زاوية المسجد على شرح [الكافل] أو على أي كتاب آخر يراهم خاسرين، ويرى نفسه هو أنه من عرف الطريق الصحيح، وأنه ها هو يشتغل بطلب العلم.

إن طلاب العلم، ومن يحملوا العلم إذا ما اتجهوا هذا الاتجاه هم من سيحصلون على العلم الحقيقي فعلا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ^(٦)﴾. - ماذا، ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا^(٧)﴾.

كم وجدنا ممن قطعوا أعمارهم في زاوية من زوايا بيوتهم بين ركام الكتب يظنون أن هناك العلم وحده، وأن ذلك مصدره وحده، كم وجدنا لهم من أقوال، كم وجدنا من الجهالات، وتجد لأولئك المجاهدين كالإمام الخميني قدس سره والشهيد محمد باقر الصدر والسيد حسين الحوئي والسيد علي الخامنئي والسيد

١. يوسف: من الآية ٢٢

٢. يوسف: من الآية ٢٢

٣. يوسف: من الآية ٢٢

حسن نصر الله والشيخ احمد ياسين وأمثالهم من المجاهدين تجد الحكمة، وتجد العلم، وتجد الهدى لديهم، وهم بعضهم لم يعيش كنصف عمر ذلك الشخص الذي عاش ستين سنة أو سبعين سنة في زاوية من زوايا بيته بين ركام الكتب، ترى في أقواله الكثير من الجهالات، ترى في عقائده، في نظراته الكثير من الأخطاء.

الإنسان يحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يتجه بعلمه إلى نفسه، ويحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يدعو الآخرين إلى ربه، إذا ما فقدت الحكمة وأنت تعلم نفسك ستفقد الحكمة وأنت تعلم الآخرين، من أين تأتي الحكمة، لا يستطيع أحد أن يؤتيك الحكمة إلا الله سبحانه وتعالى، وهو هو من قال لشباب كانوا في مراحل التعليم «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ». شابا، وقد يكون البعض يرى بأنه قد بلغ السن الذي فاتته فيه أن يتعلم. نشأ يوسف في مصر، من الذي علم يوسف (عليه السلام) ألم يأخذه أخوته وهو صغير، وسجنوه في البئر، ثم مشى وقطع فترة طويلة من عمره داخل قصر يشتغل أشبه شيء بخادم.

ثم موسى (عليه السلام) من الذي علمه في مجتمع كذلك المجتمع، مجتمع الفراعنة، هو الله سبحانه وتعالى الذي قال: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

ثم انظر كيف كانت مواقف موسى (عليه السلام)، ذلك الذي نشأ في بيئة جاهلة، ألم ينشأ في بيئة جاهلة في مصر، مصر الفرعونية، هل كان هناك مراكز؟ هناك مدارس علم؟ ربما قد يحصل لديه القليل مما يعرفه عن ديانة آبائه من بني إسرائيل، لكنك تجده في القرآن يقدم حكيما قبل النبوة، ويقدم عالما قبل النبوة أيضاً، من أين جاء هذا؟ لأنه انطلق كما قال الله عنه في مجالات الإحسان فاتاه الله حكما وعلماً.

كذلك يوسف (عليه السلام) ألم يكن تصرفه حكيماً، ومنطقه حكيماً وهو في مصر، والنساء يحاولن وراءه، ثم وهو في السجن، ثم وهو كوزير للاقتصاد، أو وزير للمالية، ألم يكن منطقته حكيما وتصرفه حكيماً؟ ألم يكن استقباله لأبويه وإخوته

حكيماً ومنطقه معهم، من أين جاء هذا، من الله سبحانه وتعالى.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبعدنا عن جهنم، وأن يرشدنا إلى صراطه المستقيم
إنه على كل شيء قدير، وأن يؤتينا الحكمة والعلم إنه على كل شيء قدير.

الله أكبر

الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الأسئلة التقويمية

١. ما هي القضية المحورية التي ناقشها هذا الفصل؟
٢. كيف تم توضيح مسؤولية الإنسان تجاه القرآن الكريم؟
٣. ما هو أثر التدبر في آيات الله على سلوك الإنسان؟
٤. كيف عُرضت مفاهيم الخشية والرجاء في هذا الفصل؟
٥. ما المقصود بالتولي لله ورسوله في ضوء الشرح؟
٦. كيف فسر الفصل علاقة القرآن بالواقع المعاش؟
٧. ما هي صفات المنافقين كما وردت في الفصل؟
٨. كيف تم بيان سنة الله في النصر والهزيمة؟
٩. ما أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد؟
١٠. ما النتائج التي تترتب على الإعراض عن هدي الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في الثالث من شعبان ١٤٤٧